NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESİ

Kısmı .	[illegible]
Yeni Kayıt No	2848
Eski Kayıt No	3338
Tasnif No.	

٢٨٤٨

وقف اكرم السلاطين من صفات الملوك وابهى الخواقين بحسن السيرة والسلوك
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المواهب عثمان خان ابن السلطان
مصطفى خان ادام الله ايام دولته وانام بعصمته في لوارح
حسنه وانا الداعي الفقير الحاج ابراهيم حنيف المفتش
باوقاف الحرمين المحترمين
غفر له

الحمد لله الواحد البر الرحيم الفاطر الصمد العليم الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة والدين القويم وبصر به بعد العمى وكشف به العمى وآتاه الخلق العظيم والقلب السليم واختصه بالشفاعة العظمى والمقام المحمود والتبجيل والتكريم وأرسله إلى الكافة وأمن به بعد المخافة وجعله من أوسط العرب وأعز الخواتيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أفضل الصلوة والتسليم **وبعد** فإن من أجل ما ينبغي معرفته وتعريفه وصرف العناية إليه وتدوينه وتصنيفه الكلام في العلوم النبوية والصفات المحمدية لصدورها عن الصدر الذي انبعث عنه العلوم كلها جملة وتفصيلا فروعا وأصولا فشرف العلم بشرف المعلوم منه وقد صنفت العلماء رحمهم الله في ذلك كتبا كثيرة ما بين تاريخ وشمائل وأقوال وأفعال وأحكام وغير ذلك ومنهم المقل والمكثر وليس فيهم مقصر كل على مبلغ علمه ومقدار فهمه وفوق كل ذي علم عليم فمن أجل التواريخ النبوية السيرة الكبرى لمحمد بن إسحق المطلبي مولاهم ثم تهذيبها لعبد الملك بن هشام النحوي وأحسن مختصر في ذلك خلاصة السير للمحب الطبري وفي الشمائل كتاب أبي عيسى الترمذي وجامع أبي محمد بن حبان رحمه الله ومما لم ينسج على منواله ولا سمحت القرائح بمثاله كتاب الشفا للقاضي الإمام عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله تعالى فإنه تكلم في ذات آداب النبوة وأحكامها والمجوزات عليها ولها مع ما رشحه به من الشمائل المرضيات والهدى والمعجزات بقوة عبارة وتلويح إشارة على أحسن أسلوب وأملح تقسيم وترتيب فشكر الله سعيه وأعاد عليه نفعه ولما رأيت ما جاء به القوم من محبة سيد البشر وما يرجون من نفعه يوم غد في المحشر وانتهى إلى قوله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ سارعت إلى جمع مختصر جامع في هذا المعنى بتلخيص الكلام فيه في ثلاثة أقسام منبئة عن فنون حقها أن يفرد كل واحد منها بالتصنيف على حدته **القسم الأول** في تلخيص سيرته صلى الله عليه وسلم من مولده إلى وفاته وما يتعلق بذلك وفيه ستة أبواب **الباب الأول** في شرف نسبه ومحتده وفضل بلدي وفاته ومولده وما مهد الله له من الفضائل قبل وجوده وعدد آبائه من لدنه إلى آدم صلى الله عليهما وسلم **الباب الثاني** في تاريخ مولده إلى نبوته وما جرى في تضاعيف ذلك من عيون الحوادث **الباب الثالث** في ما كان من ذلك من نبوته إلى هجرته صلى الله عليه وسلم **الباب الرابع** في هجرته وما بعدها إلى وفاته

صلى

صلى الله عليه وسلم **الباب الخامس** في ذكر بنيه وبناته وأزواجه وأعمامه وعماته ومرضعاته وأخوته من الرضاعة وذكر مواليه وخدمه من الأحرار ومن كان يحرسه ورسله إلى الملوك وكتابه وأصحابه العشرة النجبا وأنصاره النقبا وأهل الفتوى في حيوته **الباب السادس** في ذكر دوابه من الخيل والبغال والحمير ونعمه وغنمه وسلاحه ومساكنه وملبوساته وغير ذلك من أنواع آلاته وخاتمه وعدد سراياه وغزواته صلى الله عليه وسلم **القسم الثاني** في أسمائه الكريمة وخلقته الوسيمة وخصائصه ومعجزاته وباهر آياته وفيه أربعة أبواب **الباب الأول** في الأسماء وما تضمنت من المناسبات **الباب الثاني** في صفة خلقه الوسيم وتناسب أعضائه واستواء أجزائه وما جمع الله فيه من الكمالات **الباب الثالث** في الخصائص وهي نوعان **الأول** في خصائصه صلى الله عليه وسلم دون الأنبياء قبله وما اختصت به أمته ببركته **الثاني** فيما اختص به دون أمته من الواجبات والمحرمات **الباب الرابع** فيما أبده الله تعالى به من المعجزات وخوارق العادات **القسم الثالث** في شمائله وفضائله وأقواله وأفعاله في جميع أحواله وفيه ثلاثة أبواب **الباب الأول** في عاداته وسجيته في المباحات والمعتادات الضروريات **الباب الثاني** في الأخلاق المعنويات التي جماعها حسن الخلق **الباب الثالث** في شمائله صلى الله عليه وسلم في العبادات المتكررات وهذا القسم رحمك الله واسطة عقد هذه الأقسام ومحله منها محل اللطائف من الأجسام لما حوى من التنبيه على جمل شرعية وآداب مرعية وسنن مأثورة وهيئات مهجورة لقلة الاستعمال وافتداء الجهال بأهل الإهمال وأذيله بباب جامع في فضل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن يعظم لأجله وفضل حديثه ومحدثيه وأختم جميع ذلك بفضل الصلوة عليه والتسليم صلى الله عليه وسلم وأسأل الله الكريم الرحمن الرحيم أن يعظم لي في جمعه الفائدة ويعيد علي من بركته أعظم عائدة وأن يجعل إجازتي فيه الرضا والنزول في جوار المصطفى ووالدي وإخواني وخاصتي والمسلمين وجميع الأصحاب والأولياء إنه عظيم الرجا سميع الدعا وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير **القسم الأول** في تلخيص سيرته وهو محتو على ستة أبواب حسب ما تقدم **الباب الأول** في شرف نسبه ومحتده وما مهد الله له من الفضائل قبل وجوده وفضل بلدي وفاته ومولده وعدد آبائه من لدنه إلى آدم صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قرئ بضم الفاء وفتحها وكلاهما متضمنان لفضيلة نسبه أما قراءة الضم فقال المفسرون لم يكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وعليه حمل ابن عباس قوله إلا المودة في القربى وعلى قراءة الفتح فهو أبلغ في المدح لأن النفيس الخيار الجيد ومثله في الآية الأخرى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم

رسولا من انفسهم وقال تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه في قوله تعالى من انفسكم قال حسبا ونسبا وصهرا ليس في ابائه من لدن ادم
سفاح كلها نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما
وجدت فيهن سفاحا ولا شيا مما كانت عليه الجاهلية قال المؤلف غفر الله له
ورحمه كان نكاح الجاهلية على اربعة انحا فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل
الى الرجل وليته او ابنته فيصدقها ثم ينكحها والنكاح الاخر كان يقول الرجل لامراته
اذا طهرت من طمثها ارسلي الى فلان فاستبضعي منه فيعتزلها زوجها ولا يمسها ابدا حتى
يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب
وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح
اخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المراة كلهم يصيبها فاذا حملت ووضعت
ومرت ليال بعد ان تضع ارسلت اليهم فلم يستطع ان يمتنع رجل منهم حتى يجتمعوا عندها
تقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت وهو ابنك يا فلان تسمي من
احبت باسمه ويلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل والنكاح الرابع يجتمع
الناس الكثير فيدخلون على المراة لا تمتنع من جاءها وهن البغايا كن ينصبن على ابوابهن
رايات تكون علما لمن ارادهن دخل عليهن فاذا حملت احداهن ووضعت حملها جمعوا لها
ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من
ذلك فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح
الناس اليوم روينا ذلك في صحيح البخاري وسنن ابي داود من رواية عروة بن الزبير
عن عائشة رضي الله عنها موقوفا وهذا امر عظيم العناية ان اجرى الله سبحانه وتعالى
نكاح ابائه من ادم الى ان اخرجه بين ابويه على نمط واحد وفق شريعته صلى الله عليه
وسلم وعن ابن عباس في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك
نبيا وروينا في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وروينا
في جامع ابي عيسى الترمذي عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى
من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم صححه
الترمذي وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
اختار خلقه واختار منهم بني ادم واختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم
قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم
ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم
رواه الطبري قال القاضي عياض رحمه الله واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه

فيما

فيما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم
وافضل سلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل
مكة اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده ثم روى بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه قسم الخلق قسمين فجعلني من
خيارهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا
خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى اصحاب
الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين
ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا
وقبائل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر وجعل القبائل بيوتا
فجعلني في خيرها بيتا ولا فخر وذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية ومعنى قوله ولا فخر اي لست اقول ذلك مفتخرا ولا متطاولا ولا
محتقرا لغيري انما هو من باب التحدث بالنعم قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث
وعن عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فقال قلبت مشارق
الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم
وما احسن قول ابي طالب حيث مدح قريشا وخيرها ثم خير منهم بني عبد مناف ثم
خير منهم بني هاشم ثم خيره على الكل فقال

وان فخرت يوما فان محمدا • هو المصطفى من سرها وصميمها • وقال

ايضا فاصبح فينا احمد في ارومة • تقصر عنها سورة المتطاول •

وقال ابنه طالب بن ابي طالب

فما ان جنينا في قريش عظيمة • سوى ان حمينا خير من وطئ الثرى •

فصل واما ما مهد الله له في قدم نبوته وذكره فروى القاضي عياض
رحمه الله من ذلك في كتابه الشفا اخبارا كثيرة ما انقل منه الا ما كان في فن التواريخ
فانه رحمه الله لم يات بشيء منها قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيناكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية
وفي معناها ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لم يبعث الله نبيا من لدن ادم
الا واخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به
ولينصرنه وياخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة وروى قتادة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وكنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث فلذلك
ذكر في الاية مقدما على نوح وغيره وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم
لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم وكان ادم في الان لـ

بكى ابا محمد وابا البشر وروي انه تشفع بمحمد حين اصاب الخطية فتاب الله عليه وعن
البراء قال قلنا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم بابي وامي
انت يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبياء وذكرك
في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الاية بابي
وامي انت يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وروى الشيخ
ابو الحسن الحرالي المغربي في كتابه الذي صنفه في اسماء النبي صلى الله عليه وسلم
وتفسيرها انه صلى الله عليه وسلم نسب نفسه فقال انا محمد وانا احمد بن عبد الله
بن عبد المطلب ثم رفع في نسبه الى آدم ثم قال وآدم من تراب والتراب من الزبد
والزبد من الموج والموج من الماء والماء من الدرة والدرة من الضبابة والضبابة انشئت
من نور محمد صلى الله عليه وسلم فان صح هذا من جهة النقل فهو صلى الله عليه وسلم
اصل الوجود الانساني خلقا وتكوينا وما احسن قول السيد الحكيم ابي عبد الله الترمذي فيه

قد ورث المجد باباته ... وورث المجد لابنائه
وقام قطبا لمحيط العلا ... والمجد قد حفت بارجائه
وطهرت اجزاؤه فاغتدا ... يطهر الكل باجزائه
وكان ظلا لمحياه السنا ... ومثبتا فان بافنائه
فكان في غيبة اكوانه ... يقطر ماء المجد من مائه

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم اهبطني الى
الارض في صلبه وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابرهيم
ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين
ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار عمه العباس حيث قال يا رسول الله اني اريد
ان امتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض ... وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد نخترق

فصل فيما ورد من فضل بلدي مولده ووفاته قال المؤلف كان الله له

جمع

جمع الله سبحانه لنبيه انواع التفضيل والاعزاز والتبجيل وتخير له في البلد كما هيأ له
في النسب فجعل مولده ومبعثه بمكة ومهاجره ووفاته المدينة ولا خلاف بين العلماء
انهما افضل البلدان على الاطلاق ثم اختلفوا ايهما افضل فذهب اهل مكة والكوفة الى
تفضيل مكة وهو قول الشافعي وعليه جماعة من المالكية وذهب مالك واكثر
المدنيين الى تفضيل المدينة وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا خلاف ان موضع
قبره افضل البقاع لما ورد ان كلا يدفن في تربته التي خلق منها والله اعلم فيما ورد
في فضل مكة من الايات والاحاديث قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات
بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا وقال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم وقال تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء
والايات الواردة في هذا المعنى كثيرة غير منحصرة واما الاحاديث فروينا
في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله تعالى لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا
تلتقط لقطته الا من عرفها وفي رواية اخرى عنه ولا يختلى خلاها فقال العباس
رضي الله عنه يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم قال الا الاذخر
وروينا في جامع الترمذي عن عبد الله بن عدي بن الحمرا رضي الله عنه انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته بالحزورة بمكة يقول لمكة والله انك
لخير ارض الله واحب ارض الله الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت صححه الترمذي
وعن ابن شريح العدوي انه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لي
ايها الامير احدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح
فسمعته اذناي ووعاه قلبي وابصرته عيناي حين تكلم به انه حمد الله واثنى عليه
ثم قال ان مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم
الاخر ان يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فان احد ترخص لقتال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقولوا له ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم وانما اذن لي ساعة
من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس وليبلغ الشاهد الغايب وفي مسند
ابي داود الطيالسي من رواية عبد الله بن الزبير ورفعه ان الصلوة في المسجد الحرام
تفضل على الصلوة في غيره بمائة الف وقد حسب ذلك فبلغت صلوة واحدة في المسجد
الحرام تفضل على الصلوة في غيره بمائة الف وقد حسب ذلك فبلغت صلوة واحدة في المسجد
الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة اشهر وعشرين ليلة ولا يسقط هذا التضاعف
شيئا من الفوايت كما يتخيله كثير من الجهال نبه عليه النووي رحمه الله قال
بعض المفسرين في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا اي من النار

[illegible]
[illegible] العالم اجمع

وقيل من الطلب وكان في الجاهلية من احدث حدثا ولجا اليه امن ويلقى القاتل
على قاتله فيه من غير خفارة والسباع تطلب الصيد فاذا دخل الحرم كفت عنه وهذا
لقوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وذلك بدعاء ابرهيم عليه السلام
حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا ولها في القرآن ثمانية اسما مكة وبكة
وام القرى والقرية والبلد والبلد الامين والبلدة ومعاد ومن اسمائه في غير القرآن
والقادسية والمسجد الحرام والمكتان وام روح وام الرحمة وام رحم وام كوثى
قال المؤلف كان الله له ومن الآيات البينات فيه الحجر الاسود والحطيم وآثار
قدمي ابرهيم وانبثاق ماء زمزم بعقب جبريل غياثا لهاجر واسمعيل غنية عن الطعام
والشراب ودوا العليل ثم ان بها اجتماع المشاعر ومولد النبي صلى الله عليه وسلم
ومنها بدا الدين غريبا بعد ان كان عفا واول ما نزل بها القرآن العظيم وعكف
في عرصاتها الملئكة والانبياء عليهم عليهم افضل الصلوة والتسليم ثم هي قبلة
المصلين في جميع الآفاق واليها تنزع القلوب بدعاء الخليل وام الخلائق وبها اعظم
مجامع الدنيا في خمسة عشر موضعا منها يستجيب الدعاء ثم لها الخصائص التي لا تخفى
ولا تعد ولا تستقصى ع • شعر •

يا اهل تدريس العلوم جميعها • وذوي عقول قد صفت من ريبة •
هل تعلمون محلة معروفة • جمعت كمكة في عداد فضيلة •

واما ما جاء في فضل المدينة فروينا في صحيحي البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى
من رواية علي وابي هريرة رضي الله عنه وابي حميد الساعدي واسفين بن ابي زهير
وابي بكرة وانس بن مالك وابي سعيد الخدري وعائشة وعبد الله بن زيد بن عاصم
ورافع بن خديج وسعد بن ابي وقاص وسهل بن حنيف وجابر بن سمرة وابن عمر
رضي الله عنهم احاديث متفرقة انه قال صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى
يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد وانه حرم ما بين
لابتيها كما حرم ابرهيم مكة وانه سماها طابة ونهى عن تسميتها يثرب واخبر
ان الايمان يارز اليها كما تارز الحية الى جحرها وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون وانها لا يدخلها رعب المسيح الدجال ولا الطاعون وانه
كان اذا قدم من سفر فنظر الى جدرات المدينة اوضع راحلته وان كان على دابة
حركها من حبها ودعا لها بمثل ما دعا ابرهيم لاهل مكة واخبر انه لا يدعها احد رغبة
عنها الا ابدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت احد على لاوائها وجهدها الا كنت له
شفيعا او شهيدا يوم القيمة وانها لا يريدها احد بسوء الا اذابه الله ذوب
الرصاص او ذوب الملح في الماء ومنها روينا خارج الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم
قال المدينة مهاجري فيها مضجعي وفيها مبعثي حقيق على امتي حفظ جيراني ما اجتنبوا

الكبائر

الكبائر من حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيمة ومن لم يحفظهم سقي من
طينة الخبال وقال غبار المدينة شفا من الجذام وقال كل البلاد افتتحت بالسيف
وافتتحت المدينة بالقرآن وقال ما على الارض بقعة هي احب الي ان يكون قبري فيها منها
ثلاث مرات وقال من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب
عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث من الآمنين يوم القيمة وقال من استطاع ان
يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وروي عن زيد بن اسلم عن ابيه
في قوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا قال مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار
وسماها الله تعالى الدار كما في قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان وذكر ان لها
في التورية اربعين اسما منها المدينة وطيبة وطابة والمكينة وجابرة والمجبورة
والمرحومة والعذراء والمحبة والمحبوبة والعاصمة وروي ان في التورية يا مسكينة
لا تقبلي الكنوز ارفع اجاجيرك على اجاجير القرى وقال الشيخ الامام جمال الدين
ابو عبد الله محمد بن احمد المطري المطري رحمه الله تعالى في كتابه تاليفه البست
الهجرة من معالم دار الهجرة روايتي لذلك عن شيخي الامام الحافظ محب الدين محمد بن ابي حامد
المطري حفيد المصنف قراءة مني عليه بجميع الكتاب بالمسجد الحرام من لفظ شيخنا
امام الوقت ابي الفتح محمد بن بكر بن الحسين المراغي نضر الله وجوههما قالا اخبرنا
به الشيخ الامام ابرهيم بن علي البعمري عن المؤلف رحمه الله تعالى قال وبعد فان
العناية بالمدينة الشريفة متعينة والرعاية لعظيم حرمتها لكل خير متضمنة والوسيلة
بنشر شرفها شافعة والفضيلة لاشتات معاهدها جامعة لانها طابة ذات الحجرة
المفضلة ودار الهجرة المكملة وحرم النبوة المشرف بالآيات المنزلة والمسجد الذي
تشد اليه الرحال المرقلة والبقعة التي تهبط الاملاك عليها والمدينة التي يارز الايمان اليها
والمشهد الذي يفوح ارواح نجد من تراب تربته والمورد الذي لا يروى من الشوق
غلة وارديه والعرصة التي خصها الله بالنبي الاطهر والحرمة التي فيها الروضة المقدسة
بين القبر والمنبر والتربة التي سمت بساكنها على الآفاق وفضلت بقاع الارض على
الاطلاق فهي كما قيل ع • شعر •

جزم الجميع بان خير الارض ما • قد حاط ذات المصطفى وحواها •
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت • كالنفس حين زكت زكا ماواها •

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل
وتردد فيها جبرائيل وميكائيل وعرجت منها الملئكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس
والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة
رسول الله ما انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات

ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين
وما حوى خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة
واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها
وجدرانها وانشد شعر

يا دار خير المرسلين ومن به * هدي الانام وخص بالآيات
عندي لاجلك لوعة وصبابة * وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهدان ملأت محاجري * من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بالثرا * من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها * ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من جميل تحيتي * لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة * تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات * ونوامي التسليم والبركات

فصل وأما عدد آبائه فهو صلى الله عليه وسلم ابو القسم وابو الارامل وابو ابرهيم محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن ادد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسمعيل بن ابرهيم بن آزر وهو تارح بن ناحور بن شاروخ بن راعوا بن فالخ بن عيبر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس عند الاكثرين بن يرد بن مهليل بن قينن ويقال قينان بالكاف بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم قال المؤلف غفر الله له وما ذكرنا من النسب الى عدنان متفق عليه وفيما بعده الى آدم خلاف واضطراب في العدد والضبط والمشهور في ذلك ما ذكرنا ثم اتفقوا على ان النسب يرجع الى اسمعيل بن ابرهيم صلى الله عليهما وسلم وروى ابن سعد في الطبقات حديثا مسندا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن ادد ثم يمسك ثم يقول كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وروى نحوه عن ابن مسعود موقوفا عليه في قوله تعالى الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما لو شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلمه لعلمه وذكر ابن عبد البر حديثا موقوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن معد بن عدنان الى اسمعيل ثلثون ابا قال وليس هذا الاسناد فيما يقطع بصحته والانساب صعبة قال شيخ شيوخنا سراج الدين ابن الانصاري في شرح البخاري كره مالك

رحمه الله

رحمه الله رفع الانساب الى آدم وقال ومن عمره بذلك وذهب كثيرون الى جوازه وهو الاظهر لانه يترتب عليه معرفة العرب من غيرهم وقريش من غيرهم وتنبني عليه الاحكام كالامامة والكفاءة والتقدم في قسمة الفيء وغير ذلك وفي الصحيح حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج وقريش هم ولد النضر بن كنانة في قول الاكثرين وقيل هو فهر وقيل هو ولد الياس وقيل ولد مضر والله اعلم فصل فيما نقل من مزايا آباء النبي صلى الله عليه وسلم الادنين قال اهل السير كان عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم انهد فتى في قريش واصبحهم خلقا واحسنهم اخلاقا وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه فلما خرج منه فقد ذلك النور وانتقل الى وجه آمنة وهدى الله اهله فسموه باحب الاسماء اليه كما هداهم في تسمية ولده محمدا صلى الله عليه وسلم وفدى بمائة من الابل حين نذر عبد المطلب عند حفر زمزم لئن رزقه الله عشرة من الولد يمنعونه لينحرن احدهم فلما تم عددهم عشرة اسهم فخرج السهم على عبد الله ثم اسهم عليه وعلى عشرة من الابل وكانت العشر دية العرب فخرج السهم على عبد الله فزاد عشرا ثم عشرا حتى بلغ مائة من الابل فخرج السهم على الابل فنحرها عنه ثم استمرت الدية كذلك واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين يعني اباه واسمعيل بن ابرهيم صلى الله عليه وسلم امه وام ابي طالب فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية وتوفي عبد الله والنبي صلى الله عليه وسلم في بطن امه وقيل بعد ان ولد بثمانية وعشرين شهرا وقيل سبعة اشهر وقيل شهرين والله اعلم وكانت وفاته بيثرب وكان بعثه ابوه يمتار له تمرا منها وقيل توفي بالابواء بين مكة والمدينة وكان بينه وبين ابنه محمد صلى الله عليه وسلم في السن ثمانية عشر عاما والله اعلم واما عبد المطلب واسمه شيبة الحمد وقيل عامر وعاش مائة واربعين سنة سمي عبد المطلب لان اباه هاشما توفي وهو صغير فغلبت عليه امه سلمى الانصارية النجارية بالمدينة فلما نشأ وترعرع ذهب له عمه المطلب بن عبد مناف وقدم به مكة مردفه خلفه وكان آدم اللون فقال الناس عبد المطلب فلزمه ذلك وكان شريفا في قومه مبجلا معظما عندهم فوضع له بساط في ظل الكعبة لا يجلس عليه غيره وكانوا يسمونه الفيض والفياض لسماحته وكرمه ورأى الرؤية المشهورة في زمزم واتاها بعد ان درست آثارها وتم له مع قومه ما تم في حفرها وله اخبار طويلة ومآثر جليلة واما هاشم فاسمه عمرو وسمي هاشما لانه هشم الثريد لقومه في المجاعة وبلغ في الكرم مبلغا واطعم الوحوش في رؤوس الجبال واما عبد مناف واسمه المغيرة فكان يقال له قمر البطحاء لسماحته وجماله وورثه قصي المجد فاعرق فيه واطاعته قريش كما دانت لابيه واما قصي واسمه زيد وهو الذي الف قريشا وجمعها وجعلها اثني عشر قبيلة وجعل لكل قبيلة منزلا

ولذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم مجمعا وزاد في مكة شيئا من الحرم وجعل دار الندوة
التي يجتمعون فيها لمهماتهم وعظم البيت الحرام والمشاعر العظام وسن الرفادة وهي
طعام امر قريشا ان يهيئوه للحجيج في كل عام فاطاعوه في ذلك ولقب قصيا لانه بعد
عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته امه فاطمة **وكلاب** اسمه حكيم ويقال
الحكم ويقال المهذب سمي كلابا لمحبته الصيد بالكلاب **ولؤي** بالهمزة عند الاكثرين
وفهر قيل لقب واسمه قريش والصواب انه اسمه وان النضر ابو قريش كما تقدم
والله اعلم **وام** رسول الله صلى الله عليه وسلم امنة بنت وهب بن عبد مناف
بن زهرة بن كلاب وكانت سيدة نساء بني زهرة وكذلك كان ابوها ولم تلد هي
ولا عبد الله غير النبي صلى الله عليه وسلم ففي ذلك اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم
نسيج وحده في العالم قلت ولا اعلم لامنة ايضا اخوة ولو كان لنقل وعد اخوالا
للنبي صلى الله عليه وسلم كما نقل اعمامه واخواته وغيرهم والله اعلم **توفيت امنة**
بالابواء مرجعها من المدينة حين ذهبت بالنبي صلى الله عليه وسلم تزيره اخوال جده
عبد المطلب وبقي صلى الله عليه وسلم بعد موتها بالابواء حتى انتهى الخبر الى مكة
وجاءت ام ايمن مولاة ابيه عبد الله فاحتملته وذلك لخمسة من موت امه وله
صلى الله عليه وسلم يومئذ ست سنين وقيل اربع والله اعلم **وروي** ان امنة امنت
بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موتها واورد المحب الطبري في ذلك حديثا مسندا الى
عائشة رضي الله عنها والله اعلم

الباب الثاني في تاريخ مولده الى نبوته

وما جرى في تضاعيف ذلك من الحوادث في كثير خلاف وتنازع وتقدم
وتاخر واصح ما قيل انه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل بعد هلاكهم بخمسين
يوما وقيل بعده بثلاثين عاما وقيل باربعين وكان الفيل في المحرم سنة اثنين وثمانين
وثمانمائة من عهد ذي القرنين في زمن ملك كسرى انوشروان ومات انوشروان
بعد مولده صلى الله عليه وسلم بثمان سنين واتفقوا على انه صلى الله عليه وسلم ولد
يوم الاثنين قال الاكثرون في شهر ربيع الاول قيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان
وقيل لثنتي عشرة وهو اشهرها وقيل اول اثنين منه من غير تعيين وقيل ولد في
رمضان لثنتي عشرة خلت منه والله اعلم **وحملت** به امه ايام التشريق وولد في
شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى ووضع صلى الله عليه وسلم مستقبل القبلة واضعا
يديه على الارض رافعا راسه الى السماء مختونا مسرورا لم يصبه شيء من اقذار الولادة
وروي عن الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف وهي التي تولت ولادته قالت لما سقط
النبي صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي
ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت قصور الروم **ولميلاده** صلى الله عليه وسلم
خبت نار فارس وكان وقودها مستمرا من عهد عيسى عليه السلام واضطرب

ايوان

ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرافة وكان في ذلك اشارة الى عدد من ملك
منهم بعد ذلك الى ان نسخ ملكهم في خلافة عمر رضي الله عنه وغاضت بحيرة ساوة
وتنكست الاصنام في افاق الارض وسقط عرش ابليس ورمي الشياطين بالشهب **وروي**
عنهم وعن كهنتهم في ذلك انواع العجب وفي السنة الاولى من ميلاده صلى الله عليه
وسلم ارضعته ثويبة مولاة ابي لهب وارضعت معه عمه حمزة وابا سلمة عبد الله عبد
الاسد المخزومي بلبن ابنها مسروح **وروي** ان العباس رضي الله عنه راى اخاه
ابا لهب في المنام بشر حال وقال يرفه عني من العذاب في كل ليلة اثنين قيل له عن ذلك
فقال لما ولد محمد جاءتني ثويبة فبشرتني فاعتقتها وكان ذلك ليلة الاثنين وفي صحيح
البخاري اشارة الى ذلك والله اعلم **ثم احتملته** حليمة بنت ابي ذؤيب عبد الله
بن الحارث من بني سعد بن بكر بن هوازن ثم من قيس عيلان بن مضر وذلك حين قدمت
مكة مع نسوة من قومها يلتمسون الرضعاء لما يرجعو يرجونه من المعروف والبر من
اهليهم وكان اهل مكة يسترضعون اولادهم فيهم لفصاحتهم وليجمعوا للولد بين
صحة البادية وفصاحتها واداب الحاضرة وملاحتها فاقام صلى الله عليه وسلم فيهم
خمس سنين وظهر لهم من يمنه وبركته اثناء اقامته بين اظهرهم انواع من المعجزات
وخوارق العادات **وروي** عن حليمة في ذلك اخبار طويلة من درة ثديها عليه بعد ان
كان عاطلا وسيرا اتانها بعد ان كان ثاقلا ودر شارفهم وشياههم بعد ان كان لا
ترى عالا ولا ناهلا وخصب مرعاهم بعد ان كان جدبا ماحلا واحبته حليمة
وشبط حبه بلحمها ودمها وصارت امه بعد ان كانت راغبة عنه في ابتداء الحال حين
ذكر لها يتمه وفي انقضاء السنة الثانية فصلته حليمة وقد صار غلاما جفرا وكان
كبره في سنة ككبر غيره في سنتين ثم قدمت به على امه مكة وناشدتها ان ترجعه معها
ففعلت وفي الثالثة بعد مرجعه من مكة باشهر وقيل في الرابعة اتاه الملكان فشقا
صدره واستخرجا قلبه فشقاه واستخرجا منه علقة سوداء وقالا هذا حظ الشيطان
منك ثم ملاه حكمة وايمانا ثم لاماه فالتام ثم وضعا الخاتم بين كتفيه ولم يكن
الخاتم لنبي قبله ففيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ثم قال احدهما
لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنهم فمال الرزنه بعشرة بعد عشرة حتى قال
والله لو وزنته بامته لوزنهم ثم قبلا راسه وما بين عينيه وقالا يا حبيب لم ترع
انك لو تدري ما يراد بك لقرت عيناك قال صلى الله عليه وسلم فما الان ولي اعني
فكانما ارى الامر معاينة وفي الخامسة او في مستهل السادسة ردته حليمة الى
امه والذي حملها على رده بعدما كانت حريصة على اقامته معها تخوف عليه حين
شق صدره وما حكي ايضا ان نفرا من نصارى الحبشة راوه معها فسالوها اياه ليذهبوا
به معهم لما تعرفوا فيه من العلامات البينات وفي السادسة خرجت به امه الى اخواله
بني عدي بن النجار تزيرهم اياه واقام فيهم شهرا قال صلى الله عليه وسلم احسنت العوم والسباحة في

غاض الماء قل وبابه باع
جامع اللغة

بني عدي بن النجار وكان يهود المدينة يختلفون اليه ويتعرفون منه علامات النبوة
ثم رجعا الى مكة فتوفيت امه بالابواء وتقدم قول ان اباه ايضا مات بها وورد حديث
في اسناده مقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال ربه عز وجل ان يحيي ابويه
فاحياهما له وامنا به والاحاديث الصحيحة مصرحة بنفي ذلك قبل والجمع بينهما ان
حديث الاحياء متاخر عن تلك الاحاديث ولله ان يخص نبيه بما شاء والله اعلم • وفي
السابعة وقيل في الثامنة قصة سيف بن ذي يزن مع جده عبد المطلب حين وفد عليه
يهنيه بظفره بالحبشة واخبار الكهان عنه وامر الاستسقاء به صلى الله عليه وسلم
ولشهرين وعشرة ايام في الثامنة توفي جده عبد المطلب قبل وفاة امه بسنتين وكفله
عمه ابو طالب احسن كفالة وتعرف من كفالته اليمن والبركة ولولده واهل بيته
ودافع عنه حين شنفا القوم بعداوته بنفسه ولسانه واهل بيته ومن اطاعه من قومه
وعرض نفسه للشر دونه كما قال في قصيدته المشهورة •
• حدبت بنفسي دونه وحميته • ودافعت عنه بالذرا والكلاكل •
وفي التاسعة او في الثانية او الثالثة عشر قبل لشهرين منها وعشرة ايام خرج مع عمه
ابي طالب الى الشام في تجارة قبل وكان معهم ابو بكر فلما بلغوا بصرى راه بحيرا الراهب
وتعرف منه صفات النبوة وتحققها وسال ابا طالب عنه فقال هو ابن اخي فناشده
ان يرده الى مكة خوفا عليه من اليهود والنصارى فرجع ورجع معه ابو بكر وزودهم
بحيرا شيئا من الكعك والزبيب وهما ذكر في هذه السفرة ان نفرا من اليهود
راوه وعرفوا منه ما كان عرف بحيرا فارادوا به سوءا فردهم بحيرا وذكرهم الله
فرجعوا عن ذلك وفي جامع ابي عيسى الترمذي من رواية ابي موسى الاشعري
ما معناه ان نفرا من الروم تسعة اقبلوا فسالهم بحيرا فقالوا ان هذا النبي خارج في هذا
الشهر ولم يبق طريق الا بعث اليه منا ناس وانا قد اخبرنا خبره بطريقك هذا قال
افرايتم امرا اراد الله ان يقضيه ايقدر احد من الناس ان يرده قالوا لا قال فتابعوه
واقاموا معه كل ذلك وعين الرعاية ترعاه وملائكة الرحمن تراعيه وتحفظه في صبحه
وممساه من قدامه وخلفه وشماله ويمناه فسبحان من اتحفه بالخيرات والتحف وبواه
ذروة المعالي والشرف وقطعه عن النظراء فيما سلف وخلف وفي الرابعة عشر
في شوال منها كان حرب الفجار بين كنانة وقيس عيلان وكان على قريش عبد الله بن جدعان
وقيل حرب بن امية وتطاول الحرب بينهم اياما وكانت لقيس على كنانة فحضر
صلى الله عليه وسلم في احد ايامهم فانقلبت لقريش وكنانة على قيس وهوازن وسمي
حرب الفجار لوقوعه في الشهر الحرام وبعد منصرفهم منه في ذي القعدة كان حلف
الفضول وسببه ان رجلا من زبيد من اهل اليمن باع سلعة من العاص بن وائل السهمي
فمطله بالثمن فصعد ابا قبيس وصاح وذكر ظلامته في شعر حكاه فحشدت قريش

لذلك

لذلك واجتمعوا في دار الندوة واتفقوا انهم يمنعون الظالم من الظلم واحتلفوا على ذلك
في دار عبد الله بن جدعان وكان اول من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب وفي السابعة
عشر قتل هرمز احد الملوك الاكاسرة وفي الخامسة والعشرين خرج صلى الله
عليه وسلم مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها قبل ان يتزوجها لشهرين واربعة وعشرين
يوما وفيها كان من امر نسطور الراهب ما ذكر وقوله لميسرة من هذا الرجل
فقال من قريش من اهل الحرم فقال هذا نبي وهو اخر الانبياء وحكى ميسرة انه كان اذا
اشتد الحر ظللته غمامة ولما رجعا باعت خديجة ما قدما به فاضعف الربح ولما اضعف
الربح اضعفت له خديجة ما سمت من الاجرة وكانت اربع بكرات وروى الحاكم
بسند ان خديجة ايضا استاجرته سفرتين الى جرش كل سفرة بقلوص ولما حكى ميسرة
لخديجة ما راى من البراهين والكرامات وتعرف في صحبته من البركات مع حسن
السمت والهدى والدل خطبته الى نفسها وكانت رضي الله عنها من افضل قريش حسبا
ونسبا ومالا وجمالا لا كل من قومها قد كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه فلما
قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره لاعمامه فخرج معه حمزة وكلم اباها
فقبل ثم حضر ابو طالب ورؤسا قريش وخطب ابو طالب فقال الحمد لله
الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة
بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم
ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به احد الا رجح فان كان في المال قل فالمال ظل
زائل وامر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وقد بذل
من الصداق ما عاجله واجله من مالي كذا او كذا وهو والله بعد هذا له نبا عظيم
وخطب جليل وتزوجها صلى الله عليه وسلم وله في العمر خمس وعشرون سنة
وهي يومئذ ابنة ثمانية وعشرين سنة وروي انه اصدقها اثنتي عشرة اوقية من
الذهب وقيل عشرين بكرة وبقيت عنده قبل الوحي خمس عشرة سنة وبعده الى ما
قبل الهجرة بثلث سنين وماتت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم سبع واربعون سنة
وثمانية اشهر وكانت له وزير صدق وهي اول من اسلم من النساء واتاه جبريل
فقال اقرا خديجة من ربها السلام فقال صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل يقرئك
من ربك السلام فقالت الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وامره ايضا ان
يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب وسياتي فيها مزيد ذكر
في الباب الخامس عند تراجم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى ولما بلغ
صلى الله عليه وسلم خمسا وثلثين سنة ظهرت وبهرت امارات خيره ظهورا بالقرى
واشتهرت بركته وامانته في ام القرى ففي هذه السنة ولدت فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفيها بنت قريش الكعبة وتقسمتها ارباعا فلما انتهوا الى

موضع الحجر الاسود تنازعوا ايهم يضعه في موضعه ثم اتفقوا ان يحكموا اول داخل عليهم من باب بني شيبة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اول من ظهر لابصارهم فاخبروه فبسط صلى الله عليه وسلم رداءه ووضع الحجر فيه وامر اربعة من روساهم ان يحملوه معا الى منتهى موضع الحجر ثم اخذه صلى الله عليه وسلم بيده المباركة ووضعه في موضعه وفي الصحيح انهم كانوا يجعلون ازرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم مثلهم فسقط مغشيا عليه قال اهل السير والذي حمل قريشا على بنائها بعد ان هدمها السيل وكانت رضما من حجارة فوق القامة مدة ما تاتى لها من الالة وذلك ان قيصر بعث الى النجاشي بمركب فيه ضروب من الات البناء وامره ان يبني له كنيسة تعظمها النصارى بالحبشة فانكسر المركب والقاه البحر على ساحل جدة وايضا كان بمكة يومئذ صانع من القبط وايضا كان في البير التي جوف الكعبة حية عظيمة تخرج كل يوم اذا طلعت الشمس فتشرف على جدار الكعبة ولا يقرب الكعبة احد من هيبتها فلما تهيؤوا للبناء طلع عقاب فاحتملها ومع ذلك فقد تهيبوا وفرقوا من هدمها وبدا الوليد بن المغيرة فاخذ المعول وقال اللهم انا لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربصوا به تلك الليلة فلما لم يصبه شر تمادوا في الهدم حتى انتهوا الى حجارة خضر كالاسنمة بعضها ببعض اساس ابرهيم فاراد بعضهم ان يفصل بين حجرين منها فانتقضت مكة باسرها فانتهوا عن ذلك وجعلوه اساس بنائهم الا انهم قد نقصوا من شاميها قدر ستة اذرع او سبعة لقصور نفقتهم وجعلوا لها بابا واحدا ورفعوه عن الارض ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا كما ثبت في صحيح البخاري فلما كان في خلافة ابن الزبير وحصره الحصين بن نمير السكوني بها احترقت الكعبة لحريق خيمة كانت في المسجد وايضا كان يصيبها حجر المنجنيق الذي كان يرمي به الحصين واصحابه ولما ادبر الحصين راجعا الى الشام لموت خليفته يزيد بن معوية هدمها ابن الزبير وبناها على اساس ابرهيم على ما حدثته خالته عايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل طولها في السماء ثمانية وعشرين ذراعا تقريبا على ما هي عليه اليوم فلما ظفر الحجاج بابن الزبير تركها على ما هي عليه الا انه اخرج منها ما ادخله ابن الزبير من شاميها وسد الباب الغربي ورفع الشرقي عن الارض لمشاورة عبد الملك بن مروان •

فائدة قال شيخ شيوخنا حافظ الحجاز وقاضيه تقي الدين الفاسي رحمه الله في تاريخ مكة بنيت الكعبة المعظمة مرات وفي عدد بنائها خلاف وتحصل من مجموع ما قيل في ذلك انها بنيت عشر مرات بناء الملائكة وادم واولاده وابرهيم عليه السلام وبناء العمالقة وجرهم وقصي بن كلاب وقريش وعبد الله بن الزبير والحجاج قال واطلاق العبارة بانه بنى الكعبة تجوز لانه لم يبن الا بعضها والله اعلم **واما المسجد الحرام** فاول من بناه عمر رضي الله عنه واخر من عمه بالتحسين والبناء الوليد بن عبد الملك

والملوك بعده زيادات وتحسين والله اعلم • **قال المولف** غفر الله له ولوالديه فيما بعد هذه المدة لاحت لوايح النبوة واشرقت اياتها وانتشرت الاخبار عن الاحبار والرهبان والكهان بحلول ميقاتها **من ذلك** ما روي ان زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثمن بن الحويرث وعبيد الله بن جحش اجتمعوا وتلاوموا بينهم وضللوا اقوامهم في عبادتهم الاوثان وتفرقوا في البلاد يطلبون الحنيفة فاما زيد فكان يوحد الله ويبكي ويقول وعزتك لو اعلم الوجه الذي تعبد به لعبدتك به ثم يسجد على كفه وخرج على وجهه الى الشام وسال جماعة من الاحبار والرهبان فقال له اخرهم بارض البلقا قد اظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابرهيم فرجع سريعا حتى اذا كان ببلاد لخم عدوا عليه فقتلوه رحمه الله قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم يبعث امة وحده ويترحم عليه وله اشعار كثيرة في التوحيد **واما ورقة** بن نوفل فتنصر ووجد فيها صفة النبي صلى الله عليه وسلم وقرب مبعثه فاقام بمكة ينتظر ذلك وكان يسال خديجة رضي الله عنها ويخبرها بما وجد من الصفات ويخبره بامارات من الدلالات وكان يلقى النبي صلى الله عليه وسلم فيقبل وجهه ويقول اشهد انك نبي هذه الامة ثم اداه ذلك النبوة وقص عليه النبي صلى الله عليه وسلم خبر ما راى على ما سياتي في اول الباب الثالث ان شاء الله تعالى وتوفي عقيب ذلك وترحم عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال رايت لورقة بن نوفل جنة او جنتين • ومن شعره حين كان يسال خديجة ويستبطي الامر ابيات

لججت وكنت في الذكرى لجوجا • لهم طالما بعث النشيجا •
ووصف من خديجة بعد وصف • فقد طال انتظاري يا خديجا •
ببطن المكتين على رجائي • حديثك ان ارى منه خروجا •
بما خبرتنا عن قول قس • من الرهبان اكره ان يعوجا •
بان محمدا سيسود قوما • ويخصم من يكون له حجيجا •
ويظهر في البلاد ضياء نور • يقيم به البرية ان تموجا •
فيلقى من يحاربه خسارا • ويلقى من يسالمه فلوجا •
فيا ليتي اذا ما كان ذاكم • شهدت فكنت اولهم ولوجا •
ولوجا في الذي كرهت قريش • ولو عجت بمكتها عجيجا •
ارجي بالذي كرهوا جميعا • الى ذي العرش ان سفلوا عروجا •
وهل امر السفاهة غير كفر • بمن يختار من سمك البروجا •
فان يبقوا وابق تكن امور • يضج الكافرون لها ضجيجا •
وان اهلك فكل فتى سيلقى • من الاقدار متلفة حروجا •

واما عثمن بن الحويرث فقدم على قيصر وحسنت منزلته عنده وتنصر **واما عبيد الله**

بن جحش فادرك الاسلام واسلم وهاجر مع مهاجرة الحبشة وارتد هناك عن الاسلام
ومات بها نصرانيا ومن ذلك ما ذكر في قصة اسلام سلمان الفارسي وتنقله من الاحبار
واحدا بعد واحد حتى دلّه آخرهم على مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما قدم المدينة تعرّف
صفات النبوة على ما ثبت عنده من الوصف فاسلم ومن ذلك حديث ابن التيهان من
يهود الشام حين قدم المدينة متوكفا لمخرجه فلما حضره الموت وعلم انه ميت قبله عهد
الى ابني سعنة واسد وابن عبيد اخوة بني قريظة بذلك فكان سبب اسلامهم وفلاحهم
وفي سنة ثماني وثلثين كان صلى الله عليه وسلم يرى الضوء والنور ويسمع الصوت
والنداء ولا يرى احدا وحبب اليه الخلوة فكان بغار حراء قيل كانت عبادته فيه الفكر
وقيل الذكر وهو الصحيح واختلفوا باي الشرائع كان يدين تلك الايام فقيل بشريعة
نوح وقيل ابرهيم وهو الظاهر وقيل موسى عليهم السلام وقيل غير ملتزم شريعة احد
وهو المختار لظاهر قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولخلوه من دلالة العقل والنقل والاجماع كما افهمه كلام
الامام النووي رحمه الله واتفقوا انه صلى الله عليه وسلم لم يعبد صنما ولم يقارف
شيا من قاذورات الجاهلية وكذلك الانبياء عليهم السلام جملة معصومون
من الكفر والكباير قبل النبوة وبعدها ومن الصغاير ايضا عند المحققين ومما
هداه الله له فطرة وبديهة من مناهج الهدى قبل النبوة وقبل سماع الصوت والندا
ما روي في صحيح الاخبار ان قريشا خالفت الناس في موقف عرفات وكانوا يقفون
بالمشعر الحرام ويقولون نحن اهل الحرم وقطانه لا نخرج منه وكان صلى الله عليه وسلم
يخالفهم ويقف مع الناس بعرفات على مناسك ابرهيم وكانت الاحجار تسلم عليه قبل
النبوة وتناديه بالرسالة كما في صحيح الاخبار اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي
قبل ان ابعث اني لاعرفه الآن وقيل ان يشافهه جبريل بالرسالة بستة اشهر وكان
وحيه مناما فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وعلى ذلك حمل بعض
المحدثين قوله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
وذلك باعتبار سني الوحي وهي ثلثة وعشرون سنة والله اعلم ومن غرائب
ما ذكر شيخ شيوخنا القاضي مجد الدين الشيرازي رحمه الله وعثرت على صحته
انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ تسع سنين امر الله سبحانه اسرافيل عليه السلام ان يقوم
بملازمته فكان قريبا منه دايما الى ان تم احد عشر سنة امر جبريل عليه السلام
بملازمته فلازمه تسعة وعشرين سنة بطريق المقاربة والملازمة لكن لم يظهر له
قال في بعض الروايات الصحيحة ان اسرافيل ظهر له في ملازمته مرارا وكلمه
بكلمة او كلمتين وقبل نزول الوحي بخمس عشرة سنة كان يسمع صوتا احيانا و لا
يرى شخصا وسبع سنين كان يرى نورا وكان به مسرورا فسبحان من حفظه ورعاه

بحسن

بحسن رعايته وتولاه بحسن ولايته اللهم صل وسلم عليه افضل الصلوة والتسليم والحقنا
بقربه في جنات النعيم

الباب الثالث في ذكر نبوته وبعدها الى هجرته

صلى الله عليه وسلم قال المؤلف غفر الله له ولوالديه ولما بلغ صلى الله عليه وسلم
اربعين سنة وقيل واربعين يوما وتناهى صفا قلبه بما اعتمد من الخلوة وتاهلت فواده
البشرية لاستجلا تلك الخلوة وانفض خاتم السر المكنون وانكشف الغطا عن الامر
المصون جاءه الامين جبريل عليه السلام برسالة الملك الجليل فالقى عليه القول الثقيل
على ما ثبت في صحيح البخاري رحمه الله برواياتي له من طرق عديدة اعلاها واولاها
ما ارويه عن شيخنا الامام القانت الناسك الحافظ مسند الافاق شرف الدين ابي الفتح
محمد بن ابي بكر بن الحسين العثماني المراغي ثم المدني نضر الله وجهه سماعا عليه لثلاثيات
الجامع الصحيح واجازة ومناوله من بدو لجميعه بالمسجد الحرام تجاه بيت الملك العلام
سنة خمس وثلثين وثمانمائة بسماعه له على الامامين المسندين جمال الدين ابي اسحق
ابرهيم بن محمد بن عبد الرحيم اللخمي الاميوطي وبرهان الدين ابي اسحق ابرهيم بن محمد
بن الصديق الدمشقي قالا اخبرنا به المسند المعمر ملحق الاحفاد بالاجداد ابو العباس احمد
بن ابي طالب ابن ابي النعم نعمة بن علي بن بيان الصالحي الحجار سماعا انا به ابو عبد الله الحسين
بن المبارك بن محمد الزبيدي انا به ابو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب السجزي انا به
ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي انا به ابو محمد عبد الله بن احمد حمويه
الحموي انا به ابو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري انا به امير المؤمنين في علم الحديث
النبوي محمد بن اسمعيل البخاري ثنا به يحيى بن بكير ثنا به الليث عن عقيل عن ابن شهاب
عن عروة بن الزبير عن عايشة ام المؤمنين انها قالت اول ما بدا به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح
ثم حبب اليه الخلا وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد
قبل ان ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق
وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرا قال ما انا بقارى قال فاخذني فغطني حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا قال ما انا بقارى فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم
ارسلني فقال اقرا قال ما انا بقارى فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال اقرا باسم ربك الذي فقلت
خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجف فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه
الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله
ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف المعدم ما يخزيك
وتعين على نوايب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى
بن عم خديجة وكان امرا قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب

والسموات العلى علم الانسان ما لم يعلم واوراه

من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا يا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا موزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي وقد ذكره البخاري في موضع اخر وزاد في اخره قال وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة لكي يلقي نفسه منه تبدا له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدا له جبريل فقال له مثل ذلك ونقل القاضي مجد الدين في كتابه سفر السعادة ان جبريل اخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر فوضعها في يده وقال اقرا قال والله ما انا بقارئ ولا ارى في هذه الرسالة كتابة قال فضمني اليه وغطني وذكر الحديث الى قوله ما لم يعلم ثم قال انزل عن الجبل فنزلت معه الى قرار الارض فاجلسني على درنوك وعلي ثوبان اخضران ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضا جبريل منها فمضمض واستنشق وغسل كل عضو ثلثا وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل مثله فلما تم وضوءه اخذ جبريل كفا من ماء فرش به فرجه ثم قام فصلى ركعتين والنبي صلى الله عليه وسلم مقتد به ثم قال الصلوة هكذا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة وقص ذلك على خديجة وعلمها الوضوء والصلوة قال المؤلف غفر الله له وفي سيرة ابن اسحق ان تعليم الوضوء والصلوة كان في مرة اخرى وقد التقيا على مكة وفيها ما يدل على ان فرض الصلوة الخمس كان يومئذ وليس كذلك فان فرضها انما كان ليلة الاسرا وكان الواجب اولا قيام بعض الليل كما في صدر سورة المزمل ثم نسخ باخرها فاقرؤوا ما تيسر منه ثم نسخ الجميع بفرض الخمس ليلة الاسرا ذكره النووي في فتاويه فصل واعلم ان جبريل عليه السلام ملك عظيم رسول كريم مقرب عند الله امين على وحيه وهو سفيره الى الانبيا كلهم ورسوله باهلاك من طغى من اممهم ووصفه الله في القران بالقوة والامانة وقرب المنزلة عنده وعظيم المكانة واخبر بطاعة الملئكة له في السماء وانه يؤيد به عباده الانبيا وسماه روح القدس والروح الامين واختصه لوحيه من بين الملئكة المقربين وحكي في قوله تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ووصفه الله سبحانه بالقدس لانه لم يقترف ذنبا

وسماه

ويفعل كل ما يرى السلطان ان يسلم
ستة ازمنه

وسماه روحا للطافته ولمكانه من الوحي الذي هو سبب حيوة القلوب اما عدد نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يثبت في صحيح البخاري ورايته في بعض التواريخ انه نزل عليه ستا وعشرين الف مرة ولم يبلغ احد من الانبياء هذا العدد واما صفة مجيئه الى النبي صلى الله عليه وسلم فثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان الحارث بن هشام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول قالت عائشة ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا اي يسيل وورد في الصحيح ايضا انه كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فيكلمه في صورة سائل متنقبا على صورة دحية بن خليفة الكلبي او غيره وكان دحية رجلا جميلا ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم على صورته التي جبل عليها وهي ستمائة جناح الا مرتين مرة في الارض في الافق الاعلى وهي ناحية المشرق من حراء ومرة في السماء عند سدرة المنتهى على ما تضمنته سورة النجم ولم يره احد من الانبياء عليهم السلام على تلك الصورة الا محمد صلى الله عليه وسلم ومرة كان ياتيه بالوحي صلى الله عليه وسلم مناما ومرة ينفث في روعه الكلام نفثا واخرى يكلمه ربه من وراء حجاب اما في اليقظة واما في النوم وقد قدمنا ان اسرافيل وكل به قبل جبريل مدة عدنا الى ما نحن بصدده قال اهل التواريخ والسير جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة السبت ثم ليلة الاحد وخاطبه بالرسالة يوم الاثنين لثمان او لعشر خلون من ربيع الاول بعد بنيان قريش الكعبة بخمس سنين وقيل كان ذلك في رمضان ولم يذكر ابن اسحق غيره وذلك لستة الاف سنة ومائة سنة وثلثة وعشرين سنة من هبوط ادم ذكره المسعودي قال وذكر مثل هذا عن حكماء العرب في صدر الاسلام ممن قرا الكتب السالفة على حسب ما استخرج من غايات الكتب وفي ذلك يقول في ارجوزة له طويلة

في راس عشرين من لستينا • الى ثلاث حصلت يقينا •
والمئة المعدودة التمام • الى الوف ست نظام • ارسل الله لنا رسولا

ولما بعث صلى الله عليه وسلم اخفى امره وكان يجعل يدعو اهل مكة ومن اتاه اليها سرا فاتبعه اناس عامتهم ضعفاء من الرجال والنساء والموالي وهم اتباع الرسل كما جاء في حديث ابي سفيان مع هرقل فلقوا من المشركين في ذات الله ما لقوا انواع البلاء فما ارتد احد منهم عن دينه ولا التوى قال المؤلف عفا الله زلته واقال عثرته والى هذا الحال والله اعلم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغربا فاما غربته الاولى فقد ابتعث على يد المصطفى صلى الله عليه وسلم واصحابه النجبا الاتقيا الذين قواه بهم المولى ووصفهم في التورية

بانهم اشداء على الكفار وفيما بينهم رحماء وفي الانجيل بزرع على سوقه استوى
وما احسن قول شرف الدين محمد بن سعيد الابوصيري رحمه الله فيهم شعر

حتى غدت ملة الاسلام وهي بهم • من بعد غربتها موصولة الرحم •
مكفولة ابدا منهم بخير اب • وخير بعل فلم ييتم ولم تئم •

والبلاء كل البلاء عند غربته الاخرى حيث لا يتناهى ولا ينتهي الامر منهما الى مدا ولا يزال
في انتكاس مرة بعد اخرى الى انقضا الدنيا والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل اللهم انا نعوذ بك من الفتن وان يدركنا البلاء
والمحن ونسالك باسمك العظيم ونور وجهك الكريم ان تميتنا على ملة نبينا غير مبدلين
ولا محرفين ولا فاتنين ولا مفتونين امين ومن اسلم اولا خديجة ثم علي ثم زيد بن حارثة
ثم ابو بكر والمشهور ان ترتيب اسلامهم كما ذكرنا قبل وطريقة الجمع بين روايات
الاولية ان يقال اول من اسلم من النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن الرجال البالغين
ابو بكر ومن الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنهم اجمعين وقد تنوزع في اسلام علي
رضي الله عنه فقال قوم لم يشرك قط فيستانف الاسلام وقال قوم بخلاف ذلك وقد ذكرنا
كيفية اسلامه والخلاف فيه مستوفى في كتابنا الرياض المستطابة في جملة من
روى في الصحيحين من الصحابة ولما اسلم ابو بكر رضي الله عنه جعل يدعو الناس الى
الاسلام وكان رجلا مالوفا الخلقه ومعروفه فمن قبل منه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاسلم على يديه وممن اسلم بدعائه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن
بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم اجمعين وفي السنة
الرابعة نزل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين فامتثل صلى الله عليه وسلم
امر ربه واظهر دعوة الحق وكفاه الله المستهزئين كما وعده وكانوا خمسة عشر نفر
الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وابا زمعة الاسود بن المطلب والاسود بن يغوث
والحرث بن قيس بن عيطلة قيل وكان موتهم في يوم واحد بادوا متنوعة وقيل ان العاص
والوليد ماتا بعد الهجرة على ما سياتي ان شاء الله تعالى قال ابن اسحق بعد ان عد الذين
اسلموا اولا نحوا ربعين قال ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء حتى فشا
ذكر الاسلام بمكة وتحدث به ثم ان الله عز وجل امر رسوله ان يصدع بما جاءه منه
وان ينادي الناس بامره وان يدعو اليه وكان بين ما اخفى رسول الله امره واستتر به
الى ان امره الله باظهاره ثلث سنين فيما بلغني من مبعثه ثم قال الله له اصدع بما تؤمر
واعرض عن المشركين وقال وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين وقل اني انا النذير المبين وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن ابي وقاص في نفر
معه يصلون اذ ظهر عليهم نفر من المشركين فناكروهم حتى قاتلوهم فضرب سعد

بن ابي وقاص

بن ابي وقاص رجلا من المشركين بلحي بعير فشجه فكان اول دم اهريق في الاسلام ولما
اظهر صلى الله عليه وسلم دعوة الحق لم يتفاحش امرهم حتى ذكر عيب الهتهم فاشتدوا
عليه واجمعوا الشر له فحدب عليه عمه ابو طالب وعرض نفسه للشر دونه فلما رات
ذلك قريش اجتمع اشرافهم ومشوا الى ابي طالب وقالوا له ان ابن اخيك قد سب الهتنا
وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل اباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا
وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم ابو طالب قولا رقيقا
وردهم ردا جميلا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه فسرى الامر
بينهم وبينه حتى تولدت احن وضغائن ثم مشوا الى ابي طالب مرة اخرى فاعذروا
اليه في امر النبي صلى الله عليه وسلم واشتد قولهم في ذلك فعظم على ابي طالب فراق
قومه ولم تطب نفسا بخذلان النبي صلى الله عليه وسلم فظن رسول الله انه قد بدا
لعمه تركه والعجز عن نصرته فقال يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في
يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته ثم استعبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فقال له يا ابن اخي قل ما احببت فوالله لا
اسلمك لشيء ابدا حتى ثم مشوا الى ابي طالب مرة اخرى بعمارة بن الوليد بن المغيرة
وكان من انهد شبابهم واجملهم وعرضوا عليه ان يتخذه ولدا بدلا عن النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لهم بئس ما تسومونني اتعطوني ابنكم اغذوه لكم
واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون ابدا فتنابذوا وتذامروا للحرب ووثبت
كل قبيلة على من اسلم منهم يعذبونهم ثم اخذ ابو طالب يحشد بطون قريش
خصوصا بني عبد مناف لكونهم اخص بهم وهم اربعة بطون بنوا هاشم وبنوا
المطلب وبنوا عبد شمس وبنوا نوفل فاجابه وقام معه بنوا هاشم وبنوا المطلب
وخذله البطنان الاخران وانسلخ ابو معهم ابو لهب فلذلك يقول ابو طالب
في قصيدته المشهورة •

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا • عقوبة شر عاجلا غير اجل •
بميزان قسط لا يخيس شعيرة • له شاهد من نفسه غير عائل •

وقال في قصيدته الاخرى •

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا • وتيما ومخزوما عقوقا وماثما •

ولما ثبت الله بني المطلب دخلوا مع بني هاشم في خصائصهم التي اختصوا بها
بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم من الكفاءة وسهم ذوي القربى وتحريم الزكوة
فلم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام ودليله ما ثبت عن جبير بن مطعم رضي الله عنه
قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى بين بني هاشم
وبني المطلب اتيته انا وعثمان بن عفان فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخواننا من بني المطلب

اعطيتهم وتركتنا او منعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه ولما راى ابو طالب من قومه ما اعجبه قال فيهم .

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر • فعبد مناف سرها وصميمها •
فان حصلت اشراف عبد منافها • ففي هاشم اشرافها وقديمها •
وان فخرت يوما فان محمدا • هو المصطفى من سرها وكريمها •
تداعت قريش غثها وسمينها • علينا فلم تظفر وطاشت حلومها •
وكنا قديما لا نقر ظلامة • اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها •
ونحمي حماها كل يوم كريهة • ونضرب عن احجارها من يرومها •
بنا انتعش العود الذوا وانما • باكنافنا تندى وتنمى ارومها •

ثم ان قريشا اجتمعوا الى الوليد بن المغيرة وتوامروا بينهم فيما يرمون به النبي صلى الله عليه وسلم في حضور الموسم لتكون كلمتهم فيه واحدة فعرضوا على الوليد الشعر والكهانة والجنون والسحر كل ذلك لا يلوقه لهو وقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا هو من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى وكان قد سمع من النبي صلى الله عليه وسلم اول حم غافر وكاد الوليد ان يسلم لولا ما سبق عليه من تحتم الشقا قالوا فكيف نقول ففكر في نفسه ثم قال ان اقرب القول ان تقولوا ساحر يفرق بين الرجل واهله وزوجته ومواليه فتفرقوا على ذلك وجعلوا يلقونه الى من يقدم عليهم من العرب ونزل في الوليد قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا الايات كلها وفيما صنعوه من القول في القرآن الذين جعلوا القرآن عضين ولما كان ذلك وخشي ابو طالب دهما العرب ان يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بالحرم وبمكانه منه وتودد فيها اشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم انه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجملتها احدو ثمانون بيتا تركناها ايثارا للاختصار وعدم الاكثار وانما نشير الى اصول القصص ومقاصدها دون فصولها وزوائدها وسنذكر ما استحسناه من القصيدة المذكورة فيما بعد ان شاء الله تعالى ولما شاع في البلاد تشاجر قريش وبلغ الاوس والخزرج بالمدينة قال في ذلك ابو قيس بن الاسلت الوائلي قصيدة وبعث بها اليهم يذكرهم نعم الله عليهم ويحذرهم شوم الحرب وعواقبها ووخيم مشاربها وكان ابو قيس صهرا لهم ذا مودة وحياطة لهم ومنعنا من ذكرها ما ذكرنا في قصيدة ابي طالب ثم ان قريشا لم ينجع فيهم شيء من ذلك ولم يوثر لما وقع في قلوبهم من الشنآن والبغض لامر رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولما حتم لهم في علم الله من دائرة الشقا المشار اليه بقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال داعيا الى سبيل الله مرة بالترغيب ومرة بالترهيب ومرة بالقول اللين واخرى بالتبكيت والقول الخشن فسبحان من شد له عزائمه وقوى دعائمه وشرح صدره واعلى قدره وسدده بتسديده وايده بتاييده وكفاه وحماه حيث نصب وجهه وقام وحده يدعو الى امر مستغرب لا يعرف الا من جهته ولا يسمع الا منه ولولا كفاية العزيز الوهاب لما اغنى عنه بسطته في عشيرته ولا شرف ابي طالب ومع ذلك فقد نالوه بضروب من الاذى في بعض الاخبار وكان في ذلك سر تحقيق الامتحان الذي هو مدرجة التعبد ومظنة الصبر ومضمار التكليف ومداس التاسي وعنوان الايمان وتحقيق مقام النبوة الذين هم اشد الناس بلاء وبذلك يتبين جواهر الرجال فمن اعظم ما بلغنا من ذلك ما رويناه بسندنا السابق صدر الباب الى ابي عبد الله البخاري رحمه الله تعالى قال حدثني عباس بن الوليد ثنا الوليد بن مسلم حدثني الاوزاعي حدثني يحيى بن ابي كثير عن محمد بن ابرهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير قال سالت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني باشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر حتى اخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله قال حدثنا احمد بن اسحق ثنا عبد الله بن موسى ثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة وجمع قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور ال فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية فاقبلت تسعى حتى القته عنه واقبلت تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة قال اللهم عليك بقريش ثلثا ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة وبه قال حدثنا الحميدي ثنا سفين ثنا بيان واسمعيل قالا سمعنا قيسا يقول سمعت خبابا يقول اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت الا تدعو الله تعالى فقعد وهو محمر وجهه فقال لقد كان من قبلكم ليمشط بامشاط الحديد ما دون عظامه من لحم او عصب ما يصرفه

ذلك عن دينه ولو وضع المنشار على مفرق راسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن
دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت ما يخاف الا الله
عزوجل او الذيب على غنمه وهذا من احسن الاحاديث الدالة على التاسي وهو في ضمن
قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان
نصر الله قريب وقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والايات في هذا
المعنى كثيرة مشهورة من ذلك ما رويناه في صحيح مسلم بروايتي له عن شيخي
الامام الحافظ المسند تقي الدين محمد بن محمد بن محمد القرشي الهاشمي العلوي عرف
بابن فهد اجازة مشافهة بالمسجد الحرام سنة خمس وثلثين وثمانمائة وهو ما سمعته
على غيره قال انا الشيخ الامام العلامة قاضي القضاة زين الدين ابو بكر بن الحسين
بن عمر العثماني المراغي ثم المدني سماعا عليه انا به ابو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد
المقدسي انا به ابو العباس احمد بن عبد الدايم المقدسي انا به ابو عبد الله محمد بن علي
بن صدقة الحراني قال انا به مسند الافاق محمد بن الفضل الفراوي انا به ابو الحسين
عبد الغافر الفارسي انا به ابو احمد الجلودي انا به ابو اسحق بن محمد بن سفيان ح وكما
يروى به شيخنا تقي الدين اعلا من هذا بدرجة عن شيخه المسند ابرهيم بن محمد بن صديق
الدمشقي عن ابي النون يونس بن ابرهيم ان ابا الحسن علي بن عبد الله انباه عن الحافظ
ابي الفضل محمد بن ناصر ان الحافظ ابا القاسم عبد الرحمن بن محمد بن منده انباه عن محمد
بن زكريا النيسابوري ثنا به مكي بن عبدان قال وابن سفيان ثنا به الحافظ ابو الحسين
مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله قال وحدثني ابو الطاهر احمد بن عمرو بن سرح
وحرملة بن يحيى وعمرو بن سواد العامري والفاظهم متقاربة قالوا اخبرنا
ابن وهب اخبرني يونس عن ابن شهاب حدثني عروة بن الزبير ان عايشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم حدثته انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
هل اتى عليك يوما كان اشد من يوم احد فقال لقد لقيت من قومك وكان اشد
ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني
الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا بقرن الثعالب فرفعت
راسي فاذا سحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول
قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فيهم قال
فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وانا ملك
الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم
الاخشبين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وان عبد ياليل هذا واخوته روسا اهل الطايف

وكان

عزوجل

وكان هذا حين قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله تعالى فاغروا به سفهاءهم
وعبيدهم يسبونه ويصيحون خلفه حتى اجتمع عليه الناس وسيانى خبرهم فيما بعد عند
ذكر عرضه نفسه على القبايل صلى الله عليه وسلم ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين صعد صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون
قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء
ابو لهب وقريش فقال صلى الله عليه وسلم ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد
ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ساير اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب
رواه البخاري وفي رواية فيه قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني
عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني
عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من الله شيئا قال المولف
كان الله له جميع ما ذكرناه مما اصابه صلى الله عليه وسلم من الامتحان على تبليغ الرسالة
قال في معناه القاضي عياض رحمه الله وفيما اصابه ايضا من الاوجاع والاسقام قال وهذا
كله ليس بنقيصة فيه لان الشي انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل
من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق
جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض صلى الله عليه وسلم واشتكى واصابه الحر والقر
وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعيا والتعب ومسه الضعف
والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر
وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم
منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض
الاوقات ومنهم من عصمه الله كما عصم نبينا بعد نزول قوله تعالى والله يعصمك
من الناس ولين لم يكف نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ربه يد ابن قميئة يوم احد ولا حجبه
عن عيون اعداية عند دعوته اهل الطايف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور
وامسك عنه سيف غورث بن الحرث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولين لم يقه من سحر
ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا ساير الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم مبتلى ومعافى وفي ذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات
ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرفع الالتباس على اهل
الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجايب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم
وليكون في محنتهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن
اليهم قال اهل السير ولما امتنع صلى الله عليه وسلم بوقاية الله له ثم بعمه ابي طالب

واستمع ذوو الاقدار بعشايرهم وحلفهم وجوادهم وبقي قوم من الضعفاء والموالي في
ايدي المشركين يعذبونهم بانواع التعذيب فكانوا ياخذون عمار بن ياسر واباه
وامه واخته فيقلبونهم في الرمضا ظهرا لبطن فيمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم يعذبون فيقول صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة وماتت سمية ام عمار بذلك
فكانت اول قتيل في الاسلام في ذات الله ومات ياسر وابنه بعدها وكان امية
بن خلف يخرج بلالا فيضع الصخرة على صدره ويتركها كذلك حتى يخشى ان يموت فيرفعها
وبلال في ذلك يقول احد احد وكان ورقة بن نوفل يمر به فيقول احد احد والله يا بلال
ثم يقول ورقة بن نوفل والله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا فاشتراه ابو بكر منه
واعتقه واعتق على مثل ذلك ست رقاب سابعهم عامر بن فهيرة فقال له ابوه يا بني لو اعتقت
رجالا جلدا يمنعونك فقال يا ابة انما اريد ما اريد فيقال ان هذه الاية نزلت فيه فاما من
اعطى واتقى الاية الى قوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
ولسوف يرضى قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس اكان المشركون يبلغون من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعذرون في ترك دينهم قال نعم والله ان كانوا
ليضربون احدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على ان يستوي جالسا من الضر حتى
يقولون له اللات والعزى الاهك من دون الله فيقول نعم وكذلك فعل معهم عمار
حتى غطوه في بير ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فاعطاهم ذلك فاخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال كلا ان عمارا ملي ايمانا من قرنه الى قدمه فاختلط الايمان بلحمه ودمه
ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا
بالايمان فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح دمعه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وتزل فيه
وفي امثاله قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الاية وفي رجب في الخامسة من
المبعث كانت هجرة الحبشة وقد ذكر ابن اسحق وغيره فيها اخبارا عجيبة والملخص مما قالوه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى ما باصحابه من البلا ولم يكن امر بالجهاد
حينئذ امرهم بالمهاجرة الى الحبشة وقال لهم ان بها معاشا وسعة وملكا عادلا لا يسلم جاره
فخرج اليها اولا اسرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف
وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامراته سهلة بنت سهل بن عمرو ومصعب بن عمير
وابو سلمة بن عبد الاسد وامراته ام سلمة التي صارت ام المومنين اخرا وعثمن بن مظعون
وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء رضي الله
عنهم اجمعين وكان عليهم عثمن بن مظعون واستاجروا سفينة بنصف دينار ثم خرج
جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وتتابع المسلمون حتى بلغوا اثنين وثمانين رجلا سوى
النساء والصبيان وهي اول هجرة في الاسلام ولما وصلوا الحبشة واستقر بهم

الدار

الدار واحسن النجاشي لهم الجوار ونمت بذلك الاخبار اجمع راي من بمكة من المشركين
الاغمار ان يوجهوا خلفهم من يردهم عليهم ليقتلوهم فبعثوا عبد الله بن ابي ربيعة
المخزومي وعمرو بن العاص السهمي ووجهوا معهم هدايا للنجاشي وخواصه فقدما
على النجاشي وقدما ما عندهما من الهدايا وكلماه في شانهم وصدقهم ورداه
لما اصابوا من الهدايا فعصم الله النجاشي وثبته وردهم خائبين بهداياهم ولما علم
ابو طالب بما اجمعوا عليه من البعث الى النجاشي قال ابياتا وبعث بها الى النجاشي يحضه
على حسن جوارهم والدفع عنهم

الا ليت شعري كيف في الناي جعفر ۔ وعمرو واعدا العدا والاقارب
وهل نال افعال النجاشي جعفرا ۔ واصحابه او عاق ذلك شاغب
تعلم ابيت اللعن انك ماجد ۔ كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بان الله زادك بسطة ۔ واسباب خير كلها بك لازب
وانك فيض ذو سجال غزيرة ۔ ينال الاعادي نفعها والاقارب

قال المولف كان الله له ولنا هكذا ذكر ابن هشام رواية عن ابن اسحق
ان المرسل مع عمرو عبد الله بن ابي ربيعة وذكر في تفسير البغوي نقلا عن ابن اسحق
ايضا ان المرسل معه عمارة بن الوليد ولعل ذلك من رواية غير ابن هشام عنه وكان
عمارة معهما او في رسالة اخرى لكن في سياق القصتين ابهام من حيث اتحاد
جنس الهدية واشتباه اللفظ من جعفر والنجاشي وهما في القصتين واحسن ما يقال
تعدد الرسالتين الاولى عقب هجرتهم والثانية بعد بدر لطلب الثار ممن اصيب
منهم كما هو مصرح به في القصة وفيها ان عمرا وعمارة تخاونا في سفرهما ثم
تكايدا عند النجاشي ممن قتله وامر السواحر فسحر به فتوحش من الانس وهام على وجهه
مع الوحوش حتى هلك هناك والله اعلم ثم ان مهاجرة الحبشة بلغهم ان اهل
مكة قد اسلموا فاستخف ذلك الخبر منهم ثلاثة وثلاثين رجلا فاقبلوا راجعين
حتى اذا دنوا من مكة بان لهم فساد ذلك الخبر فلم يدخل احد منهم مكة الا بجوار او مستخفيا
فمنهم من اقام بها حتى هاجر الى المدينة وشهد بدرا ومنهم من حبس حتى فاتته
ومنهم من مات بها وكان عثمان بن مظعون رضي الله عنه دخل في جوار الوليد
بن المغيرة فانفذت قريش جواره ودخل ابو سلمة بن عبد الاسد في جوار ابي طالب
لكونه ابن اخته برة بنت عبد المطلب فتعرضت له بنو مخزوم وابت ان
تنفذ جواره وقالوا لابي طالب هذا منعت منا ابن اخيك محمدا فما لك ولصاحبنا فقال
انه استجار بي وانا لم امنع ابن اختي لم امنع ابن اخي فقام ابو لهب فقال يا معشر
قريش والله لقد اكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون تونبون عليه في جواره من
بين قومه والله لتنتهن عنه او لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما اراد

كما هو واضح من سطورها هذه الحاشية النجاشي

[illegible]

فتركوه مراعاة لابي لهب وقال يحضه على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ان امرا ابو عتيبة عمه ... لفي روضة ما ان يسام المظالما .
اقول له واين منه نصيحتي ... ابا معتب ثبت سوادك قائما .
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة ... تسب بها ما هبطت المواسما .
فاول سبيل العجز غيرك منهم ... فانك لم تخلق على العجز لازما .
وحارب فان الحرب نصف ولن ترى ... اخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما .
وكيف ولن يجنوا عليك عظيمة ... ولم يخذلوك غانما او مغانما .
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ... وتيما ومخزوما عقوقا وماثما .

قال اهل السير ثم اقام بقية المهاجرين بارض الحبشة في خير دار واحسن جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلا امره واشتهر صيته فلما كانت سنة ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ليزوجه ام حبيبة بنت ابي سفين وكانت قد هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر هناك ومات وسيأتي خبر تزويجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر ازواجه وكتب اليه ايضا ليبعث من عنده من المهاجرين قالت ام حبيبة رضي الله عنها قدمنا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حين افتتحها فخرج من خرج اليه واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر واصحابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه اريحا بن اصحمة بن ابجر في ستين رجلا من الحبشة واذنين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم واسلام النجاشي فغرقوا في البحر وكان قدم منهم مع جعفر واصحابه سبعون رجلا وفيهم نزل قوله تعالى ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى وما بعدها ولما مات النجاشي قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على اخيكم اصحمة قالت عائشة رضي الله عنها لما مات النجاشي كان يتحدث به انه لا يزال يرى على قبره نور وقد ذكرنا خبر هجرة الحبشة الى آخرها وان كان في ازمان متفرقة حرصا على تمام الفائدة واجتماعها

فصل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم مهاجرة الحبشة ويلاطفهم ويداعب صغارهم برطانة الحبشة ولما جاءه خبر قدوم جعفر واصحابه خرج مسرعا فجاء يجر ثوبه وارتاح له وعانقه وقال ما ادري بايهما انا اكثر سرورا بفتح خيبر او بقدوم جعفر واسهم لهم من خيبر كمن شهدها ولم يسهم لاحد غاب عنها غيرهم وفي الجامع في فضلهم ما رويناه في صحيح البخاري رحمه الله عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال بلغنا

مخرج

مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين اليه انا واخوان لي انا اصغرهم احدهما ابو بردة والآخر ابو رهم اما قال في بضع واما قال في ثلاثة وخمسين او اثنين وخمسين رجلا من قومنا فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن ابي طالب فاقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر وكان اناس من الناس يقولون يعني لاهل السفينة سبقناكم بالهجرة ودخلت اسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم زائرة وقد كانت هاجرت الى النجاشي فيمن هاجر فدخل عمر على حفصة واسماء عندها فقال عمر حين راى اسماء من هذه قالت اسماء بنت عميس قال عمر الحبشية هذه البحرية هذه قالت اسماء نعم قال سبقناكم بالهجرة فنحن احق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم فغضبت وقالت كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار او في ارض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله او في رسول الله وايم الله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى اذكر ما قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وكنا نؤذى ونخاف وساذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم واسأله والله لا اكذب ولا ازيغ ولا ازيد عليه فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا نبي الله ان عمر قال كذا وكذا قال فما قلت له قالت قلت كذا وكذا قال ليس باحق بي منكم وله ولاصحابه هجرة واحدة ولكم انتم اهل السفينة هجرتان قالت فلقد رايت ابا موسى الاشعري واصحاب السفينة ياتونني ارسالا يسألونني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم افرح ولا اعظم في انفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بردة قالت اسماء فلقد رايت ابا موسى وانه ليستعيد هذا الحديث مني

فصل كانت هجرة الحبشة اول هجرة في الاسلام وبعدها الهجرة الكبرى الى المدينة ثم حكم الهجرة باق الى الآن متى وجد معناها وهو الفرار بالدين والعجز عن مقاومة المشركين والملحدين ونقل القرطبي عن ابن العربي في تفسير قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة فائدة حسنة وانا اوردها على معنى ما ذكر متحريا لبعض اللفظ قال رحمه الله قسم العلماء رحمهم الله الذهاب في الارض قسمين هربا وطلبا فالاول ينقسم الى ستة اقسام الاول الخروج من دار الحرب وهي باقية مفروضة الى يوم القيامة فان بقي في دار الحرب عصى ويختلف في حاله الثاني الخروج من ارض البدعة التي يعجز عن تغييرها الثالث الخروج من ارض غلب عليها الحرام فان طلب الحلال فرض على كل مسلم الرابع الفرار من الاذى في البدن رخصة من الله تعالى قال تعالى مخبرا عن موسى فخرج منها خائفا يترقب الخامس الخروج من البلاد الوخيمة وقد اذن صلى الله عليه وسلم للعرنيين حين استوخموا المدينة

ان يخرجوا وقد استثني من ذلك الخروج من الطاعون تقام الدليل عليه السادس خوف
الاذى في المال فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه والاهل اوكد منه واما قسم الطلب فينقسم
قسمين طلب دين ودنيا فطلب الدين يتعدد بتعدد انواعه الى تسعة اقسام الاول سفر العبرة
بدليل قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا الثاني سفر الحج عند الاستطاعة فهو
فرض وللاول ندب والثالث سفر الجهاد وله احكامه الرابع سفر المعاش فقد
يتعذر مع الاقامة فيطلب كفايته بصيد او احتطاب او احتشاش وهو فرض الخامس سفر
التجارة لطلب زائد على القوت وذلك جائز فضل من الله تعالى السادس طلب العلم وفضله
مشهور السابع قصد البقاع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا
الى ثلثة مساجد الثامن للثغور للرباط بها وثوابه عظيم التاسع زيارة الاخوان
ونفعها حاصل وثوابها واصل والله اعلم وفي السادسة وقيل في الخامسة اسلم
سيدنا ابو عمارة حمزة بن عبد المطلب وكان شديدا ذا شكيمة لا يرام ما وراء
ظهره ولا يطمع طامع عند المخاشنة بكسره فاستوثقت باسلامه عرى الدين وذل لوطاته
عتاة المشركين وانما كان ابتدا اسلامه حمية افضت به الى السعادة وختمت له بنيل
الشهادة واكسبته حسن المنقلب لا لحمية ابي لهب التي ذكرناها انفا وذلك انه
رجع يوما من قنصه فلقيته مولاة لابن جدعان فاخبرته ان ابا جهل نال من رسول الله
صلى الله عليه وسلم واذاه وسبه كل ذلك لا يجيبه صلى الله عليه وسلم ولا يرد عليه
شيا فغضب عند ذلك حمزة رضي الله عنه لما اراد الله به من الكرامة واقبل يسعى
حتى وقف على ابي جهل جالسا في القوم فضربه بقوسه فشجه شجة منكرة ثم قال اتسبه
وانا على دينه فرد ذلك علي ان استطعت فقامت رجال بني مخزوم الى حمزة فقال ابو جهل
دعوا ابا عمارة فاني والله قد سببت ابن اخيه سبا قبيحا وتم حمزة رضي الله عنه على
اسلامه وفيها وقيل في الخامسة اسلم سيدنا ابو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فعز الله به ضعفة المسلمين وكان اسلامه متمما لاربعين وبعد رشده كان
على المسلمين صار باضعاف ذلك على المشركين قال ابن مسعود رضي الله عنه كان
اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر
فلما اسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه وعنه قال ما زلنا اعزة منذ اسلم
عمر قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست
نسوة ثم اسلم عمر فتم به الاربعون فنزل قوله تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن
اتبعك من المؤمنين وسبب اسلامه انه كان شديدا على من اسلم فلما علم ان اخته فاطمة
وزوجها سعيد بن زيد اسلما جاء اليهما وعندهما خباب يقريهما فاختبا خباب فبطش
بختنه واقبلت اخته لتكفه عن زوجها فشجها فادماها ثم ندم فقال اعطيني هذه الصحيفة
التي سمعتكم تقرؤونها انفا فقالت له انك نجس مشرك وانه لا يمسها الا الطاهر فقام

فاغتسل

فاغتسل ثم قرا منها سطرا واحدا وقال ما احسن هذا الكلام واكرمه يقال هي سورة
طه ولما قال ذلك خرج اليه خباب ووعظه وقال له سمعت النبي صلى الله عليه وسلم امس
يقول اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له
دلني على محمد فقال له هو في بيت عند الصفا معه نفر من اصحابه فجاء فاستاذن فارتاع
من هناك لاستئذانه فقال حمزة رضي الله عنه فاذن له فان كان يريد خيرا بذلناه
وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه ولما دخل لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبذه
بحجزته جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما ارى ان تنتهي حتى ينزل الله
بك قارعة فقال جئتك لاومن بالله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وفي
صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر قال لما اسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر
وانا غلام فوق ظهر بيتي فجاء رجل عليه قبا من ديباج وقال قد صبا عمر فما ذاك فانا جار له
قال فرايت الناس قد انصدعوا عنه فقلت من هذا قالوا العاص بن وائل وروى عن عبد الله
بن عمر انه قال لابيه بعد الهجرة يا ابت من الذي زجر عنك القوم وهم يقاتلونك جزاه
الله خيرا قال يا بني ذاك العاص بن وائل لا جزاه الله خيرا وكان للعاص بن وائل من
ال الخطاب حلف وولا وفي ليلة هلال المحرم السنة السابعة من المبعث اجتمعت
قريش وتعاهدوا على قطيعة بني هاشم وبني المطلب ومقاطعتهم في البيع والشراء
والنكاح وغير ذلك وكتبوا في ذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة تاكيدا لامرها
ويحكى ان كاتبها شلت يده قيل هو منصور بن عكرمة وقيل النضر بن الحرث وقيل بغيض
بن عامر ولما تم ذلك انحاز البطنان المذكوران الى ابي طالب ودخلوا معه في شعبه وبقوا
هناك محاصرين مدة وخرج عليهم ابو لهب وتضرر المسلمون بذلك جوعا وعريا ولحقتهم
مشقة عظيمة قال السهيلي وهذه احدى الشدايد الثلث التي دل عليها تاويل الغطات
الثلاث من جبريل حين ابتدا الوحي فالوان كان ذلك في اليقظة ولكن مع ذلك له
في مقتضى الحكمة تاويل وايماء والله اعلم وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عام حجة الوداع مرجعه من منى منزلنا ان شاء الله غدا بخيف بني كنانة حيث
تقاسموا على الكفر وهو المحصب والابطح وهو شعب ابي طالب المذكور وفي نزوله
صلى الله عليه وسلم حينئذ فيه وذكره لما جرى به اشارة الى الظهور بعد الخمول
وامتثال لما امر به من التحدث بالنعم وفي ذلك الشكر لمنعمها ولما راى ابو طالب ما اجمعوا
عليه من القطع والقطيعة قال

الا ابلغا عني على ذات بيننا • لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
الم تعلموا انا وجدنا محمدا • نبيا كموسى خط في اول الكتب
وان عليه في العباد محبة • ولا خير ممن خصه الله بالحب
وان الذي لصقتم من كتابكم • لكم كائن نحسا كراغية السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الثرى • ويصبح من لم يجن ذنبا كذي ذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا • أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما • أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا • لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف • وأيد أترت بالقساسية الشهب
بمعترك ضنك ترى كسر القنا • به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته • ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره • وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا • ولا نشتكي ما ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى • إذا طار أرواح الكماة من الرعب

وقال في أخرى

أطاعوا ابن المغيرة وابن حرب • كلا الرجلين مُتَّهمٌ مليمُ
وقالوا خطة جمعا وجورا • وبعض القول أبلج مستقيم
لتخرج هاشم فيصير منها • بلاقع بطن مكة فالحطيم

ولما أراد الله سبحانه حل ما عقدوه ونقض ما أبرموه وذلك لقريب من ثلث سنين من حين كتبت اجتمع خمسة نفر من سادات قريش عند حطم الحجون بأعلى مكة ليلا وتعاقدوا وتحاشدوا على نقض الصحيفة وهتكها وهم هشام بن عمرو العامري وهو الذي تولى كبر ذلك وائتلاف ما فيه وسعى إلى كل منهم وزهير بن أمية المخزومي وهو تلوه في الغيبة وأمه عاتكة بنت عبد المطلب والمطعم بن عدي النوفلي وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود الأسدي فلما أصبحوا من ليلتهم تلك جاء زهير فطاف بالبيت ثم قال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة فقال أبو جهل كذبت والله فقال له زمعة بن الأسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال الآخرون مثله فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان ثم قام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجدوا الأرضة قد أكلت جميعها إلا ما كان فيه اسم الله وكان ذلك قد أخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بفعل الأرضة بها وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب وأخبرهم أبو طالب فوجدوه كما ذكر لهم فلم يؤثر ذلك فيهم لشقوتهم وهناك ذكر ابن هشام إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي وخبر الأعشى الشاعر حين أقبل يريد الإسلام وقد امتدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدته المشهورة التي أولها • ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا • فاعترضه بعض المشركين بمكة فأخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم يحرم الخمر فقال أرجع فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فمات في عامه وفي السابعة أيضا كانت وقعة بعاث

وبعاث اسم حصن للأوس كانت به حرب عظيمة بينهم وبين الخزرج وكانت الغلبة فيها للأوس وكان على الأوس يومئذ حضير والد أسيد النقيب وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا معا قال ابن إسحق وغيره من أهل الأخبار كان الأوس والخزرج أخوين لأب وأم فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل وتطاول فتنتهم عشرين ومائة سنة آخر وقعة بينهم يوم بعاث وهو مما قدمه الله سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أسباب دخولهم في الإسلام فقدم صلى الله عليه وسلم وقد افترق ملأهم وقتلت سرواتهم وتأسست الإحن بينهم فألفهم الله به وعليه حمل المفسرون قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا مع ما كانوا يسمعون من جيرانهم وخلطائهم من اليهود من صفته صلى الله عليه وسلم ونعته وقرب مبعثه وتخويفهم لهم به عند محاربتهم لهم وأنهم سيكونون معه عليهم وهو معنى قوله تعالى في حق اليهود ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلما بعث صلى الله عليه وسلم انعكس الأمر عليهم فصار للأنصار معه على اليهود وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك في الأنصار نسب وولادة وولا سابق والأصل في ذلك كله ما أتيح لهم في سابق علم الله من السعادة والسبق إلى الإسلام ونصره حتى غلب على أكثرهم الشهادة ولعظائم الأمور مقدمات فمن مقدمات دخولهم في الإسلام أولا مع ما ذكرنا أولا أنه صلى الله عليه وسلم لما توفي عمه أبو طالب جعل يتصدى في المواسم لأشراف العرب يدعوهم إلى الله ونصرة دينه فكان ممن قدم سويد بن الصامت الأوسي حاجا أو معتمرا وكان سويد يسمونه الكامل لما اجتمع من خصال الشرف وهو الذي يقول

الخزرج

والعداوة

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى • مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشحم ما كان شاهدا • وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه • نميمة غش تبتري عقب الظهر عصب
تبين لك العينان ما هو كاتم • من الغل والبغضاء بالنظر الشزر

فلما قدم سويد جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فقال فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال مجلة لقمن يعني حكمته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل منه قرآن أنزل الله علي هو هدى ونور وتلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فلم يبعد وقال إن هذا القول حسن ثم انصرف راجعا إلى المدينة فقتله الخزرج قبل يوم بعاث وكانوا يرون أنه قتل مسلما ثم قدم بعد ذلك جماعة من الأوس يلتمسون من قريش الحلف على قومهم من الخزرج فتعرض لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم هل لكم في خير مما جئتم له فقالوا

وما ذاك قال انا رسول الله بعثني الى العباد ادعوهم الى ان يعبدوا الله وحده وانزل علي
الكتاب ودعاهم الى الاسلام فقال اياس بن معاذ وكان شابا حدثا اي قوم هذا والله
خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيسر انس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال
دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام عنهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانصرفوا راجعين الى المدينة فكانت وقعة بعاث ثم لم يلبث اياس الى ان
هلك ولا يشكون انه مات مسلما لما كانوا يسمعون منه ثم انتشر الخبر في الانصار فلقي
صلى الله عليه وسلم ستة نفر منهم عند العقبة فاسلموا ثم في قابلها اثني عشر رجلا فاسلموا
وبايعوا بيعة النساء ثم في قابلها سبعين رجلا وبايعوا على الحرب على ما سياتي قريبا
ان شاء الله تعالى ثم هاجر صلى الله عليه وسلم اليهم فكانوا اهل حروبه وفتوحه
ومغازيه وتمهدت لهم بصحبته الفضائل والسبق فكان منهم السادة النقبا وسادات
الشهداء والقادة العلماء والكرما النجبا والشعرا الفصحاء وسماهم الله الانصار
حتى غلب عليهم هذا الاسم فلم يعرفوا بعد بغيره لنصرهم نبيه ودينه وورد في فضلهم
من الايات الكريمات والاحاديث النبويات ما لا ينحصر بالتعداد وتنفد دون
بلوغ نهايته الاقلام والمداد فسبحان من خصهم بذلك على بعدهم وزواه عن غيرهم
مع قربهم انه هو الخبير اللطيف الحكم العدل الذي لا يحيف وفي الثامنة نزلت
سورة الروم وسبب نزولها على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم
قتال وكان المشركون يحبون ظهور فارس لكونهم واياهم اميين لان الفرس كانت
مجوسا وكان المسلمون يحبون غلبة الروم لكونهم واياهم اهل كتاب وكانت الروم
نصارى فالتقوا مرة في ادنى الارض على ما نطق به التنزيل اي اقرب ارض الشام الى فارس
وهي اذرعات وكسكر فغلبت الروم فحزن المسلمون وفرح الاخرون وقالوا قد غلب
اخواننا فلئن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فخرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه
حينئذ وقال لهم لا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله
عليه وسلم فناحبه ابي بن خلف في ذلك وراهنه على عشرة قلائص من كل واحد منهما
وجعلوا الاجل ثلث سنين ثم اخبر ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له ما هكذا
ذكرت انما البضع من الثلث الى التسع فخرج ابو بكر فلقي ابيا فزايده في الخطر والاجل
وكان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك وذلك قبل تحريم القمار فجعلا القلوص الخطر
مائة قلوص من كل واحد منهما والاجل تسع سنين فلما خرج لمى خشي ابي خروج
ابي بكر من مكة طالبه بكفيل فكفل له ابنه عبد الله وحين اراد الخروج الى احد لزمه
عبد الله بن ابي بكر فكفل له فلما رجع من احد ومات من جراحته التي اصابته من النبي
صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية على راس سبع

سنين

سنين من مناحبتهم وقيل كان ذلك يوم بدر فقمر ابو بكر ابيا واخذ الخطر من ورثته
وجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق به وفي التاسعة خرج النبي صلى الله
عليه وسلم هو واهله من حصار الشعب ونقضت الصحيفة بتمالي النفر الخمسة على نقضها
حسبما تقدم ولثمانية اشهر واحد عشر يوما من العاشرة مات ابو طالب فاشتد
حزنه عليه صلى الله عليه وسلم ثم ماتت خديجة بعده بثلاثة ايام فتضاعف حزنه صلى الله
عليه وسلم وكان الله له خلفا عنهما وعن كل فقد وثبت في الصحيحين من رواية سعيد
بن المسيب عن ابيه انه لما احتضر ابو طالب جاءه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل
وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقالا له
يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شيء كلمهم به على ملة
عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الى اصحاب الجحيم ونزلت انك لا تهدي من
احببت وفي رواية لمسلم قال لولا ان تعيرني قريش يقولون انه حمله على ذلك
الجزع لاقررت بها عينك وان العباس بن عبد المطلب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار يبلغ
كعبيه تغلي منه ام دماغه وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم الذنوب ثلثة ذنب
يغفره الله وذنب لا يغفره الله وذنب لا يتركه الله وفسر الاول بظلم العباد لانفسهم
فيما بينهم وبين خالقهم والثاني بالشرك واستشهد بقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم
والثالث مظالم العباد فيما بينهم وفي معناه ما ثبت في الصحيح من رواية انس ان رجلا
قال يا رسول الله اين ابي قال في النار قال فلما قفى الرجل دعاه فقال ان ابي واباك في النار
ومثله ما روت عايشة قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل
الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه فقال لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لي
خطيئتي يوم الدين رواهما مسلم وروي عن ابن عباس ومقاتل في قوله تعالى وهم
ينهون عنه وينأون عنه انه ابو طالب كان ينهى الناس عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم
ويمنعهم وينأى عن الايمان اي يبعد وروي في كتاب السير ان العباس بن عبد المطلب
نظر الى ابي طالب حين الموت يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي والله لقد قال اخي
الكلمة التي امرته ان يقولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم اسمع فالله اعلم لكن لم
يقلها العباس ولم يؤثر عنه بعد ان اسلم ولا يستقيم ذلك مع ما ثبت من النقل الصحيح
الصحيح انه مات على الشرك قال السهيلي ومن باب النظر في حكمة الله تعالى
ومشاكلة الجزا للعمل ان ابا طالب كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته متحزبا
له الا انه كان مثبتا لقدمه على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة
لتثبيته اياها على ملة اباته اللهم ثبت قلوبنا على دينك حتى تميتنا عليه في قبر محنة

ولا فتنة وذكر ابو طالب في وصيته لقريش عند موته في امر النبي صلى الله عليه وسلم
والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة
ولاجلي تاخير لكفيت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي واشتهرت الاخبار بتوليه النبي
صلى الله عليه وسلم والمدافعة والذب عنه وتحمل الضر لاجله ومن احسن ما روي عنه في ذلك

والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا •
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة • وابشر وقر منك بذاك عيونا •
ودعوتني وعرفت انك ناصحي • ولقد صدقت وكنت ثم امينا •
وعرضت دينا قد عرفت بانه • من خير اديان البرية دينا •
لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا •

ومن محاسن شعره قصيدته الكبرى قوله •

كذبتم وبيت الله نترك مكة • ونظعن الا امركم في بلابل •
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا • ولما نطاعن دونه ونناضل •
ونسلمه حتى نصرع حوله • ونذهل عن ابنائنا والحلائل •
وينهض قوم في الحديد اليكم • نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل •
وحتى نرى ذا الطعن يركب ردعه • من الطعن فعل الانكب المتحامل •
وانا لعمر الله ان جد ما ارى • لتلتبسن اسيافنا بالاماثل •
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع • اخي ثقة حامي الحقيقة باسل •
شهورا واياما وحولا محرما • علينا وتاتي حجة بعد قابل •
وما ترك قوم لا ابا لك سيدا • يحوط الذمار غير ذرب مواكل •
وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل •
يلوذ به الهلاك من ال هاشم • فهم عنده في نعمة وفواضل •
لعمري لقد كلفت وجدا باحمد • واخوته داب المحب المواصل •
فمن مثله في الناس اي مؤمل • اذا قاسه الحكام عند التفاضل •
حليم رشيد عادل غير طائش • يوالي الها ليس عنه بغافل •
فوالله لولا ان اجي بسبة • تجر على اشياخنا في المحافل •
لكنا اتبعناه على كل حالة • من الدهر جدا غير قول التهازل •
لقد علموا ان ابننا لا مكذب • لدينا ولا يعنى بقول الاباطل •
فاصبح فينا احمد في ارومة • يقصر عنها سورة المتطاول •
حدبت بنفسي دونه وحميته • ودافعت عنه بالذرى والكلاكل •

وقال ابنه علي بن ابي طالب •

فما ان جنينا في قريش عظيمة • سوى ان حمينا خير من وطئ الثرى •

الخانقة

اخا ثقة في النائبات مرزا • كريما ثناه لا بخيلا ولا ذربا •
يطيف به العافون يغشون بابه • يؤمون نهرا لا نزورا ولا ضربا •

قال ابن اسحق فلما مات ابو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تطمع
به في حيوة ابي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على راسه ترابا ودخل
على احدى بناته فجعلت تغسله وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية
فان الله مانع اباك ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش ما نالت حتى مات ابو طالب
وذكر ايضا ان النفر الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار المنزل
لم يسلم منهم احد الا الحكم بن العاص مع ان اسلامه كان مضطربا فكان احدهم يطرح
عليه رحم الشاة وهو يصلي ويطرحها في برمته اذا نصبت حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجرا يستتر به منهم اذا صلى وكان اذا طرحوا عليه ذلك يخرج به على عود ويقول
يا بني عبد مناف اي جوار هذا ثم يلقيه قلت وجميع ذلك انما هو اذى يبتلى به مع
قيام العصمة بجملته لينال له حظه من البلاء وليتحقق فيه مقام الصبر الذي امر به كما صبر
اولوا العزم من الرسل الانبياء ومع ذلك فكل من قومه كان حريصا على الفتك به
واستيصاله والفراغ منه لو يقدر على ذلك فسبحان من كفاه ووقاه واواه واظهر دينه
على الاديان كلها واسماه ولثلثة اشهر من موت ابي طالب خرج صلى الله عليه وسلم
الى ثقيف اهل الطائف وحده وكان معه زيد بن حارثة فاقام بها شهرا يدعوهم
فردوا قوله واستهزؤا به وسالهم ان يكتموا عنه اذا لم يقبلوا فلم يفعلوا وعند
انصرافه عنهم اغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون خلفه حتى
اجتمع اليه الناس والجؤه الى جنب حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وكانا حينئذ
هناك فلما اطمان صلى الله عليه وسلم في ظله ورجع عنه عامة السفهاء دعا فقال
اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين •
انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته
امري ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك
الذي اشرقت به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك او يحل علي
سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك ولما راى ابنا ربيعة ما لقي
تحركت له رحمهما وبعثا اليه غلاما لهما اسمه عداس بطبق عنب فلما وضعه بين يديه
سمى واكل صلى الله عليه وسلم ثم سال عداسا عن دينه وبلده فقال انا نصراني من
اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى
فقال عداس وما يدريك به فقال ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عليه عداس يقبل
راسه ويديه ورجليه فقال ابنا ربيعة احدهما لصاحبه اما غلامك فقد افسده ولما
جاءهم عداس سالاه فقال ما في الارض خير من هذا الرجل فقالا يا عداس لا يصرفنك

قبل م

عن دينك فانه خير من دينه قال المؤلف كان الله له وقد تقدم الحديث عن صحيح مسلم
من رواية عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم ان هذا الموقف بالطائف
اشد ما لقي وذلك والله اعلم لما لحقه من التعبيس والتبكيت والاستهزاء وخيفة شماتة
قريش وخشية ان ينالوه بمثلها ودعا في حينئذ مبين عما وقع في نفسه من الكرب العظيم
صلى الله عليه وسلم وعلى آله افضل الصلوات وازكى التسليم وقد كان صلى الله عليه وسلم
يتاذى منهم بالقول اعظم من تاذيه بالفعل ولما عكسوا اسمه الكريم وسموه مذمما
بدلا عن محمد قال الا ترون ما يدفع الله عني من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما
وانا محمد يعني انهم يوقعون عليه سبهم على وصف ولم يكن بذلك الوصف صلى الله
عليه وسلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطايف راجعا
مهموما مغموما فلما بلغ قرن الثعالب وهو قرن المنازل اتاه جبريل عليه السلام ومعه
ملك الجبال واستاذنه ان يطبق على قريش الاخشبين وهما جبلا مكة فكره صلى الله
عليه وسلم وقد تقدم الحديث في ذلك مستوفى ثم رجع اخذ راجعا الى مكة حتى اذا
كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر تسعة وقيل سبعة من جن نصيبين
وهي مدينة بالشام مباركة وجنها سادات الجن واكثرهم عددا وهم اول بعث
بعثه ابليس حين بعث جنوده ليتعرفوا له الاخبار عن سبب منعهم عن استراق السمع
فلما سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولوا الى قومهم منذرين قد امنوا واجابوا
لما سمعوا فقص الله سبحانه على نبيه خبرهم فقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية
وذكر من اسمائهم منشى وماشى وشاصر وماصر والاحقب وذوبعة وحكى
انهم من نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق وقيل انهم من نينوى وان جن نصيبين
اتوه بعد ذلك بمكة والصواب انه لم يرهم ليلتئذ قال المؤلف كان الله له هكذا
ينقل عن ابن اسحق رحمه الله وتبعه غيره ان سماع الجن بنخلة كان عند مرجعه صلى
الله عليه وسلم من الطايف وحده وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس ان ذلك كان
عند انطلاقه في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ فسمعوه وهو يصلي بهم
صلوة الفجر وما ثبت فيه مقدم على غيره ويدل عليه ما رواه الترمذي عن ابن عباس وصححه
انهم لما راوه يصلي باصحابه وهم يصلون بصلوته ويسجدون معه تعجبوا من طواعية
اصحابه له قالوا لقومهم وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا
وثبت في صحيح مسلم انه اتاه داعي الجن مرة اخرى بمكة وذهب معه وقرا عليهم
القران وسالوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون
لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما
فانهما طعام اخوانكم قال عكرمة وكانوا اثني عشر الفا من جزيرة الموصل وورد
احاديث اخر تدل على تكرار اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن مسعود معه

في احدى المرات والله اعلم فصل واختلف في اصل الجن فقيل هم والشياطين ولد
ابليس وقيل هم ولد الجان والشياطين ولد ابليس ثم انهم مختصمون محتاجون الى التغذية
كالانس خلافا لمن انكره من كفرة الاطبا والفلاسفة ويتصورون في الصور المختلفة
واكثر ما يتصورون حيات وروي في حديث انهم ثلاثة اصناف صنف لهم اجنحة
يطيرون في الهوى وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون وسموا جنا لاستتارهم
عن اعين الناس وجاز رؤيتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثا اليهم كالانس
قيل ولم يكن ذلك لنبي قبله والصواب ان مؤمنهم يدخل الجنة وكافرهم النار ثم
انهم يعمرون الاعمار الطويلة ومن العجب ما روي في ذلك ما حكاه القاضي عياض عن غير
واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اقبل شيخ وبيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت
فقال انا هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل
وروي انهم قبائل متكاثرة واصناف متباينة واهوا مختلفة حتى قيل ان فيهم قدرية
ومرجئة ورافضة والله اعلم • رجعنا الى القصة ولما بلغ صلى الله عليه وسلم في مرجعه
من الطايف حرا بعث الى الاخنس بن شريق ليجيره فقال انا حليف والحليف لا يجير فبعث الى
سهيل بن عمرو فقال ان بني عامر لا تجير على بني كعب فبعث الى المطعم بن عدي فلبس سلاحه
هو واهل بيته وخرجوا الى المسجد وبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل فدخل
صلى الله عليه وسلم فطاف وانصرف الى منزله فلذلك قال صلى الله عليه وسلم في اسرا بدر
وكانوا سبعين لو كان المطعم ابن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له
ولذلك يقول ايضا يقول حسان بن ثابت في المطعم حين رثاه •

• اجرت رسول الله منهم فاصبحوا • عبيدك ما لبى مهل واحرما •
• فلو سئلت عنه معد باسرها • وقحطان او باقي بقية جرهما •
• لقالوا هو الموفي بخفرة جاره • وذمته يوما اذا ما تذمما •

وفي هذه السنة وهي سنة عشر من المبعث وخمسين من المولد تزوج صلى الله عليه وسلم
سودة بنت زمعة وبنى بها ثم عائشة بنت ابي بكر وبنى بها بالمدينة وسيأتي خبر
تزويجها ان شاء الله عند ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وفي سنة احدى عشرة اجتهد
في عرض نفسه على القبائل في مجامعهم بالمواسم منى وعرفات ومجنة وذي المجاز فكان من
خبر ذلك ما ذكر محمد بن اسحق رحمه الله انه لما رجع صلى الله عليه وسلم من الطايف
وجد قومه اشد ما كانوا عليه وكان ممن عرض عليه كندة فلم يجيبوه ثم بنو عبد الله بطن من
كلب وكان ممن قال لهم قد احسن الله اسم ابيكم فلم يقبلوا منه ثم بنو حنيفة فردوا اقبح
رد وكان عمه ابو لهب يقفو اثره فكلما اتى قوما ودعاهم كذبه وحذرهم منه وممن دعا
ايضا بنو عامر بن صعصعة فشارطوه على ان يكون لهم الامر من بعده فقال الامر لله يضعه

حيث يشاء وذكر محمد بن اسحق الكلاعي في سيرته قبايل كثيرة فمن ذكر زيادة على ما
نقل ابن هشام بنو كنانة وحين لم يجيبوه انصرف عنهم صلى الله عليه وسلم يتلو انك لا تهدي
من احببت ثم بنو فزارة فلم يجيبوه فانصرف عنهم يتلو انك لا تسمع الموتى ثم بنو تميم
وحين ابوا انصرف عنهم يتلو قل يا قوم اعملوا على مكانتكم الاية ثم بنو اسيد فرد عليه رئيسهم
طلحة الاسيدي ردا قبيحا وانصرف عنهم يتلو فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم الاية
ثم اتى بكر بن وائل ومعه ابو بكر وعلي فكان لابي بكر مع دغفل بن حنظلة النسابة اخبار
طريفة في الانساب ثم وقف على بني شيبان فتلى عليهم ان الله يامر بالعدل والاحسان
الاية ثم استزادوه فتلى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر ثلث ايات وكان
له ولهم مراجعات حسنة طريفة لطيفة ثم وعدوه ان يمنعوه من جميع الجوانب الا ما
يلي انهار كسرى فقال صلى الله عليه وسلم انه لا يقوم بامر الله الا من منعه من جميع
جوانبه وما اساتم في الرد ولا تجهمتم في القول افرايتم ان لم يلبث عليكم الا اليسير
حتى تستخدموا رجال القوم وتقتسموا اموالهم اتعطون الله عهدا لتعبدنه ولا تشركن به
شيا فقال النعمن بن شريك وبدرهم الى القول نعم علينا بذلك عهد الله لنعبدنه ولا
نشرك به شيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انصرهم فقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه انبنا قوما ذوي حجا يحسنون الجواب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لاهل الجاهلية
احلاما ومقدرة يتحاجزون بها ويدفع بها بعضهم عن بعض وانصرف وهو يقول فانما
يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون وفي هذه السنة بدو اسلام الانصار وقد قدمنا
عند ذكر وقعة بعاث سبب مقدمات اسلامهم وخبر سويد بن صامت واياس
بن معاذ وحين اراد الله سبحانه اعزاز نبيه وسياقة خير الدنيا والاخرة الى الانصار لقي
النفر الستة الخزرجيين عند العقبة فعرض عليهم ما عرض على غيرهم فقالوا فيما بينهم والله
انه للنبي الذي تواعدنا به الاحبار اليهود فلا تسبقنا اليه ثم صدقوه وامنوا بما جاء به
واخبروه انهم خلفوا قومهم وبينهم العداوة والبغضا وقالوا ان جمعنا الله بك
فلا رجل اعز منك وهم فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو امامة اسعد بن زرارة وعوف
بن الحرث وهو ابن عفرا ونافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر
بن عبد الله بن رياب ولما قدموا المدينة واخبروا قومهم فشا فيهم الاسلام فلم يبق دار
من دورهم الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللتسعة اشهر
من الثانية عشر قبل الهجرة بسنة اسري به صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام
من بين زمزم والمقام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس ثم الى السموات العلى ثم الى
ما لا يعلمه الا الله تعالى وفارقه جبريل وانقطعت عنه الاصوات وسمع صريف الاقلام
في اللوح المحفوظ ثم سمع كلام المولى فاوحى اليه ما اوحى واتحفه بانواع التحف والزلفى
وراى من ايات ربه الكبرى على ما نطق به الكتاب العزيز في قوله تعالى والنجم اذا هوى

واثبت رويته لربه ليلتئذ جماهير العلماء الصحابة والعلماء من غير ادراك ولا احاطة ولا
تكييف بحدود لا انتهاء صلى الله عليه وسلم وعلى اله افضل ما صلى على احد من عباده الذين اصطفى
وقيل كان الاسرا سنة ست او خمس من المبعث وقيل لسنة وثلثة اشهر منه والصواب
ما قدمناه اولا وجزم النووي في شرح صحيح مسلم انه كان ليلة الاثنين ليلة سبع
وعشرين من شهر ربيع الاول وكذلك في فتاويه وفي سير الروضة له انه كان في رجب
وقال غيره في رمضان واختلف هل كان بروحه وجسده يقظة او بروحه فقط مناما مع
اتفاقهم ان رويا الانبياء وحي واختلافهم بحسب اختلاف الروايات في ذلك والصحيح
الاول انه بالروح والجسد وطريقة الجمع بينهما ان يقال كان ذلك مرتين او مرات اولاهما
مناما قبل الوحي كما في حديث شريك ثم اسرى به يقظة بعد الوحي تحقيقا لرؤياه كما
راى النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة قبل عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه
سنة ثمان ونزل في ذلك قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق الاية وتوسط
اخرون فقالوا كان الاسرا بجسده الى بيت المقدس ومن هناك الى السموات بروحه
قال النووي رحمه الله في فتاويه ثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين ليلة الاسرا ببيت المقدس ثم يحتمل انها قبل صعوده الى السماء
ويحتمل انها بعده واختلف العلماء فيها فقيل هي الصلوة اللغوية وهي الدعاء والذكر
وقيل الصلوة المعروفة ورجح الثاني وكانت الصلوة واجبة قبل ليلة الاسرا وكان
الواجب منها قيام بعض الليل كما في سورة المزمل ثم نسخ ذلك ليلة الاسرى بافتراض
الخمس وقد سبق ذلك وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرا بعيني راسه
هذا هو الصحيح وعليه اكثر الصحابة والعلماء وليس للمانع دليل ظاهر وانما احتجت
عايشة رضي الله عنها بقوله سبحانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو واجاب
الجمهور عنه بان الادراك هو الاحاطة والله سبحانه لا يحاط به ويراه المؤمنون في
الاخرة بغير احاطة وكذلك راه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا
انتهى ما ذكره مختصرا وقال القاضي عياض رحمه الله ومن خصايصه صلى الله عليه
وسلم قصة الاسرا وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز
وشرحته صحاح الاخبار قال الله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده الاية وقال تعالى
والنجم اذا هوى الايات فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسرا به صلى الله عليه وسلم
اذ هو نص القران وجات بتفصيله وشرح عجايبه وخواص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره
يجب ذكرها ثم ذكر حديث ثابت عن انس من طريق مسلم قلت وقد اخترت ما اختاره
القاضي لروايته وتقدمه في هذا الشان مع اني قد امتحنت الاحاديث غيره فوجدته
من اعدلها متنا واصحها سندا وها انا اذكره مقتصرا عليه ولحذف الزيادات

من غيره اختصارًا وهو ما رويناه بسندنا السابق الى مسلم رحمه الله قال حدثنا شيبان
بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند
منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن
فاخترت اللبن فقال اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت
قال جبريل قال فمن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما
فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا
انا بيوسف صلى الله عليه وسلم فاذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله واذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير
قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله
فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا
انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا
بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يستطيع
ان ينعتها من حسنها فاوحى الله ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة
فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك
فاسأله التخفيف لامتك فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك
وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت
الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك
فاسأله التخفيف فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات
كل يوم وليلة بكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا
فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع
الى ربك فاسأله التخفيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييت منه انتهى الحديث ولما اصبح صلى الله عليه وسلم واخبر بخبر
ليلته وما جرى فيها كذب به كفار قريش ومقتوه واستبعد ذلك كثير من الناس

حتى

حتى ارتد من ضعف ايمانه ورق دينه ثم استوصفوه بيت المقدس ولم يكن اثبت صفاته
فكرب صلى الله عليه وسلم كربا عظيما فرفعه الله له فجعل يخبرهم عنه وهو ينظره وفي
رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر قومه بالرفقة والعلامة
في عيرهم قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك واشرفت قريش ينظرون وقد ولى
النهار ساعة ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست
عليه الشمس صلى الله عليه وسلم وفي موسم هذه السنة وافاه من الانصار اثنا عشر رجلا
وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن العجلان وذكوان بن عامر وعبادة
بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر هؤلاء خزرجيون
ومن الاوس ابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوه بيعة النساء ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا
ولا يزنوا الى اخر ما قص الله سبحانه في اية بيعة المؤمنات وذلك قبل ان يفرض الحرب
وبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير العبدري يقرئهم القران
ويعلمهم الاحكام وكانوا يسمونه المقرئ وكان منزله على اسعد بن زرارة ودخل به
اسعد بن زرارة يوما حائطا لبني ظفر من الاوس واجتمع اليهما نفر ممن اسلم فقال سعد
بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا
فازجرهما فلولا ان اسعد بن زرارة ابن خالتي لكفيتك فاخذ اسيد حربته واقبل
نحوهما وحين رأياه قال اسعد لمصعب هذا اسيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه
فقال مصعب ان يجلس اكلمه فوقف عليهما متبسما وقال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا
اعتزلا ان كان لكما بانفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا
قبلته وان كرهت كف عنك ما تكره قال انصفت فركز حربته وجلس فتلى عليه القران
ودعاه الى الاسلام فاسلم ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد
من قومه وسارسله اليكما فلما اقبل اسيد راجعا الى سعد قال سعد احلف بالله لقد
جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به عنكم فلما وقف عليهم سأله فقال والله
ما رأيت بهما بأسا وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة ليقتلوه
فقام سعد مغضبا حتى وقف عليهما فلما راهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد منه
ان يسمع فوقف عليهما متبسما وقال لاسعد لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت ذلك
مني تغشانا في دارنا بما نكره فقالا له ما قال لصاحبه وفعل كفعله ولما رجع سعد
الى قومه قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا قال فان
كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله فما امسى في دارهم مشرك
ثم فشى الاسلام في دار الانصار كلها الا ما كان من بني امية بن زيد وخطمة وواقف
فانهم انتظروا باسلامهم اسلام ابي قيس بن الاسلت وكان شاعرا مطاعا فيهم

وقف صدر اعظم الحاج محمد باشا سنة ١١٦٠

بلغ

فوقف بهم حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومضى ببدر واحد والخندق وقال
حين رأى الاسلام

ارب الناس اشيا المت ... يلفا الصعب منها بالذلول

في ابيات له وقد كان اهل مكة قبل الاسلام سمعوا هاتفا يقول

فان يسلم السعدان يصبح محمد ... بمكة لا يخشى خلاف مخالف

يعني سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما وفي سنة ثلث عشرة خرج حجاج الانصار من المسلمين مع حجاج قومهم من اهل الشرك فلما قدموا مكة واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهي العقبة الثالثة المتفق على صحتها وها انا اذكرها مختصرة على معنى ما ذكر اهل السير مع مراعات بعض الالفاظ كما افعل في غيرها من القصص قالوا فلما كان ليلة الميعاد ناموا مع قومهم فلما مضى ثلث الليل خرجوا مستخفين ولما اجتمعوا بالشعب عند العقبة جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس وهو يومئذ مشرك فتكلم العباس فقال يا معشر الحجاج الخزرج وكانت العرب تسمي الانصار اوسها وخزرجها الخزرج ان محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا فهو في عزة ومنعة من قومه في بلده وقد ابا الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم وان كنتم مسلموه وخاذلوه فمن الان فقالوا تكلم يا رسول الله وخذ لربك ولنفسك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلى عليهم شيا من القران ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم ونساءكم وابناءكم قال البرا بن معرور نعم والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحلقة والسلاح ورثناها كابرا عن كابر فقال ابو الهيثم بن التيهان يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا وانا قاطعوها فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الابد الابد الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثنا عشر نقيبا كفلا على قومهم فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلثة من الاوس ونقب صلى الله عليه وسلم على النقبا سعد بن زرارة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم كفلا على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا الكفيل على قومي قالوا نعم فبايعوه ووعدهم على الوفا الجنة واول من بايع البراء بن معرور ثم تتابع الناس وكانوا ثلثة وسبعون رجلا وامراتين وقيل سبعين أسماء النقبا ابو امامة اسعد بن زرارة عبد الله بن رواحة سعد بن الربيع رافع بن مالك بن العجلان البراء بن معرور سعد بن عبادة عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر وكان اسلامه ليلتئذ المنذر بن عمرو عبادة بن الصامت

هؤلاء

هؤلاء من الخزرج ومن الاوس اسيد بن حضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر وعد بعضهم بدل رفاعة ابا الهيثم بن التيهان وعلى ذلك عمل كعب بن لؤي مالك حيث يقول في جوابه لابي بن خلف وابي سفيان حين كتبا الى الانصار في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابلغ ابيا انه فال رايه ... وحان غداة الشعب والحين واقع
ابا الله ما منتك نفسك انه ... بمرصاد امر الناس راء وسامع
وابلغ ابا سفيان ان قد بدا لنا ... باحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترغبن في حشد امر تريده ... والب وجمع كل ما انت جامع
ودونك فاعلم ان نقض عهودنا ... اباه عليك الرهط حين تبايعوا
اباه البرا وابن عمرو كلاهما ... واسعد ياباه عليك ورافع
وسعد اباه الساعدي ومنذر ... لانفك ان حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع ان تناولت عهده ... بمسلمه لا يطمعن ثم طامع
وايضا فلا يعطيكه ابن رواحة ... واخفاره من دونه السم ناقع
وفاء به والقوقلي بن صامت ... بمندوحة عما تحاول يافع
ابو هيثم ايضا وفي بمثلها ... وفاء بما اعطى من العهد خانع
وما ابن حضير ان اردت بمطمع ... فهل انت عن احموقة الغي نازع
وسعد اخو عمرو بن عوف فانه ... صروخ بما حاولت ما الامر مانع
اولاك نجوم لا يغبك منهم ... عليك بنحس في دجا الليل طالع

وانشدنا فيهم الشيخ العلامة الذكى الولى نخل العلماء فخر الادباء الصديق بن محمد المقرى المعروف والده بالمدوح وكنت سالته ذلك فقال

سالتنى نظم اسما النقبا ... الفاضلين الماجدين الادبا
رؤس انصار النبي احمد ... اهل السماح والحجا والسودد
اعدادهم اثنا عشر نقيبا ... كالنقباء من بني يعقوبا
تبايعوا بالليل عند العقبة ... منقبة ما مثلها من منقبة
وتسعة من رؤساء الخزرج ... كاسعد نعم رجاء المرتجى
ومنذر ورافع وسعد ... بن الربيع والبراذي المجد
وعد من عبادة ابوه ... سعد وعبد الله فانسبوه
ذاك ابو جابر خير ابن ... في الحرب مع عبادة بن الصامت
وان تسلني عن شهيد موته ... فذاك عبد الله ان نسبته
وللاوس منهم واحد وثاني ... وثالث فاقت به المعاني
فمنهم رفاعة وسعد ... وابن حضير من غاه المجد
اسيد من قاموا له قياما ... لانه ابركهم اسلاما

هم هؤلاء النقبا الاثنى عشر • خيرة خلق الله من خير البشر •
صلى عليه الله ثم سلما • ما دامت الارض وما دام السما •
والآل والاصحاب والازواج • ما غطمط العجاج بالامواج •

وروي ان جبريل عليه السلام كان الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم عندما بايعتهم وهو يشير اليهم واحدا بعد واحد قال مالك وكنت اعجب كيف جاء هذا رجلان من قبيلة ورجل من اخرى حتى حدثت بهذا الخبر وان جبريل هو الذي ولاهم واشار بهم فقلت ولما تمت البيعة صاح ابليس لعنه الله صيحة منكرة مشبها صوته بصوت منبه بن الحجاج السهمي يا اهل منى هذا محمد واهل يثرب قد اجتمعوا لحربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم تفرقوا فلما اصبحوا غدت عليهم رؤساء قريش فقالوا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما حي من العرب بابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم فحلف مشركوا الانصار ما كان من هذا شيء ولا علمناه وصدقوا لم يعلموا ودارؤهم بالقول ثم تفرقوا وتفرق الناس من منى ثم فتشت قريش عن الخبر فوجدوه قد كان فخرجوا في طلب القوم ففاتوهم وادركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو باذاخر فاعجزهم المنذر وادركوا سعدا فرجعوا به الى مكة اسيرا يضربونه فاستنقذه منهم جبير بن مطعم والحرث بن حرب بن امية لصنائع كانت لسعد في رقابهما فقال ضرار بن الخطاب الفهري يفتخر بما فعلوا بسعد وهو اول شعر قيل بعد الهجرة

تداركت سعدا عنوة فاخذته • وكان شفاء لو تداركت منذرا •
ولو نلته طلت هناك جراحه • وكان حقيقا ان يهان ويهدرا •

فاجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه

لستا الى سعد ولا المرء منذر • اذا ما مطايا القوم اصبحن ضمرا •
فلولا ابو وهب لمرت قصائد • الى شرف البرقاء يهوين حسرا •
اتفخر بالكتان لما لبسته • وقد يلبس الانباط ريطا مقصرا •
فلا تك كالوسنان يحلم انه • بقرية كسرى او بقرية قيصرا •
ولا تك كالثكلى وكانت بمعزل • عن الثكل لو كان الفؤاد تذكرا •
ولا تك كالشاة التي كان حتفها • بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا •
ولا تك كالعادي فاقبل نحره • ولم يخشه سهما من النبل مضمرا •
فانا ومن يهدي القصائد نحونا • كمستبضع تمرا الى اهل خيبرا •

ولما كان ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله تعالى قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون بها فاول من هاجر الى المدينة بعد العقبة ابو سلمة بن عبد الاسد ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابعوا ارسالا احادا فلقوا من الانصار دارا

وجوارا

وجوارا اثروهم على انفسهم في اقواتهم وقاسموهم اموالهم واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم ينتظر الاذن في الهجرة ولم يتخلف معه احد الا من حبس او فتن الا علي بن ابي طالب وابو بكر الصديق رضي الله عنهما فانهما حبسا انفسهما على صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما ابو بكر فصحبه في هجرته واما علي فتخلف عنه قليلا بامره لامر اقتضى ذلك على ما سانبئ بخبره ان شاء الله تعالى ولما رات قريش ما لقي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من طيب الحال وحسن الجوار من الانصار رهبوا ذلك وحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في امره فتصور لهم ابليس في صورة شيخ نجدي مشاركا لهم في الراي فتحدثوا ان يربطوه في الحديد ويغلقوا دونه الابواب حتى يموت او ان يخرجوه من بين اظهرهم فيستريحوا منه او ان يجمعوا من كل قبيلة رجلا فيقتلونه دفعة واحدة فيتفرق دمه في القبائل حتى يعجز قومه عن طلب الثار وهو راي ابي جهل فحسنه لهم الشيخ النجدي وتفرقوا على ذلك ولما قصدوا لذلك اخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يغير فراشه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الاخضر فنم فيه فانه لا يخلص اليك شيء تكرهه ولما قعدوا على بابه لذلك خرج عليهم صلى الله عليه وسلم وبيده حفنة من التراب وجعل ينثرها على رؤسهم وهو يتلو صدر سورة يس فاتاهم آت فقال لهم ما تنتظرون قالوا محمدا قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك رجلا منكم الا وقد وضع على راسه ترابا فتفقدوا ذلك فوجدوه كما قال قال ثم نظروا الى الفراش فوجدوا عليا متسجيا بالبرد فبقوا متحيرين حتى اصبحوا فقام علي فحين راوه قالوا والله لقد صدقنا الذي حدثنا فنزل في ذلك قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله تعالى أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون

الباب الرابع في هجرته صلى الله عليه وسلم وما بعدها الى وفاته

قال المؤلف زكا الله عمله وختم بخير اجله اعلم رحمك الله واياي ان هذا الباب اوسع ما يخص من الابواب قبله لحلول الجهاد فيه وترادف الغزوات وانتشار اعلام النبوة وارتفاع صيتها وتوالي الفتوحات وخمول اهل البغي والعناد والجهالات ووفود العرب من الافاق المتباينات وختام ذلك بوفاته صلى الله عليه وسلم وعلى اله افضل الصلوات قال اهل التواريخ امر الله سبحانه رسوله بالهجرة وفرض عليه الجهاد وذلك في سنة احدى من سني الهجرة وهي سنة اربع عشر من النبوة واربع وخمسين من المولد ومنها ابتدا التاريخ الاسلامي ففي ربيع الاول منها يوم الاثنين هاجر صلى الله عليه وسلم وها انا ان شاء الله تعالى اذكر حديث الهجرة مختصرا من الصحيحين مع زيادات من غيرهما معبرا عن تلك الزيادات بصيغة من صيغ التمريض كروي وحكي

ونحوهما مع احتمال ان يكون بعضها لاحقا بدرجة الصحيحين والله المسدد فاول ذلك
انه صلى الله عليه وسلم لما عقد البيعة مع الانصار ليلة العقبة اقام ينتظر امر الله سبحانه
وتعالى بالهجرة وبقوا منتظرين لوروده عليهم في كل حين وكان ابو بكر رضي الله عنه
قد خرج قبل ذلك مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة
وهو سيد القارة فحكى له ما لقي من قومه فقال له ابن الدغنة ان مثلك لا يخرج ولا
يخرج ارجع فانا لك جار فرجع وارتحل معه حتى قدما مكة فانفذت له قريش جواره
بشرط ان لا يعلن بقراءته ولا صلوته فعمل بشرطهم اياما ثم بدا له ان يعلن فاعلن
فاخبرت قريش ابن الدغنة فقدم عليه ولامه على شرطه الاول او يرد عليه جواره
فرد عليه ابو بكر ذمته ورضي بجوار الله عز وجل وتجهز ابو بكر قبل المدينة
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فاحتبس ابو بكر
لذلك وعلف راحلتين كانتا عنده الخبط اربعة اشهر قالت عائشة رضي الله عنها
فبينما نحن يوما جلوس في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدا له ابي وامي والله ما جاء به
هذه الساعة الا امر فلما دخل صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر اخرج من عندك فقال
انما هم اهلك قال فاني قد اذن لي في الخروج قيل بكى ابو بكر حينئذ فرحا وقال بابي انت وامي
يا رسول الله فخذ احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن
قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء
بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فلذلك سميت ذات النطاقين
واستاجرا رجلا من بني الديل دليلا ماهرا قيل اسمه عبد الله بن اريقط وهو يومئذ
كافر ولا يعرف له فيما بعد اسلام فامناه ودفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد
ثلث ليال ثم لحقا بالغار فمكثا فيه ثلاثا يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام
شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش كبائت فلا يسمع امرا
يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبره لذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر
بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من الغنم فيريحها عليهما عشاء ويغدو بها من عندهم بغلس
قيل وكانت بنت ابي بكر تاتيهما من الطعام اذا امست بما يصلحهما وطلبهم المشركون
بجميع وجوه الطلب ومروا على غارهما فلم ياتوه لشيء ففي البخاري عن ابي بكر قال
رفعت راسي فاذا انا باقدام القوم فقلت يا رسول الله لو ان احدهم طاطا بصره رانا
قال اسكت يا ابا بكر اثنان الله ثالثهما • وبعد الثلث جاءهم الدليل بالراحلتين
فارتحلوا وكانوا ثلثة ركب النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر والدليل واردف ابو بكر خلفه
عامر بن فهيرة ليخدمهما فاخذ بهم طريق السواحل واخذت قريش عليهم بالرصد
والطلب وجعلوا دية كل واحد منهما لمن اسره او قتله قال ابو بكر رضي الله عنه

اخذ علينا

اخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلا فاحيينا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة ثم رفعت لنا
صخرة فاتيناها ولها شيء من ظل قال ففرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة معي ثم اضطجع
فانطلقت انفض ما حوله فاذا انا براع قد اقبل في غنيمته يريد من الصخرة مثل الذي اردنا
فسالته لمن انت يا غلام فقال انا لفلان فقلت له فهل في غنمك من لبن قال نعم قلت له
هل انت حالب قال نعم فاخذ شاة من غنمه فقلت له انفض الضرع قال فحلب كثبة من لبن
ومعي اداوة من ماء عليها خرقة قد رواتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصببت على اللبن
حتى برد اسفله ثم اتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت اشرب يا رسول الله فشرب
حتى رضيت ثم ارتحلنا بعدما زالت الشمس والطلب في اثرنا واتبعنا سراقة بن مالك
بن جعشم ونحن في جلد من الارض فقلت يا رسول الله اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا
فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها فقال اني قد علمت
انكما قد دعوتما علي فادعوا لي والله لكما ان ارد عنكما الطلب فدعا الله فنجا فرجع
لا يلقى احدا الا قال قد كفيتكم ما ها هنا فلا يلقى احدا الا رده قال ووفى لنا وروي
انهم مروا على خيمتي ام معبد الخزاعية ثم الكعبية فسالوها الزاد فلم يصيبوا عندها شيئا
وكانوا مسنتين فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في خيمتهم وسالها
هل بها من لبن قالت هي اجهد من ذلك انما خلفها عن الغنم الجهد فدعا بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شانها فتفاجت عليه ودرت
ودعا باناء يربض الرهط فحلب وسقى اصحابه وشرب اخرهم ثم ملاه وغادره عندها
وبايعها وارتحلوا عنها واصبح صوت بمكة عال يسمعونه ولا يدرون من صاحبه
قيل هو من الجن ويهوم يقول

جزى الله رب العرش خير جزائه • رفيقين قالا خيمتي ام معبد •
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به • فقد فاز من امسى رفيق محمد •
فيال قصي ما زوى الله عنكم • به من فخار لا يجارى وسودد •
ليهن بني كعب مكان فتاتهم • ومقعدها للمؤمنين بمرصد •
سلوا اختكم عن شاتها وانائها • فانكم ان تسالوا الشاة تشهد •
دعاها بشاة حائل فتحلبت • له بصريح ضرة الشاة مزبد •

ولما هبطوا العرج ابطا عليهم بعض ظهرهم فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
يقال له اوس بن حجر على جمل له اسمه الرداح او ابن الرداح وبعث معه غلاما له يقال له
مسعود بن هنيدة ثم سلكوا من العرج ثنية العاير عن يمين ركوبة وهبطوا بطن ريم
ثم قدموا قباء على بني عمرو بن عوف وفي صحيح البخاري انه لما سمع المسلمون بالمدينة
بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة
فينتظرونه حتى يردهم حر الظهر وانقلبوا يوما بعدما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى

بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول قيل لثنتي عشرة منه وقيل لثمان فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة ليلة وقيل خمسا واسس المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وكان مربدا لكلثوم بن الهدم وورد في فضله احاديث كثيرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه في كل اثنين وخميس راكبا وماشيا فيصلي فيه واثنى الله سبحانه عليه وعلى اهله بالطهارة وهو اول مسجد بني في الاسلام وكان نزوله بقباء على كلثوم بن الهدم وقيل على سعد بن خيثمة وسار من قباء يوم الخميس وقيل يوم الجمعة فادركته الصلوة في بني سالم بن عوف فصلاها في بطن وادي رانونا وكانت اول جمعة صلاها بالمدينة قلت واتخذ موضع مصلاه مسجدا ويسمى مسجد الجمعة وهو مسجد عتبان بن مالك الذي شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يحول بينه وبين السيل ولما ركب صلى الله عليه وسلم من قباء كان كلما حاذى وهو على دار من دور الانصار اعترضوه ولزموا بزمام ناقته يقولون هلم يا رسول الله الى القوة والمنعة فيقول لهم خلوا سبيلها فانها مامورة وقد ارخى لها زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا والناس كنفيها حتى بركت على باب مسجده ثم ثارت وهو عليها فسارت حتى بركت على باب ابي ايوب الانصاري ثم التفتت يمينا وشمالا ثم ثارت وبركت في مبركها الاول والقت جرانها بالارض وارزمت فنزل عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله فاحتمل ابو ايوب رحله وادخله بيته فاختار الله له ما كان يختاره فقد كان يحب النزول على بني النجار للنسبة فيهم وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خير دور الانصار دار بني النجار فهم اوسط دور الانصار واخوال عبد المطلب ولم يزل صلى الله عليه وسلم في منزل ابي ايوب حتى ابتنى مسجده ومساكنه قيل كانت اقامته عنده شهرا ولما اطمأن صلى الله عليه وسلم اشتد سرور الانصار به واظهروا الاسف على ما فاتهم من نصره وفي ذلك يقول ابو قيس صرمة بن ابي انس احد بني عدي بن النجار رضي الله عنه

ثوى في قريش بضع عشرة حجة • يذكر لو يلقى صديقا مواتيا •
ويعرض في اهل المواسم نفسه • فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا •

فلما اتانا

فلما اتانا اظهر الله دينه • فاصبح مسرورا بطيبة راضيا •
والفى صديقا واطمأنت به النوى • وكان له عونا من الله باديا •
يقص لنا ما قال نوح لقومه • وما قال موسى اذ اجاب المناديا •
فاصبح لا يخشى من الله واحدا • قريبا ولا يخشى من الناس نائيا •
بذلنا له الاموال من حل مالنا • وانفسنا عند الوغى والتآسيا •
ونعلم ان الله لا شيء غيره • ونعلم ان الله افضل هاديا •
نعادي الذي عادى من الناس كلهم • جميعا وان كان الحبيب المصافيا •
فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي • اذا هو لم يجعل له الله واقيا •
ولا تحفل النخل المقيمة ربها • اذا اصبحت ريا واصبح ثاويا •

وكان ابو قيس هذا قد ترهب في الجاهلية وهم بالنصرانية واعتزل امر الجاهلية ودخل بيتا له واتخذ مسجدا وقال اعبد رب ابرهيم وقدم النبي صلى الله عليه وسلم وهو شيخ كبير فاسلم وحسن اسلامه وله اشعار حسان من محاسنها قوله

يقول ابو قيس واصبح غاديا • الا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا •
فاوصيكم بالله والبر والتقى • واعراضكم والبر بالله اول •
وان قومكم سادوا فلا تحسدونهم • وان كنتم اهل الرياسة فاعدلوا •
وان نزلت احدى الدواهي بقومكم • فانفسكم دون العشيرة فاجعلوا •
وان ناب امر فادح فارفدوهم • وان كان فضل الخير منكم فافضلوا •
وان انتم امعرتم فتعففوا • وما حملوكم في الملمات فاحملوا •

فصل واعلم ان المسجد الشريف في دار بني غنم بن مالك بن النجار وهو حيث مبرك الراحلة وكان كما ورد في الصحيح مربدا للتمر لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو غلامين يتيمين في حجر اسعد بن زرارة وكان يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النجار فقال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا فقالوا لا والله ما نطلب ثمنه الا الى الله ولما كان لليتيمين لم يقبله الا بالثمن قيل اشتراه بعشرة دنانير ذهبا دفعها عنه ابو بكر ثم ابتدا صلى الله عليه وسلم في بنائه واعانه عليه المسلمون وكان ينقل معهم اللبن يقول هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر فقال قائل من المسلمين لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل وارتجز علي كرم الله وجهه فقال

لا يستوي من يعمر المساجدا • يدأب فيها قائما وقاعدا •
ومن يرى عن الغبار حائدا •

قيل دخل عمار بن ياسر وقد ثقلوه باللبن فقال يا رسول الله قتلوني يحملون علي ما لا يحملون فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض عنه التراب ويقول ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك انما تقتلك الفئة الباغية

وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم مربعًا وجعل قبلته الى بيت المقدس فطوله سبعين ذراعًا
في ستين او يزيد وجعل له ثلثة ابواب ولم يسطحوه فشكوا الحر فجعلوا خشبه
وسواريه جذوعًا وظللوا بالجريد ثم بالخصف فلما وكف طينوا بالطين وجعلوا وسطه
رحبة وكان جداره قبل ان يظلل قامة وشبر وبقي كذلك الى خلافة عمر رضي الله
عنه فزاد فيه وقال بعضهم بناه حينئذ اقل من مائة في مائة فلما فتح خيبر زاد عليه
مثله والله اعلم • واما دار ابي ايوب التي نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الطبري في تاريخه هي اليوم مدرسة للمذاهب الاربعة اشترى عرصتها الملك المظفر
احد بني ايوب بن شاذي وبناها ووقفها على اهل المذاهب الاربعة من اهل السنة
والجماعة ووقف عليها اوقافا عيا...

فصل قد قدمنا نقلًا عن اصحاب السير ان اول من هاجر ابو سلمة وعبد الله بن جحش وعامر بن ربيعة وفي صحيح
البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال اول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن ام
مكتوم وكانوا يقرئون الناس ثم قال فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ثم قدم
عمر بن الخطاب في عشرين ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما رايت اهل المدينة
فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل البخاري اولا قيل وحين
قدومه صلى الله عليه وسلم صعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم
بالطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم • اما منازلهم في
الانصار فانه نزل عثمن بن عفان على اوس بن ثابت اخي حسان فلذلك كان حسان يحب
عثمن جنينه ويرثيه حين قتل ونزل الغراب على سعد بن خيثمة وكان رجلا عزبا
فنزل عليه الغراب من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين نزل قبا يخرج الى بيته فيتحدث فيه مع اصحابه ونزل
بنو جحش على عصم بن ثابت ونزل الزبير وزوجته اسماء بنت ابي بكر على سفين بن الحرث
وولد لهما عبد الله بن الزبير في تلك السنة بقبا فكان اول مولود للمهاجرين بالمدينة
واول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح المسلمون به لانه قيل
لهم ان اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم ونزل مصعب بن عمير على اسعد بن زرارة
وقيل على خبيب بن عدي وعبد الرحمن بن عوف على سعد بن الربيع وسعد بن ابي وقاص
على سعد اليماني وطلحة بن عبيد الله على عمير بن معبد وابو سلمة وزوجته ام سلمة
على عبادة رجل من بني عبيد بن زيد وعياش بن ابي ربيعة على ابي لبابة وعثمن بن مظعون
وزوجته على حوات بن جبير وعمر بن الخطاب واخوه زيد ومن تبعه من انصاره
وعشيرته على رفاعة بن عبد المنذر وحمزة وزيد بن حارثة ومن تبعهم على كلثوم
بن الهدم ونزل ابو بكر على خارجة بن زيد ونزل علي على عويمر بن ساعدة وكان
امره النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر ان يتخلف بعده ليؤدي عنه الامانات

والودايع التي كانت عنده فتخلف ثلثًا ثم هاجر فادرك النبي صلى الله عليه وسلم بقبا
ونزل عتبة بن غزوان على عباد بن بشر ونزل عبيدة بن الحرث بن المطلب واخواه طفيل
وحصين ومسطح بن اثاثة في آخرين على عبد الله بن سلمة اخي بلعجلان فهذا من سمي لنا
من مشاهير المهاجرين وفي بعضهم خلاف وكان نزولهم عليهم بالقرعة كما في حديث
ام العلا الانصارية وهو من افراد البخاري فقيه ان عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حين
قرعت الانصار على سكنى المهاجرين ونزل كثير منهم الصفة وهو موضع مظلل الى جانب
المسجد كالسقيفة نزلها من كان خفيف الحال لا ياوي الى اهل ولا مال فكانوا مرة سبعين
ومرة اكثر من ذلك ولما نزل هؤلاء لفقرهم وغربتهم على هؤلاء مع قرارهم وثروتهم اخا
النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فاووهم في منازلهم وقاسموهم اموالهم وآثروهم
باقواتهم وتلقوا المكاره دونهم وصار احدهم اراف وارحم بمن بلة واخيه في الدين
من اخيه في النسب واتخذوا ذلك الاخاء والحلف والولا لحمة ونسبًا اعلى من كل سبب
لذلك ما اثنى الله سبحانه على الفريقين في مواضع متعددة من كتابه العزيز وجماع
ذلك في الاية المعممة لهم ولجميع السابقين واللاحقين من مؤمني هذه الامة فقال تعالى
في بيان من له الحق في الفيء للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون ثم قال في حق
الانصار والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ثم قال في حق من تبعهم باحسان الى يوم القيمة
والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية

فصل واعلم انه ما قبل الله اسلام احد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالهجرة واللحوق به وعاب على من امكنه ذلك ولم يهاجر واوعد عليهم الوعيد
العظيم فقال سبحانه ان الذين توفاهم الملئكة ظالمي انفسهم الاية ثم استثنا وعذر
من لم يمكنه فقال الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت انا وامي ممن عذر الله
من المستضعفين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء في قنوته فيقول اللهم
انج عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام اللهم انج المستضعفين
من المؤمنين ولما فتحت مكة وصارت دار اسلام نسخت الهجرة منها الى المدينة
فقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح • واما حكم الهجرة من غير مكة فقد قدمنا
ذكره وما يتعلق به عند ذكر هجرة الحبشة ثم بعد الفتح لم يرخص النبي صلى الله عليه
وسلم لاحد من مهاجرة مكة في الرجوع اليها للاستيطان بل كره لغيرهم من مهاجرة
الافاق الرجوع الى اوطانهم وقال اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم

وتشكي وترثا لمن مات منهم بمكة كسعد بن خولة ورخص لهم في حجهم وعمرتهم في اقامة ثلثة ايام بعد قضا نسكه وبهذا استدل اصحابنا ان المسافر اذا نوى ببلد اقامة ثلثة ايام غير يومي دخوله وخروجه لا يعد مقيما ولا ينقطع ترخصه في القصر وغيره ولم يطب لهم ايضا الرجوع في دورهم التي اغتصبها المشركون وباعوها بعد مخرجهم حتى قال له اسامة عام الفتح يا رسول الله اين تنزل غدا ان شاء الله قال وهل ترك لنا عقيل من منزل وكان عقيل تخلف عنهم في الاسلام والهجرة وباع دورهم فلم يرجع النبي صلى الله عليه وسلم في شي منها وروي انه لما هاجر بنو جحش باجمعهم باع ابو سفين دارهم فذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان يعطيك الله بها دارا خيرا منها في الجنة قال بلى قال فذلك لك ثم كلمه فيها ابو احمد بن جحش عام الفتح فلم يرد عليه شيئا فقال الناس له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره لكم ان ترجعوا في شي من اموالكم اصيبت منكم في الله فامسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال •

ابلغ ابا سفين عن امر عواقبه ندامه • دار ابن عمك بعتها تقضي بها عنك الغرامه •
وحليفكم بالله رب الناس مجتهد القسامه • اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمامه •

ولما دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح عنوة ورفع عن قريش القتل وقد كانت الانصار ظنوا انه مستاصلهم قتلا لسالف اساءتهم فتوهموا رجوعه الى مكة واستيطانها فاخذهم من الغيرة والوجد ما ياخذ مثلهم على مثله وقالوا اما الرجل فقد اخذته رافة بعشيرته ورغبة في قريته فاخبره جبريل عما قالوه وحين خبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اعترفوا فقال صلى الله عليه وسلم كلا اني عبد الله ورسوله وفي رواية قال الا فما اسمي اذا ثلث مرات انا محمد بن عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم قالوا والله ما قلنا الا ضنا بالله ورسوله قال فان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم رواه مسلم

فصل

ولما تخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من اذا المشركين بمكة وصاروا بالمدينة وقعوا في محنة اخرى من اليهود ومنافقي الانصار بالشنان والبغض والملق والعنت والسم والسحر والغوايل لكن من غير مجاهدة ولا مكابرة تتميما لامتحانهم ووفور الاجورهم وتحقيقا لقوله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فكان الغلبة لهم وكان اعداوهم مكبوتين مقهورين يرون في طي الليالي والايام انواع المكايد من ارتفاع شان الاسلام والمسلمين وتجدد فتوحهم وعلو كلمتهم وظهور دينهم فمن قول عبد الله بن ابي وقد رد عليه قومه بعض الاذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وراى منهم ما يكره فقال شعرا

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل • تذل ويصرعك الذين تصارع •

وهل

وهل ينهض البازي بغير جناحه • وان جذ يوما ريشه فهو واقع •

وقال سعد بن عبادة وقد شكى عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوما بعض اذاه فقال يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي انزل عليك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبونه بالعصابة فلما ابى الله ذلك بالحق الذي اعطاكه الله شرق بذلك فذلك فعل الله ما رايت ولما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا واظفره الله قال ابن ابي ومن معه من المشركين هذا امر قد توجه فاسلموا ظاهرا وبقي ناس منهم على النفاق حتى ماتوا منهم عبد الله بن ابي

فصل

وقدم صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة وهي اوبا ارض الله تعالى فمرض كثير منهم فكان ابو بكر ومولياه عامر بن فهيرة وبلال مرضا في بيت واحد فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول

كل امرئ مصبح في اهله • والموت ادنى من شراك نعله •

وكان عامر يقول

لقد وجدت الموت قبل ذوقه • ان الجبان حتفه من فوقه •
كل امرئ مجاهد بطوقه • كالثور يحمي جلده بروقه •

وكان بلال يقول

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة • بواد وحولي اذخر وجليل •
وهل اردن يوما مياه مجنة • وهل يبدون لي شامة وطفيل •

ثم يقول اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوبا قالت عايشة رضي الله عنها فذكرت ما سمعت منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وصححها لنا وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة فبعد دعوته صلى الله عليه وسلم طاب لهم الحال وانصرف عنهم الوبا البوس والوبا والاقتال والاقلال وتم لهم موعد ربهم فاستخلفهم في الارض ومكن لهم في الدين الذي ارتضى لهم وابدلهم عن الخوف امنا وعن الوحشة انسا وكره اليهم وحظر عليهم الرجوع الى مكة فصاروا لا ياتونها الا حجاجا او معتمرين او مستوفزين

فصل

ولما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واستقر به القرار واقر الله عينه بالفة المهاجرين والانصار واعز الله جنده باجتماع الكلمة والدار اذن الله له في الانتقام من اعدائه والانتصار فعقد صلى الله عليه وسلم الالوية للامراء وجهز السرايا وشن الغارات على من داناه من مشركي العرب وحين فرغ منهم تطاول الى تخوم الشام وبلاد العجم بنفسه كغزوة تبوك ومرة بسراياه وبعوثه كغزوة موتة وحتى كتب اخر الى ملوك الاقاليم يخوفهم ويهددهم ويدعوهم الى طاعته فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملوك اليمن وملك عمان ومنهم من هادنه واتحفه بالهدايا كهرقل وملك ايلة والمقوقس صاحب مصر ومنهم من تعصى فاظفره الله به ووفدت عليه الوفود من جميع الجهات وكان صلى الله

عليه وسلم زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها
وقال اوتيت مفاتيح خزاين الارض فوضعت في يدي فكان تمام ذلك على ايدي اصحابه
الخلفاء الراشدين والايمة المهديين رضي الله عنهم اجمعين وها انا نحن نذكر ان شاء
الله حوادث ما بعد هجرته مرتبا على السنين كما سبق وبالله التوفيق ففي السنة الاولى الهجرة
بنى صلى الله عليه وسلم مسجده ومساكنه وكتب الكتاب بين المهاجرين والانصار وفيه انهم
امة واحدة من دون الناس وان الجار كالنفس غير مضار ولا اثم وما كان بينهم من
حدث او اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيها وادع اليهود وشرط عليهم ولهم والحق كل قبيلة منهم بحلفائهم من
الانصار ثم اخا صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين فقال لهم تاخوا في الله اخوين اخوين ثم اخذ
بيد علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال هذا اخي ثم اخا بينهم وبين الانصار وجملة من
تاخا من الفريقين تسعون رجلا خمسة واربعون من المهاجرين ومثلهم من الانصار
وقيل جملتهم ثلثمائة والله اعلم وفيها بعث صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة
وابا رافع مولياه الى مكة لياتيا ببناته وزوجته سودة وبعث معهم ابو بكر
عبد الله بن اريقط لعايشة وامها فجاو بهم وصحبهم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم
وفي سيرة ابن هشام ان زينب لما لحقت بابيها بعد وقعة بدر وذلك ان زوجها ابا العاص
بن الربيع اسر ببدر فاطلقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير فدا واخذ عليه ان يخلي
سبيل زينب اليه وبعث صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الانصار وقال لهما
كونا ببطن ياجج حتى تمر بكما زينب فلما قدم ابو العاص مكة بعث بها مع اخيه كنانة
بن الربيع فالحقها بهما وسيبا في خبرها ان شاء الله تعالى في ترجمتها في فصل بناته صلى الله عليه
وسلم وفيها صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشورا وامر بصومه وكانت
اليهود والجاهلية تصومه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه وحض عليه واكد
عليه فلما فرض رمضان خف ذلك التاكيد وبقي مسنونا وقيل كان واجبا ثم نسخ
برمضان وفيها شرع الاذان وكان اول مشروعيته انهم لما قدموا المدينة تشاوروا
فيما يجمعهم للصلوة فتوامروا ان يتخذوا ناقوسا او قرنا او يوروا نارا فقال عمر
رضي الله عنه اولا تبعثون رجلا ينادي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم
فناد بالصلوة وظاهر هذا انه مجرد اعلام ليس على صفة الاذان المشروع ثم راى
عبد الله بن زيد بن عبد ربه في منامه شخصا يوذن بالاذان المشروع ويقيم فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يلقيه على بلال فقال عمر رضي الله عنه والذي
بعثك بالحق لقد رايت مثل الذي راى قال النووي رحمه الله فشرعه النبي صلى الله
عليه وسلم اما بوحي واما باجتهاده صلى الله عليه وسلم على مذهب الجمهور في جواز الاجتهاد
له وليس هو عملا بمجرد المنام هذا مما لا شك فيه ولا خلاف والله اعلم • وورد في حديث

مسند

مسندا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اراه ليلة الاسرا واسمعه مشاهدة ولذلك
قال في رد يا عبد الله بن زيد انها الرويا حق والله اعلم وفيها اسلم عبد الله بن سلام الاسرائيلي
وسلمان الفارسي وفيها مات من رؤساء الانصار اسعد بن زرارة والبراء بن معرور
نقيبان وكلثوم بن الهدم ومن صناديد المشركين من قريش العاص بن وايل والوليد
بن المغيرة السنة الثانية قال ابن اسحق وفي صفر على راس اثنى عشر شهرا من الهجرة
غزا صلى الله عليه وسلم غزوة ودان يريد قريشا وبني ضمرة من كنانة فوادعه مخشي
بن عمرو الضمري ورجع وهي اول غزوة غزاها صلى الله عليه وسلم واستعمل على المدينة سعد
بن عبادة وتسمى ايضا غزوة الابوا قال المحب الطبري في خلاصة السيرة كانت لستة
من الهجرة وشهرين وعشرة ايام والله اعلم وفيها حولت القبلة وكان تحويلها في صلوة
الظهر يوم الثلاثا نصف شعبان وقيل في رجب على راس ستة عشر او سبعة عشر
من الهجرة وكان ذلك في منازل بني سلمة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم زار امراة
منهم يقال لها ام بشر فصنعت له طعاما فحانت صلوة الظهر فصلى بهم وانزل عليه وهو
راكع في الثانية قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الاية فاستدار صلى الله عليه
وسلم واستدارت الصفوف خلفه وتحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال
ثم صلى ما بقي من صلاته الى الكعبة ولم يستانف فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين
واخبر اهل مسجد قبا بذلك وهم في صلوة الصبح فاستداروا كما هم الى الكعبة وبهذا
استدل اصحابنا في جواز الصلوة الواحدة الى جهات متعددة بالاجتهاد وكان امر القبلة
اول منسوخ من امور الشرع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل
الهجرة يصلي الى الكعبة فلما هاجر استقبل صخرة بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود
واختلف العلماء هل كان ذلك بوحي او اجتهاد ونقل القاضي عياض رحمه الله عن
الاكثرين انه كان بسنة لا بقران ففيه دليل لمن يقول ان القران ينسخ السنة قلت
بل الصواب والله اعلم ان توجهه الى بيت المقدس تلك الاشهر كان بوحي من الله
بدليل قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها مع ما ورد انه صلى الله عليه وسلم
حين كان يصلي الى بيت المقدس كان يقول لجبريل عليه السلام وددت لو حولني ربي
الى الكعبة فانها قبلة ابي ابرهيم فقال له جبريل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك
فسل انت ربك فانك عند الله بمكان وعرج جبريل وجعل صلى الله عليه وسلم يقلب
طرفه الى السماء منتظرا ونزل في ذلك قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الاية
وكل هذا يدل على انه لم يكن باجتهاد ويحتمل ان يكون اول ذلك باجتهاد لموافقة
اليهود رجا اسلامهم ثم نزل الوحي بتقريره والله سبحانه اعلم وحين عدل صلى الله
عليه وسلم قبلة مسجده اماط جبريل عليه السلام كل حايل بينه وبين الكعبة فعدلها
وهو ينظر الى الكعبة وصارت قبلته الى الميزاب ولما حولت القبلة وقع في ذلك القالة

من اليهود وارتد من رق ايمانه وقالوا رجع محمد الى دين آبائه ونزل في ذلك قوله
تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
وان كانت اي التحويلة لكبيرة الا على الذين هدى الله وكان قد مات من القبلة
الاولى ناس من المسلمين فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالهم في صلواتهم
تلك فنزل قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم ان الله بالناس لرؤف رحيم
وفي شعبان منها ايضا فرض صيام رمضان قيل كان الواجب قبله صيام ثلاثة ايام
من كل شهر وصوم عاشوراء ثم نسخ ذلك برمضان فانزل الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم الى قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه
فدية طعام مساكين فكان من شاء صام ومن شاء افطر واطعم مسكينا ثم نزلت
العزيمة في الصوم بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فاوجبه الله تعالى على الصحيح
المقيم وثبتت الرخصة في الاطعام للكبير العاجز وكان في ابتداء الامر اذا افطروا
عند المغرب حل لهم كل شيء ما لم يصلوا العشاء او يرقدوا قبلها فاذا صلوا او رقدوا
قبلها حرم عليهم كل شيء الى الليلة القابلة فشق ذلك عليهم ووقع جماعة منهم في
المحظور منهم عمر بن الخطاب فنزل الترخيص في ذلك بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم الآية فاحل الله لهم ما كان حرم عليهم وتاب عليهم وعفا عما
سلف منهم قال ابن عباس رضي الله عنه اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة والصوم
قال الشيخ ابو القسم هبة الله بن سلامة في كتابه الناسخ والمنسوخ اعلم ان اول
النسخ في الشريعة امر الصلوة ثم امر القبلة ثم الصيام ثم الزكوة ثم الاعراض
عن المشركين ثم الامر بجهادهم ثم اعلام الله تعالى نبيه ما يفعل به ثم امره تعالى بقتال
اهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ثم ما كان عليه من امر العقود من
التوارث فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ثم هدم منار الجاهلية
وان لا يخالطوا المسلمين في حجهم ثم نسخ المعاهدة التي كانت بينه وبينهم بالاربعة الاشهر
بعد يوم النحر قال فهذا اكمل الترتيب ونزول المنسوخ بمكة كثير واكثر الناسخ مدني
والله اعلم وفي شوال منها دخل صلى الله عليه وسلم بعائشة وهي بنت تسع سنين وكان
عقد بها قبل ذلك بمكة وهي بنت ست سنين وقيل سبع وعنها قالت تزوجني رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال فاي نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان احظى عنده مني وكانت عائشة تستحب ان تدخل نساءها في شوال رواه مسلم
وفي صفر منها تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما ولها خمسة عشر سنة وخمسة اشهر
ونصف وقيل ثماني عشرة سنة والله اعلم ولعلي يومئذ احدى وعشرون سنة ودخل بها
في ذي الحجة بعد وقعة احد وسياتي خبر تزويج عائشة وفاطمة في موضعه من الكتاب
ان شاء الله تعالى وفيها فرضت صدقة الفطر قيل والاصل في وجوبها من كتاب الله تعالى

قوله

قوله عز وجل قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ذهب كثير من المفسرين الى ان
المراد بذلك زكوة الفطر وصلاة العيد بعدها قلت وفيه حديث مرفوع خرجه الدارقطني
والله اعلم واعترض بعضهم على هذا بان السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة فطر
قال الامام الحسين بن مسعود البغوي يحتمل ان يكون النزول سابقا على الحكم كما في غيره
والله اعلم واما من السنة فما ثبت في الصحيحين وغيرهما من رواية ابن عمر رضي الله عنهما
قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكوة الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير
على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين وامر بها ان تؤدى قبل
خروج الناس الى الصلوة وفيها اسلم العباس رضي الله عنه وكان اسيرا ببدر
وفادى نفسه وابنا اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث ثم اسلم عقب ذلك وقد
ذكرنا مستوفى في ترجمته من كتابنا الرياض المستطابة والله اعلم وفيها كان
من الغزوات والسرايا سرية عبادة بن الحرث بن عبد المطلب بن عبد مناف وهي اول راية
عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرجعه من غزوة الابواء قبل ان يصل الى المدينة وكان عددهم ستين او ثمانين راكبا
من المهاجرين وليس فيهم انصاري ولقوا جمعا من قريش بالحجاز فلم يكن بينهم قتال الا
ان سعد بن ابي وقاص رمى بسهم فكان اول سهم رمي به في سبيل الله ثم انصرفوا
وللمسلمين حامية وفر الى المسلمين يومئذ المقداد بن عمرو البهراني وعتبة بن غزوان
المازني وكانا من المستضعفين بمكة وكان على المشركين يومئذ عكرمة بن ابي جهل وقيل
مكرز بن حفص ثم سرية حمزة بن عبد المطلب الى سيف البحر من ناحية العيص
في ثلاثين راكبا من المهاجرين فلقي ابا جهل في ذلك الساحل في ثلثمائة راكب فحجز بينهم
مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعا للفريقين ثم غزوة بواط من ناحية رضوى
قال البكري واليها انتهى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوته الثانية ولم يلق كيدا
وذلك في شهر ربيع الاول واستعمل على المدينة السائب بن مظعون وروينا في
صحيح مسلم عن جابر قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بواط وهو يطلب
المجدي بن عمرو الجهني وكان الناضح يعتقبه منا الخمسة والستة والسبعة ثم ساق
فيها الحديث الطويل المشتمل على معجزات ظاهرة باهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولما رجع منها اقام بالمدينة بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى ثم غزى
العشيرة وقال ابن سعد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا العشيرة في جماد الآخر
على راس ستة عشر شهرا من مهاجره في خمسين ومائة وقيل في مائتين من المهاجرين
على ثلاثين بعيرا يعتقبونها وحمل لواءه وكان ابيض حمزة بن عبد المطلب واستخلف
على المدينة ابا سلمة المخزومي يطلب عيرا لقريش التي كانت وقعة بدر بسببها حين
رجعت من الشام فبلغ ذلك العشيرة من بطن ينبع وبين المدينة وينبع تسعة برد

فوجد العير قد مضت الى الشام قبل ذلك بايام فوادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة
ثم رجع ولم يلق كيدا وفي صحيح البخاري عن زيد بن ارقم انها اول الغزوات وهو خلاف
المشهور عن اهل النقل وجمع بينهم بان زيدا اراد اول ما غزونا معه ويضعفه
رواية مسلم قلت فما اول غزوة غزاها قال ذات العشيرة او العشيرة والله اعلم
قال ابن اسحق وقد كان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين ذلك من غزوة
سعد بن ابي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين حتى بلغ الخرار من ارض الحجاز ثم رجع ولم
يلق كيدا ثم خرج صلى الله عليه وسلم في طلب كرز بن جابر الفهري وكان اغار على
سرح المدينة وانتهى فيها الى واد يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز
بن جابر وتسمى بدر الاولى وفي مرجعه منها بعث ابن عمته عبد الله بن جحش الاسدي
في ثمانية رهط من المهاجرين وكتب له كتابا امره فيه ان ينزل بطن نخلة بين مكة
والطايف ويرصد بها عير قريش ولا يستكره احدا من اصحابه وقال له لا تفتح الكتاب
حتى تسير يومين فمضى عبد الله ومعه اصحابه لم يتخلف احد منهم الا ان سعد بن ابي
وقاص وعتبة بن غزوان تخلفا فوق الفرع في طلب بعير لهما اضلاه ولما نزلوا نخلة
مرت بهم عير لقريش تحمل تجارة فيها عمرو الحضرمي وثلثة معه فقتلوا ابن الحضرمي
واسروا اثنين وفر واحد وذلك اخر يوم من جمادى وكانوا يرون انه من جمادى
وهو من رجب وكان ذلك اول قتل واسر في المشركين واول غنيمة في الاسلام
فقال المشركون قد استحل محمد الشهر الحرام وعير المسلمون بذلك فشق ذلك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ووقف العير والاسيرين حتى نزل قوله تعالى يسئلونك عن
الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الاية فقسم صلى الله عليه وسلم الغنيمة
ووقف الاسيرين حتى قدم سعد وصاحبه وفداهم ثم غزا النبي صلى الله عليه وسلم
غزوة بدر الكبرى وهي الرابعة من غزواته وكانت وقعتها يوم الجمعة
السابع عشر من رمضان وذلك على راس سنة من الهجرة وثمانية اشهر وسبعة عشر
ليلة وثبت في عدد المسلمين فيها ما رواه المحدثون في كتبهم واللفظ للبخاري
عن البراء بن عازب قال كنا اصحاب محمد نتحدث ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب
طالوت الذين جاوزوا معه ولم يجاوز معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة فسر البضع
هنا باربعة فمن المهاجرين ثلثة وثمانون رجلا وبقيتهم من الانصار فمن سائر بطون
الاوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر واحد وستون ومن سائر بطون الخزرج
بن حارثة مائة وسبعون وعد منهم من ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه
واجره ولم يحضرها فجعل كمن حضرها وكان معهم ثمانون بعيرا يعتقبونها
وفرس واحد للمقداد بن الاسود قيل واخر للزبير وابي مرثد الغنوي وعدد المشركين
ما بين التسعمائة والالف قيل تسعمائة وخمسون وكان معهم ثمانون فرسا

وجملة

وجملة من استشهد بها من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار
وقتل من المشركين سبعون واسر سبعون وتلخيص خبرها على ما ذكر ابن اسحق وغيره
ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع بابي سفيان صخر بن حرب في تجارة الى الشام معه ثلثون او
اربعون رجلا فلما فاته في ذهابها طمع بها في ايابها وجعل العيون عليها فجاءه عينه
بسبس بن عمرو الجهني بخبرها فخرج بمن خف معه من المسلمين واستعمل على الصلوة ابن ام مكتوم
وعلى المدينة ابا لبابة ودفع لواءه الى مصعب بن عمير وكان ابيض العبدري وكان له
رايتان سوداوان احدهما مع علي والاخرى بيد رجل من الانصار ثم ان ابا سفيان لما قارب
الحجاز اشتد خوفه وجعل يتحسس الاخبار فلما اخبر بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث الى قريش يستفزهم فاوعبت قريش في الخروج فلم يتخلف من بطونها احد الا بني عدي يستنفرهم
ولا من اشرافها الا ابا لهب استاجر مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فقتل العاص فيمن
قتل ولم تمتد حياة ابي لهب بعده رماه الله بالعدسة بعد مصاب اهل بدر بليال ولما
كان النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق وصح له نفير قريش استشار اصحابه في طلب
العير وحرب النفير وكانت العير احب اليهم كما قال الله تعالى وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم فتكلم ابو بكر فاعرض عنه ثم عمر كذلك ثم المقداد فاحسن القول واجاد
وهو في كل ذلك يقول اشيروا وانما يريد الانصار لانهم العدد الكثير وايضا فكان
يتخوف منهم انهم لا يرون نصرته الا على من دهمه بالمدينة كما هو اصل في بيعتهم
ليلة العقبة وكان اذ ذاك الايمان قد تمكن في قلوبهم والمحبة وتحققوا وجوب
طاعته فلو امرهم بقتل ابائهم او ابنائهم لفعلوا فقام سعد بن معاذ فقال ايانا تريد
يا رسول الله فوالذي نفسي بيده لو امرتنا ان نخيضها البحر لاخضناها ولو امرتنا ان نضرب
اكبادها الى برك الغماد لفعلنا فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ونشطه
ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني
انظر الان الى مصارع القوم ولما نزل صلى الله عليه وسلم بدرا وكان بالعدوة
الدنيا وهو شفير الوادي الادنى من المدينة وكان الركب حينئذ اسفل منهم الى
ساحل البحر على ثلثة اميال من بدر ولا علم عند احد منهم بالاخر وقد حجب الوادي بينهم
واول العلم بهم ما ورد في صحيح مسلم انه وردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام اسود
لبني الحجاج فاخذوه فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئلونه عن
اصحابه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابي سفين واصحابه فيقول ما لي علم بابي سفين
ولكن هذا ابو جهل وعتبة وشيبة وامية بن خلف في الناس واذا قال ذلك ضربوه فقال
نعم انا اخبركم هذا ابو سفين فاذا تركوه فسالوه فقال ما لي علم بابي سفين ولكن هذا ابو جهل
وعتبة وشيبة وامية بن خلف في الناس فاذا قال هذا ضربوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم

فأتم يصلي فلما رأى ذلك انصرف قال والذي نفسي بيده لتضربونه اذا صدقكم وتتركونه
اذا كذبكم وروي انهما غلامان وان النبي صلى الله عليه وسلم حين اخبره قال
لاصحابه هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين
نزل بدرا نزل على ادنى ماء على العدو وترك المياه كلها خلفه بمشورة الحباب بن المنذر
وبني له عريشا يستظل فيه بمشورة سعد بن معاذ ولما اصبحت قريش ارتحلت فلما
راها النبي صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب الذي هبطوا منه الى الوادي
قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم
فنصرك الذي وعدتني اللهم احنهم الغداة اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل
الاسلام لا تعبد في الارض وما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه وفي
صحيح البخاري ان ابا بكر اخذ بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك
وهو في الدرع فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر وروى مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا مصرع فلان
ويضع يده على الارض هاهنا وهاهنا فما ماط احد عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل الصفوف وامر اصحابه ان لا يحملوا
حتى يامرهم وقال اذا كثبوكم فعليكم بالنبل واستبقوا نبلكم ثم رجع العريش ومعه
ابو بكر فخفق خفقة ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرسه
يقوده على ثناياه النقع وفي رواية عليه اداة الحرب ولما تزاحف الناس ودنا
بعضهم من بعض قال ابو جهل اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة
فكان هو المستفتح على نفسه واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة
من الحصباء ورماهم بها فقال لاصحابه شدوا فكانت الهزيمة ولما فرغ من امرهم
اسرا وقتلا قال النبي صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق
ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد فاخذ بلحيته وقال انت ابو جهل فقال
وهل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه رواه الشيخان وفي رواية لهما قال فلو
غير اكار قتلني وروي انه قال لابن مسعود لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقا صعبا
قال ابن مسعود ثم حززت راسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله هذا راس عدو الله ابو جهل فقال الله الذي لا اله غيره وكانت يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم والله الذي لا اله غيره ثم القيت راسه بين
يديه فحمد الله وممن بارز يومئذ حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة فقتل حمزة رضي الله عنه شيبة وعلي رضي الله عنه
الوليد واختلف بين عبيدة وعتبة ضربتان كلاهما اثبت صاحبه فكر حمزة وعلي
على عتبة فذففا عليه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الست

الست شهيدا قال بلى فقال عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انا احق بما قال منه حيث
يقول • ونسلمه حتى نصرع حوله • ونذهل عن ابنائنا والحلائل •
كان ابو ذر يقسم قسما ان هذه الآية نزلت فيهم هذان خصمان اختصموا في ربهم وقال علي
رضي الله عنه انا اول من يجثو بين يدي الرحمن عز وجل للخصومة يوم القيمة رواه البخاري
وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم امر باربعة وعشرين رجلا فقذفوا في القليب وكان
صلى الله عليه وسلم اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث
امر براحلته فشد عليها ثم مشى واتبعه اصحابه وقالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته
حتى قام على شفير الركي فجعل يناديهم باسمائهم واسماء ابائهم ويقول ايسركم انكم
اطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم قال قتادة احياهم الله حتى اسمعهم
قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل
له بعد الهزيمة هذه العير ليس دونها شيء فانهض في طلبها فناداه العباس وهو اسير
لا يصلح ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ولم ذلك قال لان الله تعالى وعدك احدى
الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت ولما انتصر
النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة الى المدينة بشيران
قال اسامة فاتانا الخبر حين سوينا على رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب
ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا فلما كان بمضيق الصفراء قسم النفل
ولما كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنونه وامر بقتل النضر بن الحرث بالصفراء وبقتل
عقبة بن ابي معيط بعرق الظبية وقدم صلى الله عليه وسلم قبل الاسارى بيوم ولما
قدم بالاسارى فرقهم بين اصحابه فقال استوصوا بهم خيرا واستفداهم على اربعة
الاف ومنهم من نقص عنه ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعضهم بغير فدا
والله اعلم **فصل** واعلم ان بدرا ملحمة شريفة من ملاحم الجنة العظام
واول فتح للمسلمين في غزوة الاسلام واول قتال للملائكة عليهم الصلوة والسلام
وفض قلوب عتاة المشركين صدمتها حتى ورد في صحيح البخاري انه لم يظهر عبد الله
بن ابي ومن معه من المنافقين الاسلام الا بعدها وتظاهرت نصوص الكتاب والسنة نعم
على فضلها وعظم موقعها وفضل شاهديها ومزاياهم على بقية الصحابة والله اعلم •
ومن ذلك قصة حاطب بن ابي بلتعة حيث كتب الى اهل مكة ينذرهم بمسير رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فاستاذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم في ضرب عنقه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اليس من اهل بدر لعل الله اطلع على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة او فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر

فقالوا الله ورسوله اعلم وعن انس قال اصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت امه الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني فان يك في الجنة اصبر
واحتسب وان تكن الاخرى ترى ما اصنع فقال ويحك اوهبلت او جنة واحدة هي انها
جنان كثيرة وانه في جنة الفردوس وعن رفاعة الزرقي وكان بدريا قال جاء جبريل
عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون اهل بدر فيكم قال من افضل
المسلمين او كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة روى جميعها البخاري
وكان عطاء البدريين في ديوان عمر خمسة آلاف خمسة آلاف قال عمر لافضلنهم على من
بعدهم وكان المدد فيها من الملائكة خمسة آلاف قال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل
الملائكة في المعركة الا يوم بدر وفيما سواه يشهدون القتال ولا يقاتلون انما يكونون
عددا ومددا قيل كانت خيلهم يومئذ بلقا على خلق فرس المقداد وكانت سيماهم عمائم
صفرا وقيل بيضا قد ارسلوها بين اكتافهم وعلموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها
فصل وسمي يوم بدر باسم المكان الذي جرت به الوقعة وهو ماء معروف
وقرية عامرة على نحو اربع مراحل من المدينة قال ابن قتيبة وهي بئر لرجل يسمى بدرا
سميت باسمه ومن اسمائه بالكتاب العزيز يوم الفرقان ويوم التقى الجمعان ويوم
اللزام ويوم البطشة الكبرى الخامسة بعد بدر غزوة بني قينقاع يهود المدينة
رهط ابن سلام وكانوا اول ناقض للعهد من اليهود فحاصرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه فوهبهم انفسهم لحليفهم عبد الله بن ابي واخذ اموالهم
وكان لعبادة بن الصامت منهم من الحلف مثل ما لعبد الله بن ابي فتبرا منهم فيل
فيه نزلت فيه وفي ابن ابي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء الاية السادسة غزوة السويق وسببها ان ابا سفين بعد بدر حلف ان لا يمس
راسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا فخرج في مائتي راكب فلما كان على بريد من المدينة
خرج في الليل حتى اتى حيي بن اخطب فضرب بابه فخافه وابى ان يخرج اليه فانصرف
الى سلام بن مشكم فاطعمه وسقاه وحادثه بالاخبار ثم خرج عنه والى اصحابه فبعث
رجالا منهم فوجدوا رجلا من الانصار وحليفا له في حرث لهما فقتلهما فخرج النبي
صلى الله عليه وسلم في طلبهم واستعمل على المدينة ابا لبابة الانصاري وانتهى صلى
الله عليه وسلم الى قرقرة الكدر وفاته ابو سفيان واصحابه وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصاب ازوادا كثيرة مما طرحها ابو سفين واصحابه يتخففون
عنها اكثرها السويق السابعة غزوة بني سليم بالكدر على ثمانية برد من
المدينة وكان لواء النبي صلى الله عليه وسلم مع علي واستخلف ابن ام مكتوم وغنم النبي
صلى الله عليه وسلم فيها خمسمائة بعير فقسم اربعمائة على الغانمين فاصاب كل واحد
بعيرين واخذ النبي صلى الله عليه وسلم مائة وكانت مدة غيبته عن المدينة خمس عشرة

ليلة

من ايام

والله اعلم

ليلة الثامنة غزوة ذي امر وهي غزوة انمار بنجد يريد صلى الله عليه وسلم غطفان واستعمل
على المدينة عثمن بن عفان رضي الله عنه واقام صلى الله عليه وسلم بنجد شهرا ثم رجع من غير
قتال وهذه الاربع بعد بدر في بقية السنة الثانية وفيما بين ذلك سرية سرية زيد بن حارثة
وكان من حديثها ان قريشا بعد بدر تجنبوا طريق الشام وسلكوا طريق العراق فبعث
النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقي ابا سفيان في رفقة يحملون تجارة فيها فضة
كثيرة فغنم زيد ما في العير واعجزه الرجال هربا ففي ذلك قال حسان يعير قريشا باخذهم تلك
الطريق

دعوا فلجات الشام قد حال دونها • جلاد كافواه المخاض الاوارك
بايدي رجال هاجروا نحو ربهم • وانصاره حقا وايدي الملائك
اذا سلكت للغور من بطن عالج • فقولا لها ليس الطريق هنالك

وهناك ذكر ابن اسحق قتل كعب بن الاشرف الطائي وامه من بني النضير وذكره غير واحد
في الثالثة قبيل غزوة بني النضير وكان من حديثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انتصر ببدر
اشتد حسده وبغضه وقدم مكة فجعل يحرضهم ويرثي من قتل منهم ثم رجع الى المدينة
فشبب بنساء المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد اذى الله
ورسوله فقال محمد بن مسلمة يا رسول الله اتحب ان اقتله قال نعم قال فاذن لي ان اقول شيئا
قال قل فاتاه محمد بن مسلمة فقال ان هذا الرجل قد سالنا صدقة وانه قد عنانا واني قد اتيتك
استسلفك قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب ان ندعه حتى ننظر الى شيء
يصير شانه وقد اردنا ان تسلفنا وسقا او وسقين فقال نعم ارهنوني نساءكم قالوا
وكيف نرهنك وانت اجمل العرب قال فارهنوني ابناءكم قالوا كيف نرهنك
ابناءنا فيسب احدهم فيقال رهن بوسق طعام او وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك
اللامة يعني السلاح فواعده ان ياتيه فجاءه ليلا ومعه ابو نايلة وهو اخو كعب من الرضاعة
وابو عيسى بن جبر والحارث بن اوس وعباد بن بشر فلما دعوه قالت امراته اين تخرج هذه
الساعة وقالت اسمع صوتا كانه يقطر منه الدم فقال انما هو اخي محمد بن مسلمة ورضيعي
ابو نايلة ان الكريم اذا دعي الى طعنة بليل لاجاب فنزل اليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح
المسك الطيب فقال ما رايت كاليوم ريحا اي اطيب قال اي كعب عندي اعطر نساء العرب
فقال اتاذن لي ان اشم راسك قال نعم فشمه ثم اشم اصحابه ثم قال اتاذن لي قال نعم فلما
استمكن منه قال دونكم فقتلوه ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه خرجه البخاري بهذا
المعنى وذكر بعده قتل ابي رافع عبد الله بن ابي الحقيق تاجر اهل الحجاز وكان بخيبر
وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
لقتله رجالا من الانصار وامر عليهم عبد الله بن عتيك فدنوا من حصنه وقد غربت الشمس
وراح الناس بسرحهم فدخل عبد الله مع اخر من دخل من اهل الحصن فكمن داخل الباب
وابصر المفاتيح حيث وضعت فلما هدات الاصوات قام اخذ المفاتيح وجعل يفتح الابواب

بابا بابا وكلما فتح بابا اغلقه عليه قال قلت ان القوم بدروا بي لم يخلصوا الي حتى اقتله
قال فانتهيت اليه وهو في بيت مظلم وسط عياله لا ادري اين هو من البيت قلت ابا رافع
قال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه ضربة بالسيف وانا دهش فما اغنيت شيئا
فصاح فخرجت من البيت فامكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع
فقال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنته
ولم اقتله ثم وضعت صبيب السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني قتلته فجعلت
افتح الابواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة فوقعت منها الى الارض فانكسرت رجلي
فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا اخرج الليلة حتى اعلم اقتلته ام لا
فلما صاح الديك قام الناعي على السور فانطلقت الى اصحابي فقلت النجا فقد قتل الله ابا رافع
فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها
فكانها لم اشتكها قط اخرجه البخاري من ثلث طرق كلها عن البراء بن عازب وفي الفاظها
اختلاف والله اعلم قال ابن اسحق عقب ذكره لقتل كعب بن الاشرف فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على
رجل من تجار يهود وكان يلابسهم فقتله فجعل حويصة اخوه يضربه ويقول اي عدو الله
اقتلته اما والله لرب شحم في بطنك من ماله فقال محيصة والله لقد امرني بقتله من لو
امرني بقتلك لضربت عنقك قال والله ان دينا بلغ بك هذا لعجب فاسلم حويصة السنة
الثالثة فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب
وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي البدري فتوفي عنها بالمدينة وفي صحيح
البخاري وغيره انها لما تايمت بعد وفاة زوجها عرضها ابوها على عثمن فاعتذر ثم على
ابي بكر فصمت فلم يرجع اليه شيئا فلما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم اعتذر اليه
ابو بكر بانه لم يمنعه من اجابته الى ما سال الا انه اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فقال له جبريل ان الله يامرك ان تراجع حفصة
فانها صوامة قوامة وفيها تزوج عثمان رضي الله عنه بام كلثوم بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد اختها رقية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان
عندي اربعون بنتا لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وفي رواية
مائة بدل اربعين وفيها تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة ام المساكين
الهلالية ولبثت عنده شهرين او ثلاثة وماتت وفيها ولد الحسن بن علي رضي الله عنه
في منتصف رمضان ولما ولد دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن في اذنه
اليمنى واقام في اليسرى وطلى راسه بخلوق بعد ان عق عنه كبشا وتصدق بزنة راسه
ورقا واعطى القابلة فخذ شاة ودينارا وكذلك فعل باخيه الحسين وروى الطبراني
انه فعل ذلك يوم سابعهما وسماهما حسنا وحسينا ولم يسم احد بذلك قبلهما

وروي

مكانها

وروي انه سمى اولاد فاطمة حسنا وحسينا ومحسنا باولاد هرون بن عمران صلى الله عليه
وسلم وانما قدمت مولد الحسن هنا وكان في الحقيقة بعد احد لاني اقدم غالبا حوادث السنة
قبل غزواتها وسراياها وقد وقع في تاريخ تزويج علي لفاطمة ودخوله بها ومولد ابنيهما
تردد يؤدي الى التغليط لبعض النقلة وفي هذه السنة كان من الغزوات غزوة احد
وهي التاسعة من غزواته صلى الله عليه وسلم وكانت وقعتها يوم السبت النصف من شوال
وقيل السابع منه على راس احد وثلاثين شهرا من الهجرة وكان عدد المسلمين فيها سبعمائة
لا خيل معهم والمشركين ثلاثة الاف معهم مائتا فرس وكان على خيلهم خالد بن الوليد
قال ابن اسحق وغيره من اهل السير وجملة من استشهد بها من المسلمين خمسة وستون
قلت والصواب ما ثبت في صحيح البخاري انهم سبعون وفي رواية له اخرى ان هذا العدد
من الانصار دون المهاجرين ومن المهاجرين اربعة وبقيتهم من الانصار وقتل من المشركين
يومئذ اثنان وعشرون تسعة قتلهم قزمان الكافر واثنان قتلهم عاصم بن ابي الافلح
الانصاري فلقزمان وعاصم نصف القتلى وكان من حديث احد ان ابا سفين واولاد
من قتل ببدر تحاشدوا بينهم وانفقوا الاموال في طلب الثار عمن اصيب منهم ببدر
وخرجوا لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم بظعنهم ومن اطاعهم من الاحابيش
وكنانة فلما نزلوا اي استقروا باحد وهي شامي المدينة الى جهة المشرق قليلا على ثلثة
اميال منها او نحوها ولما علم بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار اصحابه
في الخروج اليهم او الاقامة وقال لهم اني رايت في منامي ان في سيفي ثلمة وان بقرا لي
تذبح واني ادخلت يدي في درع حصينة وتاولها ان نفرا من اصحابه يقتلون وان
رجلا من اهل بيته يصاب وان الدرع الحصينة المدينة اخرجه مسلم ثم قال لهم ان رايتم
ان تقيموا بها وتدعوهم حيث نزلوا فان اقاموا اقاموا بشر مقام وان دخلوها قاتلناهم
فيها فاختلفت اراؤهم في ذلك حتى غلب راي من احب الخروج فدخل النبي صلى الله عليه وسلم
فلبس لامته وخرج عليهم فوجدهم قد رجعوا الى راي القعود فابى عليهم وقال ما ينبغي
لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل فسار بهم وذلك بعد ان صلى الجمعة
وبعد ان صلى على ميت من الانصار واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ولما بلغوا الشوط
انخزل عنهم عبد الله بن ابي بثلث الناس انفة ان خولف رايه وكان راى القعود وحينئذ
هم بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج بالرجوع والفشل فتولاهم الله وثبتهم
وفيهم نزلت اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وفي صحيح البخاري عن جابر
قال فينا نزلت وما احب انها لم تنزل لقوله والله وليهما ونزل صلى الله عليه وسلم بالشعب
من احد على شفير وادي قناة وجعل ظهره الى احد ورتب اصحابه وبواهم مقاعد للقتال
وكانوا مشاة فجعل عبد الله بن جبير اخا خوات بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا
واقعدهم على جبل عينين وقال لهم لا تبرحوا مكانكم ان غلبنا او غلبنا وظاهر صلى الله عليه وسلم

بين درعين ودفع اللواء الى مصعب بن عمير وتعبات قريش وجعلوا على ميمنتهم وخيلهم
خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل وقال ابو سفين لبني عبد الدار وكان اليهم
لواء قريش انكم وليتم لوانا يوم بدر فاصابنا ما قد رايتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم
اذا زالت الواو كانت قريش قد سرحت دوابها في زروع الانصار بقناة فحميت الانصار
لذلك وحمل النبي صلى الله عليه وسلم على المشركين فهزموهم ورويناه في صحيح البخاري
عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال فاني رايت النساء يعني هندا وصواحبها يشتددن
في الجبل دفعن سوقهن قد بدت خلاخلهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة يا قوم
الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون واقبلوا على الغنيمة وثبت عبد الله بن جبير في
نفر دون العشرة فلما راى خالد بن الوليد ذلك وراى ظهور المسلمين خالية من الرماة
صاح في خيله فحملوا على بقية الرماه فقتلوهم ثم اتى المسلمين من خلفهم وجالت الريح فصارت
دبورا بعد ان كانت صبا وصرخ ابليس الا ان محمدا قد قتل فانتقضت صفوف المسلمين
وتراجعت قريش بعد هزيمتها وبعد ان قتل على لوائها احد عشر رجلا من بني عبد الدار
وبقي لواؤهم صريعا حتى رفعته لهم عمرة بنت علقمة الكنانية فلاثوا به وخلص العدو
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه وكسر عتبة
بن ابي وقاص رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وجرح ابن قميئة الليثي وجهه
فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته صلى الله عليه وسلم وشجه عبد الله بن شهاب
الزهري وهشم البيضة على راسه وكان هؤلاء ومعهم ابي ابن ابي خلف الجمحي
تعاقدوا على قتله صلى الله عليه وسلم او ليقتلن دونه فمنعه الله منهم ورويناه في صحيح
البخاري عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كاشد القتال ما رايتهما قبل ولا
بعد وهما جبريل وميكايل وكان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ان اشيع قتله كعب بن مالك الانصاري قال رايت عينيه تزهران تحت المغفر فصحت
يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي ان اسكت فعطف
عليه نفر من المسلمين ونهضوا الى الشعب فادركهم ابي بن خلف وهو يقول اين محمد
لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس
اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك
ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم
استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدادا منها عن فرسه مرارا ورجع الى اصحابه وهو
يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم

البس

البس فقال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف وفي هذا ادل دليل على شجاعته
صلى الله عليه وسلم وثبات قلبه ولم يقتل انه صلى الله عليه وسلم قتل احدا غير ابي والله اعلم
قال صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله عز وجل على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله
يعني الجهاد رواه مسلم وكان يوم احد بلاء وتمحيص اكرم الله فيه من اكرم بالشهادة
وكان المسلمون فيه اثلاثا ثلثا سليما وثلثا طريدا وثلثا جريحا وممن ابلى يومئذ وعظم
نفعه طلحة بن عبيد الله وسعد بن ابي وقاص والزبير بن العوام حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم
في حق طلحة هذا يوم كله لطلحة وفدا سعدا والزبير بابيه وامه ولما لجا صلى الله عليه وسلم
عن معه الى الشعب هم بهم العدو فلم يجدوا لهم مساغا ورويناه في صحيح البخاري من
رواية البراء بن عازب قال اشرف ابو سفيان فقال افي القوم محمد فقال لا تجيبوه قال افي
القوم ابن ابي قحافة فقال افي القوم ابن الخطاب فقال ان هؤلاء قتلوا فلو كانوا احياء لاجابوا
فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله ابقى الله لك ما يخزيك قال ابو سفين اعل هبل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو سفين
لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجيبوه قالوا ما نقول قال
قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال ابو سفين يوم بيوم بدر والحرب سجال وستجدون
مثلة لم آمر بها ولم تسؤني وطفق نساء المشركين يمثلن بالقتلى ببقر البطون
وقطع المذاكير وجدع الاذان والاناف ولم يمثلوا احدا منهم غير حنظلة الغسيل
فان اباه ابا عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق بدل الراهب
كان مع المشركين ولما نظر صلى الله عليه وسلم الى ذلك من عمه حمزة لم ينظر الى شيء
قط كان اوجع لقلبه منه وترحم عليه واثنى وقال اما والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن
بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ينهى عنها ويوصي من يبعث
من السرايا ان لا يمثلوا ولما انصرفت قريش وعلم الله سبحانه ما في قلوب اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من تراكم الغموم والهموم مما اصابهم وخوف كثرة العدو عليهم
تفضل عليهم بالنعاس امنة منه سبحانه للمؤمنين منهم واهل اليقين ولم يغش احدا من
المنافقين ورويناه في صحيح البخاري عن ابي طلحة قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا
فجعل سيفي يسقط من يدي واخذه ويسقط واخذه وعنه قال رفعت راسي فجعلت ما ارى
احدا الا وهو يميل تحت حجفته من النعاس قال الزبير والله اني لاسمع قول معتب
بن قشير والنعاس يتغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا
هاهنا **فصل** في فضل الشهادة ومزية شهداء احد قال الله تعالى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون الاية
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الايات

وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الآيات
فتظاهرت الآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة على حيوتهم وانهم يرزقون في الجنة
من وقت القتل حتى كانت حيوة الدنيا دائمة لهم وانهم لا يجدون من القتل الا كما يجد
احدنا من القرصة وانهم يتمنون على ربهم الرجوع الى الدنيا ليكرر لهم الشهادة وفي
النسائي ان رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد فقال كفى
ببارقة السيوف على راسه فتنة وفي صحيح البخاري عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا
للقرآن فاذا اشير له الى احدهما قدمه في اللحد وقال انا شهيد على هؤلاء يوم القيمة وامر
بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وفيه عن جابر قال لما قتل ابي جعلت ابكي
واكشف الثوب عن وجهه فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهونني والنبي صلى الله
عليه وسلم لم ينه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبكه او ما تبكيه ما زالت الملئكة
تظله باجنحتها حتى رفع وعن جابر ايضا قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
احيا اباك وكلمه كفاحا وما كلم احدا قط الا من وراء حجاب فقال يا عبدي تمن
اعطك قال يا رب تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال تعالى قد سبق مني انهم الیها لا يرجعون
قال يا رب فابلغ من ورائي فانزل الله سبحانه ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
الآية رواه ابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن غريب وروى ابن اسحق خبرا نحوها
عن رواية ابن هشام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قتلى احد يا ليتني غودرت مع اصحابي
بحضن الجبل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له
في اول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب النار ويامن من الفزع الاكبر ويوضع
على راسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنين وسبعين زوجة
من الحور العين ويشفع في سبعين من اقاربه رواه ابن ماجة والترمذي وصححه
قلت هكذا الرواية فيهما ست خصال وهي في العدد سبع والله اعلم

فصل

ومن اعيان من اكرم الله بالشهادة يومئذ من السادة المهاجرين الاخيار المنتخبين
اسد الله واسد رسوله وهو ابو يعلى عم المصطفى واخوه من الرضاعة حمزة بن عبد
المطلب رضي الله عنه قتله وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم بعم مولاه طعيمة
بن عدي بن الخيار وكان حمزة رضي الله عنه قتله ببدر والسيد القانت الاواب عدي
ختن النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمته عبد الله بن جحش بن رئاب الاسدي رضي الله عنه
يعرف بالمجدع دفن مع خاله حمزة في قبر واحد ولا يعلم من قبور شهداء احد معينا غير
قبريهما وعليهما قبة عالية وشاهدت حول مشهدهما ببطن الوادي امامين حجارة
متفرقة يقال انها قبور الشهداء والله اعلم والسيد القرم الهمام قديم الهجرة
والاسلام معلم الخير مصعب بن عمير العبدري رضي الله عنه قتله ابن قمئة الليثي اخزاه الله

كان

كان مصعب رضي الله عنه قبل الهجرة بمكة انعم فتى في قريش واكثرهم رفاهية
فحمله حب الله وحب رسوله على مفارقة ذلك يلبس بالمدينة اهاب كبش وصار بعض اخذ من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة للزاهدين وبهجة للمترفهين كما ورد في صحيح
البخاري وغيره ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اتي بطعام وكان صائما فقال قتل
مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة ان غطي راسه بدت رجلاه وان غطي
رجلاه بدا راسه واراه قال قتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط
او قال اعطينا من الدنيا ما اعطينا وقد خشينا ان تكون حسناتنا قد عجلت لنا ثم جعل
يبكي حتى ترك الطعام وروى البخاري ايضا عن خباب نحوه رآ بعهم التابع نفسه من
مولاه غير مغبون ولا يعلم شهيد بني مخزوم شماس المخزومي رضي الله عنه ومن
السادة الانصار النجباء الابرار الجم الغفير والعدد الكثير فمنهم السيد النقيب العالي
المقام ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام ذو المقامات العلية والكرامات الجلية روينا
في صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه قال لما قتل ابي يوم احد جعلت ابكي واكشف الثوب عن
وجهه فجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهونني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبكه او ما تبكيه ما زالت الملئكة تظله باجنحتها حتى
رفع وتقدم قريبا انه احياه الله وكلمه كفاحا وكفى بذلك شرفا وتنويها دفن هو وابن عمه
عمرو بن الجموح في قبر واحد رضي الله عنهما ومنهم السيد الشريف الحسيب
الاواه المنيب سعد بن الربيع النقيب رضي الله عنه شهد بدرا واستشهد باحد وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما فعل سعد بن الربيع فطلبه رجل من الانصار فوجده
وبه رمق فقال له ابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له جزاك الله افضل
ما جزى نبيا عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان خلص
الى نبيكم وعين منكم تطرف دفن هو وقريبه خارجة بن زيد في قبر واحد رضي الله عنهما
والسيد العلم المبرور القسم الصادق ربه فيما عاهده عليه والمتبري اليه مما صنعه
المسلمون والمشركون والمعتذر اليه انس بن النضر عم انس بن مالك وغاب عن قتال بدر
فاسف عليه وقال لئن اشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم
احد انكشف المسلمون فقال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني اصحابه وابرا اليك
مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال اي سعد اني لاجد
ريح الجنة دون احد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال انس فوجدنا به
بضعا وثمانين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ووجدناه قد قتل
احد وقد مثل به المشركون فما عرفه الا اخته ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه
الآية نزلت فيه وفي اشباهه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى
آخر الآية رواه البخاري والنحب النذر والنحب الموت ايضا وكلاهما محتمل

هنالك ثم يوبدا الاول ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى طلحة بن عبيد الله فقال من احب ان ينظر الى رجل يمشي على وجه الارض قد قضى نحبه فلينظر الى هذا والله اعلم. والمسارع الى غرف الجنان السيد مالك بن سنان والد ابي سعيد الخدري رضي الله عنهما مص الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شج فقال صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي لم تصبه النار ومنهم غسيل الملائكة الفرد المراقب السيد الجليل حنظلة بن ابي عامر الراهب اصيب يومئذ فقال صلى الله عليه وسلم رايت الملائكة تغسله فسئلت زوجته فقالت لما سمع الهيعة خرج سريعا وهو جنب فلم يرجع ومنهم امير الرماة بعبد المرماه المسارع الى الخير عبد الله بن جبير اخو خوات بن جبير رضي الله عنهما حفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل هنالك ومنهم الحريص على الشهادة المغر على طلبها بالجسد والروح عمرو بن الجموح كان قد كبر وعرج ومنعه بنوه من الخروج معهم فابا عليهم وقال ارجو ان اطا بعرجتي هذه في الجنة فخرج فاستشهد رضي الله عنه ومنهم الذي رضيه مولاه فدخل الجنة بغير صلوة الصادق الولي الاصيرم الاشهلي رضي الله عنه كان مجانبا للاسلام فلما كان يوم احد اسلم وخرج لغوره فاستشهد وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه من اهل الجنة ومنهم السيد الاسد الضرغام عمير بن الحمام رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ارايت ان قتلت فاين انا قال في الجنة فالقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل ومنهم السبعة النجبا الذين عرضوا ارواحهم دون المصطفى على ما ورد في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم افرد يومئذ في سبعة من الانصار ورجلين من قريش فلما رهقوه قال من يردهم عنا وله الجنة او هو رفيقي في الجنة فتقدم رجل من الانصار فقاتل حتى قتل ثم كذلك واحدا بعد واحد حتى قتلوا جميع السبعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبيه ما انصفنا اصحابنا قيل كان احدهم زياد بن السكن او عمارة بن يزيد بن السكن ادركه وبه رمق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادنوه مني فادنوه فوسده قدمه فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم المتنافسان على الشهادة السابق لهما من الله خطة السعادة اليمان والد حذيفة وثابت بن قيس كانا قد كبرا وضعفا فرفعا في الاطام مع النساء فتلاوما بينهما واخذا اسيافهما وخرجا لوجههما حتى تغمرا في المعركة فاصيب ثابت بايدي المشركين واصيب اليمان بايدي المسلمين غلطا فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يديه فتصدق بها حذيفة رضي الله عنه ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من دفن الشهداء ورجع الى المدينة مر بامراة من الانصار وقد اصيب زوجها واخوها وابوها فلما نعوا اليها قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروها بسلامته قالت ارونيه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل ثم بدحقيرة ونعي الى حمنة بنت جحش اخوها عبد الله

ابي عامر

بن جحش

بن جحش وخالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت ثم نعي اليها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال صلى الله عليه وسلم ان زوج المراة منها بمكان ولما سمع صلى الله عليه وسلم بكاء نساء الانصار على قتلاهم ذرفت عيناه وقال لكن حمزة لا بواكي له فامر سعد بن معاذ واسيد بن حضير نساءهم ان يبكين على حمزة ويتركن قتلاهم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهن يبكين على باب المسجد قال ارجعن يرحمكن الله فقد اسين بانفسكن ونهى يومئذ عن النوح ثم غزوة حمراء الاسد وسببها ان قريشا لما انصرفوا من احد وبلغوا الروحا همّوا بالرجوع لاستيصال من بقي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علم بهم النبي صلى الله عليه وسلم ندب اصحابه للخروج مودبا من نفسه القوة وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فانتدب منهم سبعون رجلا الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح فلما بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة مر بهم معبد الخزاعي وكانت خزاعة نصحاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم فعزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن اصيب من اصحابه ثم جاوزهم فلما انتهى الى قريش اخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول بجيوشه وقال والله لقد حملني ما رايت على ان قلت • كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل في ابيات انشاها فثنى ذلك ابا سفين ومن معه عن الرجوع ومر عليهم ركب من عبد القيس فجعل لهم ابو سفيان جعلا على ان يخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه بانهم يريدون الكرة عليهم فلما مر الركب على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه واصحابه بمقالة ابي سفين قالوا كما حكى الله عنهم حسبنا الله ونعم الوكيل واقام صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد ثلثا ثم رجع وفي هذه الغزوة اخذ صلى الله عليه وسلم معاوية بن المغيرة الاموي جد عبد الملك بن مروان ابا امه وابا عزة الجمحي الشاعر فاما معاوية فشفع فيه عثمان رضي الله عنه فشفع فيه على انه ان وجد بعد ثلاث قتل فوجد بعدها فقتل واما ابو عزة فكان النبي صلى الله عليه وسلم اسره يوم بدر ومن عليه بغير فدا الحاجة شكاها وعيال فاخذ عليه ان لا يعين عليه فنكث فلما وقع الثانية شكى مثلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وامر بضرب عنقه وفيها غزوة بني النضير بعد احد وقال الزهري عن عروة كانت على راس ستة اشهر من وقعة بدر قبل احد وكان من حديثهم انهم كانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة الا يقاتلوا معه ولا يقاتلوه فنقضوا العهد وركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى قريش فحالفهم قيل كان ركوبه بعد بدر وقيل بعد احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم قصدهم يستعينهم في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري حين اقبل من غزوة بئر معونة فهموا بطرح حجر عليه من فوق الحصن فاخبره جبريل عليه السلام فانصرف راجعا عنهم وامر بقتل كعب

المرأة

بن الاشرف واصبح غاديا عليهم بالكتائب وكانوا بقرية يقال لها زهرة فوجدهم ينوحون
على كعب فقالوا يا محمد واعية على اثر واعية ثم حشد الحرب ودس اليهم اخوانهم من
منافقي الانصار ما حكاه الله عنهم لئن اخرجتم لنخرجن معكم وان قوتلتم لننصرنكم فحاصرهم
النبي صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة وقطع نخلهم وحرقها وهي البويرة
وفيها يقول حسان بن ثابت يوبخ قريشا ويعيرهم بذلك

• وهان على سراة بني لوي • حريق بالبويرة مستطير •
• اداما الله ذلك من صنيع • وحرق في نواحيها السعير • فاجابه ابو سفين
بن الحرث ستعلم اينا منها بنزه • وتعلم اي ارضينا تضير •

رواه البخاري ولما امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بقطع النخل واحراقها ترددوا في ذلك
فمنهم الفاعل ومنهم الناهي ورأوه من الفساد وعيرهم اليهود بذلك فنزل القرآن
العظيم بتصديق من نهى وتحليل من فعل قال تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها
قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين ولما اشتد على اعداء الله الحصار وقذف
الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصالحهم على الجلاء وان لهم ما اقلت الابل الا السلاح فخرجوا الى اذرعات
واريحا من الشام وخرج آخرون الى الحيرة ولحق آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب الحيرة
بخيبر فكانوا اول من اجلي من يهود كما قال تعالى لاول الحشر والحشر الثاني من خيبر
في ايام عمر رضي الله عنه فكانت اموال بني النضير خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسمها بين المهاجرين رضي الله عنهم اجمعين لحاجتهم وفقرهم ولم يعط الانصار شيئا
الا ثلثة نفر كانت بهم حاجة ابو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة فطابت
بذلك انفس الانصار واثنى عليهم بذلك العزيز الغفار قال تعالى ولا يجدون في صدورهم
يعني الانصار حاجة اي حسدا مما اوتوا يعني المهاجرين رضي الله عنهم اجمعين •
وفي ذي القعدة منها كانت غزوة بدر الثانية وهي بدر الصغرى ذكرها النووي
ورتبها قبل بني النضير وذكرها غير واحد في الرابعة وهو موافق لما ذكر فيها انهم
تواعدوا لها يوم احد العام القابل وكانت احد في الثالثة وسببها ان ابا سفين حين
انصرف من احد واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم موسم بدر وكانت سوقا من
اسواق الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فلما كان ذلك خرج ابو سفين
بمن معه حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران وقيل بلغ عسفان وبدا له الرجوع
وتعلل بمحل العام وعدم المرعى قيل وجعل جعلا لبعض العرب على ان يلقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويثبطوه فلما رجع ابو سفين عيرهم اهل مكة وسموهم جيش السويق
يقولون انما خرجتم لذلك وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه واستعمل
على المدينة عبد الله بن ابي ابن سلول وجعل كفار العرب يلقونهم ويخبرونهم

بجمع

بجمع ابي سفين فيقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى نزلوا بدرا ووافقوا السوق
واصابوا الدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين فذلك قوله تعالى فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل لم يمسسهم سوء الاية وفي ذلك يقول عبد الله بن ابي رواحة
وقيل كعب بن مالك •

• وعدنا ابا سفيان بدرا فلم نجد • لميعاده صدقا وما كان وافيا •
• فاقسم لو وافيتنا فلقيتنا • لابت ذميما وافتقدت المواليا •
• تركنا بها اوصال عتبة وابنه • وعمرا ابا جهل تركناه ثاويا •
• عصيتم رسول الله اف لدينكم • وامركم الشيء الذي كان غاويا •
• فاني وان عنفتموني لقائل • فدا لرسول الله روحي وماليا • اهلي
• اطعناه لم نعدله فينا بغيره • شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا •

وفيها من السرايا سرية عاصم بن ثابت الانصاري قال ابن اسحق كانت بعد احد وكان
من حديثها ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في عشرة عينا فلما كانوا بالرجيع ماء لهذيل
بين عسفان ومكة ذكروا للحي لحيان من هذيل فتبعهم منهم نحو من مائة رامي فلما احس
بهم عاصم واصحابه لجؤا الى مرتفع من الارض واحاط بهم القوم واعطوهم العهد ان استسلموا
والقوا بايديهم لا يقتلون منهم احدا فقال عاصم اما انا فلا انزل في ذمة كافر ابدا
اللهم اخبر عنا رسولك فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة ونزل اليهم خبيب بن عدي
وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق بالامان فربطوهم باوتار قسيهم فقال عبد الله بن طارق
هذا اول الغدر والله لا اصحبكم ابدا فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد فباعوهما
بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان قتل اباهم ببدر فمكث عندهم اسيرا
اياما فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه صلى ركعتين وقال لولا ان تروا ان ما بي جزعا لزدت
ثم قال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا وانشد

• فلست ابالي حين اقتل مسلما • على اي جنب كان في الله مصرعي •
• وذلك في ذات الاله وان يشا • يبارك على اوصال شلو ممزع •

ثم قتلوه وصلبوه رحمه الله قالت احدى بنات الحرث ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب
لقد رايته ياكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديد وما هو
الا رزق رزقه الله خبيبا خرجه بكثير من الفاظه البخاري واما زيد فاشتراه
صفوان بن امية فقتله بابيه وروي انهم حين قربوه للقتل قال له ابو سفين انشدك
الله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا في مكانك نضرب عنقه وانت في اهلك قال
والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا
جالس في اهلي وارسل اهل مكة لراس عاصم فحمته الدبر وهي الزنابير من رسلهم
فسمي حمي الدبر فلما امسى من ليلته جاء سيل فاحتمله الى الجنة وكان اعطى الله عهدا

ان لا يمسني مشرك ولا يمسه مشرك فابتر الله له ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ايكم يحمل خبيبا على خشبته وله الجنة فخرج لذلك الزبير بن العوام والمقداد فحمله
الزبير على فرسه فاغار بعدهم الكفار فلما ارهقوهما القاه الزبير فابتلعته الارض فسمي
بليع الارض قال ابن عباس وفيهم نزل قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله والله رؤوف بالعباد وبعد مقتل خبيب واصحابه بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمرو بن امية الضمري وجبار بن صخر الانصاري ليقتلا ابا سفيان غيلة فقدما
مكة في خفية لذلك فتنبه لهما فخرجا هاربين ولم يقفا على ما ارادا ذكر ذلك ابن هشام
دون ابن اسحق وفيها اي في اول الرابعة سرية اصحاب بئر معونة وسببها انه
قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر الكلابي العامري ملاعب الاسنة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم ولم يبعد
وقال يا محمد ابعث رجالا من اصحابك الى اهل نجد يدعونهم الى امرك وانا لهم جار فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا من خيار المسلمين قال انس بن مالك رضي
الله عنه كنا نسميهم القراء كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل وامر عليهم النبي
صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الانصاري الساعدي احد النقباء فساروا حتى نزلوا
بئر معونة فلما نزلوها انطلق حرام بن ملحان الى رئيس المكان عامر بن الطفيل ليبلغه
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فجعل يحدثهم واومؤوا الى رجل فاتاه من
خلفه فطعنه بالرمح فقال حرام الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم اخذ من دمه
فنضحه على وجهه وراسه فرحا بالشهادة وفخرا بها ثم استصرخ عامر عليهم بني عامر
فابوا عليه وقالوا لن نخفر ابا براء في جواره فاستصرخ عليهم قبائل سليم عصية ورعلا
وذكوان فاجابوا وقتلوا اصحاب السرية عن اخرهم الا كعب بن زيد فانه بقي به رمق
وعاش حتى استشهد يوم الخندق وفي صحيح البخاري قتلوا كلهم غير اعرج كان في راس
جبل وكان في سرحهم عمرو بن امية الضمري وانصاري فلما راحا وجدا اصحابهم صرعى
والخيل التي اصابتهم واقفة فقتلوا الانصاري واطلقوا عمرا حين اخبرهم انه من ضمرة
فخرج عمرو حتى اذا كان بقناة اقبل رجلان فنزلا معه في ظل هو فيه فتحدث معهما
واخبراه انهما من بني عامر فامهل حتى ناما وقتلهما وكان معهما عقد وجوار من
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره
قال لقد قتلت قتيلين لادينهما قال المؤلف كان الله له وقع في خبر بئر معونة تنازع
واختلاف ولمن تامله من ذلك ان ابن اسحق وتبعه غيره ذكروا ان بئر معونة كانت
في صفر سنة اربع وذكر النووي وغيره ان بني النضير في الثالثة ثم روا اهل
التواريخ جميعا ان سبب غزوة بني النضير خروج النبي صلى الله عليه وسلم يستعينهم
في دية الرجلين الذين قتلهما عمرو بن امية الضمري عند رجوعه من بئر معونة فتعين

الرجيع

بذلك

بذلك ان بئر معونة قبل بني النضير ومنها ما ذكر اهل السير ان عددهم اربعون والوجه
ما رواه البخاري والمحدثون انهم سبعون ومنها ان البخاري روى عن انس ان رعلا وذكوان
وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية له اخرى ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعثهم لحاجة والصواب ان خروجهم انما كان بسؤال ابي براء
كما تقدم وان القبائل المذكورين انما استصرخهم عامر على اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين ابى منه بنو عامر وان بني لحيان لم يكونوا معهم وانما قتلوا اصحاب سرية
الرجيع ولما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مصابهم قال هذا عمل ابي براء
قد كنت لهذا كارها متخوفا وشق على ابي براء اخفار عامر اياه وقال حسان يحرضه ويذمه
في الطلب

بني ام البنين الم يرعكم • وانتم من ذوائب اهل نجد •
تهكم عامر بابي براء • ليخفره وما خطأ كعمد •
الا ابلغ ربيعة ذا المساعي • فما احدثت في الحدثان بعدي •
ابوك ابو الحروب ابو براء • وخالك ماجد حكم ابن سعد •

ثم ان ربيعة ابن ابي براء حمل على عامر بن الطفيل فطعنه طعنة ارداه عن فرسه فقال
عامر هذا عمل ابي براء ان امت فدمي لعمي ولا يتبعن به وان اعش فسارى رايي فيما اتى الي
وعاش عامر بعدها حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم هو وزيد بن ابي ربيعة وكانا
قد تمالآ على الفتك به فحبس منعهما الله من ذلك انصرفا متهددين فدعا عليهما النبي
صلى الله عليه وسلم فهلك زيد بالصاعقة وعامر بالطاعون قبل ان يصلا الى اهلهما
والله اعلم فصل في فضل شهداء بئر معونة وفضل الشهداء ومنهم ما اخرجه
الشيخان سوى ما تقدم من شهداء احد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله الآيات قيل نزلت فيهم وقيل في شهداء احد وقال انس دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلثين غداة وقيل اربعين وانزل فيهم قرآنا
قراناه ثم نسخ بعد بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه رواه البخاري
وروى ايضا ان عامر بن الطفيل قال لعمرو بن امية الضمري من هذا واشار الى قتيل
فقال له هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رايته بعدما قتل رفع الى السماء حتى اني لانظر الى
السماء بينه وبين الارض ثم وضع وقال صلى الله عليه وسلم ما احد ان يدخل الجنة يحب
ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض من شيء الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل
عشر مرات لما يرى من الكرامة متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لولا ان رجالا من امتي لا تطيب انفسهم ان يتخلفوا عني ولا اجد ما احملهم عليه
ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت اني اقتل في سبيل الله
ثم احيى ثم اقتل ثم احيى ثم اقتل ثم احيى رواه البخاري ونحوه او قريب منه في مسلم
وقال صلى الله عليه وسلم من سال الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء

وفي رواية

وقف صدر اعظم الحاج محمد باشا

وان مات على فراشه وقال من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق
رواهما مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما تعدون الشهداء فيكم قالوا يا رسول الله
من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال ان شهداء امتي اذا لقليل قالوا فمن هم يا رسول الله
قال من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في
الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد والغريق شهيد رواه وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء خمسة المطعون
والمبطون وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله خرجه البخاري في ترجمة باب الشهادة
سبع سوى القتل في سبيل الله وكانه اشار الى ان الحديث المطابق للترجمة ليس على
شرطه وقد خرجه مالك والنسائي بسند جيد فذكر المطعون والمبطون والغريق
والحريق وصاحب ذات الجنب والذي يموت تحت الهدم والمراة تموت بجمع وهي التي
تموت في الولادة وقيل هي التي تموت بكرا والله اعلم **السنة الرابعة** وما فيها
من الحوادث قصرت الصلوة فنزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض الاية وظاهرها
يدل على ان رخصة القصر مشروطة بالخوف ودلت السنة على الترخيص مطلقا فقيل
نزلت الاية على غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم فان اكثرها لم يخل عن خوف ثم لم يبعد
ان يبيح الله تعالى الشي في كتابه لشرط ثم يبيحه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
بالاخلال بذلك الشرط وهو من باب نسخ القران بالسنة وظاهر الاثار يدل على ذلك روينا
في صحيح مسلم عن يعلي بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب انما قال الله تعالى ان تقصروا من الصلوة
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس فقال عمر بن الخطاب عجبت مما عجبت منه
فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
وروينا في موطا مالك رحمه الله تعالى عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله
بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن فانا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر في القران ولا نجد صلوة
السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا
فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال اخرون تم الكلام عند قوله تعالى ان تقصروا من
الصلوة وقوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا متصل بما بعده من صلوة الخوف ورووا عن
ابي ايوب الانصاري ان بين نزولهما حولا وهذا لا يبعد ان صح به نقل ومثله قوله تعالى
حكاية عن امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه ثم قال تعالى اخبارا عن يوسف
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب• اما مسافة القصر فقال الشافعي رضي الله عنه ومالك
وفقهاء المحدثين هي مرحلتان معتدلتان وذلك ثمانية واربعون ميلا والميل ستة
الاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة والاصبع ست شعيرات
معترضات وقدر الميل ايضا باربعة الاف خطوة او اثنا عشر الف قدم والله اعلم
وللقصر شروط احدها ان تكون الصلوة رباعية مؤداة وان يكون سفره بغير معصية

والحزم

وان ينوي القصر مع الاحرام فاذا كانت مسافته مسافة قصر جاز له ان يجمع بين الظهر
والعصر والمغرب والعشاء في وقت ايهما شاء والسنة اذا كان سائرا في وقت الاولى
ان يؤخرها الى الثانية والا قدم الثانية اليها ويجوز للحاضر ان يجمع في المطر في وقت الاولى
منهما وفيها تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام سلمة هند بنت ابي امية المخزومية
وكانت قبله عند ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي روينا في صحيح مسلم عنها
قالت لما مات ابو سلمة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان ابا سلمة قد
مات قال قولي اللهم اغفر لي وله واعقبني منه عقبى حسنة فقلت فاعقبني الله تعالى
من هو خير لي منه محمدا صلى الله عليه وسلم وفيه ايضا عنها من روايات ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما تزوجها اقام عندها ثلاثا فلما اراد ان يخرج اخذت بثوبه فقال انه ليس
بك على اهلك هوان ان شئت سبعت لك وان سبعت لك سبعت لنسائي وان شئت ثلثت
ودرت قالت ثلث فقيل ان ذلك حق للمراة فيثبت لها ذلك سواء كان عند الزوج غيرها
ام لا ونقله ابن عبد البر عن الجمهور واختاره النووي وقيل انما يثبت هذا للجديدة اذا كان
عنده غيرها اما المنفردة فلا يتصور في حقها ذلك ورجحه القاضي عياض وبه جزم
البغوي من اصحابنا وقد تقرر من حديث ام سلمة وغيرها ان الثيب الداخلة على غيرها
مخيرة بين ثلاث بلا قضا وسبع بالقضا والبكر تستحق سبعا بلا قضا والله اعلم •
وفيها ولد الحسين بن علي السبط رضي الله عنهما قيل حملت به امه بعد مولد اخيه
الحسن بخمسين ليلة وولد لخمس خلون من شعبان وقيل غير ذلك وفيها امر النبي صلى الله
عليه وسلم زيد بن ثابت ان يتعلم له كتاب يهود ليكتب له اليهم ويقرا له كتبهم وفيها
نزل قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن
للخائنين خصيما في شان ابن ابيرق وكان من خبر ذلك ان ابن ابيرق او بني ابيرق سرقوا
درعا لقتادة بن النعمان او لعمه رفاعة بن زيد والقوا تهمتهما على زيد بن السمين اليهودي
فلما وجدت عنده قال دفعها الي طعمة بن ابيرق ففشا ذلك وكبر على قومه بني ظفر
وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب هؤلاء الى اهل بيت
منا اهل صلاح فرموهم بالسرقة وكرروا ذلك عليه حتى غضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قتادة بن النعمان وعمه وهم ان يجادل عن بني ابيرق على ظاهر الامر
فانزل الله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الايات فتضمنت التشريف للنبي صلى الله عليه
وسلم وحفظه عن الهم والتفويض اليه والتقويم له على الجادة في الحكم والتانيب له فيما هم
به قيل ولما افتضح ابن ابيرق وهرب الى مكة ثم الى خيبر فنقب بيتا للسرقة فسقط عليه
فمات مرتدا وفيها توفي عبد الله بن عثمان بن رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان بلغ ست سنين ونقره ديك في عينه فكان سبب موته والله اعلم وفيها
توفيت فاطمة بنت اسد ام علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهي اول هاشمية ولدت هاشميا

ولدت لابي طالب عقيلا وجعفرا وعليا وام هاني وجمانة وكان بين كل واحد من بنيها
الرجال وبين اخيه عشر سنين وكانت محسنة الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان في حجر
عمه ابي طالب فلما ماتت تولى دفنها واضطجع في قبرها واشعرها قميصه وقال اضطجعت
في قبرها لاخفف عنها من ضغطة القبر والبستها لتلبس من ثياب الجنة وفيها كان
من الغزوات غزوة ذات الرقاع الى نجد يريد غطفان واختلف في تسميتها بذلك
على اقوال اصحها ما ثبت في صحيح البخاري عن ابي موسى الاشعري ان اقدامهم نقبت فلفوا
عليها الخرق ولهذا قال البخاري انها بعد خيبر لان اباموسى انما جاء بعد خيبر وانتهى صلى الله
عليه وسلم فيها الى نخل فلقي جمعا من غطفان فتقاربوا ولم يكن قتال وصلى بهم النبي
صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فروى ابن عباس وجابر ان المشركين لما راوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم
فقالوا دعوهم فان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعني صلوة العصر
فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم واقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام بصلوة الخوف رواه البغوي
في تفسيره وجملة القول في صلوة الخوف ان العدو اذا كان في غير القبلة فرقهم
الامام فرقتين فرقة في وجه العدو والاخرى تصلي معه ركعة فاذا قام الى الثانية فارقته
واتمت لنفسها وذهبت الى وجه العدو ثم جاء الواقفون فاقتدوا به وصلى بهم الثانية
فاذا جلس للتشهد قاموا فاتموا ثانيتهم ولحقوه ويسلم بهم او يصلي بكل فرقة مرة
وهاتان الكيفيتان رواهما الشيخان فان كان العدو في جهة القبلة صلى بهم جميعا
فاذا سجد سجد معه صف سجدتيه وحرس الاخر فاذا قاموا سجد من حرس ولحقوه
وسجد معه الثانية من حرس اولا وحرس الاخر فاذا جلس للتشهد سجد من حرس وسلم
بهما جميعا رواها مسلم فالاولى صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع
والثانية ببطن نخل والثالثة بعسفان وهذه الثلاث من اصح واشهر ما روي في صلوة
الخوف وورا ذلك من الكيفيات المتباينات والخلافات المتعددات بحسب
اختلاف الروايات ما يطول ذكره ويعز حصره قال الامام ابوبكر بن العربي المالكي
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى صلوة الخوف اربعا وعشرين مرة وما ذكرنا
من الكيفيات هو فيما اذا كان الخوف متراخيا اما اذا التحم القتال فيصلي كل منهم
على حسب حاله كيف امكنه رجالا وركبانا مستقبلي القبلة او مستدبريها مع الكر والفر
والضرب المتتابع قال علماؤنا رحمهم الله تعالى وله ذلك في كل قتل مباح وفرار من
امر يخافه على روحه قال المؤلف رحمه الله غفر الله ذنبه واقال عثرته ففي هذا
ادل دليل على ان الصلوة لا رخصة فيها في تركها ولا تحويلها عن وقتها الموقت لها اذ لو
كان ذلك لكان هؤلاء المجاهدون لعدو الاسلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم احق بذلك وبهذا المبين عن سائر العبادات اذ كلها تسقط بالاعذار ويرخص

فيها

فيها بالرخص وتدخلها النيابات ولا يجب القتل في ترك شيء منها وتارك الصلوة يقتل حدا ولا
يحقن دمه اسلامه ثم ان وجوبها منوط بالعقل لا بالقدرة بدليل ما ذكر وان العاجز
عن القيام يصلي قاعدا فان عجز فمضطجعا على جنبه الايمن فان عجز فمستلقيا على قفاه ويومي
بطرفه وبهذا شبهت بالايمان الذي لا يسقط بحال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين العبد وبين الشرك او بين الكفر ترك الصلوة رواه مسلم وقال العهد الذي بيننا
وبينهم ترك الصلوة فمن تركها فقد كفر رواه الترمذي وصححه والاحاديث الواردة
في هذا المعنى كثيرة ولو تتبعتها لبلغت كراريس وسأورد منها ان شاء الله تعالى طرفا
صالحا ان شاء الله تعالى في فضل الصلوة من قسم التتمة بل قال العلماء رحمهم الله تعالى
لو جاء محرم من شقة بعيدة مكابدا ان يدرك عرفة قبل طلوع الفجر ليلة النحر وكان
حينئذ لم يصل العشاء وبقي من وقتها ما لو اشتغل باداها فاته الحج قالوا ليس له تركها
ولا ان يصليها صلوة شدة الخوف على الاصح لانها افضل من الحج ووقتها مضيق والحج
موسع بالعمر ومن اخلاق العامة عظم انكارهم على المفطر في رمضان من غير عذر
وتركهم النكير على تارك الصلوة وليسوا في التغليظ سواء ومن اخلاقهم ايضا انكارهم
على تارك الجمعات ولا ينكرون على تارك الجماعة وشانهما واحد وما اجدر تارك
الصلوة بان يجتنب مساجد المسلمين ومحاضرهم الكريمة وتستقذر مواكلته
ومناكحته ويبكت ويقرع ويعرف بسوء حاله وانه مباح الدم ونرجو بما نرجو لذلك
والله ولي التوفيق وفي هذه الغزوة كانت قصة غورث ابن الحارث وهي ما رويناه
في صحيح البخاري عن جابر انهم لما قفلوا نزلوا منزلا وتفرقوا في الشجر ونزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه قال جابر فنمنا نومة ثم اذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابي جالس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان هذا اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال لي من
يمنعك مني قلت الله فهو ذا جالس قال ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي ان السيف سقط من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني
قال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
واسلم وفي هذه الغزوة ذكر ابن هشام برواية عن ابن اسحق حديث جابر في شراء
النبي صلى الله عليه وسلم جمله وذلك مخالف لاحدى روايات مسلم عن جابر ان ذلك
في اقبالهم من مكة الى المدينة قلت وحديث جابر هذا جامع لانواع من الفوائد
وقد خرجه الشيخان بالفاظ تتفق وتفترق وقد جمع بينهما الحفاظ وردوا بعضها
الى بعض رويناه في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن جابر بن عبد الله قال كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في غزاة فابطا علي جملي واعيى فاتى علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال
جابر فقلت نعم قال ما شانك قلت ابطا علي جملي واعيى فتخلفت فنزل فحجنه بمحجنه

ثم قال اركب فركبت فلقد رايته اكفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تزوجت
قلت نعم قال بكرا ام ثيبا قلت بل ثيبا قال افلا جارية تلاعبها وتلاعبك قلت ان لي
اخوات فاحببت ان اتزوج امراة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن قال اما انك قادم
فاذا قدمت فالكيس الكيس ثم قال اتبيع جملك قلت نعم فاشتراه مني باوقية ثم
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي وقدمت بالغداة فجئنا الى المسجد فوجدته
على باب المسجد قال الآن قدمت قلت نعم قال فدع جملك وادخل فصل ركعتين فدخلت
فصليت وامر بلالا ان يزن لي اوقية فوزن لي بلال فارجح في الميزان فانطلقت حتى
وليت فقال ادع لي جابرا فقلت الآن يرد علي الجمل ولم يكن شي ابغض علي منه
فقال خذ جملك ولك ثمنه فهذه احدى روايات البخاري وباقي رواياته وروايات
مسلم تزيد وتنقص وها انا اذكر ما سنح من فوائد مجموع رواياته ان شاء الله
تعالى من ذلك اختلافهم في اصل الثمن من اوقية الى سبع اواق في رواية البخاري بثمانمائة
وفي رواية بعشرين دينارا واكثر الروايات اوقية لما نقله البخاري عن الشعبي
وعليها حملوا باقي الروايات ومنها ان في احدى رواياته انه اشترط حملانه الى
المدينة ففيه حجة لمالك واحمد ومن وافقهم في جواز مثل ذلك ومنعه الشافعي
وابو حنيفة لحديث النهي عن بيع وشرط والنهي عن بيع الثنيا وتاولوا قصة جابر
لانها قضية عين تتطرق اليها احتمالات كثيرة ومنها ان في رواية ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما ماكسه وطلب منه البيع قال جابر ان لرجل علي اوقية ذهب
فهو لك بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذته بها ففيه دليل ان البيع ينعقد بلفظه
وما يؤدي معناه من الكنايات وقد يحتج به من يمنع انعقاده بالمعاطاة ولا حجة فيه
فان المختار انعقاد البيع بها وانما يكون بحضور العوضين فيعطي وياخذ ومنها ان في
احدى رواياته امهلوا حتى تدخلوا ليلا اي عشاء كي تمتشط الشعثة وتستحد
المغيبة ففيه استعمال مكارم الاخلاق والشفقة على المسلمين والنهي عن تتبع
العورات وليس فيه معارضة لحديث النهي عن الطروق ليلا لانه في من جاء بغتة
واما هؤلاء فقد تقدم خبر مجيئهم والكيس كلمة مشتركة لمعان والمراد منها
هنا حثه على طلب الولد وفيه من الفوائد جواز الوكالة في اداء الدين واستحباب
ارجاح الوزن والزيادة في القضاء لان في رواية انه زاده قيراطا فقال جابر
لا تفارقني زيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظه حتى اصيب منه يوم الحرة
ففيه التبرك باثار الصالحين وفيه جواز البيع ممن لا يعرض سلعته والمماكسة
له ففي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتراني ماكستك لآخذ جملك
الجمل والثمن لك وفيه استحباب نكاح الابكار وجواز ملاعبة النساء وفيه
معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث انبعث جمل جابر بعد ان اعيى

وكل فصار من انشط الابل وفيه منقبة لجابر حيث ترك حظ نفسه لما يصلح لحال اخواته
وفيها كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة وهي غزوة المريسيع قال موسى بن عقبة
كانت سنة اربع وقال ابن اسحق سنة ست وصوب الاول بدليل ان فيها حديث الافك
وجرى ذكر سعد بن معاذ وسعد اصيب يوم الخندق والخندق على الاصح سنة اربع فعلم
بهذا ان المريسيع قبلها وكان من خبر بني المصطلق انهم اجمعوا الحرب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحين علم بهم خرج اليهم واستعمل على المدينة اباذر الغفاري فلقيهم
النبي صلى الله عليه وسلم بالمريسيع من ناحية قديد فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل
منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم وكان شعار المسلمين
يومئذ يا منصور امت امت واصيب يومئذ هشام بن صبابة من المهاجرين بايدي المسلمين
خطا فقدم اخوه مقيس من مكة واظهر الاسلام فامر له النبي صلى الله عليه وسلم بدية اخيه
ثم عدا على قاتل اخيه فقتله ورجع الى مكة مرتدا وفي ذلك يقول

وكانت هموم النفس من قبل قتله ۞ تلم وتحميني وطاء المضاجع ۞ فتحميني
حللت به وتري وادركت ثورتي ۞ وكنت الى الاوثان اول راجع ۞

ثم قتل عام الفتح وهو متعلق باستار الكعبة فنزل فيه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه الآية وفي هذه الغزاة سبب نزول سورة المنافقين وذلك انه اقتتل
مهاجري وانصاري فتداعا الفريقان فانف عبد الله بن ابي وقال لقومه لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا يقول انما حملهم على ذلك نفقاتكم التي تنفقونها عليهم
فلو تركتموهم لاحتاجوا وانفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل في كلام كثير قاله فحمله زيد بن ارقم الانصاري مقالته الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعاتبه النبي صلى الله عليه وسلم فحلف ما قلت شيئا من ذلك وان
زيدا لكاذب وصدقه من حضر من الانصار وكذبوا زيدا ولاموه حتى استحيى وندم
ووقع الخوض في ذلك فارتحل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بهم يومهم
وليلتهم وصدرا من يومهم الثاني ثم نزل بهم فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض
فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغلهم عن الحديث الذي كانوا فيه بالامس ولما وافى
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزلت عليه سورة المنافقين فلما نزلت اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله عز وجل قد صدقك واوفى
باذنك وكان عبد الله ابن ابي بقرب المدينة فلما اراد دخولها منعه ابنه عبد الله
بن عبد الله وقال والله لا تدخلها الا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلى عنه
فلم يلبث عبد الله بن ابي بعدها الا قليلا ومات على نفاقه قالوا ولما نزلت السورة قيل
لعبد الله بن ابي قد نزلت فيك آيات شديدة فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستغفر لك فلوى براسه استكبارا فنزل قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم

رسول الله لو وارد سهم ونزل قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا ولله خزاين السموات الآية اي لا يعطي احد احدا شيئا الا باذنه ولا يمنعه
الا بمشيته وقيل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال ولله خزاين السموات والارض
وقال الجنيد بن محمد البغدادي خزاين السموات الغيوب وخزاين الارض القلوب وكان
ابو بكر الشبلي يقول ولله خزاين السموات والارض فاين تذهبون ولكن المنافقين لا
يفقهون انه اذا اراد امرا يسره وكان من سبايا بني المصطلق ام المؤمنين جويرية بنت
الحارث بن ابي ضرار وكان ابوها قائد الجيش يومئذ وصارت في سهم ثابت بن قيس
بن شماس وكاتبته وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها وكانت
ملاحة من راها اخذتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك خير من ذلك اقضي
كتابتك واتزوجك قالت نعم قال قد فعلت فتزوجها ولما شاع في الناس خبر
تزويجه لها ارسلوا ما بايديهم من سبي بني المصطلق وقالوا اصهار رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت عايشة رضي الله عنها فما اعلم امراة كانت على قومها اعظم بركة منها
فلقد اعتق بسببها ماية اهل بيت وبعد ان اسلم بنو المصطلق بعث اليهم النبي صلى الله
عليه وسلم الوليد بن عقبة بن ابي معيط لياتي بصدقاتهم فتلقوه للاكرام فخافهم
ورجع واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم ارادوا قتله فجاؤا خلفه وحلفوا انما ارادوا
ذلك ثم بعد ذلك بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وامره ان يخفي
عنهم عسكره حتى يستبين امرهم فوجدهم طايعين مؤدين فنزل في الوليد بن عقبة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وفي هذه الغزوة نزلت رخصة التيمم
وسببها ما رويناه في الصحيحين وغيرهما بالفاظ مختلفة وانا ملخص عن عايشة رضي الله
عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالبيداء او بذات
الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس
معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم
واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس
وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول
وجعل يطعن في خاصرتي ولا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله اية
التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت عايشة
فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته واختلفوا في اية التيمم المذكورة
في حديث عايشة فقيل اية المايدة وقيل اية النساء وقال ابن العربي هذه معضلة
ما وجدت لدايها دواء يعني قول عايشة فنزلت اية التيمم قلت والاقرب انها

اية النساء

اية النساء وله دلايل كثيرة والله اعلم ويستفاد من حديث عايشة هذا بعد مقصوده
الاكبر وهو التيمم جواز عارية الحلي وغيره والمسافرة به باذن المعير وذلك لان في
احدى رواياته ان العقد كان لاسماء اعارته عايشة وفيه الاعتناء بحفظ حقوق الناس
وان قلت ولحوق مشقة في حفظها وفيه تاديب الرجل ابنته وان كانت كبيرة مزوجة
خارجة عن بيته واعلم ان التيمم مما خصت به هذه الامة توسيعا لها وشرفا لها لشرف
نبيها قال صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة
وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اما احكام التيمم فانه
يجزي عن كل حدث وشرايطه خمس وجود العذر من سفر او مرض ودخول الوقت
وطلب الماء وتعذر استعماله والتراب الطاهر وفرايضه اربع نية الفرض ومسح الوجه
واليدين الى المرفقين بضربتين فصاعدا والترتيب وسننه التسمية وتقديم اليمنى على
اليسرى والموالاة ويبطله ما ابطل الوضوء ووجود الماء في غير الصلوة وصاحب الجباير
يمسح عليها ولا يعيد ان كان وضعها على طهر ولا يصلي بتيمم واحد اكثر من فريضة
ويتنفل ما شاء الله والله اعلم هذا مذهب الشافعي رحمه الله وسنأتي كيفية
تيممه صلى الله عليه وسلم وما اختاره المحدثون من ذلك في قسم الشمايل ان شاء الله تعالى
وبالله التوفيق وفي هذه الغزوة جرى حديث الافك وقد اتفق على تخريجه
الشيخان والفاظهم فيه متقاربة وقد كفاناها ابو عبد الله الحميدي في الجمع بين
الصحيحين له فرواه عنهما من حديث الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب
وعلقمة بن ابي وقاص الليثي وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عايشة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ما قالوا فبراها الله تعالى مما قالوا
قال الزهري وكلهم حدثني طايفة من حديثها وبعضهم كان اوعى له من بعض واثبت له
اقتصاصا وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عايشة وبعض حديثهم
يصدق بعضا قالوا قالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا
اقرع بين ازواجه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه قالت فاقرع بيننا في غزاة غزاها
فخرج فيها سهمي فخرجت معه بعد ما انزل الحجاب فانا احمل في هودجي وانزل فيه فسرنا حتى
اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة
اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت من شاني
ظفار اقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست
عقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي
فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك
خفافا لم يثقلن ومنهم من قال لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من
الطعام فلم يستنكر القوم حين رفعوا ثقل الهودج ومنهم من قال خفة الهودج

فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها احد ومنهم من قال فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي

فبينا انا جالسة غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فراى سواد انسان نائم فاتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما يكلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه واهوى حتى اناخ راحلته فوطا على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا معرسين

وفي رواية صالح بن كيسان وغيره موغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شاني وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت فيها شهرا والناس يفيضون في قول الافك ولا اشعر وهو يريبني في وجعي اني لا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك يريبني ولا اشعر بالشر حتى خرجت انا وام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وامرنا امر العرب الاول في التبرز من قبل الغائط وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فاقبلت انا وام مسطح وهي ابنة ابي رهم بن المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب حين فرغا فاقبلت انا وام مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شاننا نمشي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه الم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم وقال كيف تيكم فقلت ائذن لي الى ابواي قالت وانا حينئذ اريد ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابواي فقلت لامي يا امتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك الشان فوالله لقلما كانت امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله قالت فاما اسامة فاشار عليه بما يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم في نفسه من الود له فقال اسامة هم اهلك يا رسول الله ولا نعلم والله الا خيرا واما علي بن ابي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت فيها شيئا يريبك

قال له

قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق نبيا ما رايت منها امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن فتاكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن ابي ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل فقال يا رسول الله انا والله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية ومنهم من قال اجتهلته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله والله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح عندي ابواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى اظن ان البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي اذ استاذنت امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني شيء فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد يا عائشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما احس قطرة وقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي اجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت امي والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا جارية حديثة السن لا اقرا كثيرا من القران فقلت اني والله لقد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت اني بريئة والله يعلم اني لبريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا ابا يوسف اذ قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم اني بريئة وان الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحي يتلى ولشاني في نفسي كان احقر من ان يتكلم الله في بامر يتلى ومنهم من قال فلانا احقر في نفسي من ان يتكلم الله

في القرآن في أمري ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئني الله
بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه
وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق
في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه قال فسري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة احمدي الله ومنهم
من قال أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك الله فقالت لي أمي قومي إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل براءتي
فأنزل الله عز وجل إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم العشر الآيات فلما أنزل الله هذا
في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره
والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد أن قال لعائشة ما قال فأنزل الله عز وجل ولا يأتل
أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى إلى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر
بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه من النفقة
وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال يا زينب ما علمت ما رأيت قالت يا رسول الله
أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني
من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع قالت وطفقت أختها
حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني
من حديث هؤلاء الرهط قلت ووراء ذلك زيادات كثيرة ففي رواية قالت
عائشة والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده
ما كشفت من كنف أنثى قالت ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله قيل كان حصورا لا يأتي النساء
وفي رواية أن الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي وفي أخرى أنه حسان
والذي سمي من عصبة أهل الإفك عبد الله بن أبي وحسان ومسطح وحمنة
وروى البخاري في كتاب الاعتصام من جامعه معلقا وأسنده أبو داود أن النبي
صلى الله عليه وسلم جلدهم الحد يعني ثمانين فصل في فوائد هذا الحديث
بعد مقصوده الأعظم وهو تنويه عائشة وبراءتها عن قول أهل الإفك قال
النووي رحمه الله وهي براءة قطعية بنص القرآن فلو تشكك فيها إنسان والعياذ
بالله صار كافرا بإجماع المسلمين قال ابن عباس وغيره لم تزن امرأة نبي قط وفيه
منقبة ظاهرة لعائشة رضي الله عنها وفضيلة لأبيها وأمها وفيه فضيلة لسعد
بن معاذ وأسيد بن حضير وزينب بنت جحش وصفوان بن المعطل ومسطح بن أثاثة
رضي الله عنهم وفيه من الفوائد جواز رواية الحديث الواحد عن جماعة عن كل واحد
منهم قطعة مبهمة إذا كان كل منهم بصفة العدالة وفيه ثبوت القرعة

وقد ثبت

وقد ثبت أصلها من الكتاب والسنة فصارت كالإجماع وفيه أنه يستحب أن يستر على
الإنسان ما يقال فيه إذا لم يكن فائدة وفيه حسن الأدب عند الموجدة بحيث يقلل من
اللطف المعهود ليتفطن له وفيه كراهية الإنسان صديقه إذا آذى أهل الفضل كما صنعت
أم مسطح وفيه فضيلة البدريين وتعظيمهم في قلوب الناس وفيه أن الزوجة لا تذهب
إلى بيت أبيها إلا بإذن زوجها وفيه جواز البحث عن كل أمر يتعلق بالباحث وأما غيره
فمنهي عنه وهو تجسس وفضول وفيه جواز الاستشهاد بالآيات في الأمور العارضات
وفيه استحباب صلة الأرحام مع إساءتهم وأنه يستحب إذا حلف على القطيعة أن يكفر
وفيه إكرام حبيب الحبيب كما ورد في رواية أن عائشة كانت تكرم حسان وترد على من
ينهاها لأنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه سب المتعصب بباطل كما صنع
سعد بن معاذ بسعد بن عبادة رضي الله عنهما فصل أما أحكام القذف فإن كل من
رمى غيره بالزنا وجب عليه الحد وذلك بثمان شرائط ثلث في القاذف وهو أن يكون بالغا
عاقلا حرا عفيفا ويسقط حد القذف بأربعة أشياء إقامة البينة أو عفو المقذوف وإقراره
أو اللعان للزوجة ويعزر قاذف غير المحصن وتقبل شهادة القاذف إذا تاب عند الأكثرين
فائدة روى أهل السير أن صفوان بن المعطل عدا على حسان فضربه بالسيف فوثب ثابت
بن قيس بن شماس على صفوان فجمع يديه إلى عنقه بحبل وانطلق به يقوده فلقيه عبد الله
بن رواحة فنهاه وانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستوهب من حسان ما
أصابه وأعاضه عن ذلك حائطا ووهبه سيرين أمة قبطية وهي أم ولده عبد الرحمن
وقال حسان بن ثابت يعتذر مما قال شعر

حصان رزان ما تزن بريبة	وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حي من لؤي بن غالب	كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد عظم الله خيمها	وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم	فلا رفعت سوطي إلي أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي	لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم	تقاصر عنه سورة المتطاول
فإن الذي قد قيل ليس بلائط	ولكنه قول امرئ بي ماحل

وفي المتفق عليه من حديث مسروق بن الأجدع قال دخلت على عائشة وعندها حسان
ينشدها شعرا فقال حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها أتأذنين له أن يدخل عليك
وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد
من العمى وقالت إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه
السنة وقيل في الخامسة كانت غزوة الخندق وسببها على ما ذكروا أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما اجلى بني النضير جعل رئيسهم حيي بن اخطب يسعى بالقبائل وذهب الى مكة في رجال من قومه ودعوا قريشا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهم انهم اهدى سبيلا منه وفيهم نزل قوله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية فلما اجابتهم قريش تقدموا الى قبائل قيس عيلان فدعوهم الى مثل ذلك فاجابوهم فسارت تلك القبائل ولما علم بهم النبي صلى الله عليه وسلم شرع في حفر الخندق بمشورة سلمان الفارسي وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فجهدوا انفسهم في حفره متنافسين في الثواب لا ينصرف احد منهم لحاجة الا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم يكابد معهم وهنا في صحيح البخاري عن البراء بن عازب قال رايته صلى الله عليه وسلم ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنا الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر يرتجز بشعر ابن رواحة

والله لولا الله ما اهتدينا • ولا تصدقنا ولا صلينا •
فانزلن سكينة علينا • وثبت الاقدام ان لاقينا •
ان الاولى قد بغوا علينا • اذا ارادوا فتنة ابينا •

ويرفع بها صوته ابينا ابينا ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم يحملون التراب على متونهم وراى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له • نحن الذين بايعوا محمدا • على الجهاد ما بقينا ابدا • ومرة ارتجزوا باسم رجل من المسلمين كان اسمه جعيلا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا • سماه من بعد جعيل عمرا • وكان للبائس يوما ظهرا • فيجيبهم صلى الله عليه وسلم في قول ظهرا عمرا وجرى في اثناء حفر الخندق معجزات باهرة وبركات ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كحديث جابر وابي طلحة وضيافتهما وخبر الكدية التي عرضت لهم في الخندق وغير ذلك مما ستراه مبينا في قسم المعجزات من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ولما فرغوا من الخندق اقبلت جموع الاحزاب كما قال الله تعالى اذ جاءكم من فوقكم اي من قبل المشرق وهم اسد وغطفان في الف عليهم عوف بن مالك النضري وعيينة بن حصن الفزاري في قبائل اخر ونزلوا الى جانب احد ومن اسفل منكم وهم قريش وكنانة والاحابيش ومن انضاف اليهم من اهل تهامة عليهم ابو سفيان بن حرب في عشرة آلاف فنزلوا برومة من وادي العقيق وخرج صلى الله عليه وسلم في ثلاثة آلاف وجعل ظهره الى سلع والخندق بينه وبين العدو وامر بالنساء والذراري فرفعوا في الآطام ولما نزلت جموع الاحزاب مبادرة لهم اشتد الحصار على المسلمين ونجم النفاق واضطرب ضعفاء الدين كما قال تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وما بعدها من

الآيات الى قوله وكان الله على كل شيء قديرا وزاد الامر اشتدادا ان تقدم حيي بن اخطب الى كعب بن اسيد سيد بني قريظة وسأله ان ينقض العهد الذي بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى عليه فلم يزل يخادعه بقول الزور ويمنيه اماني الغرور حتى سمح له بالنقض على ان اعطاه العهد لئن رجعت تلك الجموع خائبة ان يرجع معه الى الحصن يصيبه ما اصابه ولما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نقض بني قريظة بعث اليهم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه في الجاهلية وبعث معه سعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير وقال لهم ان وجدتموهم ناقضين فالحنوا لحنا اعرفه ولا يفهمه الناس وان وجدتموهم على الوفاء خبروني ظاهرا فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم وشاتموهم فلما رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا عضل والقارة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والحارث بن عوف المري قائدي غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يفرقا الجمع وبعد المراوضة في ذلك استشار صلى الله عليه وسلم السعدين سيدي الانصار فقالا يا رسول الله امر امرك الله به لا بد منه ام امر تحبه فنصنعه ام لنا فقال بل لكم رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فاردت ان اكسر شوكتهم فقال سعد بن معاذ قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك وهم لا يطمعون منا الا قرى او بيعا افحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت وذاك وترك ما كان هم به من ذلك ثم اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو ليس بينهم قتال الا الرمي بالنبل والحصا ومرة جاء عكرمة بن ابي جهل وعمرو بن عبد ود في فوارس من قريش فلما وقفوا على الخندق قالوا ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم اقتحموا خيولهم مكانا ضيقا من الخندق وجالوا في السبخة فخرج اليهم علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين فاخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموها واقبلت خيل قريش نحوهم فقتل علي عمرو بن ود والقى عكرمة بن ابي جهل رمحه وولوا منهزمين ففي ذلك قال حسان

فر والقى لنا رمحه • لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم • ما ان تجور عن المعدل
ولم تلو ظهرك مستانسا • كان قفاك قفا فرعل

وسقط نوفل بن عبد الله المخزومي في الخندق فنزل اليه علي فقتله واصيب يومئذ سعد بن معاذ رماه حبان بن العرقة بسهم في الاكحل فقال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة ومن دعائه صلى الله عليه وسلم على الاحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وقال ايضا ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس رواهما البخاري

ثم كان من مقدمات اللطف ان جاء نعيم بن مسعود الغطفاني ثم الاشجعي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وقال يا رسول الله ان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انما انت رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب
خدعة والمعنى ان المماكرة هنا انفع من المكاثرة وكما قالوا رب حيلة انفع من قبيلة
ثم ان نعيم بن مسعود جاء الى اليهود واخبرهم ان قبايل العرب ينصرفون ويتركونكم ومحمدا
ولا طاقة لكم به فيرجع الشوم والوبال عليكم فاتخذوا منهم رهاين لان لا ينصرفوا عنكم
حتى يناجزوا محمدا فصدقوه في ذلك وتصادقوا ثم جاء الى قريش واخبرهم ان اليهود قد
ندموا وباطنوا محمدا ووعدوه ان يتخذوا منكم رهاين فيلقوا بهم اليه فيقتلهم واخبر غطفان
بمثل ذلك في كلام كثير زخرفه وروقه واوهم كلا منهم في الاخر ولما اصبحوا احشدت
العرب للحرب وارسلوا الى اليهود لينهضوا معهم فاعتذروهم بانه يوم سبت وانهم
لا ينطلقون معهم حتى يعطوهم رهاين يدعوهم للمناجزة فصدقوا نعيم بن مسعود فيما كان
حدثهم به ووقع في قلوبهم الوهن والتخاذل وافترقت عزايمهم وارسل الله سبحانه
عليهم ريح الصبا في برد شديد فقلبت قدورهم وقلعت خيامهم واسقطت كل قايمة لهم وجالت الخيل
بعضها في بعض وكثر تكبير الملايكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان
هلم فاذا اجتمعوا عنده قالوا النجا النجا اتيتم ففي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وفيه ايضا نصرت بالرعب مسيرة شهر وفيه ايضا
عن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب من ياتينا بخبر
القوم فقال الزبير انا ثم قال من ياتينا بخبر القوم فقال الزبير انا ثم قال من ياتينا بخبر
القوم فقال الزبير انا قال ان لكل نبي حواري وحواريي الزبير وكان اخر رسول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم حذيفة بن اليمان كما روينا ذلك في صحيح
مسلم عن ابرهيم التيمي عن ابيه قال كنا عند حذيفة فقال رجل لو ادركت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وابليت فقال حذيفة انت كنت تفعل ذلك لقد رايتنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب واخذتنا ريح شديدة وقر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل ياتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم
القيمة فسكتنا فلم يجبه منا احد فقال الا رجل ياتينا بخبر القوم جعله الله
معي يوم القيمة فسكتنا فلم يجبه منا احد فقال الا رجل ياتينا بخبر القوم جعله
الله معي يوم القيمة فسكتنا فلم يجبه منا احد فقال قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم فلم
اجد بدا اذ دعاني باسمي ان اقوم قال اذهب فاتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي فلما
وليت من عنده جعلت كانما امشي في حمام حتى اتيتهم فرايت ابا سفيان يصطلي
على النار فوضعت سهما في كبد القوس فاردت ان ارميه فذكرت قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم علي ولو رميته لاصبته فرجعت وانا امشي في مثل

فسكتنا فلم يجبه منا احد ثم قال الا رجل ياتينا بخبر القوم

الحمام

الحمام فلما اتيته فاخبرته خبر القوم وفرغت قررت فالبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم ازل نايما حتى اصبحت فلما اصبحت قال قم يا نومان
ورواه ابن اسحق بزيادات وفيه فلما راى ابو سفين ما فعلت الريح وجنود الله بهم لا تقر
لهم قدرا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش لياخذ كل رجل منكم بيد جليسه فلينظر
من هو قال حذيفة فاخذت بيد جليسي فقلت من انت فقال سبحان الله اما تعرفني انا
فلان بن فلان فاذا رجل من هوازن فقال ابو سفين يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم
بدار مقام لقد هلكت الكراع واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم الذي نكره ولقينا
من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه
ثم ضربه فوثب به على ثلث فما اطلق عقاله الا وهو قايم فسمعت غطفان بما فعلت قريش
فاستمروا راجعين الى بلادهم وذكر تمام الحديث ولما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم
خبر انصرافهم قال الان نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم وكان يقول في كثير
من المواطن شكرا لله وتذكرا لما اولاه لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده
وغلب الاحزاب وحده فلا شي بعده وكان مدة حصار الخندق بضعا وعشرين ليلة
قريبا من شهر وقيل خمس عشرة يوما وكان شعار المسلمين حم لا ينصرون واستشهد
من المسلمين يومئذ ستة نفر وقتل من المشركين ثلثة وممن اسلم في هذا العام نوفل بن الحرث
بن عبد المطلب الهاشمي وقيل اسلم ببدر وكان من اسارها ونوفل هذا ممن ثبت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين واعانه عند الخروج اليها بثلثة الاف
رمح وفيها غزوة بني قريظة وسببها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصبح من
ليلة منصرف الاحزاب وكان وقت الظهر وضع السلاح واغتسل اتاه جبريل وهو
ينفض راسه من الغبار فقال وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال
النبي صلى الله عليه وسلم فاين فاشار الى بني قريظة فنادى منادي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة وقدم النبي صلى الله عليه وسلم برايته
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم سار خلفه قال انس كاني انظر الى الغبار ساطعا
في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بني قريظة رواه البخاري وادركتهم صلوة العصر في الطريق فصلاها قوم
اخذوا بمفهوم اللفظ وامتنع اخرون فلم يصلوها الا في بني قريظة لبلا اخذين بظاهره
فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم احدا منهم ولما نزل صلى الله عليه وسلم بساحتهم
واشتدت عليهم قطانه ارسلوا اليه ان ارسل الينا ابا لبابة فارسله اليهم فلما جاءهم
تلقاه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم لو لاه له منهم فقالوا اترى ان ننزل
على حكم محمد فقال نعم واشار بيده الى حلقه يعني ان حكمه القتل ثم ندم ابو لبابة وعلم
انه قد خان الله ورسوله فلم يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم بل راح الى المسجد وربط

بنا

فيهم

نفسه بسارية واقام على ذلك سبعة ايام لا يذوق ذوافا حتى خر مغشيا عليه فتاب الله عليه
ونزل فيه اولا يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول الاية وفي اية توبته وءاخرون
اعترفوا بذنوبهم الاية ولم يطا بلد بني قريظة بعدما وكان له بها اموال واشجار
وقد كان بنوا قريظة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبل منهم ما قبل من اخوانهم
بني النظير فابا عليهم فحين تبين لهم انه غير قابل منهم ما قبل من وانسدت عليهم ابواب
الحيل وانقطع رجاوهم من كل امل نزلوا على حكمه فجاء حلفاؤهم الاوس شافعين فيهم
كما شفعت الخزرج في حلفائهم بني قينقاع وكان الاوس والخزرج متغايرين لا يصنع
احداهما شيئا الا صنعت الاخرى مثلها من ذلك انه لما قتل الاوس كعب بن الاشرف بامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت الخزرج قتل ابي رافع فقتلوه فلما شفعت الاوس
في بني قريظة قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الا ترضون ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى
قال فذلك الى سعد بن معاذ وقد كان سعد جعله النبي صلى الله عليه وسلم في خيمة
في جانب مسجده ليعوده من قريب فاتاه قومه فاحتملوه على حمار واقبلوا به وهم يقولون
يا ابا عمرو احسن في مواليك فقال لهم قد ان لسعد ان لا تاخذه في الله لومة لايم فجنئذ
ايس قومه من بني قريظة ونعوهم الى اهليهم قبل ان يحكم ولما اقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال لمن عنده قوموا الى سيدكم فقيل اراد بها الانصار خاصة وقيل عم الكل فحكم
سعد بقتل الرجال وقسمة الاموال وسبي الذراري والنساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد حكمت بحكم الله وربما قال بحكم الملك فحبسهم النبي صلى الله عليه وسلم في بيت واحد
وخد لهم اخاديد في موضع سوق المدينة وخرج بهم ارسالا لا تضرب اعناقهم ثم يلقون
في الاخاديد وترك منهم من لم ينبت فممن ترك لعدم الانبات عطية القرظي جد محمد
بن كعب المفسر الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من الكاهنين رجل يدرس القران
درسا لم يدرسه احد قبله ولا يدرسه احد بعده وحين كانوا يخرج بهم للقتل قالوا
لكعب بن اسد اين يذهب بنا فقال افي كل موطن لا تعقلون اما ترون الداعي لا
ينزع وان من ذهب منكم لا يرجع وهو والله القتل ولما خرجوا بحيي بن اخطب نظر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن
من يخذله الله يخذل ففي ذلك قال جبل بن جوال الثعلبي

لعمرك ما لام ابن اخطب نفسه • ولكنه من يخذل الله يخذل •
لجاهد حتى ابلغ النفس عذرها • وقلقل يبغي العز كل مقلقل •

وكان عدد من قتل منهم ستمائة او سبعمائة وقيل بين الثمانمائة والتسع وكان
مدة حصارهم خمسا وعشرين او احدى وعشرين ليلة ثم قسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اموالهم للفارس ثلثة اسهم وللراجل سهما واخرج منها الخمس وكان
نساؤهم وذراريهم سبعمائة وخمسين وقيل تسعمائة وبعث النبي صلى الله عليه وسلم

بعضهم

بعضهم الى نجد ليشترى له بها خيل وسلاح ولما انقضى شان قريظة استجاب الله دعوة سعد
فانفجر جرحه فلم يرعهم وهم في المسجد الا والدم يسيل اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما
هذا الدم الذي ياتينا من قبلكم فاذا سعد يغذو جرحه دما قالت عايشة فو الذي   يعد
نفسي بيده اني لاعرف بكا ابي بكر من بكاء عمر وروي ان جبريل عليه السلام نزل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له من الذي فتحت له ابواب السماء واهتز له عرش الرحمن
فخرج صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مسرعا فاذا سعد قد قبض وفي هذا المعنى انشدوا

• وما اهتز عرش الله من موت هالك • سمعنا به الا لسعد ابي عمرو •

وفي حديث انه نزل في جنازته من الملئكة سبعون الفا ما وطئوا الارض قبل ذلك
ولما احتمل نعشه ندبته امه كبشة بنت رافع الخدرية فقالت

• ويل ام سعد سعدا • صرامة وحدا • وسوددا ومجدا • وفارسا معدا •
• سد به مسدا • يقدها ما قدا • قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ان للقبر لضمة ولو كان احد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ ومناقب سعد
بن معاذ رضي الله عنه كثيرة ساد قومه على حداثة سنه وحين اسلم قال لهم كلام رجالكم
ونسائكم علي حرام حتى تسلموا فاسلموا جميعا من يومهم وشهد بدرا واحدا والخندق
وما قبلها وله في نصر الاسلام مقامات جليلة ومشاهد جميلة وختم الله له بالشهادة
فمات حميدا شهيدا فقيدا رضي الله عنه • قال اهل التواريخ وحرمت الخمر بعد الاحزاب   ب
بايام وقيل بعد احد وكان تحريمها على التدريج قيل والحكمة فيه انها قد كانت من افضل
معايشهم واشربتها قلوبهم فلو فجاهم تحريمها والعزيمة في تركها دفعة واحدة
لاستعظموه فنزل اولا بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
ورزقا حسنا ثم نزل بالمدينة جوابا لمن سال عنها يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما
اثم كبير ومنافع للناس فمنهم من شربها بعد ذلك ومنهم من تركها ثم صنع
عبد الرحمن بن عوف طعاما ودعا رجالا فسقاهم الخمر وحضرت الصلوة فصلى بهم احدهم
بقل يا ايها الكفرون وحذف منها لا في جميعها فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فكانوا بعدها يشربونها بعد العشاء فيصبحون
وقد صحوا ثم صنع عبد الرحمن بن عوف وقيل عتبان بن مالك طعاما ودعا رجالا
فاكلوا وشربوا الخمر وتناشدوا الشعر وتطاول كل منهم على الاخر فاخذ انصاري
لحي بعير وضرب به راس سعد بن ابي وقاص فشجه فانزل الله تعالى العزيمة في تحريمها
بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من
عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون وفي اثناء ذلك من محاذيرها ما اشتهر
في صحيح البخاري وغيره من قصة حمزة مع علي رضي الله عنهما في امر الشارفين وقد
كان قبل تحريمها والتشويش فيها تركها كثيرون من اجل فقد العقل واللب

ولكن مما لا تدين به ثم اجمع المسلمون على تحريم الخمر ووجوب الحد في شربها ولو جرعة واحدة لا تسكر وجلد صلى الله عليه وسلم فيها بالجريد والنعال وكذلك ابو بكر فلما كان عمر ووقع الرخا وتتابع الناس فيها استشار الناس فقال له عبد الرحمن بن عوف ارى ان تجعلها كاخف الحدود يعني حد القذف فجلد ثمانين قال الشافعي رحمه الله تعالى الذي لا بد منه اربعون وما زاد على ذلك موقوف على راي الامام واعلم ان الخمر من الكبائر المجالبة للذ وابر قال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ان حتما على الله ان لا يشربه عبد في الدنيا الا سقاه الله يوم القيمة من طينة الخبال اهل تدرون ما طينة الخبال قالوا لا قال عرق اهل النار وقال ايضا لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه واكل ثمنها وقال جعلت المعاصي كلها في بيت وجعل مفتاحها شرب الخمر السنة الخامسة

وما انطوت عليه فيها وقيل في السادسة او التاسعة او العاشرة افترض الحج فنزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقد كان قبل ذلك مما تدين به الجاهلية مع احداث احدثوها فيه خلاف ملة ابرهيم صلى الله عليه وسلم وقد حج معهم النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة وخالفهم فيما خالفوا من شرع ابرهيم واعلم ان الحج من اركان الاسلام ودعايمه العظام بدليل قوله عليه افضل الصلوة والسلام بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم رمضان رواه الايمة واللفظ للبخاري ورووا ايضا واللفظ لمسلم عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة مسايلهم واختلافهم على انبيايهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه ثم ان وجوبه اجماع وانكرته الملحدة حيث عرضوا افعاله على عقولهم السخيفة كالتجرد عند الاحرام والوقوف والرمي والرمل فحين لم يعرفوا وجه الحكمة فيها والمراد بها جانبوه جملة فكفروا وجهلوا اذا لم يعلموا ان الواجب على العبد امتثال احكام المولى فيما يريد وانقياد اراء العقول لما جاء به الرسول عرف وجه الحكمة في ذلك او جهل ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول في تلبيته لبيك حقا حقا تعبدا ورقا وكذلك العمرة وقال قوم تجب في كل خمسة اعوام من لحديث ان عبدا وسعت عليه في الرزق لم يفد الي في كل خمسة اعوام مرة لمحروم وهو حديث لا يصح ويرده الاجماع ايضا واعلم ان وجوبه بعد الاستطاعة على التراخي وقال بعض المالكية على الفور وقال بعضهم ان اخره بعد ستين فسق وردت شهادته لقوله صلى الله عليه وسلم

اعمار

اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين وكانه في هذه العشر قد تضايق عليه الخطاب وقلت وهذا قول حسن يؤيده قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال علي وابن عباس هو ستون سنة وذوينا في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة واحسن مما قالوا ان يقال انه بعد الستين يتضيق عليه الامر ويتوجه عليه اللوم ولا ينتهي حاله فيما بعدها كما قبلها من غير تعد الى الفسق والجرح لان حرج من صحت عدالته عسير والله اعلم قال العلماء رحمهم الله لوجوبه خمسة شروط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة فاما الكافر والمجنون فلا يجب عليهما ولا يصح منهما واما العبد والصبي فلا يجب عليهما ويصح منهما تطوعا لا يسقط به فرض الاسلام وغير المستطيع لا يجب عليه ويصح منه ويجزي به عن الفرض والمستطيع نوعان مستطيع بنفسه وبغيره فالمستطيع بنفسه من قدر على الذهاب ووجد مؤنته ذهابا وايابا فاضلة عن من تلزمه نفقتهم وعن دينه والمستطيع بغيره ان يكون عاجزا لكبر او مرض لا يرجا برؤه وله مال فيلزمه ان يستاجر من يؤدي عنه فرضه ولو لم يكن له مال ووجد من يطيعه لزمه ان يامره واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف وطواف الافاضة والسعي والحلق وواجباته ستة الاحرام من الميقات والجمع بين الليل والنهار بعرفات والمبيت بمزدلفة ليلة النحر والمبيت ليالي منى للرمي والرمي وطواف الوداع ويسقط عن الحايض والنفسا فمن ترك ركنا لم يصح حجه ولا يحل من احرامه حتى ياتي به وثلثة منها لا تفوت ما دام حيا وهي الطواف والسعي والحلق واما الواجبات فمن ترك منها شيا صح حجه وعليه دم اما سننه وتفاصيل اعماله ومحظوراته فهي واسعة ليس هذا موضع بسطها وسنبا في جمل من ذلك في حجة النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع والله اعلم ومن حوادث هذه السنة قدوم ضمام بن ثعلبة اخي بني سعد بن بكر من اهل رضاع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان قدومه سنة سبع او تسع وقد روينا حديثه في الصحيحين بالفاظ ومعان مختلفة وحملني ذلك على ان اتي بكل منها على حدته اما رواية البخاري فقال رحمه الله حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن سعيد المقبري عن شريك بن عبد الله بن ابي نمر انه سمع انس بن مالك يقول بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد دخل رجل على جمل فاناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم ايكم محمد والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الابيض المتكئ فقال له الرجل يا ابن عبد المطلب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد اجبتك فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم اني سايلك فمشدد عليك في المسالة فلا تجد علي في نفسك فقال سل عما بدا لك فقال اسالك بربك ورب من قبلك الله ارسلك الى الناس كلهم فقال اللهم نعم قال انشدك بالله الله امرك ان نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة قال اللهم نعم

قال انشدك بالله الله امرك ان نصوم هذا الشهر من السنة قال اللهم نعم قال انشدك بالله
الله امرك ان تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم نعم فقال الرجل امنت بما جئت به وانا رسول من ورائي من قومي وانا
ضمام بن ثعلبة اخو بني سعد بن بكر وزاد وابة مسلم فقال رحمه الله حدثني عمرو
بن محمد بن بكير الناقد حدثنا هشام بن القسم ابو النضر حدثنا سليمن بن المغيرة
عن ثابت عن انس بن مالك قال نهينا ان نسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان
يعجبنا ان يجيء الرجل من اهل البادية العاقل فيسئله ونحن نسمع فجاء رجل من اهل البادية
فقال يا محمد اتانا رسولك فزعم لنا انك تزعم ان الله ارسلك قال صدق قال فمن خلق
السماء قال الله قال فمن خلق الارض قال الله قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل
قال الله قال فبالذي خلق السماء وخلق الارض ونصب هذه الجبال الله ارسلك قال نعم
قال وزعم رسولك ان علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا قال صدق قال فبالذي
ارسلك الله امرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا زكوة في اموالنا قال صدق
قال فبالذي ارسلك الله امرك بهذا قال نعم قال وزعم رسولك ان علينا صوم رمضان شهر
في سنتنا قال صدق قال فبالذي امرك ارسلك الله امرك بهذا قال نعم قال وزعم ان
رسولك ان علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال صدق قال ثم ولى قال
والذي بعثك بالحق نبيا لا ازيد عليهن ولا انقص منهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لئن صدق ليدخلن الجنة قال فمن فوائد هذا الحديث حسن سؤال هذا الرجل وملاحة
سياقه وترتيبه فانه سال اولا عن صانع المخلوقات من هو ثم اقسم عليه به ان
يصدقه في كونه رسولا للصانع ثم لما وقف على رسالته وعلمها اقسم عليه بحق
مرسله وهذا ترتيب يفتقر الى عقل رصين قاله صاحب التحرير قال ابن الصلاح وفيه
دلالة على صحة ما ذهب عليه ايمة العلماء من ان العوام المقلدين مؤمنون وانه
يكتفى منهم بمجرد اعتقاد الحق جزما من غير شك وتزلزل خلافا لمن انكر ذلك من المعتزلة
وذلك انه صلى الله عليه وسلم قرر ضماما على ما اعتمد عليه في تعرف رسالته وصدقه
ومجرد اخباره اياه بذلك ولم ينكر عليه ذلك ولا قال يجب عليك معرفة ذلك بالنظر في
معجزاتي والاستدلال بالادلة القطعية قال ابو عبد الله البخاري واحتج بعضهم
في القراءة على العالم بحديث ضمام بن ثعلبة قال للنبي صلى الله عليه وسلم الله امرك ان
نصلي الصلوة قال نعم قال فهذه قراءة على النبي صلى الله عليه وسلم اخبر ضمام قومه
بذلك فاجازوه وفيه الاكتفاء بخبر الواحد وفيه غير ذلك من ذلك والله اعلم
وفي هذه السنة او في الثالثة زوج الله النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
الاسدية وهي ابنة عمته اميمة بنت عبد المطلب نطق بذلك التنزيل وكان
لزواجها شان جليل روى المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خطبها

اولا

اولا لمولاه زيد بن حارثة الكلبي وكان النبي صلى الله عليه وسلم اعتقه وتبناه فكرهته
زينب وترفعت عليه بنسبها وجمالها وتبعها اخوها عبد الله بن جحش على ذلك فانزل الله تعالى
فيهما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم
فلما سمعا ذلك رضيا وجعلا الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها النبي صلى الله
عليه وسلم زيدا واعطاها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة
وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر فمكثت عنده زيد حينا ثم جاء الى النبي صلى
الله عليه وسلم يشكوها ويستشيره في طلاقها فقال له امسك عليك زوجك واتق الله
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبره ربه تبارك وتعالى قبل ذلك انها ستكون من
ازواجه ففي ذلك نزل قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بالاسلام وانعمت عليه
يعني بالعتق امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسه ما كان الله اعلمه من
انها ستكون زوجته فعتب الله عليه يقول لم قلت امسك عليك زوجك وقد علمت انها
ستكون من ازواجك هذا معنى ما روى عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
وهو اشد الاقاويل واليقها بحال الانبياء واكثرها مطابقة لظاهر التنزيل لان الله
سبحانه قال وتخفي في نفسك ما الله مبديه ولم يبدي سبحانه غير تزويجها منه فقال
زوجناكها وانما اخفاه صلى الله عليه وسلم استحيا من زيد وخشية ان تجد اليهود
والمنافقون بذلك سبيلا الى التشنيع على المسلمين حيث يقولون تزوج محمد زوجة ابنه
بعد نهيه عن نكاح حلايل الابناء فعاتبه الله على ذلك ونزهه عن الالتفات اليهم فيما
احله له كما عاتبه على مراعات ازواجه رضي الله عنهم في قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
تبتغي مرضات ازواجك فهذا معنى قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وقد قال
صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله واتقاكم له وقد خطأ القشيري والقاضي عياض
وغيرهما من روى من المفسرين ان النبي صلى الله عليه وسلم لما راها اعجبته ووقع في
قلبه حلبة حبها واحب طلاق زيد لها قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي ابنة
عمته ولم يزل يراها مذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو
الذي زوجها لزيد قال القاضي عياض ولو كان ذلك لكان فيه اعظم الحرج وما لا
يليق به من مد عينيه الى ما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم
الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقيا فكيف سيد الانبياء ولما طلقها زيد وانقضت عدتها
منه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليخطبها له قال زيد فلما رايتها عظمت في صدري
حتى ما استطيع انظر اليها ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها
ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك
قالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران فجاء رسول الله

علمه بسلم

استطيع

صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن رواه مسلم قال انس كانت زينب تفتخر على
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع
سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث
ما من نسائك امراة تدل بهن ان جدي وجدك واحد وانكحنيك الله في السماء
وان السفير جبريل عليه السلام ومن مناقبها ايضا قوله صلى الله عليه وسلم لازواجه
اسرعكن بي لحوقا اطولكن يدا يعني الصدقة فكانت اولهن موتا بعده وقال انس ما
اولم النبي صلى الله عليه وسلم على امراة من نسائه اكثر وافضل مما اولم على زينب
فقال له ثابت البناني بم اولم قال اطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه رواه مسلم ٭
اما شان الحجاب فروينا في صحيح البخاري عن انس رضي الله عنه انه كان ابن عشر
سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال وكان امهاتي يواظبني على
خدمته فخدمته عشر سنين وتوفي وانا ابن عشرين سنة فكنت اعلم الناس بشان الحجاب
حين انزل وكان اول ما نزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
اصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي
رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج
وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة
حجرة عايشة رضي الله عنها ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع فرجعت معه حتى اذا دخل
على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ
عتبة حجرة عايشة وظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب
النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر وانزل الحجاب قال ابو عثمن عن انس فدخل
يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه الى قوله
والله لا يستحيي من الحق وعن انس قال صنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور
فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك
امي وهي تقريك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل يا رسول الله قال فذهبت بها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان امي تقريك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل
يا رسول الله فقال ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت وسمى
قال فدعوت من سمى ومن لقيت قال قلت لانس عددكم كانوا قال زهاء ثلاثمائة وقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس هات التور قلت قال فدخلوا حتى امتلات الصفة
والحجرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان
مما يليه قال فاكلوا حتى شبعوا قال فخرجت طايفة ودخلت طايفة حتى اكلوا كلهم
فقال لي يا انس ارفع قال فرفعت فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت

قال

قال وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس وزوجته مولية وجهها الى الحائط وساق خبر الحجاب متفق عليه واللفظ
لمسلم ففي احدى رواياته ان ذلك كان في زواج زينب وقد سبق انه اولم عليها بشاة قال
القاضي عياض فهو وهم من بعض الرواة وتركيب قصة على اخرى وقال غيره بل يحتمل انه
اجتمع فيه الامران قال المؤلف غفر الله زلته واقال عثرته وفي هذه الجملة السابقة
من شان زواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها جمل من الفوايد منها التنويه
بقدر المصطفى والابانة عن عظيم مكانته عند ربه تعالى وانه يحب ما احب ويكره ما كره
وقد قالت له عايشة عند نزول قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء
ما ارى ربك الا يسارع في هواك وفيه عظيم حيائه صلى الله عليه وسلم حيث دخل وخرج
ارادة ان يخرجوا واباان يواجههم بما يكرهون حتى نطق الحق عنه بالحق وحرم على الخلق اذاه
واوجب عليهم تعزيره وتوقيره وايثاره فيما يحبه ويهواه وسياتي ان شاء الله تعالى
في قسم الخصايص ما ذكره علماؤنا انه صلى الله عليه وسلم متى رغب في نكاح امراة فان
كانت من زوجة وجب على زوجها مفارقتها له وان كانت خلية وجب عليها الاجابة وفيه
مناقب جمة لزينب بنت جحش وفضيلة لاخيها ايضا وفيه منقبة ظاهرة لزيد بن حارثة
رضي الله عنه حيث ذكره الله سبحانه في كلامه القديم مرتين مرة بالاشارة التي تنوب
مناب الصريح ومرة بالتصريح باسمه العلم وجعله قرانا يتلى في المحاريب على تداول القرون
ولم يكن هذا لغيره من الصحابة رضي الله عنهم ومنها ان الادب لباعث الهدية ان يعتذر
ويحقرها عند المبعوث اليه ومنها تاكيد سنة الوليمة وان لا تهمل وان دقت
ووجوب اجابة داعيها ومنها نزول الحجاب وفيه مصالح جليلة وعوايد في الاسلام
جميلة ولم يكن لاحد بعده النظر الى اجنبية لشهوة او بغير شهوة وعفي عن نظرة
الفجاة والله اعلم ومن حوادث هذه السنة انه صلى الله عليه وسلم ركب فرسا الى الغابة
فسقط عنه فجحش فخذه الايمن فاقام في البيت اياما يصلي قاعدا وعاده اصحابه فصلوا خلفه
قعودا ثم نسخ ذلك في مرض موته صلى الله عليه وسلم صلى قاعدا والناس خلفه قياما ٭
وفيها غزا صلى الله عليه وسلم غزوة دومة الجندل واستعمل على المدينة سباع
بن عرفطة الغفاري ورجع صلى الله عليه وسلم من الطريق قبل ان يصل اليها وفيها
غزوة بني لحيان من هذيل بن مدركة بعد بني قريظة بثلثة اشهر وكانت لطلب الثار
لخبيب بن عدي واصحابه وخرج صلى الله عليه وسلم فيها مورِّيا بطريق الشام فلما بلغ البتر
صفق ذات اليسار فلما بلغ منازلهم وجدهم قد حذروا وتمنعوا رؤوس الجبال فانحدر راجعا
السنة السادسة ويتوارخها مما ذكر فيها الاستسقا والكسوف وقد ثبت
مشروعيتهما وكونهما سنة بالاحاديث الصحيحة الصريحة اما الاستسقا فثبت في
الصحيحين عن عبد الله بن زيد بن عاصم المازني الانصاري قال خرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم فاستسقى واستقبل القبلة وقلب رداءه ثم صلى ركعتين زاد البخاري جهر فيهما بالقراءة زاد أبو داود بإسناد حسن وقلب رداءه وجعل ما على الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن وقلبه ظهرا لبطن وفي رواية له أيضا أنه كان عليه خميصة سوداء فأراد أن يأخذ بأسفلها فيجعله أعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه قال العلماء إذا أجدبت الأرض أمر الإمام الناس بالتوبة والخروج من المظالم وصيام ثلاثة أيام قال بعضهم يتحتم هذا الصيام ويجب واستدل بقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم قلت ولا يبعد أن يقاس عليه جميع ما يأمر به الإمام من المصالح ثم يخرج بهم في اليوم الرابع صياما لأنه ورد أن دعوة الصائم لا ترد ويخرجون في ثياب بذلة واستكانة ويصلي بهم ركعتين كالعيد ثم يخطب بهم خطبتين ويجعل مكان التكبير فيهما الاستغفار فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ويكثر من الاستغفار ويكرره فمدار الاستسقاء عليه ويقول في الخطبة الأولى اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدقا مجللا سحا عاما طبقا دائما اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا اللهم إن بالخلق من اللأواء والضنك ما لا نشكو إلا إليك اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض روى جميع ذلك الشافعي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ويستحب للعامة أن يلحوا على صلحائهم وأئمتهم ليسألوا الله لهم في المكتوبات والجمع وجميع الأحوال لما ورد في الصحيحين عن أنس أن سليكا الغطفاني دخل يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يخطب فقال يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا قال أنس فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا ولا بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يخطب فاستقبله قائما فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال والظراب والأودية ومنابت الشجر فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس لفظ البخاري وفي رواية له حتى سال وادي قناة شهرا قال فلم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود وفي أخرى ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته صلى الله عليه وسلم وفي أخرى عن ابن عمر وربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب

وابيض

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه قال أجل ويستحب للإمام أن ينصب الصلحاء من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن غيرهم عند الاستسقاء كما اشتهر في صحيح البخاري وغيره أن عمر كان يستسقي بالعباس فيقول اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون ومما روي من دعاء العباس حينئذ اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب مملوءة ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون وما أتم كلامه حتى أرخت السماء مثل الجبال وفي ذلك قال حسان بن ثابت

سأل الخليفة إذ تتابع جدبه • فسقوا الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده الذي • ورث النبي بذاك دون الناس
أحيا المليك به البلاد فأصبحت • مخضرة الأجناب بعد الياس

وجاء بالاستسقاء بالصلحاء أخبار كثيرة ويستحب تكرير الاستسقاء ما لم يسقوا ولا يستبطئوا الإجابة ففي الصحيحين يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي قال بعضهم يستحب الإلحاح والتكرار فإن لم تصلح نياتهم فعسى يسقون لتحريهم لسنة نبيهم والتجائهم لها ويستحب أن يتمطر لما رواه مسلم عن أنس قال أصابنا مطر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه المطر فقلت يا رسول الله لم صنعت هذا فقال إنه حديث عهد بربه ويستحب أن يغتسل ويتوضأ في السيل لأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا سال الوادي قال اخرجوا بنا إلى هذا الذي جعله الله طهورا فنتطهر منه ونحمد الله عليه قال البيهقي رواه الشافعي بإسناد منقطع ويستحب الدعاء عند نزول المطر والتسبيح عند البرق والرعد وترك الإشارة إلى البرق والودق وأن لا يتبع بصره الكوكب إذا انقض للأحاديث والآثار الواردة في ذلك والله أعلم وأما الكسوف فروينا في صحيح البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله تعالى وكبروا وتصدقوا وأما صفة صلاتها فهي ركعتان في كل ركعة قيامان وركوعان وسجودان والأكمل أن يقرأ في القيام الأول بعد الفاتحة البقرة وفي الثاني دون ذلك والثالث دونهما والرابع دونه ويطيل التسبيح في كل ركوع دون القيام الذي قبله ويطول السجدة كنحو الركوع الأول والثانية كالثاني

وبجهر في كسوف القمر لا الشمس ويخطب خطبتين كالجمعة واعلم ان الظاهر في مذهب الشافعي انه لا يطول السجود ولا يصح ذلك فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما اطالته ونص الشافعي رحمه الله في البويطي ما لفظه يسجد سجدتين تامتين طويلتين يقيم في كل سجود نحو ما اقام في ركوعه هذه عبارته فحينئذ لا يصح نسبة عدم التطويل الى الشافعي مع انه رحمه الله قد تقدم في ذلك وانصف كل الانصاف حيث قال مذهبي الحديث اذا صح الحديث فاتركوا قولي وقد كان له في الحديث اليد الطولى والسابقة الاولى وثبت في صحيح مسلم تطويل الاعتدال فينبغي العمل به وان الزيادة من الثقة مقبولة والله اعلم قال اصحابنا ولو صلاها بالفاتحة وحدها وركعتين من غير تكرار جاز والله اعلم •

ومن حوادث هذه السنة نزول حكم الظهار وسببه على ما ذكره المفسرون ان خولة بنت مالك بن ثعلبة كانت تحت اوس بن الصامت فارادها للجماع فابت منه فقال انت علي كظهر امي وكان الظهار والايلاء من طلاق الجاهلية فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا شابة ذات مال واهل حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه فجعلت تشكو وتردد ذلك فاذا ذكر لها رسول الله صلى الله عليه وسلم التحريم هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك فانزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة لم تفرغ الغسل بعد فقالت لها عائشة اقصري اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك فدعته فتلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها تبارك الذي وسع سمعه الاصوات كلها اني ليخفى علي بعض كلامها هذا معنى ما ذكره البغوي في تفسيره ورواه ابو داود على غير هذا الوجه متضمنا لذكر الكفارة ففيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يعتق رقبة قالت لا يجد قال فيصام شهرين متتابعين قالت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده من شيء يتصدق به قال فاني ساعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله واني ساعينه بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك والحديث لم يروياه في الصحيحين وقد نطق به الكتاب المبين وانما رويا حديث المحترق المجامع في نهار رمضان وقضيته شبيهة بهذه من حيث اتحاد الكفارة فيهما وتصدق النبي صلى الله عليه وسلم عليهما • بلغ

واعلم ان الظهار محرم في الجملة لقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم الى قوله ليقولون منكرا

من القول

من القول وزورا وقد كان طلاقا في الجاهلية فنقل حكمه وبقي محله اما احكامه في الاسلام فان من ظاهر من زوجته بان قال انت علي كظهر امي او شبه عضوا من اعضائها بعضو من اعضاء امه او محارمه الذين لم يطرا تحريمهن ولم يتبعه بالطلاق من فوره صار عائدا ولزمه الكفارة ولا يحل له وطؤها حتى يكفر هذا مقتضى مذهب الشافعي وفيه خلاف لغيره وتفريعات ليس هذا موضع بسطها والله اعلم •

واتفق في هذه السنة من الحوادث العظيمة الشان الفتح المبين بصلح الحديبية وبيعة الرضوان وذلك ما اخبرنا به شيخنا الامام المسند ذو التصانيف العديدة المفيدة ابو الفتح المدني اجازة ومنا وله من يده سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بروايته لذلك عن جمال الدين ابرهيم بن محمد اللخمي وبرهان الدين ابرهيم بن محمد الدمشقي قالا اخبرنا المسند المعمر احمد بن ابي طالب الحجار اخبرنا ابو عبد الله الزبيدي اخبرنا ابو الوقت عبد الاول الصوفي السجزي اخبرنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد الحموي قال اخبرنا ابو عبد الله الفربري قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري رحمه الله قال حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر قال اخبرنا الزهري قال اخبرنا عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلات القصوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها ثم زجرها قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقا الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاؤوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا

قال انا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا
فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء قال ذو الراي منهم هات ما سمعته يقول
قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة
بن مسعود فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال او لست بالولد قالوا بلى قال فهل
انتم تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم
باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها
ودعوني اتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت
امر قومك هل سمعت باحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله
لارى وجوها واني لارى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر
امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا ابو بكر الصديق فقال
اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي
صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على راس النبي صلى
الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية النبي
صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة قال اي غدر الست
اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء
فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء ثم ان عروة
جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله
عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم
ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم اخفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه فقال اي قوم والله لقد وفدت
على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت ملكا قط يعظمه
اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف
رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون
على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له
وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني اتيه فقالوا
ائته فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له فاستقبله الناس يلبون
فلما راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه
قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت فقال رجل منهم

يقال

يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني اتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه
وسلم هذا مكرز بن حفص وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه
اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل قال النبي صلى
الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل
بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ادري ما
هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله
الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما
صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله
لا يسالوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم اياها فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا
اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا ياتيك رجل وان
كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء
مسلما فبينما هم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج
من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك
عليه ان ترده الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله
اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك
قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بل قد اجزناه لك قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى
المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا في الله
فقال عمر بن الخطاب فاتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى
قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني
رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا انا سناتي البيت فنطوف
به قال بلى افاخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال فاتيت
ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل
قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه لرسول الله وليس يعصي ربه
وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اليس كان يحدثنا انا سناتي البيت
فنطوف به قال بلى افاخبرك انك تاتيه العام قلت لا قال فانك اتيه ومطوف به قال
الزهري قال عمر فعملت لذلك اعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل

حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم احد دخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي من
الناس فقالت ام سلمة يا نبي الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم احدا حتى تنحر بدنك وتدعو
حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه
فلما راوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما
ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امراتين كانتا في الشرك فتزوج
احداهما معاوية بن ابي سفيان والاخرى صفوان بن امية ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فارسلوا في طلبه رجلين فقالوا
العهد الذي جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا ياكلون
من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله
الاخر فقال اجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال ابو بصير ارني انظر اليه
فامكنه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى اتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد راى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي صلى الله
عليه وسلم قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فجاء ابو بصير فقال يا نبي الله قد والله
اوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم انجاني الله منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ويل امه
مسعر حرب لو كان له احد فلما سمع ذلك علم انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر
قال وتفلت منهم ابو جندل فلحق بابي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون
بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت
قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما ارسل فمن اتاه فهو امن
فارسل النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله
ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت انتهى ما رواه البخاري
عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم من طريق شيخه ومولاه عبد الله بن محمد
المسندي ورواه عنهما ايضا من طريق اخر وهذه انهما رفعاها وصرح في طريق يحيى
بن بكير بانهما اخبرا بذلك عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وروى مسلم المراد
اخر منه وصرح بسبب نزول الاية السابقة وهو ما روي عن انس ان ثمانين رجلا
من اهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله تعالى
وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وفيه من رواية سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه وصرح فيه من رواية البراء بن عازب
ان كاتب الكتاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه وان النبي صلى الله عليه وسلم ساله

ان يمحى

ان يمحى اسم الرحمن الرحيم واسم الرسالة حين ابو منها فاستعظم ذلك وحلف ان لا يمحاها
فمحاها النبي صلى الله عليه وسلم بيده **فصل** وكان صلح الحديبية في ذي القعدة
وكان عدد المسلمين الفا واربعمائة وساقوا سبعين بدنة فاستعمل النبي صلى الله عليه وسلم
في مخرجه ذلك على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي وكان سبب بيعة الرضوان ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث عثمان الى مكة فاشيع قتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما والله
لئن قتلوه لاناجزنهم فدعا الناس الى البيعة فبايع بعضهم على الموت وبعضهم على ان لا
يفروا والمعنى واحد وضرب النبي صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الاخرى وقال هذه
لعثمان وبايع سلمة بن عمرو بن الاكوع ثلاث مرات متفرقات وبايع عبد الله بن عمر
قبل ابيه وذلك ان اباه بعثه وهو يستلئم للقتال لياتيه بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوجده يبايع الناس فبايع ثم رجع فاخبر اباه وكان اول من بايع سنان بن وهب
الاسدي ولم يتخلف احد ممن حضر عن البيعة الا الجد بن قيس السلمي قال جابر بن عبد الله
لكاني انظر اليه لاصقا بابط ناقته مستترا بها واما الشجرة المذكورة فكانت سمرة
فطلبت من العام المقبل فلم يقدر عليها فيحدثون انها رفعت قال معقل بن يسار لقد رايتني
رافعا غصنا من اغصانها عن راس النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** ثم اتته
قد ثبت لشاهديها المزايا العظام والتنويه على مشاهد الاسلام قال الله تعالى لقد
رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم
خير اهل الارض وكنا الفا واربعمائة ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة
وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع تحت
الشجرة رواه البغوي مسندا وقال الشعبي في قوله تعالى والسابقون الاولون من
المهاجرين والانصار هم الذين شهدوا بيعة الرضوان وذهب اكثر المفسرين في قوله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا انه صلح الحديبية وذلك انها نزلت في منصرفهم منها وهم مخالطهم
الحزن والكآبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد نزلت علي الليلة اية هي احب الي
من الدنيا جميعها ولما نزلت دعا النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فاقراه اياها
فقال يا رسول الله او فتح هو قال نعم فطابت نفسه ورجع رواه مسلم وروينا في
صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان
فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية قال الزهري لم يكن
فتح اعظم منه قال العلماء ووجه ذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين في تلك الهدنة
وسمعوا منهم احوال النبي صلى الله عليه وسلم الباهرة ومعجزاته المتظاهرة وحسن
سيرته وجميل طريقته وشاهدها كثير منهم فمالت نفوسهم الى الايمان

واسلم في تلك الايام خلق كثير لذلك اجبرهم النبي صلى الله عليه وسلم على الصلح وقد كان
راى اكثرهم المناجزة وقرب لهم القول حيث قال لهم اما من ذهب منا اليهم فابعده الله
ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا هذا وقد قال اهل التحقيق والنظر الدقيق بجواز
احتمال المفسدة اليسيرة لدفع اعظم منها او لتحصيل مصلحة عظيمة يتوقع باحتمالها
ثم مذهب الشافعي رحمه الله انه يجوز مصالحة الكفار عند الحاجة في مدة لا تزيد
على عشر سنين ويستدل بصلح الحديبية فانه كان على عشر سنين وذلك مصرح به في كتب
السير وهذا اذا لم يكن الامام مستظهرا اما ان كان مستظهرا لم يزد على اربعة اشهر
وقال مالك رحمه الله لا حد لذلك بل هو منوط براي الامام والله اعلم ومن حوادث
هذه السنة اسلام خالد بن الوليد المخزومي وعمرو بن العاص السهمي وخبر ذلك ما
روي عن عمرو بن العاص انه لما رجع مع جموع الاحزاب ذهب الى النجاشي ليقيم عنده مترقبا
ما يكون من خبر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه قال عمرو فقدم علينا عمرو بن امية
الضمري رسولا من النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فلما خرج عمرو بن امية من عند
النجاشي دخلت خلفه وسالته قتله فغضب النجاشي واستشاط وقال تسلني ان اعطيك
رسول رجل ياتيه الناموس الاكبر فقلت ايها الملك اكذلك هو قال يا عمرو اطعني واتبعه
فانه والله على الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده فاسلم
عمرو حينئذ على يد النجاشي ثم خرج عامدا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فلقيت خالد بن الوليد
وهو مقبل من مكة فقلت اين يا ابا سليمن قال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبي
اذهب اليه فاسلم حتى متى فقلت ما جئت الا لذلك قال فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم
تقدم خالد بن الوليد فاسلم وبايع ثم دنوت فقلت يا رسول الله اني ابايعك على ان يغفر لي
ما تقدم من ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم بايع فان الاسلام يجب ما قبله وان الهجرة تجب
ما قبلها وكان معهما عثمان بن طلحة العبدري ولما راهم النبي صلى الله عليه وسلم
مقبلين قال لاصحابه رمتكم مكة بافلاذ كبدها وكان اسلامهم بعد الحديبية وقبل خيبر
والفتح وفيها اسلام عقيل بن ابي طالب الهاشمي ولما اسلم قال له النبي صلى الله عليه وسلم
يا ابا يزيد اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما اعلم من حب عمي اياك وروى عقيل عن النبي
صلى الله عليه وسلم حديثين وسكن البصرة ومات بالشام في خلافة معاوية
وفي هذه السنة كانت غزوة الغابة وتسمى ايضا غزوة ذي قرد للموضع الذي جرى فيه
القتال وكان سببها ان لقاح النبي صلى الله عليه وسلم كانت ترعى بالغابة وهي على بريد
من المدينة من ناحية الشام فاخذها بنو فزارة وغطفان في اربعين فارسا عليهم عيينة
بن حصن وعبد الرحمن الفزاريان وكان ابو ذر رواينه في اللقاح فجاء الصريخ الى النبي
صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في اثارهم وامر على الطلب سعد بن زيد الانصاري
ثم لحقهم صلى الله عليه وسلم في بقية الناس فجاء وقد استنقذوا اللقاح وقتلوا من قتلوا

ولم يجئ الطلب الا وقد فعل سلمة بن عمرو بن الاكوع الافاعيل وكان ممن ابلى يومئذ ابو قتادة
وعكاشة بن محصن والمقداد بن عمرو والاخرم الاسدي قلت قد روى البخاري ومسلم
حديث غزوة ذي قرد فرووها عن سلمة بالفاظ ومعان مختلفة ونحن نرويها من طريق مسلم
حيث روى ذلك عن سلمة متصلا بحديث الحديبية قال رضي الله عنه ثم قدمنا المدينة
يعني من الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره مع رباح غلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا معه وخرجت معه بفرس طلحة اندّيه مع الظهر فلما اصبحنا فاذا
عبد الرحمن الفزاري قد اغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاقه اجمع وقتل
راعيه فقلت يا رباح خذ هذا الفرس فابلغه طلحة بن عبيد الله واخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان المشركين قد اغاروا على سرحه قال ثم قمت على اكمة فاستقبلت المدينة
فناديت يا صباحاه ثم خرجت في اثر القوم ارميهم بالنبل وارتجز واقول
انا ابن الاكوع • واليوم يوم الرضع • فالحق رجلا منهم فاصك سهما في رجله
حتى خلص نصل السهم الى كعبه قال قلت خذها وانا ابن الاكوع • واليوم يوم الرضع
قال فوالله ما زلت ارميهم واعقر بهم فاذا رجع الي فارس اتيت شجرة فجلست في اصلها
ثم رميته فعقرت به حتى اذا تضايق الجبل فدخلوا في مضايقه علوت الجبل فجعلت
اردبهم بالحجارة قال فما زلت كذلك اتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهري وخلوا بيني وبينه ثم اتبعتهم ارميهم
حتى القوا اكثر من ثلثين بردة وثلثين رمحا يستخفون ولا يطرحون شيئا الا جعلت
عليه ارآما من الحجارة يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى اذا اتوا متضايقا
من ثنية فاذا هم قد اتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون يعني يتغدون
وجلست على راس قرن قال الفزاري ما هذا الذي ارى قالوا لقينا من هذا البرح والله
ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء في ايدينا قال فليقم اليه نفر منكم اربعة
قال فصعد الي منهم اربعة في الجبل قال فلما امكنوني من الكلام قال قلت هل تعرفوني
قالوا لا ومن انت قال قلت انا سلمة بن الاكوع والذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم
لا اطلب رجلا منكم الا ادركته ولا يطلبني فيدركني قال احدهم انا اظن قال فرجعوا فما
برحت من مكاني حتى رايت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر قال
فاذا اولهم الاخرم الاسدي وعلى اثره ابو قتادة الانصاري وعلى اثره المقداد بن الاسود الكندي
قال فاخذت بعنان الاخرم قال فولوا مدبرين قال قلت يا اخرم احذرهم لا يقتطعوك
حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قال يا سلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم
الاخر وتعلم ان الجنة حق والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة قال فخليته فالتقى هو
وعبد الرحمن قال فعقر بعبد الرحمن فرسه فطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه
ولحق ابو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن فطعنه فقتله فوالذي

كرم وجه محمد لنسعنهم اعدو على رجلي حتى ما ارى وراءي من اصحاب محمد ولا غبارهم شيئاً
حتى تعدلوا قبل غروب الشمس الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش قال
فنظروا الى اعدو وراءهم فحلأتهم عنه فما ذاقوا منه قطرة قال ويخرجون فيشتدون
في ثنية قال فاعدو فالحق رجلا منهم فاصكه بسهم في نغض كتفه قال قلت خذها وانا
ابن الاكوع • واليوم يوم الرضع قال يا ثكلته امه اكوعه بكرة قال قلت نعم
يا عدو الله اكوعك بكرة قال واردوا فرسين على الثنية قال فجئت بهما اسوقهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ولحقني عامر يعني عمه بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة
فيها ماء فتوضأت وشربت ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي
اجلأتهم عنه فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ تلك الابل وكل شيء استنقذته
من المشركين وكل رمح وبردة واذا بلال نحر ناقة من الابل التي استنقذت من
القوم واذا هو يشوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كبدها وسنامها قال قلت
يا رسول الله خلني فانتخب من القوم مائة رجل فاتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر الا قتلته
قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه في ضوء النهار فقال يا سلمة
اتراك كنت فاعلا قلت نعم والذي اكرمك قال انهم الان ليقرون في ارض غطفان
قال فجاء رجل من غطفان قال نحر لهم فلان جزورا فلما كشفوا جلدها راوا غبارا فقالوا
اتاكم القوم فولوا هاربين فلما اصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خير
فرساننا اليوم ابو قتادة وخير رجالتنا سلمة ثم قال ثم اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لي جميعا ثم اردفني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وراءه على العضباء راجعين الى المدينة قال ابن عباس صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلوة الخوف بذي قرد رواه البخاري واستشهد في هذه الغزاة وقاص بن مجزز
المدلجي وبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اخاه علقمة طالبا ثاره فلما كان
ببعض الطريق اذن لعبد الله بن حذافة في طائفة من الجيش فامرهم فاوقدوا نارا ثم امرهم
بدخولها فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها الى يوم القيمة

قصة العرنيين

وكانت بعد ذي قرد بستة اشهر وذكرها البخاري قبلها
وقد دونها في الصحيحين من طرق عديدة عن انس حاصلها قال ان نفرا من عكل وعرينة
ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا واستوخموا المدينة فامرهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا في ابل الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا
فصحوا وارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الطلب
في اثارهم فما ترجل النهار حتى جيء بهم فقطعت ايديهم وارجلهم ولم يحسموا
وسملت اعينهم وطرحوا بالحرة يستسقون فلا يسقون وكان احدهم يكدم الارض بفيه
حتى ماتوا قال ابو قلابة قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا في الارض فسادا

قلت

قلت وروي خارج الصحيحين انهم كحلوا الرعاة وقد ترجم البخاري عليه قال سعيد بن جبير
ونزل في ذلك قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
الاية قال الليث بن سعد هي معاتبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعليم له يقول انما كان
جزاؤهم هذا لا المثلة فلذلك ما قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا الا نهى عن المثلة
قلت وثبت في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا امر اميرا على جيش او سرية
اوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله
في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا
ثم اختلف العلماء في ترديد او في الاية الكريمة فقال مالك هي على التخيير فيتخير الامام
بين هذه الامور الا القاتل فيتحتم قتله وقال ابو حنيفة الامام بالخيار وان قتلوا وقال
الشافعي او هنا للتقسيم فان قتلوا قتلوا ولم ياخذوا المال قتلوا وان قتلوا واخذوه صلبوا
مع القتل وان اخذوه ولم يقتلوا قطعنا ايديهم وارجلهم من خلاف وان اخافوا
الطريق ولم ياخذوا عزروا وهو النفي عنده قال اصحابنا فكما تفاوت ضررها اختلفت
عقوبتها وفي هذا الحديث حجة لمالك واحمد حيث يقولان بطهارة بول ماكول اللحم
وروثه واجاب الشافعي والاخرون بان هذا للتداوي وهو جائز بكل النجاسات سوى
الخمر والمسكرات وفيها غزا زيد بن حارثة بني فزارة فاصيب اصحابه وجاء زيد جريحا
فحلف ان لا يغتسل من جنابة حتى يغزوهم فغزاهم ثانية فظفر بهم وقتل ام قرفة وكانت
في بيت شرف من قومها وتقول العرب احمى من ام قرفة قيل كان يعلق في بيتها خمسون
سيفا كلهم ذو محرم لها • وفي هذه السنة ماتت ام رومان زوجة ابي بكر
وام ولديها عائشة وعبد الرحمن رضي الله عنهما ويقال ماتت سنة اربع وهو وهم من
حيث انه جرى ذكرها في حديث الافك في الصحيحين والافك قبل ذلك ووهم كثيرون
ايضا من ادعى موتها في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتصريح مسروق في صحيح البخاري
بالسماع منها وقوله سالت ام رومان وقال اخرون صوابه سئلت ام رومان بالبناء والله اعلم
ولما ماتت دخل النبي صلى الله عليه وسلم في قبرها واستغفر لها مراعاة لابي بكر وعائشة
وقضاء لحقها حيث انها ختنته وفي ذي الحجة منها جهز النبي صلى الله عليه وسلم رسله
بكتبه الى ملوك الاقاليم الجبابرة يرغبهم ويرهبهم فبعث دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر
وعبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى وعمرو بن امية الضمري الى النجاشي وحاطب
بن ابي بلتعة الى المقوقس وشجاع بن وهب الى الحرث بن ابي شمر الغساني وسليط بن عمرو العامري
الى هودة بن علي الحنفي فمما اشتهر من ذلك واتفق عليه الصحيحان كتابه الى هرقل
وهو قيصر وقد فرقه البخاري في مواضع واتى به مسلم في موضع واحد كما هي عادته وكلاهما
يرويه عن ابي سفيان صخر بن حرب وليس له في الصحيحين غيره ثم انهما يرويانه من رواية
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال حدثني ابو سفيان من فيه الى في قال انطلقت

في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا امشي بالشام اذ جيء
بكتاب من النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل قال وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه الى عظيم
بصرى الى هرقل فدفعه عظيم بصرى الى هرقل قال هرقل هل ها هنا احد من قوم هذا الرجل
الذي يزعم انه نبي قالوا نعم قال فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فاجلسنا بين
يديه فقال ايكم اقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي قال ابو سفين فقلت
انا فاجلسوني بين يديه واجلسوا اصحابي خلفي ثم دعا بترجمانه فقال قل لهم اني سايل عن هذا
الرجل الذي يزعم انه نبي فان كذبني فكذبوه قال ابو سفين وايم الله لولا ان ياثروا
علي الكذب لكذبت ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم قال قلت هو فينا ذو حسب
قال فهل كان من ابايه من ملك قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول
ما قال قلت لا قال فهل يتبعه اشراف الناس ام ضعفاوهم قال قلت بل ضعفاوهم قال
ايزيدون ام ينقصون قلت لا بل يزيدون قال هل يرتد احد منهم عن دينه بعد ان
يدخل فيه سخطة له قال قلت لا قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه
قال قلت يكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه قال فهل يغدر
قال قلت لا ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها قال فوالله ما امكنني من كلمة
ادخل فيها شيا غير هذه قال فهل قال هذا القول احد قبله قلت لا ثم قال لترجمانه قل له
اني سالتك عن حسبه فيكم فزعمت انه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في احساب
قومها وسالتك هل كان في ابايه ملك فزعمت ان لا فقلت لو كان من ابايه ملك
قلت رجلا يطلب ملك ابيه وسالتك عن اتباعه اضعفاوهم ام اشرافهم فقلت
بل ضعفاوهم وهم اتباع الرسل وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول
ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس فيكذب على الله
وسالتك هل يرتد احد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له فزعمت ان لا وكذلك
الايمان اذا خالط بشاشة القلوب وسالتك هل يزيدون او ينقصون فزعمت انهم
يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسالتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فيكون
الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها
العاقبة وسالتك هل يغدر فزعمت انه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر وسالتك
هل قال هذا القول احد قبله فزعمت ان لا فقلت لو كان قال هذا القول احد قبله
قلت رجل ايتم بقول قيل قبله قال ثم قال بم يامركم قال قلت يامرنا بالصلوة والزكوة
والصلة والعفاف قال ان يك ما تقول حقا فانه نبي وقد كنت اعلم انه خارج ولم اك
اظنه منكم ولو اني اعلم اني اخلص اليه لاحببت لقاءه وفي رواية في البخاري لتجشمت
لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي ثم دعا بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله

الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم
تسلم واسلم يوتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فلما فرغ من قراءة الكتاب
ارتفعت الاصوات عنده وكثر اللغط وامر بنا فاخرجنا قال فقلت لاصحابي حين خرجنا
لقد امر امر ابن ابي كبشة انه ليخافه ملك بني الاصفر قال فما زلت موقنا بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سيظهر حتى ادخل الله علي الاسلام زاد البخاري قال الزهري فدعا هرقل عظماء
الروم فجمعهم في دار له فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد اخر الابد
وان يثبت لكم ملككم قال فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد اغلقت
قال علي بهم فدعا بهم فقال اختبرت شدتكم على دينكم فقد رايت منكم الذي احببت
فسجدوا له ورضوا عنه وفي صحيح البخاري زوايد اخر تركناها اختصارا

فصل

في فوايد هذا الحديث قال الخطابي رحمه الله تعالى اذا تاملت معاني ما استقراه يعني هرقل
من اوصافه صلى الله عليه وسلم تبينت قوة ادراكه ولله دره من رجل لو ساعده
معقوله مقدوره قال غيره وانما شح بالملك وخلد الى الرياسة فاثرها على الاسلام
ولو اراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة اللهم انا
نسلك التوفيق ونعوذ بك من الخذلان والتعويق وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء
وسكون القاف كدمشق وهو اسم علم له لا ينصرف للعلمية والعجمة واما قيصر فهو لقب
لكل من ملك الروم كما يقال لملك الفرس كسرى والحبشة النجاشي والترك
خاقان والقبط فرعون وحمير تبع وفي هذا الحديث انه يستحب تصدير الكتاب ببسم الله
الرحمن الرحيم والحمد لله في كل سنة وفيه ان الكاتب يبدا باسم نفسه ثم باسم
المكتوب اليه قال قوم هذا في الكتاب اما في العنوان فبالعكس والصواب لا فرق ومن
فوايده انه يستحب في المكاتبات التوقي من المجازفات وخطاب كل على حسب ما يقتضيه
حاله فلا يفرط وخيار الامور اوسطها فقد اتى صلى الله عليه وسلم في كتابه هذا مع ما فيه
من الزجر والردع بنوع من الاكرام والتلطف ممتثلا ما امر به من الانة القول
والدعاء الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة مع التوقي من المجازفة حيث قال
عظيم الروم ولم يقل ملكهم لانه لا ملك له ولا لغيره بحكم الاسلام وفي هذا الحديث
دليل على ان من كان سببا لضلالة قومه كان اثم جميعهم لذلك قال صلى الله عليه
وسلم فان توليت فان عليك اثم الاريسيين وهم اتباعه الذين اسلامهم مترتب على اسلامه
ومن ذلك قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وفيه غير ذلك والله اعلم

واما كتاب كسرى ففي صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم امر عبد الله ان يدفعه
الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قراه مزقه فحسبت ان ابن المسيب

قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق قيل هلك منهم عند
ذلك اربعة عشر ملكا في سنة حتى ملكوا امرهم امراة فلما سمع بذلك النبي صلى الله عليه
وسلم قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة ثم اندرس امرهم اخر الابد فلم يبق لهم ملك ولا مملكة
كما بقي للروم ولقد اجاد القول في ذلك محمد بن سعيد البوصيري حيث يقول
في فصل مولده صلى الله عليه وسلم •

وبات ايوان كسرى وهو منصدع • كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم •

قيل سقط من الايوان ليلتئذ من الشرفات بعدد من ملك منهم بعد ذلك والله اعلم •
واما النجاشي رضي الله عنه فقد كان اسلم وانما بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم عمرو
بن امية الضمري في تزويج ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان بن حرب وان يرسل اليه جعفر
بن ابي طالب ومن معه من المهاجرين فلما ورد الكتاب على النجاشي وضعه على عينيه
ونزل عن سرير ملكه اجلالا له ثم سارع الى ذلك وارسل الى ام حبيبة على يد مولاته
ابرهة باربعمائة دينار فاعطتها ام حبيبة خمسين دينارا فردتها وقالت امرني الملك
ان لا اخذ منك شيا وقالت انا صاحبة ذهب الملك وثيابه وقد امنت بما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم وحاجتي منك ان تقريه مني السلام وقد امر الملك نساءه ان يبعثن
اليك ما عنده من عود وعنبر وولت ام حبيبة امرها في التزويج خالد بن سعيد بن العاص
ثم جهز النجاشي جميع ما عنده من المسلمين في سفينتين بجميع ما يحتاجوا اليه قالت ام حبيبة
فخرجنا الى المدينة فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فخرج من خرج
اليه واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت اليه فكان
يسئلني عن النجاشي وقرات عليه من ابرهة السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما المقوقس فقارب وهادن وبعث انواعا من الهدايا وسيأتي خبر رسله صلى الله
عليه وسلم الى الملوك وعددهم في فصل مفرد **السنة السابعة** من الهجرة وهي
الستون من مولده صلى الله عليه وسلم اتفق فيها فتح خيبر وخيبر اسم جامع لجملة من
الحصون والقرى وبينها وبين المدينة ثلث مراحل وكان من خبرها ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما رجع من الحديبية وقد وعده الله فتح خيبر اثابة عما لحقهم من الانكسار
يومئذ فقال تعالى واثابهم فتحا قريبا الى قوله وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم الاية فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة في ذي الحجة وسار في المحرم الى خيبر فصبحها بكرة على غرة روينا في الصحيحين واللفظ
لمسلم عن انس قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فصلينا عندها صلوة الغداة
بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب ابو طلحة فانا رديف ابي طلحة فاجرى
نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه
وسلم وانحسر الازار عن فخذ نبي الله واني لارى بياض فخذ نبي الله فلما دخل القرية

قال

مقوقس اسمه جريج

قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلث مرات
قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس يعنون الجيش ولما نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بساحتهم سار من بتلك النواحي من قبائل اسد وغطفان ليظاهروا اليهود
فالقى الله الرعب في قلوبهم فرجعوا ثم هموا ان يحالفوا الى المدينة فاعجزهم الله وخلوا بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود فذلك قوله تعالى وكف ايدي الناس عنكم
ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصون خيبر يفتحها حصنا حصنا فافتتح اولا
حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القيت عليه رحا فقتلته ثم القموص حصن بني
ابي الحقيق ومن سباياه صفية بنت حيي جاء بها بلال واخرى معها فمر بهما على القتلى فلما
راتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على راسها فلما راها رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اغربوا عني هذه الشيطانة وقال لبلال انزعت منك الرحمة يا بلال
حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما ثم افتتح صلى الله عليه وسلم حصن الصعب بن معاذ ومنه
شبع الجيش طعاما وودكا بعد مخمصة شديدة ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى حصنهم الوطيح والسلالم وكان اخر حصونهم افتتاحا واوسعها اموالا واكثرها
قالا فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة وكان شعار المسلمين يا منصور
امت امت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته شقيقة فلم يخرج الى
الناس فاخذ الراية ابو بكر فقاتل قتالا شديدا ثم رجع ولم يفتح عليه ثم عمر كذلك
وكان الفتح على يد علي رضي الله عنهم اجمعين روينا في الصحيحين من طرق ان علي
بن ابي طالب رضي الله عنه كان قد تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فلحق
بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صباحها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ما احببت الامارة الا يومئذ فتساورت لها رجاء ان ادعى لها فلما اصبح
الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا ان يعطاها فقال اين علي
بن ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به وجع وفي رواية
عن ام سلمة فاذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الراية ففتح الله عليه وروي انه لما دنا من حصنهم اشرف عليه رجل من اليهود فقال
من انت فقال علي بن ابي طالب فقال اليهودي علوتم وما انزل على موسى • روينا
في صحيح مسلم انه خرج اليه مرحب وهو يقول قد علمت خيبر اني مرحب •
شاكي السلاح بطل مجرب • اذا الحروب اقبلت تلتهب • فقال علي رضي الله عنه
انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره • اوفيهم بالصاع كيل السندره

فضرب راس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه وكان مرحب قبل ذلك قد بارز
عامر بن الاكوع فرجع سيف عامر عليه فقتله فقال الناس حبط عمله قال سلمة فاتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال كذب من قاله ان له اجرين وجمع بين
اصبعيه انه لجاهد مجاهد قل عربي مشا بها مثله وروي ان عليا بوسيد بادر يهوديا مرحبا
او غيره فضرب اليهودي ترس علي فطرحه من يده فتناول علي بابا كان عند الحصن
فتترس به فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه قال ابو رافع لقد رايتني في سبعة نفر انا ثامنهم
نجهد ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه ثم برز بعد مرحب اخوه ياسر ثم خرج فخرج
اليه الزبير فقالت صفية بنت عبد المطلب ايقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله
ان شاء الله فقتله الزبير قلت في سيرة ابن هشام رواية عن ابن اسحق ان قاتل
مرحب محمد بن مسلمة الانصاري ولا يصح ذلك فما ثبت في الصحاح اولى والله اعلم
فلما ايقن اهل الوطيح والسلالم بالهلكة استسلموا وسالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يحقن دماءهم ففعل فسمع بهم اهل فدك فارسلوا يطلبون ذلك ففعله لهم ايضا
فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل
ولا ركاب ثم عامل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود على خيبر بشطر ما يخرج منها وقال نقركم
على ذلك ما شئنا وبقوا على ذلك الى خلافة عمر واحدثوا احداثا فاجلاهم عمر الى تيما
واريحا ولما حاز رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر واعمالها اخذ يقسم المقاسم
الجليلة ويعطي العطيات الجزيلة ورد المهاجرون الى الانصار منائحهم وحدث لهم رخا
لم يكن قبل ذلك وروينا في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت لما فتحت
خيبر قلنا الان نشبع من التمر وفيه عن ابن عمر قال ما شبعنا حتى فتحنا خيبر وقسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر نصفين نصفا لنوائبه وما ينزل به من الامور المهمة
ونصفا بين المسلمين وجعلها ستة وثلاثون سهما وكانت عدة الذين قسمت عليهم
خيبر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الف سهم وثمانمائة سهم برجالهم وخيلهم
الرجال اربع عشرة مائة والخيل مائتا فرس فكان لكل فرس سهمان ولفارسه سهم
وللراجل سهم وكانت اصول السهام ثمانية عشر سهما وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم فرق رؤسا اصحابه سبعة عشر رايسا واضاف الى كل واحد منهم مائة
والثامن عشر سهم الضعيف وهو سهم جمع فيه اصل شتى ولم يغب احد من اهل الحديبية
عن خيبر الا جابر بن عبد الله فاسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن حضر
واسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لمهاجرة الحبشة ولم يحضروا ولما اطمأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر اهدت اهدت له زينب بنت الحرث امراة سلام
بن مشكم شاة مصلية ودست له سما فيها واكثرت في الذراع لما اخبرت انها
تعجبه فوضعت بين يديه ومعه بشر بن البراء فاكلا فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يسغ

فلم يسغ لقمته واما بشر فاساغها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا العظم ليخبرني
انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك
فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها فلما مات بشر
بن البراء قتلها قصاصا قال انس فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة
ما زال اجد الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم
خرج الشيخان اكثره وجملة من استشهد بخيبر اربعة عشر رجلا وقيل قريبا من عشرين
رجلا قال ابن هشام وذكر سفيان بن عيينة عن الاجلح عن الشعبي ان جعفر بن ابي طالب
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فتح خيبر فقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين عينيه والتزمه وقال ما ادري بايهما انا اسر اكثر بفتح خيبر ام بقدوم جعفر
وقدم بقدوم جعفر ابو موسى الاشعري ورفقته من الاشعريين وقد سبق في ذلك
حديث اسماء بنت عميس في فضلهم عند هجرتهم قال اهل السير رضي الله عنهم ولما
فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف الى وادي القرى فحاصر اهله وفتحه
الله عليه واصيب به مولاه مدعم فقال الناس هنيئا له الشهادة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي اصابها يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه
نارا ولما انتهى صلى الله عليه وسلم في مرجعه من وجهه ذلك الى سد الصهبا حلت صفية
بنت حيي فجهزتها له ام سليم ثم ضربت له قبة فدخل فيها فلما اصبح امر بالانطاع فبسطت
ثم دعا بفضولات الازواد فاتي بها فحاسوا حيسا ثم دعا المسلمين فاكلوا فكانت وليمته
على صفية قيل لانس يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وجعل عتقها صداقها
وقال الناس لا ندري اتزوجها ام اتخذها ام ولد قالوا ان حجبها فهي امراته وان لم
يحجبها فهي ام ولد فلما اراد ان يركب حجبها فقعدت على عجز البعير فعرفوا انه
قد تزوجها وكان صلى الله عليه وسلم يضع ركبته لها اذا ارادت ان تركب فتضع
صفية رجلها على ركبته ثم تصعد قال انس فانطلقنا حتى اذا راينا جدر المدينة
هششنا اليها فرفعنا مطيتنا ورفع صلى الله عليه وسلم مطيته قال وصفية خلفه
قد اردفها فعثرت مطية رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرع وصرعت قال فليس احد
من الناس ينظر اليه ولا اليها حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسترها قال
فاتيناه فقال لم نضر قال فدخلنا المدينة فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها
روى ذلك في الصحيحين قال ابن عمر ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر
الى صفية في قتل ابيها ويقول يا صفية ان اباك البت علي العرب وفعل وفعل حتى ذهب
ذلك من نفسها قال اهل السير وكانت صفية قد رات في المنام وهي عروس بكنانة
بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا قد وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال

ما هذا الا انك تنبى ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منه فاخبرته بذلك واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع فسأله عن كنز بني النضير وكان عنده فجحده فدفعه الى الزبير يعذبه حتى يخبرهم فابى ثم بعد ذلك دفعه الى محمد بن مسلمة فقتله باخيه والله اعلم •

وروينا في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليله حتى اذا ادركه الكرى عرس وقال لبلال اكلأ لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما تقارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم استيقاظا ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي بلال فقال بلال اخذ بنفسي الذي اخذ بابي انت وامي يا رسول الله بنفسك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ كل رجل براس راحلته فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان قال ففعلنا ثم دعا بالماء فتوضأ ثم صلى سجدتين ثم اقيمت الصلوة فصلى الغداة ثم قال من نسي الصلوة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال اقم الصلوة لذكري وكان ابن شهاب يقرؤها للذكرى انتهى ملفقا عن ابي هريرة قال العلماء والحكم في الفائتة في النوم وغيره من الاعذار ايضا كذلك فقد قال في حديث ابي قتادة الطويل المشتمل على معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ناموا عن صلوتهم قال فجعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا لتفريطنا في صلوتنا فقال صلى الله عليه وسلم اما لكم في اسوة ثم قال انه ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلوة حتى يجيء وقت الصلوة الاخرى فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها قالوا والفائتة بغير عذر كذلك ايضا في وجوب القضا وانما يختلفان في جواز التاخير فيجوز تاخير الفائتة لعذر على الصحيح ولا يجوز تاخير الفائتة بغير عذر على الاصح وقال بعضهم لا يجوز تاخير واحدة منهما واستدل بهذه الاحاديث وهي حجة قوية وحملها الجمهور على الاستحباب وشذ بعض الظاهرية فقال لا يجب قضا الفائتة بغير عذر وزعم انها اعظم من ان يخرج من وبال المعصية بالقضا والله اعلم • وممن اسلم بخيبر ابو هريرة واسمه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما قاله النووي وكني بهريرة كان يربيها روينا في صحيح البخاري عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعدما افتتحوها فقلت يا رسول الله اسهم لي فقال بعض بني سعيد بن العاص لا تسهم له يا رسول الله فقال ابو هريرة هذا قاتل ابن قوقل فقال ابن سعيد بن العاص واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضان ينعى علي قتل رجل مسلم اكرمه الله

علي يدي

على يدي ولم يهني على يديه قال فلا ادري اسهم له او لم يسهم له ورواه البخاري في موضع اخر ابين من هذا على غير هذا الوجه لكن رواه معلقا بصيغة التمريض فقال ويذكر عن الزبيدي عن الزهري قال اخبرني عنبسة بن سعيد انه سمع ابا هريرة يخبر سعيد بن العاص قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابان على سرية من المدينة قبل نجد قال ابو هريرة فقدم ابان واصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر بعد ما افتتحها وان حزم خيلهم الليف قال ابو هريرة قلت يا رسول الله لا تقسم لهم قال ابان وانت بهذا يا وبر تحدر من راس ضال فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابان اجلس فلم يقسم لهم قلت وابان هذا هو ابان بن سعيد بن العاص وهو الذي اجار عثمن يوم الحديبية حين ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة واسلم بعيد ذلك وعن ابي هريرة قال لما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم قلت في الطريق

• يا ليلة من طولها وعنائها • على انها من دارة الكفر نجت •

قال وابق مني غلام في الطريق قال فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فبايعته فبينما انا عنده اذ طلع الغلام فقال لي رسول الله يا ابا هريرة هذا غلامك قلت هو حر لوجه الله فاعتقته وروينا في صحيح مسلم عنه قال كنت ادعو امي الى الاسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فاسمعتني في رسول الله ما اكره فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي قلت يا رسول الله اني كنت ادعو امي الى الاسلام فتابى علي فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله ان يهدي ام ابي هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد ام ابي هريرة فخرجت مستبشرا بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت امي خشف قدمي فقالت مكانك يا ابا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا ابا هريرة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال فرجعت الى رسول الله فاتيته وانا ابكي من الفرح قال قلت يا رسول الله ابشر قد استجاب الله دعوتك وهدى ام ابي هريرة فحمد الله واثنى عليه وقال خيرا قال قلت يا رسول الله ادع الله ان يحببني انا وامي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك هذا يعني ابا هريرة وامه الى عبادك المؤمنين وحبب اليهم المؤمنين فما خلق الله مؤمنا يسمع بي ولا يراني الا احبني ومع تاخر اسلامه فقد روى العدد الكثير وروى عنه الجم الغفير حتى لا يعلم في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظ ولا اوسع رواية منه وذلك لخصيصة خاصة حصلت له وهي ما رويناه في الصحيحين عنه واللفظ لمسلم قال يقولون ان ابا هريرة قد اكثر والله الموعد ويقولون ما بال المهاجرين والانصار لا يحدثون بمثل احاديثه وسأخبركم عن ذلك ان اخواني

من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الاسواق وكنت الازم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني فاشهد اذا غابوا واحفظ اذا نسوا ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يبسط ثوبه فياخذ من حديثي هذا ثم يجمعه الى صدره فانه لم ينس شيا سمعه فبسطت بردة كانت على جنبي حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها الى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيا حدثني به فلولا ايتان انزلهما في كتابه ما حدثت شيا ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الى اخر الايتين ومع ذلك فقد امسك عن بعض ما سمع خشية الفتنة وان لا تبلغه الافهام روي عنه قال اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين اما احدهما فبثثته واما الاخر فلو اخرجته قطع مني البلعوم وحكي عن احمد بن حنبل قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله ما روى ابو هريرة عنك حق قال نعم وقد ذكرنا نبذا من مناقبه في كتابنا الرياض المستطابة والله اعلم وذكر البخاري بعد غزوة خيبر غزوة زيد بن حارثة وهي التي اغار فيها على جذام وسببها ان دحية بن خليفة الكلبي جاء بتجارة من الشام وذلك مرجعه من عند قيصر حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه اليه فلما كان ببلد جذام اغار عليه الهنيد الجذامي ثم الضليعي واخذ جميع ما معه وكان رفاعة بن الجذامي قد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية واسلم وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب امن لقومه فقدم على قومه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم كثير منهم فلما سمع المسلمون منهم بفعل الهنيد اغاروا عليه وحاربوه واستنقذوا ما كان لدحية وردوه عليه فلما قدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقاه دم الهنيد فجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه زيد بن حارثة فقتل الهنيد وابنه ورجالا من قومه وجمع السبايا والاموال من بلاد جذام ممن كان قد اسلم ولحقه امان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من جذام واخبروه باسلامهم فصدقهم وامر الجيش ان لا يهبطوا واديهم ثم سالوه السبايا التي عندهم فهم ان يردها عليهم ثم صرف عن ذلك بتهمة سمعها منهم فانطلقوا الى رفاعة بن زيد وكان كل ذلك لم يعلم به فقالوا له انك تحلب المعزا ونساء جذام اسارى فسار مشتكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب معه رجال من قومه فقطعوا الطريق في ثلاث ليال فلما راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الناس لاح اليهم بيده ان تعالوا فدفع رفاعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذي كان كتبه له وقال دونك يا رسول الله قديما كتابه حديثا غدره فقال رسول الله اقرا يا غلام واعلن بقراءته ثم استخبرهم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة انت اعلم يا رسول الله لا نحرم عليك حلالا ولا نحل لك حراما فقال ابو زيد بن عمرو الجذامي اطلق لنا يا رسول الله

لعمرانه

ماكان حيا

ما كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق ابو زيد اركب معهم يا علي فقال علي كرم الله وجهه ان زيدا لا يطيعني فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه فلما خرجوا اذا رسول زيد قد استقبلهم على ناقة من ابلهم فاخذوها ثم تقدموا فلقوا زيدا بفيفا الفحلتين فاخذوا كل شيء معه من مالهم والله اعلم

وفي هذه السنة وقيل في الثامنة **غزوة ذات السلاسل** سميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم ببعض خشية ان يفروا وقيل سميت باسم ما انتهت غزوتهم اليه في ارض بني عذرة وكان اميرها عمرو بن العاص بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يستنفر العرب الى الاسلام فلما كان بارض بني عذرة من جذام خاف وارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فامده بابي عبيدة بن الجراح في المهاجرين الاولين فيهم ابو بكر وعمر فكان عمرو يصلي بهم حتى انصرفوا وفي هذه الغزوة جرى حديث رافع بن ابي رافع الطائي وقوله لابي بكر الصديق حين صحبه انما صحبتك لينفعني الله بك فانصحني وعلمني فامره ابو بكر بجمل من شرائع الاسلام ونهاه عن الامارة فاجاب بالطواعية في كل ما امره به حتى قال واما الامارة فاني رايت الناس يا ابا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس الا بها فلم تنهى عنها قال انما استجهدتني لاجهد لك وساخبرك عن ذلك ان شاء الله تعالى ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها فلما دخلوا كانوا عواذ الله وجيرانه في ذمته فاياك ان تخفر الله في جيرانه فيتبعك الله في خفرته فان احدكم يخفر في جاره فيظل ناتيا عضله غضبا لجاره ان اصيب له شاة او بعير فالله اشد غضبا لجاره قال ففارقته على ذلك فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر ابو بكر على الناس قال قدمت عليه فقلت يا ابا بكر الم تك نهيتني ان اتامر على اثنين قال بلى وانا الان انهاك عن ذلك قال فقلت له فما حملك على ان تلي امر الناس قال لا اجد من ذلك بدا وخشيت على امة محمد الفرقة قلت وفي معنى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وعنه قال قلت يا رسول الله الا تستعملني فضرب بيده على منكبي ثم قال يا ابا ذر انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيمة خزي وندامة الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها رواهما مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيمة رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسال الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسالة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسالة وكلت اليها واذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك رواه والاحاديث بالتنفير من التعرض للرياسة والوعيد لاهلها وامرهم بالاستقامة

كثيرة في الصحاح وغيرها من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة متفق عليه وفي رواية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة متفق عليه وفي رواية لمسلم ما من امير يلي امور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا يقول اللهم من ولي من امر امتي شيئا فرفق بهم فارفق به رواه مسلم ودخل عائذ بن عمرو على عبيد الله بن زياد فقال اي بني اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان شر الرعاء الحطمة فاياك ان تكون منهم متفق عليه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون قالوا فما تامرنا قال فوا ببيعة الاول ثم اعطوهم حقهم واسئلوا الذي لكم فان الله يسئلهم عما استرعاهم رواه البخاري ومسلم ودخل ابو مريم الازدي على معوية فقال له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولاه الله شيئا من امور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيمة فجعل معوية رجلا على حوائج الناس رواه ابو داود والترمذي وعن ابي سعيد وابي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله رواه البخاري وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه واذا اراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه رواه ابو داود باسناد جيد على شرط مسلم ومما يحط في هذا السلك قوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته الامام راع ومسؤل عن رعيته والرجل راع في اهله ومسؤل عن رعيته والمراة راعية في بيت زوجها ومسؤلة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤل عن رعيته وكلكم راع ومسؤل عن رعيته رواه البخاري ومسلم * اما اذا عدل الوالي وسدد وقارب فقد قال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم القيمة في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله عز وجل ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه رواه البخاري ومسلم فقدم الامام العادل عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم

رقيق

رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال رواه مسلم وقال الامام كبير الشان رفيع الذكر ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن البصري رحمه الله الناس في هذه الدنيا على خمسة اصناف العلماء هم ورثة الانبياء والزهاد هم الادلاء والغزاة هم اسياف الله والتجار هم امناء الله والملوك هم رعاة الخلق فاذا اصبح العالم طامعا والدال خائنا فبمن يقتدى واذا اصبح الزاهد راغبا فبمن يستدل ويهتدى واذا اصبح الغازي مرائيا والمرائي لا عمل له فمن يظفر بالعدو واذا كان التاجر خائنا فمن يؤمن ويرتضى واذا اصبح الملك ذئبا ضاريا فمن يحفظ الغنم ويرعى والله ما اهلك الناس الا العلماء المداهنون والزهاد الراغبون والغزاة المراؤن والتجار الخائنون والملوك الظالمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وفي معنى ذلك انشد الشيخ الامام العالم العامل ذو الشياخات والرياضات والبركات عبد العزيز الديريني الدميري رحمه الله لنفسه

اذا ما مات ذو علم وتقوى * فقد ثلمت من الاسلام ثلمة
وموت العابد المرضي نقص * ففي مرآه للاسرار نسمه
وموت العادل الملك المولى * لحكم الحق منقصة وقصمه
وموت الفارس الضرغام هدم * فكم شهدت له بالنصر عزمه
وموت فتى كثير الجود محل * فان بقاءه خصب ونعمه
فحسبك خمسة يبكى عليهم * وموت الغير تخفيف ورحمه

ولبعضهم ايضا

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضي الارض داهن بالقضاء
فويل للامير وكاتبيه * وقاضي الارض من قاضي السماء

ومن آفات الرياسة ان يتصدى لها ويدخل فيها قبل الاستعداد والتاهل فيعرض نفسه للفتن والمحن ويفتضح ولا يفلح وانشد بعضهم

الكلب احسن عشرة * وهو النهاية في الخساسه
ممن ينازع في الرياسة * قبل اوقات الرياسه

قال بعضهم من تصدر قبل اوانه * تصدى لهوانه * وقد تمادى بنا الكلام في هذه الغراة رجا للفائدة ولم يذكر البخاري رحمه الله تعالى فيها غير حديث واحد وخرجه مسلم ايضا وهو ما رويناه عن ابي عثمان النهدي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فسكت مخافة ان يجعلني في اخرهم وفي هذا الحديث منقبة لعائشة وابيها وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم واما عمرو بن العاص رضي الله عنه فانه وان لم يكن هذا مقامه فلا يلزم من ذلك حط مرتبته ولا نقص من منزلته وقد وردت له فضائل منها تامير النبي صلى الله عليه وسلم

له في هذه الغزاة على كثير من جلة المهاجرين الاولين وكان يصلي بهم حتى رجعوا
وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث حدث به اسلم الناس وامن عمرو ومنها ما
رويناه في صحيح مسلم عن عايشة ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في
سياقة الموت فبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول ما يبكيك اما بشرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا
قال فاقبل بوجهه فقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني قد كنت على اطباق ثلث لقد رايتني وما احد اشد بغضا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم مني ولا احب الي ان اكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت استمكنت
على تلك الحال لكنت من اهل النار فلما جعل الله الاسلام في قلبي اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت ابسط يمينك فلابايعك فبسط يمينه قال فقبضت يدي قال ما لك
يا عمرو قال قلت اردت ان اشترط قال تشترط ماذا قلت ان يغفر لي قال
اما علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم
ما كان قبله وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في
عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سيلت ان اصفه ما اطقت
لاني لم اكن املا عيني منه ولو مت على تلك الحال لرجوت ان اكون من اهل الجنة
ثم ولينا اشياء ما ادري ما حالي فيها فاذا انا مت فلا يصحبني نايحة ولا نار
فاذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم
لحمها حتى استانس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي **نصيحة** عرضت
وهي ان ثم من يقع في عمرو بن العاص ومعوية وغيرهما من اجلاء الصحابة او من
شملته اسم الصحبة التي لا يوازيها عمل وان جل وينسبون الى سبهم لهنات
صدرت منهم مما تقدم اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالكلام فيها واخبر
بوقوعها منهم ثم نهى عن سبهم على الاطلاق فقال لا تسبوا احدا من اصحابي فان
احدكم لو انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه وقال خيركم قرني
وقال لا يبلغني احد عن اصحابي شيا فاني احب ان اخرج اليهم وانا سليم الصدر
واعتذر عن حاطب وقد بدرت منه عظيمة وعن مالك بن الدخشم وقد تعرض
قوم لسبه على ظاهر الحال ولم يرخص لبعضهم في بعض ابدا وقال تعالى بعد ان
اثنى عليهم احسن الثناء والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا فليت من جاء بعدهم
اذ لم يستغفروا لهم ويترحموا عليهم لم يسبوهم وليتهم اذ لم يصيبوا اجرا لهم خيركم
لم يقعوا في شرهم ووكلوا امورهم الى عالم سرايرهم فهو اعلم بهم وقال تعالى
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون

وقال تعالى

وقال تعالى فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقال تعالى
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقد
حذر العلماء علماء السنة المحتاطون لدينهم من النظر في الكتب الحاكية من تشاجر الصحابة
رضوان الله عليهم لما فيه من المفسدة وعدم الفايدة وافترضت هنا مسئلة لا ينكرها
الا مباهت وهي ان يقول رجل علمنا توحيده واشيع فسقه وبدعته شيوعا يكاد يبلغ القطع
فصار الناس فيه فرقتين فرقة تجترى عليه بالسب واللعن وتوقفت الاخرى فمن اقرب
الى السلامة من الفرقتين فنقول ان المجترين داخلون في الخطر والوبال على كل حال
فان السباب مناقش ومحاسب حتى يخرج مما قال في يوم لا قصاص فيه الا بالحسنات
والسيئات فقد قال صلى الله عليه وسلم في جواب الذي سأله عن الغيبة فقال يا رسول
الله افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما قلته تقول فقد اغتبته
وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته والفرقة المتوقفة سالمة في الحالين فانك لو لم تلعن
وتسب من علم كفره وشقاوته في دهرك لما خفت ان تعاقب على ذلك ولا خطر فيه
وانما الخطر والوبال ان تصوب ضلالا او تحسن فعله كفعل يزيد
وشيعته بالحسين واله عليهم السلام لا ان تصون لسانك عن لعنهم وسبهم وقد
قال صلى الله عليه وسلم ليس المومن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي
انتهت النصيحة على حد القصود والتقصير فاذا تحققت ايها الناظر ما ذكرنا فاختر
لنفسك ما فيه صلاحك وبالله التوفيق وفي ذي القعدة من هذه السنة اعتمر
صلى الله عليه وسلم عمرة القضا فلما سمع المشركون به مقبلا خرجوا عنه فدخل
صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة اخذ بخطام ناقته يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ◦ خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب اني مومن بقيله ◦ اعرف حق الله في قبوله

وقال المشركون انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فامرهم النبي صلى الله عليه
وسلم ان يرملوا الاشواط الثلاثة وان يمشوا بين الركنين وكان المشركون من قبل
قعيقعان ولم يمنعهم ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقا عليهم وكان الناس
يظنون ان الرمل خاص بتلك السنة فلما رمل في حجة الوداع علموا ان السنة مضت
على ذلك ولما اقام صلى الله عليه وسلم ثلثا اتى المشركون عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج
عنا فقد مضى الاجل فخرج صلى الله عليه وسلم فتبعتهم امامة ابنة حمزة تنادي يا عم
يا عم فتناولها علي فاخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فاحملها فاختصم فيها
علي وزيد وجعفر فقال علي انا احق بها وهي ابنة عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها تحتي
وقال زيد بنت اخي فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام

وقال لعلي أنت مني وأنا منك وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وقال علي ألا تتزوج ابنة حمزة قال إنها ابنة أخي من الرضاعة وتزوج صلى الله عليه وسلم في سفره هذا ميمونة بنت الحرث الهلالية تزوجها بسرف وهو مقبل إلى مكة ودخل بها في رجوعه وماتت به أيضاً بعد موته صلى الله عليه وسلم واختلف هل تزوجها وهو محرم أو حلال وبحسب ذلك اختلفوا في صحة نكاح المحرم وأسد الأقوال أنه تزوجها وهو محرم وأن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم وفي عمرة القضاء نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام الآية في شأن الحطيم البكري والله أعلم **السنة الثامنة** وما اتفق فيها من عيون الحوادث فيها قدوم وفد عبد القيس ومعنى الوفدان تختار القبيلة جماعة منهم للقاء الكبرى في الأمور المهمات وكان جملة وفد عبد القيس أربعة عشر راكباً رئيسهم الأشج العصري واسمه المنذر بن عائذ وكان سبب وفادتهم أن منقذ بن حيان رجلاً منهم قدم المدينة تاجراً فمر به النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فنهض إليه منقذ وسمع كلامه فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن أشراف قومه رجلاً رجلاً بأسمائهم فأسلم وتعلم الفاتحة وسورة اقرأ باسم ربك وكتب معه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومه وكانوا ينزلون البحرين الخط وأعنابها وسرة القطيف والسفار والظهران إلى الرمل إلى الأجرع ما بين هجر إلى قصر وبينونة ثم الجوف والعيون والأحساء إلى حد أطراف الدهنا فلما قدم منقذ على قومه كتمهم الكتاب وطفق يصلي ويقرأ فقالت زوجته وهي بنت الأشج لأبيها إني أنكرت بعلي منذ قدم من يثرب أنه يغسل أطرافه ويستقبل الجهة يعني القبلة فيحني ظهره مرة ويضع جبينه ذلك ديدنه منذ قدم فتلاقيا فأخبره الخبر فأسلم الأشج ثم ثار على قومه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم من أسلم منهم ثم تجهزوا وافدين وذلك قبل الفتح ولما دنوا من المدينة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجلسائه أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق وفيهم الأشج العصري وإنما سماه النبي صلى الله عليه وسلم الأشج لأثر كان في وجهه إما حطا بهم مع النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين من روايات حاصلها أنهم لما دخلوا عليه صلى الله عليه وسلم قال مرحباً بالقوم وبالوفد غير خزايا ولا ندامى قالوا يا رسول الله إنا حي من ربيعة وبيننا وبينك كفار مضر ولا نقدر عليك إلا في الأشهر الحرم فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا وندخل به الجنة إذا نحن أخذنا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان وآتوا الخمس من المغانم وأنهاكم عن أربع عن الدباء والحنتم والمزفت والنقير قالوا يا نبي الله وما علمك بالنقير قال بلى جذع تنقرونه فتقذفون فيه من القطيعاء أو التمر ثم تصبون واعطوا

فيه

فيه من الماء حتى إذا سكن غليانه شربتموه حتى إن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف وفي القوم رجل أصابته جراحة لذلك قال وكنت أخبؤها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ففيم نشرب يا رسول الله قال في أسقية الأدم التي يلاث على أفواهها قالوا يا نبي الله إن أرضنا كثيرة الجرذان ولا تبقى بها أسقية الأدم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وإن أكلتها الجرذان وإن أكلتها الجرذان وقال للأشج إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة انتهت روايتهما ومعظمه لمسلم وإنما أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على الأشج بالحلم والأناة لما روي أنهم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ابتدروا إليه وتركوا ركابهم فجمعها الأشج وعقل ناقته ولبس أحسن ثيابه فلما جاء أجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تبايعون على أنفسكم وقومكم فقال القوم نعم وقال الأشج يا رسول الله إنك لم تزاول الرجل على شيء أشد من دينه نبايعك على أنفسنا ونرسل من يدعوهم فمن اتبعنا كان منا ومن أبى قاتلناه قال صدقت إن فيك خصلتين يحبهما الله قال يا رسول الله كانتا أم حدثتا قال بل قديم قال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما فكان أول من دان بالدين وأقام شرايعه من الآفاقيين قبائل عبد القيس روينا في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين ثم لما مات النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب لم يكن يسجد لله تعالى في بسيط الأرض إلا في ثلاثة مساجد مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبد القيس ففي ذلك يقول شاعرهم مفتخراً

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا ● والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا منبر للناس نعرفه ● إلا بطيبة والمحجوج ذي الحجب

وكان هؤلاء من ربيعة محصورين ببلدهم إلى أن قتل الله كبش الردة مسيلمة وفتح على المسلمين فقال شاعرهم يستنجد أبا بكر رضي الله عنه والمسلمين

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً ● وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام ● قعود في جواثا محصرينا
كأن دماءهم في كل فج ● دماء البدن تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا ● وجدنا النصر للمتوكلينا

وفي هذا العام ماتت أكبر بنات النبي صلى الله عليه وسلم زينب وهي زوجة أبي العاص بن الربيع ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أم عطية قالت لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً واجعلن في الخامسة كافوراً فإذا غسلتنها فأعلمنني قالت

عمرو

فاعلمنه فاعطانا حقوه فقال اشعرنها اياه قالت فضفرنا شعرها ثلاثة اثلاث قرنيها
وناصيتها وقال لهن ابدان بميامنها ومواضع الوضوء منها وبعد وفاتهن تزوج صلى الله عليه
وسلم فاطمة بنت الضحاك ولما نزلت اية التخيير اختارت الدنيا ففارقها صلى الله عليه وسلم
وكانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول انا الشقية اخترت الدنيا وفيها وقع غلا
بالمدينة فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق
واني لارجو ان القا الله وليس احد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال رواه ابو داود
وروي ايضا ان رجلا قال يا رسول الله سعر فقال بل ادعوا ثم جاءه اخر فقال يا رسول الله
سعر فقال بل الله يخفض ويرفع واني لارجو ان القا الله وليس لاحد عندي مظلمة
وفيه اتخذ صلى الله عليه وسلم المنبر فكان من حديثه ما روينا في صحيح البخاري عن جابر
بن عبد الله رضي الله عنه ان امراة من الانصار قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله الا اجعل لك شيئا تقعد عليه فان لي غلاما نجارا قال ان شئت قال فعملت له المنبر فلما
كان يوم الجمعة قعد صلى الله عليه وسلم على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي
كان يخطب عندها حتى كادت ان تنشق فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها
اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قالت قال بكت على ما كانت تسمع
من الذكر ورواه البخاري ايضا عن سهل بن سعد وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
سالها ذلك قبل والجمع بينهما انها سالت النبي صلى الله عليه وسلم اولا ثم ابطأت وكانها
لم تفهم منه الرضا فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم صوابا استنجزها وعدها واسم
هذا النجار مينا وقيل باقوم او باقول وقيل غير ذلك ولم اقف على اسم المراة والله
اعلم. وذكر اهل التواريخ ان عدد درجات هذا المنبر ثلث بالمقعد وان سمكه
ذراعان وثلث اصابع وعرضه ذراع في ذراع يزيد وينقص سوا وطول رمانتيه اللتين
كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين اذا جلس شبر واصبعان
وانه بقي كذلك في زمان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الاربعة الخلفاء رضي
الله عنهم فلما كان زمان معاوية رضي الله عنه زاد من اسفله ست درجات وكساه
قطيفة فلما كان زمن المهدي بن المنصور هم ان يعيده الى حاله الاول فقال له الامام
مالك بن انس انما هو من طرفا وقد شد الى هذه العيدان وسمر فمتى نزعته خفت ان
يتهافت فتركه ثم ذكر انه تهافت على طول الزمان فجدده بعض خلفاء العباسيين
واتخذ من بقايا اعواد منبر النبي صلى الله عليه وسلم امشاطا للتبرك بها ثم لما احترق
المسجد الشريف واحترق ما فيه واشتغل الناس عنه باستيلاء التتار على البلاد وقتل
الخليفة ابي احمد المعتصم بالله وذلك في سنة ست وخمسين وستمائة ارسل الملك
المظفر اليمني منبرا رمانتاه من الصندل فنصب مكان المنبر النبوي وبقي الى ان حوله
الملك الظاهر بيبرس الصالحي وذلك سنة ست وستين وستمائة والله اعلم.

ذكر

ذكر فضل المنبر المنيف وما بينه وبين القبر الشريف روينا في الصحيحين من روايات
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري
على حوضي وفي حديث خارج عنهما ما بين قبري ومنبري وفي حديث ما بين حجرتي
الى منبري روضة من رياض الجنة وان منبري على ترعة من ترع الجنة والروايات
متفقة فبيته صلى الله عليه وسلم وقبره وحجرته واحد وبينهما وبين المنبر ثلثة
وخمسون ذراعا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال قوائم منبري رواتب في
الجنة وسياتي خبر الجذع وجماع الروايات فيه في قسم المعجزات ان شاء الله تعالى
وفي جمادى الاولى من هذا العام كانت غزوة مؤتة وهي قرية من قرى البلقا دون
دمشق انتهت غزوتهم اليها روينا في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في غزوة مؤتة وقال ان قتل
زيد فجعفر وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة قال عبد الله كنت معهم في تلك الغزوة
فالتمسنا جعفر بن ابي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده بضعا وتسعين بين
طعنة ورمية وكان من خبرهم في غزوتهم انهم لما بلغوا معان بلغهم ان هرقل
نزل ماب من ارض البلقا في مائة الف من الروم ومائة الف من المستعربة لخم وجذام
والقين وبهرا وبلي وكان المسلمون ثلثة الاف فتشاوروا ان يراجعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيامرهم بامره فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال يا قوم انما هي
احدى الحسنيين اما نصر واما شهادة فقال الناس صدق عبد الله ومضوا حتى التقوا
بمؤتة فقاتل زيد بالراية حتى قتل ثم اخذها جعفر فقاتل شديدا ثم نزل عن فرسه
فعقرها وكان اول من عقر في الاسلام وجعل يقول

يا حبذا الجنة واقترابها • طيبة وباردا شرابها •
والروم روم قد دنا عذابها • كافرة بعيدة انسابها •

ثم قاتل حتى قطعت يمينه فاخذ الراية بشماله فقطعت ايضا فاحتضنها بعضديه
فعوضه الله عن ذلك جناحين يطير بهما في الجنة روينا في صحيح البخاري ان ابن عمر
رضي الله عنه كان اذا حيا ابن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين وقتل
رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة او احدى واربعين ثم اخذ الراية
بعدهما عبد الله وجعل يقول

يا نفس الا تقتلي تموتي • هذا حمام الموت قد صليت •
وما تمنيت فقد اتيت • ان تفعلي فعلهما هديت •

ثم قاتل حتى قتل ثم اصطلح الناس بعدهم على خالد بن الوليد فاخذ الراية وقاتل قتالا
شديدا ودافع عن المسلمين حتى انحازوا وروينا في صحيح البخاري عن ابن حازم قال سمعت
خالد بن الوليد يقول لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة اسياف فما بقي في يدي

الا صفحة يمانية وكان جميع من استشهد بمؤتة ثمانية رجال فيما ذكر ابن اسحق
وذكر ابن هشام عن الزهري اربعة ايضا اخرين واخرين روينا في صحيح البخاري
عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة
للناس قبل ان ياتيهم خبرهم فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم
اخذها ابن رواحة فاصيب وعيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان حتى اخذ الراية سيف
من سيوف الله حتى فتح الله عليهم وفي رواية اخرى قال ثم اخذها خالد بن الوليد
من غير امرة ففتح له فقال لما يسرنا او قال ما يسرهم انهم عندنا وعيناه تذرفان
ويذكر ان ابا بكر رضي الله عنه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اصيب فلان ثم فلان
قال حسبك يا رسول الله فلو لم يقلها لتتابع القول لاصيبوا عن اخرهم وروي عن
اسماء بنت عميس زوجة جعفر قالت لما اصيبوا دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم
فاستدعا بني فاتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه فقلت يا رسول الله بابي انت وامي
يا رسول الله ما يبكيك ابلغك عن جعفر واصحابه شيء قال نعم اصيبوا هذا اليوم قالت
فقمت اصيح واجتمع الي النساء وخرج النبي صلى الله عليه وسلم الى اهله فقال لا تغفلوا
ال جعفر من ان تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بامر صاحبهم وروينا في الصحيحين
عن عائشة رضي الله عنها قالت لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل زيد بن حارثة
وجعفر بن ابي طالب جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فيه الحزن قالت وانا انظر
من صاير الباب فاتاه رجل فقال يا رسول الله ان نساء جعفر وذكر بكاهن فامره
ان يذهب فينهاهن فذهب فاتاه فذكر انهن لم يطعنه فامره الثانية ان ينهاهن فذهب
ثم اتاه فقال والله لقد غلبننا يا رسول الله قال فزعمت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذهب فاحث في افواههن من التراب قالت عائشة فقلت ارغم الله انفك والله
ما تفعل ما امرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العنا لفظ مسلم ولما دنوا من المدينة راجعين تلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الله
بن جعفر بين يديه والمسلمون معه فعيرهم الناس بالفرار فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى ورثاهم حسان بن ثابت وكعب
بن مالك بمراث منها قول حسان في جعفر

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر • حب النبي على البرية كلها •
ولقد جزعت وقلت حين نعيت لي • من للجلاد لدى العقاب وظلها •
بالبيض حين تسل من اغمادها • ضربا وانهال الرماح وعلها •
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر • خير البرية كلها واجلها •
رزا واكرمها جميعا محتدا • واعزها متظلما واذلها •
للحق حين ينوب غير تنحل • كذبا وانداها يدا واقلها •

فحشا واكثرها اذا ما تجتدى • فضلا وانداها يدا واظلها • وابلها
بالعرف غير محمد لا مثله • حي من احياء البرية كلها •

ومما ذكر في هذه السنة قبل الفتح غزوة سيف البحر وكان من خبرها ما رواه جابر
بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة راكب اميرنا
ابو عبيدة بن الجراح نرصد عيرا لقريش فاقمنا بالساحل نصف شهر واصابنا جوع شديد
حتى اكلنا الخبط فسمي ذلك الجيش جيش الخبط فالقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر فاكلنا
منه نصف شهر وادهنا من ودكه حتى ثابت الينا اجسامنا فاخذ ابو عبيدة ضلعا
من اضلاعه فنصبه واخذ رجلا وبعيرا فمر تحته وكان رجل في القوم نحر ثلث جزائر
ثم نحر ثلث جزائر ثم ان ابا عبيدة نهاه رواه البخاري والرجل قيس بن سعد بن عبادة
ففي صحيح البخاري من رواية اخرى ان قيس بن سعد قال لابيه كنت في الجيش فجاعوا قال انحر
قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا
قال انحر قال نهيت وفي رمضان من هذه السنة كان فتح مكة ويسمى فتح الفتوح لان
العرب كانت تنتظر باسلامها اسلام قريش ويقولون هم اهل الحرم وقد اجارهم الله
من اصحاب الفيل فان غلبوا فلا طاقة لاحد به فلما فتح الله مكة دخلوا في دين الله
افواجا فيا بل على حملها بعد ان كانوا يدخلون افرادا ولم يقم للشرك قائمة بعده
وروينا في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عمر يدخلني مع اشياخ
بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابنا مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم
ذات يوم ثم دعاني معهم فما رايت انه دعاني يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون
في قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره
اذا فتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اكذلك تقول يا ابن عباس فقلت
لا قال فما تقول قلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له قال اذا جاء نصر
الله والفتح وذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
فقال عمر ما اعلم منها الا ما تقول وكان سبب غزوة الفتح على ما ذكرها اهل السير
انه كان بين خزاعة وبني بكر عداوة وترات وقد كانت خزاعة دخلت في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية ودخلت بنو بكر في عهد قريش
فمكثوا على ذلك ثمانية عشر شهرا ثم بيتت بنو بكر خزاعة على ماء لهم يسمى الوتير
ناحية عرنة واعانتهم قريش مختفين في سواد الليل فقتلوا رجلا من خزاعة فلما كان
ذلك منهم ركب عمرو بن سالم الخزاعي الكعبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوقف عليه وهو في المسجد بين ظهراني الناس وانشد

يا رب اني ناشد محمدا • حلف ابينا وابيه الاتلدا •
قد كنتم ولدا وكنا والدا • ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا •

فانصر هداك الله نصراً اعتدا • وادع عباد الله يأتوا مددا •
فيهم رسول الله قد تجردا • ان سيم خسفا وجهه تربدا •
في فيلق كالبحر يجري مزبدا • ان قريشا اخلفوك الموعدا •
ونقضوا ميثاقك المؤكدا • وجعلوا لي في كداء رصدا •
وزعموا ان لست ادعو احدا • هم اذل واقل عددا •
هم بيتونا بالوتير هجدا • وقتلونا ركعا وسجدا •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم وعرضت سحابة في السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وعنى بعيد ان جاء ابو سفين يبتغي تاكيد العقد والزيادة في المدة فابى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشيء يعمل عليه فانصرف كمن لم يجئ ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز واذن من حوله من الاعراب وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ثم ان حاطب بن ابي بلتعة كتب كتابا الى قريش يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك روينا في صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ومرثد الغنوي والزبير بن العوام وفي رواية والمقداد وكلنا فارس قال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها امراة من المشركين معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين فادركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معنا الكتاب فانخناها فالتمسنا فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب او لنجردنك فلما رات الجد اهوت الى حجزتها وهي محتجزة بكساء فاخرجته وفي رواية انها اخرجته من عقاصها فانطلقنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه فقال ما حملك على ما صنعت قال والله ما بي ان لا اكون مؤمنا بالله ورسوله اردت ان تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن اهلي ومالي وليس احد من اصحابك الا له هناك من عشيرته من يدفع الله عن اهله وماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق ولا تقولوا له الا خيرا فقال عمر انه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلاضرب عنقه فقال اليس من اهل بدر فقال لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة او فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم هذه احدى روايات البخاري وباقي رواياته وروايات مسلم مقاربة لها ونزل في امر حاطب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الايات وتضمنت منقبة لحاطب حيث خوطب بالايمان وهو امر باطن

ففيه

ففيه دليل على ان كبائر الذنوب لا تسلب الايمان ولا يكفر اهلها وثبت لحاطب ايضا منقبة اخرى وهي ما روينا في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه ان عبدا لحاطب جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا والحديبية رجعنا الى القصة قال اهل السير ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ من جهازه وخرج لعشر مضين من رمضان واستعمل على المدينة كلثوم بن حصين الغفاري فلما بلغ الجحفة لقيه عمه العباس مهاجرا ببنيه وقد كان بعد اسلامه مقيما بمكة على سقايته وعذره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقيه ايضا ببعض الطريق ابو سفين بن الحرث وعبد الله بن ابي امية فكلمته ام سلمة فيهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك فقال لا حاجة لي بهما اما ابن عمي فقد هتك عرضي واما ابن عمتي وصهري فانه قال لي بمكة ما قال فقال ابو سفين والله لتاذنن لي او لاخذن بيد بني هذا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فرق له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلا عليه فاسلما وانشده ابو سفين قصيدته التي يقول فيها

لعمرك اني يوم احمل راية • لتغلب خيل اللات خيل محمد •
لكالمدلج الحيران اظلم ليله • فهذا اواني حين اهدى واهتدي •
هداني هاد غير نفسي ونالني • مع الله من طردت كل مطرد •

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت طردتني كل مطرد فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الكديد افطر وامر الناس بذلك ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة الاف ثم ان العباس لحقته رافة بقريش فخرج على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يصادف احدا يبعثه اليهم فيستامنوا فلقي ابا سفين بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا وقد كانوا خرجوا يتحسسون الاخبار فاخبرهم الخبر فقال له ابو سفين فما الحيلة قال اركب خلفي حتى اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فاردفه ورجع صاحباه فلما مر به العباس على منزل عمر لحقه عمر محرشا عليه ومذكرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم سالف اساءته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس اذهب به الى رحلك فاذا اصبحت فاتني به فلما اصبح جاء به فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فتلكا قليلا ثم اسلم فقال العباس يا رسول الله ان ابا سفين رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا فقال نعم من دخل دار ابي سفين فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن روينا في صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار قال للعباس احبس ابا سفين عند خطم الخيل وفي رواية عند حطم الخيل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على ابي سفين فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال هذه غفار

فردفه

قال مالي ولغفار ثم مرت جهينة قال مثل ذلك ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك
ثم مرت سليم فقال مثل ذلك حتى اقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء
الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة
اليوم تستحل الكعبة فقال ابو سفيان حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي اقل
الكتائب يعني اقلهم عددا وهي اجلهم قدرا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وراية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم
بابي سفيان قال الم تعلم ما قال سعد بن عبادة قال ما قال قال كذا فقال كذب سعد
ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة وامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان تركز رايته بالحجون قال عبد الله بن مغفل رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرا سورة الفتح يرجع فيها انتهت
رواياتنا عن البخاري وروي ان ابا سفيان لما مرت عليه القبائل وكانت قد اوعبت
في تلك الغزاة فالالف من مزينة وسبعمائة سليم وقبلها الف وفي كل القبائل عدد قال
للعباس يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قال فقلت له ويحك انها النبوة
قال فنعم اذا قلت الحق الان بقومك فحذرهم فخرج سريعا فقال لهم من دخل دار ابي
سفيان فهو امن قالوا وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو امن ومن اغلق
عليه بابه فهو امن فتفرق الناس ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعلى مكة
ولم يعرض له قتال وامر خالد بن الوليد في عدد من المسلمين فدخلوا من اسفلها فعرض
لهم عكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية وسهيل بن عمرو بالخندمة فهزمهم خالد
وقتل منهم اثني عشر او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من خيل خالد الا سلمة بن الميلا
الجهني واما كرز بن جابر الفهري وحبيش بن الاشعر فشذا عن خالد وسلكا
طريقا غير طريقه فقتلا جميعا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى
امرائه ان لا يقتلوا الا من قاتلهم الا انه امر بقتل جماعة سماهم وان وجدوا تحت
استار الكعبة فقتل بعضهم واستؤمن لبعضهم ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى البيت
طاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده وهو منكس راسه تواضعا لله
ولما فرغ من طوافه دعا بالمفتاح وكان بيد عثمان بن ابي طلحة العبدري وبيد ابن عمه
شيبة بن عثمان بن ابي طلحة فاتي به ففتح ودخل وركع ركعتين وكسر ما فيه
من الاوثان وطمس الصور واخرج مقام ابرهيم ونزل جبريل عليه السلام بقوله
تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فخرج وهو يتلوها قال عمر
وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمن وشيبة فاعطاهما المفتاح وقال خذاها
خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم وكان العباس سأله ان يجمع له السدانة
الى السقاية قال ابن مسعود ودخل صلى الله عليه وسلم وحول البيت ستون

وثلثمائة

70

وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدئ
الباطل وما يعيد ردوياه وقام صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال لا اله الا الله
وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا ان كل ماثرة او دم
او مال تدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج يا معشر قريش ما ترون
اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقا
فلذلك سمي مسلمة الفتح الطلقا وكان فتح مكة لعشر بقين من رمضان فصل
في ذكر شيء من الواردات يوم الفتح مما ذكره ابو عبد الله البخاري وكثير منها
في مسلم من ذلك ما روي عن ام هاني قالت ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره فسلمت عليه فقال من هذه فقلت انا
ام هاني ابنت ابي طالب فقال مرحبا بام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات
ملتحفا في ثوب واحد فقلت يا رسول الله زعم ابن امي علي انه قاتل رجلا قد اجرته
فلان بن هبيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هاني
قال وذلك ضحى وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى راسه
المغفر فلما نزعه جاء رجل فقال ابن خطل متعلق باستار الكعبة فقال اقتله وعن عائشة
قالت كان عتبة بن ابي وقاص عهد الى اخيه سعد بن ابي وقاص ان ابن وليدة زمعة
مني قال فلما كان عام الفتح اخذه سعد بن ابي وقاص وقال ابن اخي قد عهد الي فيه
فقام عبد الله بن زمعة اخي وابن وليدة ابي ولد على فراشه فتساوقا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ابن اخي كان قد عهد الي فيه فقال عبد
بن زمعة اخي وابن وليدة ابي ولد على فراشه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لك
يا عبد بن زمعة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم
قال لسودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم احتجبي منه لما راى من شبهه
بعتبة فما راها حتى لقي الله عز وجل وعن عائشة ان قريشا اهمهم شان المراة
المخزومية التي سرقت في غزوة الفتح فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الا اسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه
اسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود الله ثم قام
فاختطب ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف
تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد
سرقت قطعت يدها وعن ابي شريح الخزاعي الكعبي انه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث
البعوث الى مكة ائذن لي ايها الامير احدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغد من يوم الفتح سمعته اذناي ووعاه قلبي وابصرته عيناي حين تكلم به انه
حمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان مكة حرمها الله تعالى ولم يحرمها الناس

صدر اعظم الحاج محمد باشا

لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فان احد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم وانما اذن لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس وليبلغ الشاهد الغائب خرجاه متفقين على لفظه وانما قاله صلى الله عليه وسلم بهذا القول حين قتلت خزاعة رجلا من هذيل بمكة ثاني يوم الفتح فوداه صلى الله عليه وسلم

ومما سبق به من الشعر قبل الفتح للفتح قول حسان ردا على ابي سفين بن الحرث

هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء •
هجوت محمدا برا حنيفا • رسول الله شيمته الوفاء •
اتهجوه ولست له بكفؤ • فشركما لخيركما الفداء •
فان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء •
عدمنا خيلنا ان لم تروها • تثير النقع موعدها كداء •
ينازعن الاعنة مصعدات • على اكتافها الاسل الظماء •
تظل جيادنا متمطرات • يلطمهن بالخمر النساء •
فان اعرضتم عنا اعتمرنا • وكان الفتح وانكشف الغطاء •
والا فاصبروا لجلاد يوم • يعز الله فيه من يشاء •
وقال الله قد ارسلت عبدا • يقول الحق ليس به خفاء •
وقال الله قد سيرت جندا • هم الانصار عرضتها اللقاء •
تلاقي كل يوم من معد • سباب او قتال او هجاء •
فنحكم بالقوافي من هجانا • ونضرب حين تختلط الدماء •
فمن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء •
وجبريل رسول الله فينا • وروح القدس ليس له كفاء •

رواه مسلم الا الثالث والثالث عشر فمن سيرة ابن هشام قال وبلغني عن الزهري انه قال لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم الى ابي بكر رضي الله عنه وقال قد سيرت جندا وفي رواية وقد نشرت جندا ولم تصح الرواية بنشرت واتصل بالفتح غزوة حنين وكان من خبرها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الفتح اخبر ان هوازن اقبلت لحربه وكان الذي جمعها عوف بن مالك النصري فاجتمع اليه ثقيف ونصر وجشم وسعد بن بكر وقليل من بني هلال ولم يشهدها من قيس عيلان الا هؤلاء وجملتهم اربعة الاف وساروا معهم بدريد بن الصمة الجشمي متيمنين برايه ومعرفته بالحرب وقد كان فارع الخطوب وابلى في الحروب وله يومئذ مائة وستون او مائة وعشرون سنة وكان اشار بمنع الذراري والاموال ولقاء الرجال بالرجال

وقال

ان المنهزم لا يرده شيء فابى عوف الا المسير بهم فقال دريد هذا يوم لم اشهده ولم يفتني وانشد يا ليتني فيها جذع • اخب فيها واضع • ولما اجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير اليهم ارسل الى صفوان بن امية بن خلف يستعير منه السلاح وكان صفوان بن امية حينئذ مشركا فقال اغصبا يا محمد قال بل عارية مضمونة قال ليس بهذا باس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ثم خرج صلى الله عليه وسلم بجيش الفتح والفين من الطلقاء واستخلف على مكة عتاب بن اسيد الاموي فكانت مدة اقامته بمكة بعد الفتح الى ان خرج لحنين خمسة عشر او سبعة عشر او ثمانية عشر او تسعة عشر يوما يقصر الصلوة لذلك قال اصحابنا ان المسافر اذا دخل بلدا ونوى الخروج منها في كل وقت قصر الى ثمانية عشر يوما ثم يتم وقال بعضهم يقصر ابدا ما دام على هذه النية وتعليله متجه لان النبي صلى الله عليه وسلم وقفت حاجته على هذه المدة والظاهر انه لو زادت حاجته لبقي على ترخصه يؤيده ايضا ما روى ابو داود وصححه ابن حبان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بتبوك عشرين يوما يقصر الصلوة ويروى ان ابن عمر اقام باذربيجان ستة اشهر يقصر الصلوة ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى حنين وهو واد بين مكة والطايف وكان المشركون قد سبقوا اليه فكمنوا في احنائه وشعابه فلما تصوب المسلمون اليه في عماية الصبح شدوا عليهم شدة رجل واحد وانهزم المسلمون راجعين لا يلوي احد على احد وذكر ان رجلا من المسلمين قد قال حين راى تكاثر الجيش لن نغلب اليوم عن قلة فلم يرض قوله ووكلوا الى كلمته ولو امدوا بمن هذا معنى ما ذكره ابن اسحق وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازب وقد ساله رجل من قيس افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفين بن الحرث اخذ بزمامها وهو يقول انا النبي لا كذب وفي رواية انا ابن عبد المطلب وفي رواية فما روي في الناس يومئذ اشد منه وروينا في صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفين بن الحرث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار وانا اخذ بلجام بغلته رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس ناد اصحاب السمرة وكان العباس رجلا صيتا فقلت باعلى صوتي اين اصحاب السمرة

قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا وروي أن العباس لما ناداهم جعل الرجل منهم يثني بعيره فلا يقدر عليه فيقتحم عنه ويؤم الصوت حتى اجتمع منهم مائة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ألف فاستعرضوا الناس وساروا قدما حتى فتح الله عليهم وكانت الهزيمة ونزلت في ذلك قوله تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين قال سعيد بن جبير أمده الله يومئذ بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قيل لم تقاتل الملائكة يومئذ وإنما نزلت لتجبين الكفار وتشجيع المسلمين وروي أنه لما انهزم المسلمون شمت كثير من الطلقاء وانجفلوا بالناس وقال كلدة بن الجنبل الآن بطل السحر فقال له أخوه صفوان بن أمية اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن قال الزهري وبلغني أن شيبة بن عثمان يعني الحجبي قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن أبي طلحة وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما في نفسي فالتفت إلي وضرب في صدري وقال أعيذك بالله يا شيبة فأرعدت فرائصي فنظرت إليه فهو أحب إلي من سمعي وبصري فقلت أشهد أنك رسول الله وأن الله قد أطلعك على ما في نفسي ورويناه في الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه قال لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني فأضرب يده فقطعتها ثم أخذني فضمني ضما شديدا حتى تخوفت ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته وانهزم المسلمون وانهزمت معهم فإذا بعمر بن الخطاب في الناس فقلت له ما شأن الناس فقال أمر الله ثم تراجع الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقام بينة على قتيل فله سلبه فقمت لألتمس بينة على قتيلي فلم أر أحدا يشهد لي فجلست ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من جلسائه سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي فأرضه منه فقال أبو بكر لا يعطه أضيبغ

من قريش

من قريش ويدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأداه إلي فاشتريت به مخرافا فكان أول مال تأثلته في الإسلام ورويناه في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم فتوارى عني فما دريت ما صنع ونظرت إلى القوم فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم وصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فولى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وأرجع منهزما وعلي بردتان متزرا بإحداهما مرتديا بالأخرى فاستطلق إزاري فجمعتهما جميعا ومررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما وهو على بغلته الشهباء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأى ابن الأكوع فزعا فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين وممن ثبت يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان وربيعة ابنا الحرث بن عبد المطلب وأيمن ابن أم أيمن أخو أسامة بن زيد ومن رؤساء المهاجرين أبو بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين قال ابن إسحق فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل منهم تحت رايتهم سبعون رجلا وتفرق المشركون في الهزيمة فلحق عوف بن مالك في آخرين بالطائف وتركوا أولادهم وأموالهم واحتبس كثير منهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة وتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة ولم تتبع من سلك الثنايا فأدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد بن الصمة وهو في شجار له فأناخ به ثم ضربه فلم يغن عنه شيئا فقال بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كنت كذلك أضرب الرجال ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أني قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك ويقال إنه أنشد حين تحققت الهزيمة

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى • فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد •

وما أنا إلا من غزية إن غوت • غويت وإن ترشد غزية أرشد •

غزوة أوطاس

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أبا عامر الأشعري على جيش من المسلمين وبعثه في آثار من توجه قبل أوطاس فأدرك بعض من انهزم فناوشوه القتال فقتل أبو عامر وأخذ الراية بعده ابن أخيه أبو موسى الأشعري ففتح الله عليه وقيل قاتل أبي عامر وهزمهم وغنم أموالهم ورويناه في صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال فرمي أبو عامر قلت يا عم من رماك فأشار إلى أبي موسى قال ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له فلحقته فلما رآني ولى فتبعته وجعلت أقول ألا تستحي ألا تثبت فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء قال

يا ابن اخي اقرئ النبي صلى الله عليه وسلم السلام وقل له استغفر لي واستخلفني ابو عامر على الناس فمكث يسيرا ثم مات فرجعت فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد اثر رمال السرير بظهره وجنبيه فاخبرته بخبرنا وخبر ابي عامر وقال قل استغفر لي فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال اللهم اغفر لعبيد ابي عامر ورايت بياض ابطيه ثم قال اللهم اجعله يوم القيمة فوق كثير من خلقك ومن فقلت ولي فاستغفر فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيمة مدخلا كريما قال ابو بردة احداهما لابي عامر والاخرى لابي موسى وروى ابن هشام عمن يثق به من اهل العلم ان ابا عامر الاشعري لقي يوم اوطاس عشرة اخوة من المشركين فحمل عليه احدهم فحمل عليه ابو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقتله ابو عامر ثم كذلك واحدا بعد واحد حتى قتل تسعة وبقي العاشر فحمل على ابي عامر وحمل عليه ابو عامر وهو يدعوه الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقال الرجل اللهم لا تشهد علي فكف عنه ابو عامر فافلت ثم اسلم بعد فحسن اسلامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راه قال هذا شريد ابي عامر واستشهد من المسلمين يوم حنين واوطاس ايمن بن عبيد الهاشمي وهو ابن ام ايمن الهاشمي قتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزيد بن زمعة بن الاسود الاسدي جمح به فرسه الذي يقال له الجناح فقتل وسراقة بن الحرث الانصاري وابو عامر الاشعري اربعة رجال • ولابي الفضل بن مرداس السلمي في يوم حنين جملة من الشعر وكان اسلامه قبل ذلك ولاسلامه خبر عجيب ناتي قريبا ان شاء الله تعالى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بسبايا هوازن واموالها فحبست له بالجعرانة وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري وقيل ابا سفين بن حرب الاموي وقيل ابا جهم بن حذيفة العدوي وكانت سبايا هم ستة الاف راس ومن الابل والشياه ما لا يعد • ومن توابع الفتح ايضا غزوة الطائف وكان من خبرها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الفتح وحنين واوطاس وتحصن شرا دحنين بالطائف توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدده وعدده وفي ذلك يقول كعب بن مالك في قصيدة له •

فضينا من تهامة كل ريب • وخيبر ثم اجممنا السيوفا •

نخبرها ولو نطقت لقالت • قواطعهن دوسا او ثقيفا •

فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على قرن مهل اهل نجد ثم على وادي ليّة وابتنى به مسجدا وقتل هناك رجلا من بني ليث بقتيل قتله من هذيل وهو اول دم اقيد به في الاسلام وامر بحصن مالك بن عوف النصري فهدم ثم سلك في لية على نخب ونزل تحت سدرة تسمى الصادرة وحوب حائط رجل من ثقيف ثم ارتحل فنزل على حصن الطائف فقتل جماعة من اصحابه بالنبل فانتقل بعيدا منه وضرب هناك قبتين لعائشة وام سلمة وصلى بينهما وهو موضع مسجدها الذي بالطائف اليوم وفي ركنه الايمن القبلي قبر

حبر الامة

حبر الامة ابي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع اعنابهم ورماهم بالمنجنيق ودخل ناس من اصحابه تحت دبابة ثم زحفوا تحتها الى جدار الحصن فرمتهم ثقيف بالنار فاحترقت الدبابة فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل روينا في الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عمر او ابن عمرو رضي الله عنهما قال لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف فلم ينل منهم شيئا قال انا قافلون ان شاء الله فثقل عليهم وقالوا نذهب ولا نفتحه فقال اغدوا على القتال فغدوا فاصابهم جراح فقال انا قافلون غدا ان شاء الله فاعجبهم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان خولة بنت حكيم السلمية سألته ان فتح الله عليه الطائف حلي بادية بنت غيلان او الفارعة بنت عقيل فقال لها وان كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خولة فاخبرت عمر بذلك فقال عمر افلا اوذن بالرحيل يا رسول الله قال بلى فاذن عمر بالرحيل ويقال انما انصرف عنهم حين هل ذو القعدة وهو شهر حرام وكان مدة حصارهم بضعا وعشرين ليلة ويقال سبعة عشر واستشهد بها من المسلمين اثنا عشر او ثلثة عشر رجلا سبعة من قريش واربعة من الانصار وواحد من بني ليث وعد منهم عبد الله بن ابي بكر الصديق وكان اصابه سهم فمات منه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم ختن النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمته عبد الله بن ابي امية المخزومي وهو الذي قال له هيت المخنث يا عبد الله ارايت ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلن هؤلاء عليكم رواه البخاري زاد السهيلي بعد قوله وتدبر بثمان مع ثغر كالاقحوان وثديين كالرمانتين ان قامت تثنت وان قعدت تبنت وان تكلمت تغنت وهي هيفاء شموع نجلاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم قاتلك الله لقد انعمت النظر وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم نفاه الى روضة خاخ فقيل انه يموت بها جوعا فاذن له ان يدخل الجمعة المدينة كل جمعة يسئل الناس وكان المخنثون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة هيت وهرم وماتع وانه لم يكن واحد منهم يركب الفاحشة الكبرى وانما هو التشبه بالنساء فقط وفي الصحيح ان ابا بكرة نفيع بن الحرث تدلى من حصن الطائف على بكرة ونزل الى النبي صلى الله عليه وسلم ثالث ثلثة وعشرين من عبيد اهل الطائف وروي ان اهل الطائف لما اسلموا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فقال هؤلاء عتقاء الله وجعل ولاهم له وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن اهل الطائف قيل له ادع عليهم فقال اللهم اهد ثقيفا وأت بهم خبر غنائم حنين ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف ونزل الجعرانة قسم بها الغنائم فاعطى الطلقا ونفوس العرب ومن ضعف اسلامه يتالفهم ويتالف بهم ووكل اخرين الى ايمانهم ويقينهم منهم الانصار روينا في صحيح مسلم عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفين بن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع

بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال شعرا

اتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تخفض اليوم لا يرفع

فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وذكر خارج الصحيحين جملة من اهل المئين سوى هولاء واخرين دون ذلك واعطا من الشا بغير عدد وفي الحديث ان اعرابيا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فلما رجع الى قومه قال اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا يخشى الفاقة وقد اتى هذا المعنى في مدحه صلى الله عليه وسلم احد المحبين عفيف الدين عبد الله بن جعفر اليمني فقال

القاسم الابل ربت هنيدة ... بجنبين حاديها على العربان
والقاسم الاغنام لا عد لها ... الا بما تلطف به الجبلان

ولما قسم صلى الله عليه وسلم هذه المقاسم الجليلة واعطى العطايا الجفيلة استشرته جفاة العرب واحفوه في المسئلة حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فقال اعطوني ردائي فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وحتى قال له الاعرابي الا تنجز لي ما وعدتني فقال ابشر فقال اكثرت علي من ابشر وقال له اخر ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر وقال له اخر اعدل يا محمد قال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل ولما لم يصب الانصار من هذه المقاسم قليل شي ولا كثيره وجدوا وجدا اعظيما ووقع في انفسهم ما لم يقع قبل ذلك وقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا وسيوفنا تقطر من دمائهم وقالوا اذا كانت شديدة فنحن ندعا ويعطى الغنيمة غيرنا فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبر موجدتهم جمعهم فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيا قالوا الله ورسوله امن قال ما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قال شيا قالوا الله ورسوله امن قال لو شئتم قلتم جيتنا كذا وكذا اترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الانصار وشعبها الانصار شعار والناس دثار انكم ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض روى جميع ذلك البخاري وفي رواية فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم جمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني عنكم فقال فقهاء الانصار اما رؤسانا يا رسول الله فلم يقولوا شيا واما اناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم اما ترضون

ان

ان يذهب الناس بالاموال وتذهبون بالنبي الى رحالكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول الله قد رضينا وفي رواية اخرى قال صلى الله عليه وسلم الا ترضون ان يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله تحوزونه الى بيوتكم قالوا بلى وفيها قال هشام لانس يا ابا حمزة وانت شاهد ذاك قال واين اغيب عنه وروى خارج الصحيحين ان سعد بن عبادة وحسان بن ثابت انطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بموجدة الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة هل وجدت في نفسك كما وجد قومك فقال والله يا رسول الله ما انا الا رجل من قومي فاطرق صلى الله عليه وسلم فبينما هو يفكر اذا اندفع حسان يقول

هام الشجي فدمع العين ينحدر ... سحا على وجنتيه هاطل درر
وجدا بسلمى وقد شط المزار بها ... وغيرتها نوا في صرفها غير
غرا واضحة الخدين خرعبة ... ما عابها اود فيها ولا قصر
كان ريقتها من بعد رقدتها ... مسك بذاك بخمر جين يعتصر
فدع سليمى اذ شط المزار بها ... واصرف مديحك فيمن فيه يفتخر
ذاك الرسول رسول الله اكرمنا ... ومن بطلعته يستنزل المطر
اتى الرسول فقل يا خير منتخب ... ودين من يرتجي جوده او ينتظر
علام تعطي قريشا ال رحمة ... انفال قوم هم اووا وهم نصروا
سماهم الله انصارا لنصرهم ... دين الهدى وعوان الحرب تستعر
هم بايعوك واهل الارض كلهم ... في حالة الشرك لا سمع ولا بصر
نحن الحماة لدين الله ننصره ... بالمشرفية والاكباد تنفطر
نجالد الناس لا نخشى غوايلهم ... ولا نهاب العدا يوما وان كثروا
وقد ابت ببدر والسيوف لها ... وقع يطير له من حره الشرر
ونحن جندك يوم الشعب من احد ... بالمشرفية ما في عودنا خور
والناس البت علينا فيك ليس لنا ... الا السيوف واطراف القنا وزر
لا ننثني عن لقا الاعداء كلهم ... وليس يزجرنا عن حربهم زجر
ويوم سلع وقد جاءت وقد تكلت ... من خوفنا نسيا فينا لما انت مضر
وكم مقام لنا في الحرب نعلمه ... قمنا ولو جهنا في ذاك لن ذهر
ما ان ضجرنا ولا رابت كما بنا ... عن العداة واهل الشرك قد ضجروا
صخر وعمرو وصفوان وعكرمة ... واخرون وقوم ما لهم خطر
فكيف قدمتهم يا خير مؤتمن ... وقد تبين منا فيهم الاثر
الى العطاء الذي قدمته لهم ... ولم يكن لك في سادتنا نظر

هذا ما ذكر محمد بن الحسن الكلاعي في سيرته وحذفت بعض القصيدة اختصارا

وقد ذكر ابن اسحق شيئا من ذلك وتشاركا في بعض الالفاظ وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم حين سمع ذلك بكى فامر سعدا ان يجمع قومه فجمعهم ثم جاء صلى الله عليه وسلم
فكلمهم بما قدمناه والله اعلم ثم ان وفد هوازن جاوا مسلمين ومناشدين للنبي صلى الله عليه
وسلم لرضاعه فيهم فقال له قايلهم يا رسول الله لو انا ملحنا للحرث بن ابي شمر الغساني
او النعمان بن المنذر ثم نزل لنا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعايدته علينا وانت خير المكفولين
وانشده زهير بن صرد الجشمي السعدي وهو احد سراتهم

امنن علينا رسول الله في كرم • فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضه قد عاقها قدر • مشتت شملها في دهرها غير
يا خير طفل ومولود ومنتخب • في العالمين اذا ما حصل البشر
ان لم تداركهم نعما تنشرها • يا ارجح الناس حلما حين تختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها • اذ فوك يملاوه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها • واذ يزينك ما تاتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته • واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت • وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه • من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به • عند الهياج اذا ما استوقد البشر
انا نومل عفوا منك نلبسه • هدى البريه اذ تعفو وتنتصر
فاعفو عفا الله عما انت راهبه • يوم القيمة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم
وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار ما كان لنا
فهو لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم روينا ذلك من عوالي شيخنا الامام الحافظ تقي الدين
محمد بن فهد القرشي الهاشمي العلوي كان الله له قراءة مني عليه لجميعها بالمسجد الحرام
سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فروى ذلك بسنده الى الحافظ ابي القسم الطبراني
ثنا عبد الله بن رملة بن حسن القيسي برباده رملة سنة اربع وسبعين ومائتين قال ثنا
ابو عمرو زياد بن طارق وكان قد اتت عليه عشرون ومائة سنة قال سمعنا ابا جرول
زهير بن صرد الجشمي فذكر الشعر وما بعده وذكر ما قبله ابن اسحق ولم تذكر الشعر
في رواية ابن هشام عنه وذكره في رواية ابرهيم بن سعد عنه وفيه زيادة ونقص
وقد اخترنا من ذلك البيت الثالث بدلا عن بيت اخرجنا من رواية شيخنا وروينا
في الصحيحين عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسالوه ان يرد اليهم اموالهم وسبيهم فقال لهم
ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطايفتين اما المال واما

استوقد النشر

رماجتي

السبي

السبي وقد كنت استانيت بهم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير ادلهم الا احدى الطايفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسلمين فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هولاء جاونا تايبين واني
قد رايت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك فليفعل ومن احب منكم ان يكون
على حظه حتى نعطيه اياه من اول ما يفيء الله علينا فليفعل فقال الناس طيبنا ذلك يا رسول
الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاوكم
امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاوهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
انهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من شان سبي هوازن وروي انه كان في السبي
الشيما بنت الحرث وهي بنت حليمة فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم تعرفت له بالاخوة
فلما عرفها بسط لها رداءه ووهبها عبدا وجارية فزوجت العبد الجارية فلم يزل فيهم
من نسلها بقية وقال ابو الطفيل وهو اخر الصحابة موتا رايت النبي صلى الله عليه وسلم
وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا
امه التي ارضعته ولما انصرف وفد هوازن قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروا
مالك بن عوف انه ان اتاني مسلما رددت اليه اهله وماله واعطيته مائة من الابل
فلما اخبروه خرج من الطايف مستخفيا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلحقه بالجعرانة
او بمكة فاعطاه ما كان وعده به واسلم فحسن اسلامه وقال حين اسلم

ما ان رايت ولا سمعت بمثله • في الناس كلهم بمثل محمد
اوفى واعطى للجزيل اذا اجتدى • ومتى تشا يخبرك عما في غد
واذا الكتيبة عردت انيابها • بالسمهري وضرب كل مهند
فكانه ليث على اشباله • وسط الهباة خادر في مرصد

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فحارب بهم ثقيفا حتى ضيق عليهم
ففي ذلك يقول ابو محجن الثقفي

هابت الاعداء جانبنا • ثم تغزونا بنو سلمه

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا فلما فرغ من عمرته انصرف
راجعا الى المدينة وانقطعت الهجرة واستعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد وخلف معه معاذ
بن جبل يفقه الناس ويعلمهم امر دينهم فحج عتاب ذلك العام بالناس وقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة في اخر ذي القعدة او في ذي الحجة وبقي اهل الطايف على
شركهم الى رمضان من سنة تسع واوفدوا قوما منهم باسلامهم على ما سياتي في
تواريخ السنة ان شاء الله تعالى ومما اتصل بالفتح من البعوث بعث خالد بن الوليد
الى بني جذيمة من كنانة وذلك ما رويناه في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى بني جذيمة فدعاهم الى الاسلام

ثم يحسنوا ان يقولوا اسلمنا فجعلوا يقولون صبانا فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع الى كل رجل منا اسيره فقلت والله لا اقتل اسيري ولا يقتل رجل من اصحابي اسيره حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكرناه فرفع يديه فقال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد مرتين قال اهل السير ثم بعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لتلافي خطا خالد وبعث معه بمال فودى لهم الدماء والاموال حتى ميلغة الكلب ثم بقيت من المال بقية فقال اعطيكم هذه احتياطا لرسول الله مما لا يعلم ولا تعلمون فلما رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر قال اصبت واحسنت واغا وهي انكر النبي صلى الله عليه وسلم على خالد حيث لم يتثبت في امرهم ثم عذره في اسقاط القصاص لان هذا ليس بصريح في قبولهم الدين وقد سال عمر ابا بكر في خلافته قتل خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويرة فقال لا افعل لانه متاول ثم ساله عزله فقال لا اغمد سيفا سله الله على المشركين ولا اعزل والياولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما ذكر هنا ايضا بعث خالد بن الوليد لهدم العزى وكانت بنخلة وكان سدنتها وحجابها من بني شيبان من بني سليم فهدمها خالد ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى سواع صنم هذيل فهدمه روينا في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح عليه السلام في العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع وكانت للعرب اصنام اخر فاللات لثقيف ومناة بقديد واساف ونائلة وهبل لاهل مكة وذو الخلصة لخثعم ودوس فهدمها صلى الله عليه وسلم جميعها ومما ذكر ايضا اسلام عباس بن مرداس ذكر ابن هشام عقب فراغه من قصة الفتح وكان من خبره انه كان لابيه مرداس صنما يعبده يقال له ضمار فاوصاه به عند موته وقال له اعبد ضمار فان ذاك ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عنده اذ سمع مناديا من جوفه يقول

• قل للقبايل من سليم كلها • اودى ضمار وعاش اهل المسجد •
• ان الذي ورث النبوة والهدى • بعد ابن مريم من قريش مهتدى •
• اودى ضمار وكان يعبد مرة • قبل الكتاب الى النبي محمد •

فحرقه عباس ولحق بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ومما اذكر هنا ايضا قصة كعب بن زهير بن ابي سلمى المزني وكان ممن يهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذيه وكان اخوه بجير قد اسلم ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطايف كتب بجير الى كعب يخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا

جاءه

جاءه تائبا وكان كعب قد كتب الى بجير ابياتا ينهى بها النبي يقول فيها

• شربت مع المامون كاسا روية • فانهلك المامون فيها وعلكا •
• وخالفت اسباب الهدى واتبعته • على اي شيء ويب غيرك دلكا •
• على خلق لم تلف اما ولا ابا • عليه ولم تدرك عليه اخا لكا •

فلما جاءت بجيرا اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع قوله المامون قال صدق وانه لكذوب انا المامون وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الامين والمامون وصدقه ايضا في البيت الاخير فقال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم ان بجيرا كتب الى كعب ابياتا يخوفه فيها فلما بلغته ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان في حاضره فسار حتى قدم المدينة فنزل على صديق له من جهينة فذهب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافاه في صلوة الصبح فلما انقضت الصلوة قال له الجهني هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام كعب وجلس بين يديه ووضع يده في يده وقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء مسلما تائبا فهل انت قابل منه ان جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال انا يا رسول الله كعب بن زهير فقال رجل من الانصار يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال دعه فانه جاء تائبا نازعا ثم انشد

• بانت سعاد فقلبي اليوم متبول • متيم عندها لم يفد مكبول •
• وما سعاد غداة البين اذ برزت • الا اغن غضيض الطرف مكحول •
• هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة • لا يشتكى قصر منها ولا طول •
• تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت • كانه منهل بالراح معلول •
• شجت بذي شبم من ماء محنية • صاف بابطح اضحى وهو مشمول •
• تنفي الرياح القذى عنه وافرطه • من صوب سارية بيض يعاليل •
• ويل امها خلة لو انها صدقت • بوعدها اولو ان النصح مقبول •
• لكنها خلة قد سيط من دمها • فجع وولع واخلاف وتبديل • اكرم بها خلة
• فما تدوم على حال تكون بها • كما تلون في اثوابها الغول •
• كانت مواعيد عرقوب لها مثلا • وما مواعيده الا الاباطيل •
• ارجو وامل ان يعجلن في ابد • وما لهن اخال الدهر تعجيل •
• فلا يغرنك ما منت وما وعدت • ان الاماني والاحلام تضليل •
• امست سعاد بارض لا يبلغها • الا العتاق النجيبات المراسيل •
• ولا يبلغها الا عذافرة • فيها على الاين ارقال وتبغيل •
• من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت • عرضتها طامس الاعلام مجهول •
• ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق • اذا توقدت الحزان والميل •
• ضخم مقلدها فعم مقيدها • في خلقها عن بنات الفحل تفضيل •

ولا تمسك بالوعد الذي زعمت الا كما يمسك الماء الغرابيل

غلباء وجناء علكوم مذكرة في دفها سعة قدامها ميل
وجلدها من اطوم لا يؤيسه طلح بضاحية المتنين مهزول

حرف أخوها أبوها من مهجنة ● وعمها خالها قوداء شمليل
يمشي القراد عليها ثم يزلقه ● منها لبان وأقراب زهاليل
عيرانة قذفت بالنحض عن عرض ● مرفقها عن بنات الزور مفتول
قنواء في حرتيها للبصير بها ● عتق مبين وفي الخدين تسهيل
كأنما فات عينيها ومذبحها ● من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمر مثل عسيب النخل ذا خصل ● في غارز لم تخونه الأحاليل
تهوي على يسرات وهي لاهية ● ذوابل وقعهن الأرض تحليل
سمر العجايات يتركن الحصى زيما ● لا يقهن سواد الأكم [illegible]
يوما تظل بها الحرباء مرتبئا ● كأن ضاحيه في النار مملول [مصطخدا]
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ● ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا [نعم]
كأن أوب ذراعيها وقد عرقت ● وقد تلفع بالقور العساقيل
أوب يدي فاقد شمطاء معولة ● قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها ● لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبان بكفيها ومدرعها ● مشقق عن تراقيها رعابيل
تمشي الغواة بجنبيها وقيلهم ● إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله ● لا ألهينك إني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم ● فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ● يوما على آلة حدباء محمول [حدبا]
أنبئت أن رسول الله أوعدني ● والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال ● قرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ● أذنب ولو كثرت في الأقاويل
لقد أقوم مقاما لو يقوم به ● أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد من وجد بوادره ● إن لم يكن من رسول الله تنويل
حتى وضعت يميني ما أنازعها ● في كف ذي نقمات قوله القيل
فلهو أخوف عندي إذ أكلمه ● وقيل إنك منسوب ومسئول
من ضيغم ببضراء الأرض مخدره ● في بطن عثر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ● لحم من الناس معفور خراذيل
إذا يساور قرنا لا يحل له ● أن يترك القرن إلا وهو مفلول
منه تظل حمير الوحش نافرة ● ولا تمشي بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة ● مطرح البز والدرسان مأكول
إن الرسول لنور يستضاء به ● مهند من سيوف الله مسلول [وصارم]

في عصبة

في عصبة من قريش قال قائلهم ● ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف ● عند اللقاء ولا ميل معازيل
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ● ضرب إذا عرد السود التنابيل
شم العرانين أبطال لبوسهم ● من نسج داود في الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق ● كأنها حلق القفعاء مجدول
لا يفرحون إذا نالت رماحهم ● قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
لا يقع الطعن إلا في نحورهم ● وما لهم عن حياض الموت تهليل

هذا ما ذكره ابن هشام من هذه القصيدة، وزاد على ما رواه عن ابن إسحق سبعة أبيات، وقد اختلف النسخ في بعضها ضبطها وكثر اعتناء الفضلاء بها ما بين شارح وموشح ومعارض فتشرف بشرف من صنفت فيه وأنشدت بين يديه وذكروا أنه لما أتى حين إنشادها على قوله إن الرسول لنور يستضاء به ● مهند من سيوف الله مسلول
نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر وأنه صلى الله عليه وسلم خلع عليه بردته وقال له لولا ذكرت الأنصار بخير فإنهم أهل لذلك فقال أبياتا يعدد فيها مناقب الأنصار، وكان كعب هذا وأبوه وأولاده من فحول الشعراء، ومن قوله في النبي صلى الله عليه وسلم

تخدي به الناقة الأدماء معتجرا ● بالبرد كالبدر جلا ليلة الظلم
ففي عطافيه أو أثناء بردته ● ما يعلم الله من خير ومن كرم

ومما يستجاد من قوله

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ● سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ● فالنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل ● لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

ومنه أيضا

مقالة السوء إلى أهلها ● أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ● ذموه بالحق وبالباطل

ومن النوادر في سفر الفتح قصة محلم بن جثامة الليثي وخبرها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان بعث عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي في جيش فلما كانوا ببطن إضم مر بهم عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم عليهم فكف القوم عنه وحمل عليه محلم فقتله لعداوة كانت بينهما وذلك قبل الفتح فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه عظم ذلك عليه ونزل في ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية. فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين جاءه عيينة بن حصن يطلب القود من محلم لكونه يومئذ رئيس غطفان فجاءه الأقرع بن حابس يدافع عن محلم لكونه وإياه من خندف فاختصما في ذلك وجعل صلى الله عليه وسلم يشير بالدية فقال عيينة بن حصن

والله لا ادعه حتى اذيق نساءه الحر ما اذاق نسائي فقام رجل يقال له مكيتل او مكيتر
فقال يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل مثلا في غرة الاسلام الا كغنم وردت فرميت
اولاها فنفرت اخراها اسنن اليوم وغير غدا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال
بل تاخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا فقبلوا فقال لمحلم اجلس بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال له رسول الله صلى امنته بالله ثم قتلته
ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثلاثا فقام
وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه فمكث بعدها سبعا ومات فدفنوه ثلث مرات فلم تقبله
الارض فالقوه بين جبلين فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبره قال ان الارض لتقبل
من هو شر منه ولكن الله اراد ان يعظكم في حرم ما بينكم بما اراكم منه رواه ابن اسحق
وابوداود وابن عبد البر وتفاوتت الفاظهم فيه ويروي كثير من المفسرين في سبب
نزول الاية غير هذا ولا خلاف ان الذي لفظته الارض محلم بن جثامة والله اعلم • وفي هذه
السنة ولد ابرهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم وكان مولده في ذي الحجة مرجع ابيه
من سفر الفتح وكان قابلته سلمى بنت مولاة النبي صلى الله عليه وسلم وامه مارية
بنت شمعون القبطية من هدايا المقوقس واسترضع عند ابي سيف القين وامراته ام سيف
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يذهب اليه ويزوره عندهم وفي الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ولد لي الليلة ولد فسميته باسم ابي ابرهيم وانه دخل عليه في مرضه
فوجده يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن
بن عوف وانت يا رسول الله فقال يا ابن عوف انها رحمة ثم اتبعها باخرى فقال ان العين
تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا بفراقك يا ابرهيم لمحزونون وكان عمره
تسعين ليلة وقيل سبعة اشهر وقيل ثمانية عشر شهرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان له مرضعا في الجنة وكسفت الشمس يوم مات فقال الناس كسفت لموت ابرهيم فنهاهم
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا يكسفان
لموت احد ولا لحيوته **فصل** اذكر فيه شيئا من السرايا والبعوث مما جهل
موضعه من الزمان وعلم بادنى قرينة وقوعه قبل الفتح حرصا على تمام الفايدة ولئلا
يشذ شي منها عن كتابنا والله ولي التوفيق من ذلك ما رويناه في صحيح البخاري عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من
بني حنيفة يقال له ثمامة بن اثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم
وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل منه ما شئت فتركه حتى كان الغد
ثم قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد
فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي ما قلت لك قال اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب

من المسجد

من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
والله يا محمد ما كان على وجه الارض وجه ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي
والله ما كان دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان الي والله ما كان من بلد
ابغض الي من بلدك فاصبح بلدك احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة
فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم قال له قائل صبوت
قال لا ولكن اسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة
حتى ياذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ثمامة هذا من رؤساء بني حنيفة روي
انهم لما جاوا به اسيرا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اتدرون من اسرتم هذا ثمامة
بن اثال احسنوا اساره وهو اول من دخل مكة ملبيا بالتوحيد وفي ذلك يقول شاعر
بني حنيفة مفتخرا • ومنا الذي لبى بمكة معلنا • برغم ابي سفين في الاشهر الحرم •
ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب قام فيهم مقاما حميدا واطاعه منهم
ثلثة الاف فانحاز بهم الى المسلمين وذكر بعضهم ان امير هذه السرية التي اسرت
ثمامة هو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معا واحد والكافر
ياكل في سبعة امعا ولا اري يستقيم شيا من ذلك والله اعلم • ومن ذلك سرية غالب
بن عبد الله الليثي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في جيش وامره ان يشن الغارة على بني الملوح
وهم بالكديد فبيتوهم ليلا وقتلوا من قتلوا واستاقوا نعمهم فلما اصبحوا اغاروا لحقهم
فلما ادركوهم جاء وادي قديد بسيل عظيم فحال بينهم وبينهم فانطلقوا على مهلهم حتى
قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم • ومن ذلك غزوة عبد الله بن رواحة لقتل
اليسير بن رزام وكان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء عبد الله بن رواحة في نفر من اصحابه منهم عبد الله بن انيس فلما قدموا عليه قربوا
له القول ووعدوه ليستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معهم فلما كان
بالقرقرة ندم ففطن له عبد الله بن انيس وهو يريد السيف فاقتحم به وكان رديفه
ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير في راسه فامه ثم مالوا على اصحابه من
اليهود فقتلوهم الا رجلا فر على رجليه فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل
على شجة عبد الله بن انيس فلم تقح • ومن ذلك غزوة عبد الله بن انيس لقتل خالد
بن سفين الهذلي وكان بنخلة يجمع الناس لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
عبد الله بن انيس لا يعرفه فسال النبي صلى الله عليه وسلم تعريفه فقال انك اذا رايته اذكرك
الشيطان واية ما بينك وبينه انك اذا رايته وجدت له قشعريرة فلما انتهى اليه
وجد العلامة التي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له قد جئتك حين سمعت
بجمعك لهذا الرجل قال اجل انا في ذلك قال عبد الله فمشيت معه ساعة حتى اذا امكنني
حملت عليه بالسيف فقتلته فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوفي لي قال

العباس بن عبد المطلب ...
معنى السحر السحر حيث تعلم ...

ثداً فلح الوجه ثم ادخلني بيته فاعطاني عصا فخرج بها عبد الله ثم رجع فقال يا رسول الله
لم اعطيتني هذه العصا قال آية بيني وبينك يوم القيمة فصحبها عبد الله حتى مات وامر بها
ان تدفن معه وفي ذلك يقول عبد الله بن انيس

• تركت ابن ثور كالحوار وحوله • نوايح تفري كل جيب مقدد •
• وقلت له خذها بضربة ماجد • حنيف على دين النبي محمد •
• وكنت اذا هم النبي بكافر • سبقت اليه باللسان وباليد •

ومن ذلك غزوة عيينة بن حصين بني العنبر من بني تميم فاصاب منهم ناسا وسبا منهم
نساء ثم قدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجال لهم يطلبون مفاداتهم
وجعلوا ينادون رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلف الحجر يا محمد اخرج الينا وهم الذين
نزل فيهم قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
ثم خرج اليهم النبي صلى الله عليه وسلم ففادا نصفهم واعتق نصفهم قال مقاتل في قوله تعالى ولو
انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اني كنت اعتقت جميعهم وذكر ابن اسحق فيمن
قدم بسبب السبا القعقاع بن معبد وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس وفي ذلك يقول
الفرزدق • وعند رسول الله قام ابن حابس • بخطة سوار الى المجد حازم •
• له اطلق الاسرى التي في حباله • مغللة اعناقها بالشكايم •
البخاري
وروى في سياق هذه الغزاة عن عبد الله بن الزبير انه قال قدم ركب من بني تميم فقال
ابو بكر امر القعقاع بن معبد بن زرارة قال عمر بل امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر
ما اردت الا خلافي قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الآية والتي بعدها
ومن ذلك سرية زيد بن حارثة الى مدين وهو ما رواه عبد الله بن الحسن المثنا عن امه
فاطمة بنت الحسين رضوان الله عليهم قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد
بن حارثة نحو مدين فاصاب سبايا من اهل ميناء وهي السواحل وفيها جمع من الناس فبيعوا
ففرق بينهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم فقيل يا رسول
الله فرق بينهم فقال لا تبيعوهم الا جميعا يعني الاولاد وامهاتهم قال ابو عبد الله
البخاري باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد الى الحرقات من جهينة
ثم روى بسنده عن اسامة قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا
القوم فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله
الا الله فكف الانصاري عنه فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لي يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله فقلت كان متعوذا
فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم وذكر بعده غزوة
الفتح فرواه مسلم ايضا وزاد قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال

افلا

افلا شققت قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفيها فقال سعد يعني ابن ابي وقاص وانا والله
لا اقتل مسلما حتى يقتله ذو البطين يعني اسامة ومعنى ذلك ما رواه ابن اسحق عن اسامة
قال قلت انظرني يا رسول الله فاني عاهدت الله ان لا اقتل رجلا يقول لا اله الا الله ابدا
قال تقول بعدي يا اسامة قال قلت بعدك ولهذا اعتزل اسامة رضي الله عنه الحرب التي بين
الصحابة رضي الله عنهم فلم يخالط شيئا منها وذكر ابن اسحق ان امير هذه السرية غالب
بن عبد الله الكلبي والله اعلم وهذا الحديث وما سبق قبله من قصة خالد مع بني جذيمة
من اعظم الزواجر عن الاجترا على اراقة الدماء مع قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما وقال صلى
الله عليه وسلم لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما وانظر كيف لم المرء
يعذر النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء وقد كان فعلهم في نصر دين الاسلام وقبل
تقرر الاحكام وتاولوا انما قالها في هذا الحال خوفا من القتل وهو الذي يقرب الى
الافهام فلم يعذرهم بشيء من ذلك بل قال لاسامة افلا شققت عن قلبه ومعناه لو فعلت
لم يفدك ذلك ولم يكن لك سبيل الى معرفة ما هنالك فلم يبق الا ان تبين عنه
لسانه ففي هذا ان الاحكام الشرعية تناط بالمظان والظواهر لا على القطع واطلاع
السرائر والله اعلم

السنة التاسعة

وتسمى سنة الوفود لان النبي صلى الله عليه
وسلم لما فتح مكة ايقنت العرب بظهوره فبعثت كل قبيلة جماعة من رؤسائها
باسلامهم واصح احاديث الوفود حديث وفد عبد القيس ووفد بني تميم ووفد بني حنيفة
واهل نجران اما حديث وفد عبد القيس فسبق في مظنته وحديث بني تميم تقدم ايضا قريبا
في ذكر سرية عيينة بن حصن وذكر البخاري في ترجمة وفد بني تميم حديثا ولهذا
وهو ما روى عن عمران بن حصين قال اتى نفر من بني تميم النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا يا رسول الله قد بشرتنا فاعطنا فرؤي ذلك في وجهه فجاء
نفر من اليمن فقال اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قد قبلنا يا رسول الله
وذكر اهل السير لوفد بني تميم جملة من الاخبار منها انه لما قام خطيبهم وشاعرهم
قام ثابت بن قيس وحسان فاجاباهما فقال الاقرع بن حابس ان محمدا المؤتا خطب
خطيبا وكان خطيبهم احسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم احسن ثم اسلم مرساعرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا وذكر في وفدهم عطارد
بن حاجب وهو صاحب الحلة الذي جرى ذكرها في الصحيح وكان ابوه حاجب بن زرارة
وفد على كسرى فكساها اياها وظهر من متفرقات الاحاديث ان مجيء بني تميم
مرات والله اعلم • واما وفد بني حنيفة ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال قدم مسيلمة
الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ان جعل لي محمد الامر من بعده
تبعته وقدمها في بشر كثير من قومه فاقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد حتى وقف
على مسيلمة في اصحابه فقال لو سالتني هذه القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو امر الله فيك
ولئن ادبرت ليعقرنك الله تعالى واني لاراك الذي رايت فيه ما رايت وهذا ثابت
يجيبك عني ثم انصرف عنه قال ابن عباس فسالت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
انك ارى الذي رايت فيه ما رايت فاخبرني ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينا انا نائم رايت في يدي سوارين من ذهب فاهمني شانهما فاوحي الي في المنام
ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان بعدي احدهما العنسي والآخر
والآخر مسيلمة فاما مسيلمة فعظم امره بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وكان
داعية اهل الردة فندب ابو بكر لقتاله خالد بن الوليد فقتله وافنى قومه قتلا
وسبيا وقتل وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان مولده قبل مولد عبد الله والد النبي
صلى الله عليه وسلم ويسمى رحمان اليمامة فكان ذلك من اعظم اسباب فتنته وكان
صاحب نيرنجات وتمويهات واختلاق وتزوج ايضا سجاح فاختلطا الكذابان واسلمت
سجاح في خلافة عمر واما العنسي واسمه الاسود ولقبه عبهلة فاتبعه قبائل من مذحج
واليمن وغلب على صنعا فقتله فيروز الديلمي بمواطاة من زوجته وكانت مسلمة
وكانت تحدث انه لا يغتسل من جنابته وبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
بقتله في مرض موته والعنسي وابن صياد من اول الدجاجلة والذين اشار اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون
قريبا من ثلثين كلهم يزعم انه رسول الله واما اهل نجران فانهم جاؤوا للمحاجة في نبوة
عيسى ونزل بسببهم قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون ونزلت فيهم ايضا آية المباهلة وهي قوله تعالى فمن حاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ولما نزلت جاء النبي صلى
الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفهما وهو يقول لهم ان
انا دعوت فامنوا وهو معنى قوله تعالى ثم نبتهل اي نتضرع في الدعاء والبهل اللعن
ايضا فلما فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم تلاوموا بينهم وقالوا ان فعلتم اضطرم
عليكم الوادي نارا ثم قالوا له اما لمن نعرض علينا سوى هذا فقال الاسلام او الجزية
او الحرب فصالحوه على الجزية في كل عام الف حلة في صفر والف حلة في رجب
وعينا في صحيح البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال جاء السيد والعاقب صاحبا نجران
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعناه فقال احدهما لصاحبه لا تفعل فوالله
لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا انا نعطيك ما سالتنا
وابعث معنا رجلا امينا ولا تبعث معنا الا امينا فقال لابعثن معكم رجلا امينا حق امين

فاستشرف

فاستشرف لها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا امين هذه الامة ومن الوفود وفد طيء ورئيسهم
زيد الخيل وسمي بذلك لخمسة افراس كانت له مشهورة وسماه النبي صلى الله عليه وسلم
زيد الخير وقال ما ذكر لي رجل ثم جاءني الا رايته دون ما يقال فيه الا زيد الخيل فانه
لم يبلغ كل ما فيه وكتب له باقطاع ارضين ولما انصرف راجعا قال النبي صلى الله عليه وسلم
اي رجل ان لم يدركه ام كلبة فمات منها بالطريق واما عدي بن حاتم الطائي فانه لما
سمع بخيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وطئت اطراف بلادهم ارتحل ببنيه ولحق باهل دينه
من النصارى وترك اخته في الحي فجاءت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبحتهم
واحتملوا ابنة حاتم وجعلوها في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها
فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد
فامنن علي من الله عليك قال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله
فمن عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها واعطاها نفقة فلما قدمت على
اخيها طفقت تسبه عليه وتلومه ان تركها خلفه وتلومه ايضا على تخلفه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقدم عدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكرمه وذهب
به الى بيته واخبره باشياء مما يستقبل من الزمان ولم يرو البخاري في ترجمة وفد طي غير
حديث واحد وهو ما روى بسنده عن عدي بن حاتم قال اتينا عمر في وفد فجعل يدعو
رجلا رجلا يسميهم فقلت اما تعرفني يا امير المؤمنين قال بلى اسلمت اذ كفروا واقبلت
اذ ادبروا ووفيت اذ غدروا وعرفت اذ نكروا فقال عدي فلا ابالي اذا وفي
رواية مسلم ان اول صدقة بيضت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه
اصحابه صدقة طي جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شر الوفود
وفادة عامر بن الطفيل واربد بن قيس وكانا قد تمالآ على الفتك برسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما منعهما الله من ذلك ولم يجبهما النبي صلى الله عليه وسلم الى ما سالا
قال عامر لاملانها عليك خيلا ورجالا ولاربطن بكل نخلة فرسا فجعل اسيد بن حضير
يضرب في رؤوسهما ويقول اخرجا ايها الهجرسان فقال له عامر ومن انت فقال اسيد
بن حضير فقال احضير بن سماك قال نعم قال ابوك خير منك فقال بل انت انا خير منك
ومن ابي يعني بالاسلام وقد سبق شيء من ذلك وخبر ميتتهما في ذكر بئر معونة
والله اعلم ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود اليمن ارسالا وفيهم قال
النبي صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم الين قلوبا وارق افئدة الايمان يمان
والحكمة يمانية فمنهم فروة بن مسيك المرادي اليمني ولما قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له هل ساءك ما اصاب قومك يوم الردم وهو يوم كان لهمدان على مراد
قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما اصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ان ذلك لم يزد قومك في الاسلام الا خيرا
واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه
خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فاقام عنده حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم
ومن قول فروة بن مسيك في يوم الردم

فان نغلب فغلابون قدما • وان نغلب فغير مغلبينا •
وما ان طبنا جبن ولكن • منايانا وطعمة اخرينا •
كذاك الدهر دولته سجال • تكر صروفه حينا فحينا •

ومنهم عمرو بن معدي كرب الزبيدي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم
وبايع ثم ارتد من الردة ومنهم صرد بن عبد الازدي قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاسلم ثم سار على اهل جرش فحاصرهم قريبا من شهر ثم انصرف عنهم راجعا
فتبعوه فكر عليهم فقتلهم قتلا شديدا وكان رجلان منهم في المدينة فنعى اليهما
النبي صلى الله عليه وسلم قومهما في ذلك الحين فسالاه ان يدعو الله لهم فقال اللهم
ارفع عنهم ثم قدم وفد جرش بعد ذلك فاسلموا وحمى لهم النبي صلى الله عليه وسلم حمى
حول قريتهم والله اعلم • ومنهم وفد كندة ثمانون او ستون راكبا عليهم الاشعث
بن قيس فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وقد رجلوا جممهم وتكحلوا ولبسوا
جباب الحبرات مكففة بالحرير فقال لهم الم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير فنزعوه
ثم قال الاشعث يا رسول الله نحن بنو آكل المرار وانت ابن آكل المرار فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ناسبوا بهذا النسب ربيعة بن الحرث والعباس
بن عبد المطلب وكانا تاجرين فكانا اذا شاعا في ارض العرب فسئلا ممن انتما قالا
بنو آكل المرار ليتعززا بذلك في العرب لان بني آكل المرار من كندة كانوا ملوكا
ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي
من ابينا ومنهم وفد همدان فيهم مالك بن نمط ذو المشعار وافوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك عليهم الحبرات والعمائم العدنية على المهرية
والارحبية وهم يرتجزون •

همدان خير سوقة واقيال • ليس لها في العالمين امثال •
محلها الهضب ومنها الابطال • لها اطابات بها واكال •

اليك جاوزن سواد الريف في هبوات الصيف والخريف مخطمات بحبال الليف
ثم قال مالك بن نمط يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلص
نواج متصلة بحبال الاسلام لا تاخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام وشاكر
اهل السود والقود اجابوا دعوة الرسول عهدهم لا ينقض ما اقامت لعلع وما جرى
اليعفور بصلع فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم

هذا

هذا كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخلاف خارف ويام اهل جناب الهضب
وحقاف الرمل ان لهم فراعها ووهاطها ياكلون علافها ويرعون عفاءها ما اقاموا
الصلوة واتوا الزكوة لهم بذلك عهد الله وشاهدهم المهاجرون والانصار ومن قول مالك
بن نمط رضي الله عنه •

حلفت برب الراقصات الى منى • صوادر بالركبان من هضب قردد •
بان رسول الله فينا مصدق • رسول اتى من عند ذي العرش مهتد •
فما حملت من ناقة فوق رحلها • اشد على اعدائه من محمد •
واعطى اذا ما طالب العرف جاءه • وامضى بحد المشرفي المهند •

ووافاه ايضا مقدمه من تبوك كتاب ملوك حمير باسلامهم فكتب اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرث بن عبد كلال والنعمن
قيل ذي رعين ومعافر وهمدان اما بعد ذلكم فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو
وقد وقع بنا رسولكم منقلبنا من ارض الروم وانبانا باسلامكم وقتلكم المشركين
ثم كتب لهم نصب الزكوة والفريضة التي فرضها الله عليهم فيها قال فمن زاد فهو خير له
وكتب الى زرعة بن ذي يزن ان اذا اتاكم رسلي فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل
وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة واصحابهم وان اجمعوا
ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم وبلغوها رسلي وان اميرهم معاذ بن جبل فلا
ينقلبن الا راضيا روينا في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن ستاتي قوما اهل كتاب فاذا جئتهم
فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك
بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم اطاعوا
لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم
فان هم اطاعوك بذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه
وبين الله حجاب وروينا فيه ايضا عن ابي بردة الاشعري قال بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا موسى ومعاذ بن جبل الى اليمن وبعث كل واحد منهما على مخلاف قال
واليمن مخلافان ثم قال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا فانطلق كل واحد منهم الى عمله
قال وكان كل واحد منهما اذا سار في ارضه كان قريبا من صاحبه احدث به عهدا
فسلم عليه فسار معاذ في ارضه قريبا من صاحبه ابي موسى فجاء يسير على بغلته حتى
انتهى اليه واذا هو جالس وقد اجتمع اليه الناس فاذا رجل عنده قد جمعت يداه الى عنقه
فقال له معاذ يا عبد الله بن قيس ايم هذا قال هذا رجل كفر بعد اسلامه قال لا انزل
حتى يقتل فامر به فقتل ثم نزل فقال يا عبد الله كيف تقرا القرآن قال اتفوقه تفوقا
قال فكيف انت يا معاذ قال انام اول الليل فاقوم وقد قضيت جزئي من النوم فاقرا

ما كتب الله لي فاحتسب نومتي كما احتسب قومتي ودوّنّا فيه ايضا عن عمرو بن ميمون
ان معاذا لما قدم اليمن صلى بهم الصبح فقرا واتخذ الله ابرهيم خليلا فقال رجل من القوم
لقد قرت عين ام ابرهيم ومنهم بنو نهد قالوا يا رسول الله جئناك من غوري تهامة
باكوار الميس ترتمي بنا العيس وشكوا عليه جدب بلادهم فقال اللهم بارك لبني نهد
في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك لهم في المال
والولد من اقام الصلوة كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد — والولد
ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة
ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوات ولاهل اليمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبار طويلة فيما قالوا وقيل لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب كل وفد بلغتهم
ويحاوبهم على مقتضى فصاحتهم وممن وافاه مقدمه من تبوك وفد ثقيف وكان — ويحاذيهم
من حديثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم تبعه عروة بن مسعود فادركه
قبل ان يصل المدينة فاسلم واخذ راجعا الى قومه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انهم قاتلوك فقال يا رسول الله انا احب اليهم من ابصارهم فكان محببا اليهم — الهم
مطاعا فيهم فلما جاءهم دعاهم الى الله تعالى فرموه بالنبل من كل ناحية فاصابه سهم
فقتله فقال ادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان — لهم
يرتحل عنكم فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ان مثله في قومه كمثل
صاحب يس ثم اقامت ثقيف بعد قتله اشهرا وسقط في ايديهم وراوا ان لا
طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فاوفدوا جماعة منهم باسلامهم فلما نزلوا قناة
القوا ابلها للمغيرة بن شعبة يرعى الابل وكان يوم نوبته فلما راهم ترك الركاب
وانصرف مسرعا مبشرا فلقيه ابو بكر رضي الله عنهما فاخبره فقال له ابو بكر اقسمت
عليك بالله لا تسبقني بخبرهم ففعل المغيرة فدخل ابو بكر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره بقدومهم ثم خرج المغيرة فتلقاهم وعلمهم التحية فلم يفعلوا الا تحية
الجاهلية فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبة في المسجد وكان فيما سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم اللات ثلث سنين فابى عليهم ثم سالوه شهرا
فابى عليهم ثم سالوه ان يعفيهم من الصلوة وان لا يكسروا اوثانهم بايديهم
فقال لهم اما كسر الاوثان فسنعفيكم منه واما الصلوة فلا خير في دين لا صلوة فيه
فقالوا فسنؤتيكها وان كانت دناءة ثم اسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابهم وامر عليهم عثمن بن ابي العاص وكان من احدثهم سنا وانما امره عليهم لانه
راه اكثرهم سؤالا عن معالم الدين وبعث معهم ابا سفين بن حرب والمغيرة — قدومهم على
بن شعبة يهدمان اللات وكان النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان مرجعه
من تبوك قد روي عن بعض وفدهم قال كان بلال ياتينا بعد ان اسلمنا بسحورنا

وانا

وانا لنقول ان الفجر قد طلع فيقول تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر ويأتينا
بفطورنا وانا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد فيقول ما جئتكم حتى اكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم يضع يده في الجفنة فيلتقم منها وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين
ان عضاه وج وصيده لا يعضد من وجد يفعل من ذلك شيئا فانه يجلد وينزع ثيابه
وكتب خالد بن سعيد بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد على ذلك علي وابناه الحسن
والحسين وذكروا ان المغيرة لما اراد هدم اللات قام اهل ثقيف دونه خشية ان يصيبه
ما اصاب عروة بن مسعود ولما شرع في الهدم صاح وخر مغشيا عليه مستهزئا بهم فارتجت
المدينة فرحا فقام المغيرة يضحك منهم يا خبثاء ما قصدت الا الهزء بكم ثم اقبل على هدمها حتى
استاصلها واخذ مالها وحليها وفرغ من امرها وممن ذكر في وفد هذه السنة وفد فزارة
بضعة عشر رجلا ووفد تجيب ثلثة عشر رجلا ووفد بني اسد قيل وفيهم نزل قوله تعالى
يمنون عليك ان اسلموا ووفد كلاب ووفد بلي ووفد الداريين من لخم وهم عشرة ووفد
سعد هذيم **غزوة تبوك** وهي الفردة لم يكن في عامها غيرها ولم يغز صلى الله عليه
وسلم بعدها حتى توفي وسماها الله تعالى ساعة العسرة لوقوعها في شدة الجدب والحر والقل
وقلة الزاد والظهر وكان من خبرها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من جهاد العرب
امر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وحث المياسير على اعانة المعاسير فانفق عثمن رضي الله عنه
فيها الف دينار وحمل على تسعمائة وخمسين بعيرا وخمسين فرسا لذلك قيل له مجهز جيش
العسرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمن فاني عنه راض وقال
ما ضر عثمن ما عمل بعد اليوم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد به الجد فخرج
وضرب معسكره على ثنية الوداع واوعب معه المسلمون فكان عددهم سبعين الفا
وقيل ثلثين الفا وتخلف عبد الله بن ابي ومن معه جبنا ونفاقا ودخلا وفيهم نزلت — ثمانين
سورة براءة سماها ابن عباس الفاضحة قال فما زالت تنزل فيهم ومنهم ومنهم
حتى ظنوا انها لم تبق احدا منهم الا ذكر فيها وتخلف اخرون لا عن نفاق وريبة
اخلادا الى الظل والكسل وهم الذين تاب الله عليهم وتخلف اخرون ممن عذر الله
تعالى في قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
وهو بتبوك ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا شعبا الا وهم معنا فيه حبسهم العذر
وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الخميس وكان يحب ان يخرج
فيه وذلك لخمس خلون من رجب واستخلف على خاصته وممن ترك علي بن ابي طالب
فعيره المنافقون بالتخلف فادرك النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اتخلفني في
الصبيان والنساء فقال الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه ليس نبي
بعدي ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهه فلما مر بالحجر ديار ثمود قال لا

تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم مثل ما اصابهم الا ان تكونوا باكين
ثم قنع راسه واسرع السير حتى اجاز الوادي ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى تبوك وهي ادنى بلاد الروم اتاه يحنة بن رؤبة واهل جربا واذرح فصالحهم على
الجزية وكتب ليحنة بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي رسول الله
ليحنة بن رؤبة واهل ايلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد
النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن
واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه فانه طيب لمن
اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر ثم بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك
الكندي صاحب دومة الجندل وقال انك تجده يصيد البقر فمضى خالد حتى اذا كان
من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة اقام وجاءت بقر الوحش حتى حكت قرونها بباب
القصر فخرج اليهم اكيدر في جماعة من خاصته فلقيتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذوا اكيدر وقتلوا اخاه حسان فحقن رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه
وصالحه على الجزية وكان نصرانيا واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بتبوك
بضع عشرة لم يجاوزها ثم اخذ راجعا الى المدينة ولما كان ببعض الطريق مات ذو البجادين
المزني ليلا قال ابن مسعود فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وهو يقول
لابي بكر وعمر ادنيا الي اخاكما فدلياه اليه فلما هياه لشقه قال اللهم قد امسيت
راضيا عنه فارض عنه قال ابن مسعود حينئذ يا ليتني كنت صاحب الحفرة وعن
ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وهو
بتبوك فقال يا محمد اشهد جنازة معوية بن معوية المزني فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونزل جبريل عليه السلام في سبعين الفا من الملئكة فوضع جناحه الايمن
على الجبال فتواضعت ووضع جناحه الايسر على الارض فتواضعت حتى نظر الى مكة
والمدينة فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل والملئكة عليهم السلام
فلما فرغ قال يا جبريل بما بلغ معوية هذه المنزلة قال بقراءته قل هو الله احد قائما
وراكبا وماشيا رواه النسبي والبيهقي ولما نزل صلى الله عليه وسلم بذي اوان
قريبا من المدينة اتاه جبريل بخبر مسجد الضرار وكانوا اثني عشر رجلا فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي واخاه وعامر ابن السكن ووحشي
بن حرب قاتل الحمزة وقال لهم انطلقوا الى هذا الظالم اهله فاهدموه وحرقوه فخرجوا
سراعا حتى اتوه وفيه اهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه اهله واتخذ مكانه كناسة
يلقى فيها الجيف وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة في شهر رمضان ولما قدمها بدا في
المسجد فصلى فيه ركعتين وكانت تلك عادته ثم جلس للناس وجاءه المخلفون موضعه

يعتذرون

يعتذرون اليه بالباطل ويحلفون له فقبل منهم ووكل سرائرهم الى خالقهم وفيهم نزل قوله
تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم الاية وما بعدها حديث الثلاثة الذين
خلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع قال بعض الشارحين اول اسمائهم
مكة واخر اسماء ابائهم عكة وروينا في الصحيحين واللفظ للبخاري عن كعب بن مالك رضي الله
عنه قال لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا في غزوة تبوك
غير اني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها انما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد
حين شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب
ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس منها وكان من خبري اني لم اكن
قط اقوى ولا ايسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان
قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة
واردى غيرها الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد
واستقبل الناس سفرا بعيدا ومفاوز وعدوا كثيرا فجلا للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة
غزوهم فاخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير
لا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن انه
مما لم سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة
حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت
اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا فاقول في نفسي انا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي
فما زال حتى اشتد بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم اقض من
جهازي شيئا فقلت اتجهز بعده بيوم او يومين ثم الحقهم فغدوت بعد ان فصلوا لاتجهز فرجعت
ولم اقض شيئا فلم يزل بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو وهممت ان ارتحل فادركهم وليتني
فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فطفت فيهم احزنني اني لا ارى الا رجلا مغموصا عليه النفاق او رجلا ممن عذر الله من
الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس
في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في
عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغني انه توجه قافلا حضرني همي
فطفقت اتذكر الكذب واقول بماذا اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك
بكل ذي راي من اهلي فلما قيل لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني
يومه الباطل وعرفت اني لم اخرج منه ابدا بشيء فيه كذب فاجمعت صدقه واصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين

ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا
بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم واستغفر لهم علانيتهم
ووكل سرائرهم الى الله تعالى فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي
تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك
فقلت بلى اني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت ان ساخرج
من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لان حدثتك اليوم حديث
كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولان حدثتك حديث صدق تجد علي
فيه اني لارجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر
مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى
يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت
اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه
وسلم لك فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي ثم قلت لهم هل
لقي هذا معي احد قالوا رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما
قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال بن امية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا
بدرا فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا
ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي
الارض فما هي التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في
بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم وكنت اخرج فاشهد الصلوة
مع المسلمين واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلوة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي ام لا
ثم اصلي قريبا منه فاسارقه النظر فاذا اقبلت الى صلوتي اقبل الي واذا التفت نحوه
اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط
ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت
يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله فسكت فعدت له فناشدته فسكت
فعدت اليه فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت
حتى تسورت الجدار قال فبينا انا امشي بسوق المدينة اذا نبطي من انباط الشام من اهل
الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق
الناس يشيرون له حتى اذا جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان فاذا فيه اما بعد
فانه قد بلغني ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا
نواسك فقلت لما قراتها وهذا ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى

اذا

اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فيقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك فقلت اطلقها ام ماذا افعل
فقال لا بل اعتزلها ولا تقربها وارسل الى صاحبي مثل ذلك فقلت لامراتي الحقي باهلك
فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امراة هلال بن امية رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره
ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت انه والله ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي
منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم في امراتك كما اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه فقلت والله لا استاذنت
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
استاذنته فيها وانا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة
من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلوة الفجر صبح
خمسين ليلة وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكرها الله
قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صارخا اوفى على جبل سلع يقول
باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا لله تعالى وعرفت ان قد جاء فرج
واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا
وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم فاوفى على الجبل
وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي
فكسوته اياهما ببشراه والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما
وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة
يقولون ليهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا برسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني
والله ما قام الي رجل من المهاجرين غيره ولا انساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور
ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من
عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار
وجهه حتى كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله
ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امسك عليك بعض مالك فهو خير لك فقلت اني امسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول
الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث حديثا الا صدقا ما بقيت
فوالله ما اعلم احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني وما تعمدت
منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا واني لارجو ان

يحفظني الله فيما بقيت وانزل الله على رسوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما انعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني الله
للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته
فاهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله تعالى قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد
فقال الله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الى قوله فان الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين **فصل** واعلم ان في حديث كعب هذا فوائد منها استحباب رد غيبة
المسلم كما فعل معاذ بن جبل رضي الله عنه ومنها ملازمة الصدق وان شق فان عاقبته
الى خير ومنها استحباب ركعتين في المسجد عند القدوم من السفر قبل كل شيء ومنها
انه يستحب للقادم من السفر اذا كان مقصودا ان يجلس لمن يقصده في موضع بارز
كالمسجد ونحوه ومنها اجراء احكام الناس على الظاهر والله اعلم يتولى السرائر ومنها هجران
اهل البدع والمعاصي الظاهرة وترك السلام تحقيرا لهم وزجرا ومنها استحباب بكائه على عليهم
نفسه اذا بدت منه معصية وحق له ان يبكي ومنها جواز احراق ورقة فيها ذكر الله
لمصلحة كما فعل عثمن رضي الله عنه ومنها كناية الطلاق كقوله الحقي باهلك لا يقع
الا بالنية ومنها جواز خدمة المراة زوجها من غير الزام ووجوب ومنها استحباب
سجود الشكر عند حصول نعمة او اندفاع نقمة ظاهرتين والتصدق عند ذلك ومنها
استحباب التبشير والتهنية واكرام المبشر بكسوة ونحوها ومنها استحباب القيام
للوارد اكراما له اذا كان من اهل الفضل باي نوع كان وجواز سرور المقوم له
بذلك كما سر كعب بقيام طلحة رضي الله عنهما وليس بمعارض لحديث من سره ان يتمثل له
الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار لان هذا الوعيد للمتكبرين ومن يغضب
ان لم يقم له وقد كان صلى الله عليه وسلم يقوم لفاطمة سرورا بها وتقوم هي له كرامة
وكذلك كل قيام اثمره الحب في الله تعالى والسرور لاخيك بنعمة الله والبر ممن
يتوجه بره والاعمال بالنيات والله سبحانه اعلم وفي هذا العام وقيل فيما قبل الحجاب
اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وكان من خبر ذلك ما روينا في
الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسئل
عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين
قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج وحججت معه وعدل وعدلت
معه باداوة فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ فقلت يا امير المؤمنين من
المرأتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد
صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة ثم استقبل عمر
الحديث يسوقه قال كنت انا وجار لي من الانصار في بني امية بن زيد وهم من عوالي
المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما

وانزل

وانزل يوما فاذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي وغيره واذا نزل فعل
مثل ذلك وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الانصار اذا قوم تغلبهم نساؤهم
فطفق نساؤنا ياخذن من ادب نساء الانصار فصخبت على امرأتي فراجعتني فانكرت
ان تراجعني فقالت ولم تنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فافزعني ذلك وقلت قد خاب من فعل ذلك
منهن ثم جمعت علي ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها اي حفصة اتغاضب
احداكن النبي صلى الله عليه وسلم حتى الليل قالت نعم قلت قد خبت وخسرت
افتامنين ان يغضب الله تعالى لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكي لا
تستكثري النبي صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك
ولا يغرنك ان كانت جارتك اوضأ واحب الى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة
قال عمر وكنا قد تحدثنا ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الانصاري في
يوم نوبته فرجع الينا عشاء فضرب بابي ضربا شديدا فقال اثم هو ففزعت فخرجت
اليه فقال قد حدث اليوم امر عظيم قلت ما هو اجاء غسان قال لا بل اعظم من ذلك
واهول طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن
هذا يوشك ان يكون فجمعت علي ثيابي فصليت صلوة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم
فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مشربة له فاعتزل فيها ودخلت على حفصة فاذا هي
تبكي فقلت ما يبكيك الم اكن حذرتك هذا اطلقكن النبي صلى الله عليه وسلم قالت
لا ادري ها هو معتزل في المشربة فخرجت فجئت الى المنبر فاذا حوله رهط يبكي بعضهم
فجلست معهم قليلا ثم غلبني ما اجد فجئت المشربة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت لغلام له اسود استاذن لعمر فدخل الغلام فكلم النبي صلى الله عليه وسلم
معلم ثم رجع فقال كلمت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرتك له فصمت فانصرفت حتى
جلست مع الرهط الذين هم عند المنبر ثم غلبني ما اجد فجئت الغلام فقلت استاذن لي
فاستاذن ثم رجع قال ذكرتك فصمت فلما وليت منصرفا قال اذا الغلام يدعوني
قد حلف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد اذن لك النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه
وبينه فراش قد اثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من ادم حشوها ليف فسلمت
عليه ثم قلت وانا قائم يا رسول الله اطلقت نساءك فرفع الى بصره فقال لا فقلت
الله اكبر ثم قلت وانا قائم استانس يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتنا
وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة اذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله لو رايتني وقد دخلت على حفصة فقلت
لها لا يغرنك ان كانت جارتك اوضأ منك واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد عائشة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة اخرى فجلست حين رايته تبسم فرفعت

بصري في بيته فوالله ما رايت فيه شيئا يرد البصر غير أهب ثلث فقلت يا رسول الله ادع الله
تعالى فليوسع على امتك فان فارس والروم قد وسع عليهم واعطوا الدنيا وهم لا يعبدون
الله تعالى فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال او في هذا انت يا ابن الخطاب
اولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحيوة الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعتزل النبي صلى
الله عليه وسلم نساءه من ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عايشة تسعا وعشرين ليلة
وكان قد قال ما انا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى
فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عايشة فبدا بها فقالت له عايشة يا رسول الله انك
كنت اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانما اصبحت من تسع وعشرين اعدهن عدا فقال الشهر تسع
وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عايشة رضي الله عنها
ثم انزل الله اية التخيير فبدا بي اول امراة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن
فقلن مثل ما قالت عايشة رضي الله عنهن اجمعين قلت اختلفت الروايات في سبب اعتزاله
صلى الله عليه وسلم ازواجه وايلائه منهن شهرا واصحها ما ثبت في الصحيحين ان سببه
تظاهر عايشة وحفصة غيرة عليه ان شرب عند زينب بنت جحش عسلا فقالت له كل واحدة
منهما اكلت مغافير وهو شي تشبه رائحته رائحة الخمر قال لا ولكن شربت عسلا عندها
ولن اعود له وقد حلفت لا تخبري احدا وقيل سببه تحكمهن عليه في سؤال النفقة
ثبت ذلك في الصحيح ايضا ثم اختلفوا في التحريم الذي عاتبه الله عليه فقيل هو تحريمه العسل
وقيل تحريمه لمستولدته مارية حين وطئها في بيت حفصة فارضاها بان حرمها وقيل
تحريمه ام شريك اذ وهبت نفسها له فلم يقبلها لاجل ازواجه واصحها الاول ثم الثاني
وعليه اكثر المفسرين لكنه لم يخرج في الصحيح وسنده مرسل واما الثالث فضعيف
اسنادا ومتنا واختلفوا ايضا في الحديث الذي اسره الى بعضهن فقيل قوله بل شربت عسلا
وقيل تحريمه مارية على نفسه رضا لحفصة واخبارها ان اباها وابا بكر يليان الامر
من بعده والكلام في هذه القصة متشعب والخلاف منتشر والله سبحانه بحقايق
الامور اعلم واما ما يترتب على هذه الجملة من الاحكام فقال علماؤنا رحمهم الله تعالى
اذا حرم الانسان على نفسه طعاما او غيره لم يحرم بذلك ولا شي عليه لكنه ارتكب
محظورا فيستغفر الله وان حرم امته فان نوى عتقها عتقت وان نوى تحريم ذاتها
وجملتها او اطلق فعليه كفارة يمين وان حرم زوجته فان نوى به الطلاق
او الظهار وقع ما نواه وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة يمين بنفس اللفظ
هذا مذهب الشافعي وحكى القاضي عياض في تحريم الزوجة اربعة عشر مذهبا اما
التخيير فان مذهب الجمهور ان من خير زوجته او زوجاته فاخترنه لا يكون ذلك شيئا
ولو اختارت نفسها وقعت طلقة وحكي عن بعضهم انه يقع به طلقة ثانية وان اختارته
ولا حجة لهم واما الايلاء المذكور في هذا الحديث فليس بالايلاء المذكور في القران

وليس

وليس له من الاحكام وانما المعنى هنا اليمين فقط والله اعلم وفي هذه السنة لاعن النبي
صلى الله عليه وسلم بين اخوي بني عجلان ثم نقل القاضي عياض عن ابن جرير الطبري ان قصة
اللعان في شعبان منها ولا وجه له فقد ذكر اهل السير انه صلى الله عليه وسلم خرج لغزوة
تبوك في رجب ولم يرجع الا في رمضان وكان من حديث العجلانيين ما روينا في صحيح
مسلم عن ابن شهاب عن الزهري ان سهل بن سعد الساعدي اخبره ان عويمرا العجلاني جاء الى
عاصم بن عدي الانصاري فقال له ارايت يا عاصم لو ان رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله
فيقتلونه ام كيف يفعل سل عن ذلك يا عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عاصم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها
حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم الى اهله جاءه
عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر لم تاتني بخير
قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسالة التي سالته عنها قال عويمر والله لا انتهي
حتى اساله عنها فاقبل عويمر حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول
الله ارايت رجلا وجد مع امراته رجلا ايقتله فتقتلونه ام كيف يفعل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد انزل فيك وفي صاحبتك فاذهب فات بها قال سهل فتلاعنا وانا مع
الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله
ان امسكتها فطلقها ثلاثا قبل ان يامره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب
فكانت سنة المتلاعنين وخرج البخاري معناه وزاد ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انظروا فان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين خدلج الساقين
فلا احسب عويمرا الا قد صدق عليها وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلا احسب
عويمرا الا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تصديق عويمر فكان بعد ينسب الى امه هذه احدى الروايات في الصحيحين وهي اعمها
وثم زيادات فيهما حذفناها اختصارا **فصل** واختلف العلماء في نزول اية
اللعان هل هي بسبب عويمر العجلاني ام بسبب هلال بن امية الواقفي مع اتفاقهم انه
لم يلاعن في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم غيرهما وفي متن الحديثين دلالة على الامرين
والاكثرون على انها نزلت بسبب هلال بن امية والداعي الى اللعان ان يقذف الرجل زوجته
بالزنا ويعجز عن اقامة البينة فيجب عليه حد القذف ثمانون فيلاعن لدفعه فيقول
عند الحاكم في ملا من الناس اربع مرات ويتحرى لهما شرف الزمان والمكان
اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة من الزنا ويقول في الخامسة
وعلي لعنة الله ان كنت من الكاذبين ويتعلق بلعانه خمسة احكام سقوط حد
القذف عنه ووجوب حد الزنا عليها وزوال الفراش ونفي الولد ان كان والتحريم

وفي بعض النسخ مسلم عن عبد الله بن بريدة عن ابيه ان ماعز بن مالك

المؤبد ويسقط الحد عنها بان تلاعن فتقول اشهد بالله ان فلانا هذا لمن الكاذبين
فيما رماني من الزنا اربع مرات وتقول في الخامسة وعلي غضب الله ان كان من الصادقين
ويسن ان يعظهما الحاكم ويبالغ عند الخامسة ويعرفها انها الموجبة وقال العلماء
وجوز اللعان لحفظ الانساب ودفع المضرة عن الازواج قالوا وليس شي تتعدد فيه
اليمين وتكون في جانب المدعي الا اللعان والقسامة والله اعلم • ومن حوادث
هذه السنة قصة الغامدية وقد رواها مسلم متصلة بقصة ماعز بن مالك الاسلمي
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد
ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية
فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومه فقال هل تعلمون بعقله باسا تنكرون منه
شيا فقالوا ما نعلمه الا وفي العقل من صالحينا فيما نرى فاتاه الثالثة فارسل اليهم
ايضا فسال عنه فاخبروه انه لا باس به ولا بعقله فلما كانت الرابعة حفر له حفرة
ثم امر به فرجم قال فجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني
وانه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم ترددني لعلك ان ترددني كما رددت ماعزا
فوالله اني لحبلى فقال اما لا فاذهبي حتى تلدي فلما ولدته اتته بالصبي في خرقة فقالت
هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي في يده كسرة
خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين
ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها
فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبه اياها فقال مهلا
يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها
فصلى عليها ودفنت وفي رواية فقال له عمر تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت قال لقد
تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة افضل
من ان جادت بنفسها لله **فصل** واعلم ان الزنا فاحشة من افحش الذنوب اعظم
الداعية الى سخط علام الغيوب قال الله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم
وقال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن عبد الله بن مسعود
قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان
تقتل ولدك من اجل ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني العبد حين يزني
وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يقتل وهو مؤمن قال عكرمة قلت
لابن عباس كيف ينزع الايمان منه قال هكذا وشبك بين اصابعه ثم اخرجها فان
تاب عاد اليه هكذا وشبك بين اصابعه رواهما البخاري والايات والاحاديث
في هذا الباب كثيرة معلومة ثم انه ثبت بالكتاب والسنة ان التوبة الصادقة

والحد

والحد يكفرانه وحد المحصن الرجم حتى يموت وغير المحصن حده جلد مائة وتغريب عام
وشرائط الاحصان اربعة البلوغ والعقل والحرية ووجود الوطء في نكاح صحيح
وحد المملوك نصف حد الحر ودل مجموع الكتاب والسنة على ان حد الجلد في الحالين
ولا يثبت الحد الا باقرار الزاني والبينة وبينته اربعة ذكور عدول يشهدون بزنا
برؤية الفرج في الفرج كالميل في المكحلة وهذا الحكم ثابت في التورية والانجيل والقران
فجعل الله سبحانه شهادة الزنا اربعة خاصة له تغليظا على مدعيه وزجرا له عن تعاطيه
رحمة للعباد وسترا عليهم ولو لم يكمل نصاب الشهادة حد الشهود وبرا المقذوف
وقد كان في صدر الاسلام عقوبة الزنا الامساك في البيوت وهو الحبس حتى يتوفاهم
الموت ثم نسخ بالاذا والتوبيخ والتعيير ثم نسخ بالجلد والرجم وتقرر الحكم وصار اجماعا
اما الجلد فصريح في اية النور واما الرجم فانه مما نسخ لفظه من القران وبقي حكمه
وبينته السنة • روينا في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت اقرئ
رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما انا في منزله بمنى وهو عند عمر
بن الخطاب في اخر حجة حجها اذ رجع الي عبد الرحمن بن عوف فقال لو رايت رجلا اتى امير
المؤمنين اليوم فقال هل لك في فلان يقول لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت
بيعة ابي بكر الا فلتة فتمت فغضب عمر ثم قال اني ان شاء الله لقائم العشية
في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون ان يغصبوهم قال عبد الرحمن فقلت يا امير
المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وانهم هم الذين يغلبون
على قربك حين تقوم في الناس واني اخشى ان تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير
وان لا يعوها وان لا يضعوها على مواضعها فامهل حتى تقدم المدينة فانها دار الهجرة
والسنة فتخلص باهل الفقه واشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا فيعي اهل العلم مقالتك
ويضعونها على مواضعها فقال اما والله ان شاء الله لاقومن بذلك اول مقام اقومه
بالمدينة قال ابن عباس فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة
عجلت الرواح حين زالت الشمس حتى اجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا الى ركن
المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم انشب ان خرج عمر بن الخطاب فلما رايته
مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف
فانكر علي وقال ما عسيت ان يقول ما لم يقل قبله فجلس على المنبر فلما سكت المؤذنون
قام فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فاني قائل لكم مقالة قد قدر لي ان اقولها
لا ادري لعلها بين يدي اجلي فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته
ومن خشي ان لا يعقلها فلا احل لاحد ان يكذب علي ان الله بعث محمدا بالحق وانزل
عليه الكتاب فكان فيما انزل الله اية الرجم فقراناها وعقلناها ووعيناها
رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول

امير المؤمنين

امرهم

قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم
في كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل
أو الاعتراف ثم إنا كنا نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا
عن آبائكم ألا ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما أطري عيسى
بن مريم وقولوا عبد الله ورسوله ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول والله لو قد مات عمر بايعت
فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ألا وإنها قد كانت
كذلك ولكن الله وقى شرها وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع
رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا
وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا
واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع
المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار
فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم
فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا لا
عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم
في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت من هذا قالوا هذا سعد
بن عبادة فقلت ما له قالوا يوعك فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله
ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط
وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من
الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين
يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على
رسلك فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر فكان هو أعلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة
أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت فقال أما ما ذكرتم
فيكم من خير فأنتم له أهل ولا لن نعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط
العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ
بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها كان والله
أن أقدم فيضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر
اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن فقال قائل الأنصار أنا
جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش فكثر اللغط
وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده
فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل
منهم قتلتم سعد بن عبادة فقلت قتل الله سعد بن عبادة قال عمر وإنا والله ما وجدنا

فيما

فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة
أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فساد
فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا
وروينا فيه أيضا عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الآخرة
حين جلس على المنبر وذلك من حين توفي النبي صلى الله عليه وسلم فتشهد وأبو بكر
صامت لا يتكلم قال كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا يريد
بذلك أن يكون آخرهم فإن يك محمد قد مات فإن الله عز وجل قد جعل بين أظهركم نورا
تهتدون به هدى الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أبا بكر صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه
وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة
على المنبر قال أنس سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ اصعد المنبر فلم يزل به حتى صعد
المنبر فبايعه الناس عامة قال القاسم بن محمد فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع
الله بها لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك ثم لقد بصر أبو بكر
الناس الهدى وعرفهم الحق الذي عليهم وخرجوا به يتلون وما محمد إلا رسول قد خلت
من قبله الرسل إلى الشاكرين ثم كانت بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه
بعد موت فاطمة وعاشت فاطمة بعد أبيها ستة أشهر ولما ماتت أرسل علي إلى أبي بكر
أن ائتنا فأتاهم فتشهد علي بن أبي طالب ثم قال إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما
أعطاك الله ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر
وكنا نحن نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يكلم أبا بكر حتى
فاضت عينا أبي بكر فلما تكلم أبو بكر قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي فأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه
الأموال فإني لم آل فيها عن الحق ولم أترك أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصنعه فيها إلا صنعته فقال علي لأبي بكر موعدك العشية للبيعة فلما صلى
أبو بكر صلوة الظهر رقي على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره
بالذي اعتذر إليه ثم استغفر وتشهد علي بن أبي طالب فعظم حق أبي بكر رضي الله عنه
وأنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكارا للذي فضله الله به
ولكنا كنا نرى لنا في هذا الأمر نصيبا فاستبد علينا به فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك
المسلمون قالوا أصبت وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف رواه مسلم
وإنما ذكرت الحديث الأول متمما في بيان حكم الرجم وكانت الدلالة على ذلك تتم
دون تمامه لما فيه وفي الحديث من الدلالة على أصل بيعة الصديق رضي الله عنه وأنها
كانت إجماعا من الصحابة الذين تقررت عصمتهم من الاجتماع على الضلال والخطا

والتمالي عليهما وان كان من علي كرم الله وجهه بعض تردد اول الامر ثم شرح الله صدره
فاعتذر في تخلفه تلك الايام وتابع فادا الطاعة لابي بكر رضي الله عنه وللخلفاء من
بعده حتى انتهت النوبة اليه وتعين القيام عليه فقام بها على احسن الوجوه واكملها
واعدلها وقاتل من غلا في محبته كما قاتل من خرج عن طاعته ولم يعنف من تخلف
عن نصرته وختم الله له بالسعادة والشهادة هذا وقد تعصبت قوم له فادعوا له الخلافة
ابتداء وان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى اليه بذلك وتعاموا عن دلائل كثيرة صريحة
او كالصريح على خلافة ابي بكر افواها بعد الاجماع نيابته في الصلوة اياما بامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبمحضر من علي رضي الله عنهما وكانت الصلوة اعظم شعائر
في الاسلام واول امر احوج الى النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال علي
كرم الله وجهه رضينا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا
واعظم ما وقع فيه هولاء من الاخطار تفسيقهم للصحابة ونسبتهم الى الخطا ولزم
من ذلك دخول علي معهم حيث القا بيديه ودخل في بيعة لا يعتقد صحتها والزم نفسه
طاعة من لا يستحقها وقد كان له من قوة الجنان واشتداد الاركان ما لو اجتمعت
الامة باسرها في جانب باطل لم يتابعهم وقد جهل قدره من ظن به ذلك ومن عظيم
خطايهم اعتقادهم ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى الى علي بالخلافة فخالفوه وجرى
الامر على خلاف ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وحاشا فلم يوجد في جميع ما اخبر عنه
من المغيبات خلف ولا تغيير وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وبالجملة
فهذا امر قد طوي بساطه وفرغ منه على ما انطوى عليه وما اسعد من احب عليا
لما مهد الله له من الفضايل وعرف لبقية الصحابة حقهم وانزلهم منازلهم واخسر
من لا يصفو له حبه الا بالتناول من غيره وعلى كل تقدير فالواقع على جانب من
الخطر والوبال والساكت سالم على كل حال وطريقة السلامة واضحة لمن اعتادها
والله ولي التوفيق ومن الحوادث في هذه السنة موت ام كلثوم ابنة
النبي صلى الله عليه وسلم وهي الثانية من زوجتي عثمان روينا في صحيح البخاري
عن انس بن مالك رضي الله عنه قال شهدنا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر فرايت عينيه تدمعان قال فقال فيكم
من احد لم يقارف الليلة فقال ابو طلحة انا قال فانزل في قبرها فنزل في قبرها
صحح ابن عبد البر انها ام كلثوم ولا يصح قول من زعم انها رقية لان رقية ماتت
والنبي صلى الله عليه وسلم غايب ببدر والله اعلم ومعنى لم يقارف لم يكتسب ذنبا
وقيل لم يجامع وانكره الطحاوي وقال معناه لم يقاول الليلة لانهم يكرهون
الحديث بعد العشاء وبشهر رجب منها نعى النجاشي واسمه اصحمة ومعناه
بالعربية عطية روينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال النبي
صلى

صلى الله عليه وسلم قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه قال فصففنا فصلى
النبي صلى الله عليه وسلم عليه ونحن صفوف قال جابر كنت في الصف الثاني وفي رواية
في الصحيحين انه كبر عليه اربع تكبيرات قال القاضي عياض رحمه الله اختلفت الاثار
في ذلك فجاء من رواية ابن ابي خيثمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكبر اربعا وخمسا
وستا وسبعا وثمانيا حتى مات النجاشي فكبر عليه اربعا وثبت على ذلك حتى توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اصحابنا فان خمس لم تبطل في الاصح واتخذ العلماء صلوة النبي
صلى الله عليه وسلم على النجاشي اصلا في الصلوة على الغايب وقال الخطابي من اصحابنا لا يصلى
عليه الا اذا كان في موضع لا يصلى عليه كما وقع للنجاشي واستحسنه الروياني في البحر
والكلام في الغايب عن البلد اما الحاضر فلا يصلى عليه صلاة غايب سواء كبرت البلد
ام صغرت والله اعلم وفيها مات عبد الله بن ابي بن سلول وذلك بعد مرجع النبي صلى
الله عليه وسلم من تبوك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه وهو مريض فقال
اهلكك حب يهود ولما مات اتاه ابنه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما ادخل فامر به فوضع على ركبتيه
ونفث عليه من ريقه والبسه قميصه رواه البخاري عن جابر وروى ايضا عن عمر
قال لما مات عبد الله بن ابي دعي له النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي وقد قال يوم كذا
كذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر
فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت
عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى
نزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله
وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
والله ورسوله اعلم قيل فعل به النبي ما فعل اكراما لولده حيث ساله ذلك وما
سئل شيا قط فقال لا واما قميصه فالبسه اياه مكافاة له ان البس العباس يوم بدر
قميصا ذا تعقيبها حج ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من خبر ذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قدم من تبوك في رمضان اقام بالمدينة الى ذي القعدة واراد
الحج فتذكر مخالطة المشركين وما اعتادوه من الجهالات في حجهم وان الاشهر
الحرم والعهود التي لهم تمنع من منعهم فثناه ذلك وامر ابا بكر على الحجاج وبعث
معه بسورة براءة حاصلها التبري من عهود المشركين والتاجيل لهم اربعة اشهر
ذهابا في الارض اينما شاوا ومن كان له عهد الى مدة ولم ينقص المسلمين شيا ولم
يظاهر عليهم احدا كبعض بني بكر فهو الى مدته فيما تضمنه اربعون اية من صدر
سورة براءة ثم بعث بعده صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب على ناقته العضباء
وامره ان يتولى نبذ العهود ويقرا على الناس صدر سورة براءة فلما ادرك علي ابا بكر

قال له ابو بكر امير او مامور فقال بل مامور ثم مضيا ويقال ان ابا بكر لما لحقه
علي رجع فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شاني شيء قال لا ولكن لا ينبغي لاحد
ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك صاحبي
على الحوض قال بلى فكان ابو بكر امير الناس وعلي يوذن ببراءة ويوذن المؤذنون بها
عن امره روينا في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بعثني ابو بكر في
تلك الحجة في موذنين بعثهم يوم النحر يوذنون بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان وروي عنه قال امرني علي ان اطوف في المنازل من منى ببراءة وكنت
اصيح حتى صحل حلقي فقيل له بما كنت تنادي فقال باربع ان لا يدخل الجنة الا مومن وان لا
يحج بعد العام مشرك وان لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله اجل
اربعة اشهر ثم لا عهد له قال العلماء وكان السبب في بعث علي بعد ابي بكر انه كان
في عرف العرب ان لا يتولى عقد العهود ونقضها الا السيد او رجل من رهطه فبعث
عليا ازاحة حجة مريدا للعلة لئلا يقولوا هذا خلاف ما نعرفه واراد النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك ان ياتي في حجة من قابل على امر قد تقرر وتمهد فنسخ الله سبحانه باية سورة
التوبة عهد كل ذي عهد بالشرط السابق ومن لم يكن له عهد فاجله انسلاخ
شهر الله المحرم وذلك قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد وهذه الاية من
اعاجيب القران لانها نسخت من القران مائة واربعا وعشرين اية ثم نسخت
بقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه
مامنه **السنة العاشرة** في رمضان منها اسلم سيد بجيلة ابو عبد الله جرير
بن عبد الله البجلي الاحمسي رضي الله عنه روينا في الصحيحين عنه قال بايعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلوة وايتاء الزكوة والنصح لكل مسلم وفيها
ايضا عنه قال ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا راني الا
ضحك وكان عمر يسميه يوسف هذه الامة لفرط جماله وكان طوالا يفتخم
في ذروة البعير وكان نعله ذراعا ومع تاخر اسلامه فقد اخذ في نصر الاسلام بحظ وافر
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزيه مرة ويبعثه اخرى روينا في
الصحيحين عنه واللفظ لمسلم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جرير الا
تريحني من ذي الخلصة بيت لخثعم كان يدعى كعبة اليمانية قال فنفرت اليه بخمسين
ومائة فارس وكنت لا اثبت على الخيل فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فضرب بيده في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فانطلق فحرقها
بالنار ثم بعث جرير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشره رجلا يكنى ابا ارطاة
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله ما جئتك حتى تركناها

كانها

كانها جمل اجرب فبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيل احمس ورجالها خمس مرات
ثم بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن قبيل موته فلقي ذا الكلاع وذا عمرو قال جرير
فجعلت احدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ذو عمرو لئن كان الذي
تذكر من امر صاحبك لقد مر على اجله منذ ثلاث قال واقبلا معي حتى اذا كنا في بعض الطريق
رفع لنا ركب من قبل المدينة فسالناهم فقالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف
ابو بكر والناس صالحون فقالا اخبر صاحبك انا قد جئنا ولعلنا سنعود ان شاء الله
تعالى ورجعا الى اليمن فاخبرت ابا بكر بحديثهم قال افلا جئت بهم قال فلما كان بعد قال
لي ذو عمرو يا جرير ان لك علي كرامة واني مخبرك خبرا انكم معشر العرب لن تزالوا
بخير ما كنتم اذا هلك امير تامرتم في اخر فاذا كانت بالسيف كانوا ملوكا يغضبون
غضب الملوك ويرضون رضى الملوك رواه البخاري وذكر ان ذا الكلاع لما اتاه جرير
اسلم فاعتق ثمانية عشر الف عبد وقيل اثني عشر الف بيت والله اعلم ○ وفي شوال
قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني الحرث بن كعب اهل نجران وفيهم قيس بن الحصين
ذو الغصة سمي بذلك لغصة كانت في حلقه وفيه قال عمر بن الخطاب يوما وقد خطب
الناس لا تزاد امراة في صداقها على كذا وكذا ولو كانت بنت ذي الغصة وفيهم
يزيد بن عبد الله المدان واخرون وكان سبب وفادتهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث اليهم خالد بن الوليد وامره ان يدعوهم ثلاثة ايام ثم يقاتلهم بعدها فلما قدم
عليهم خالد اسلموا فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك فكتب اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقدم بهم معه فقدم بهم خالد فلما راهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من هؤلاء القوم الذين كانهم رجال الهند فلما قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا نشهد انك لرسول وان لا اله الا الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتم الذين اذا زجروا استقدموا كررها عليهم ثلاثا كل ذلك
لا يجيبونه فقال له يزيد بن عبد المدان في الرابعة نعم يا رسول الله نحن الذين اذا زجروا
استقدموا قالها ثلث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان خالدا لم يكتب
انكم اسلمتم ولم تقاتلوا لالقيت رؤسكم تحت اقدامكم فقال يزيد بن عبد المدان
اما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا قال فمن حمدتم قالوا حمدنا الله الذي هدانا بك
قال صدقتم وامر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الغصة ولم يمكثوا بعد ان
رجعوا الى قومهم الا اربعة اشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من عنده بعث اليهم عمرو بن حزم وكتب
لهم كتابا فيه جمل من الاحكام وفي هذه السنة نزل قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا شهادة بينكم اذا الاية وما بعدها في قصة مشهورة وهي انه خرج تميم

بن اوس الداري وعدي بن بدا النصرانيان في تجارة لهما الى الشام وخرج معهما بديل
مولى عمرو بن العاص وكان مسلمًا ومرض بديل فاوصى اليهما وكتب جميع ما معه
في رقعة وجعلها في جوالقه ولم يخبرهما بذلك فلما مات اخذا من متاعه اناء من فضة
منقوشًا بالذهب ثم قدما ببقية المتاع على اهله ففتشوه فوجدوا الكتاب وفقدوا ما
ذكر فيه الاناء الذي اخذه الوصيان فسالوهما عنه فجحداه فاختصموا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاصرا على الانكار وحلفا فانزل الله هذه الاية واختلف المفسرون
في حكمها فقال جماعة منهم كانت شهادة اهل الذمة مقبولة فنسخت وناسخها
قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم وذهب قوم الى انها ثابتة وانه اذا لم يجد مسلمين
يشهد كافرين ولما نزلت الاية دعا النبي صلى الله عليه وسلم تميما وعديا فاستحلفهما
بعد صلوة العصر عند المنبر فحلفا وخلى سبيلهما ثم ظهر الاناء بعد ذلك بمكة فرفعوهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في ذلك قوله تعالى فان عثر على انهما استحقا اثما
اي اثم خيانتهما وايمانهما الكاذبة فاخران من اولياء الميت يقومان مقامهما يعني
مقام الوصيين من الذين استحق عليهم الاوليان اي فيهم ولاجلهم الاثم وهم ورثة
الميت استحق الحالفان بسببهما الاثم وعلى بمعنى في والاوليان هنا نعت لقوله فاخران
ففيه جواز نعت النكرة بالمعرفة وهما تثنية الاولى والاولى هو الاقرب ولما نزلت
الاية بانتقال اليمين الى اولياء الميت قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة
السهميان فحلفا ودفع الاناء اليهما وكان تميم الداري بعدما اسلم يقول صدق
الله ورسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله واستغفره وانما انتقلت اليمين الى
الاوليان لان الوصيين حين وجد الاناء ادعيا انهما اشترياه ابتاعاه منه وهذا الحكم
مستمر والله اعلم وفيها بعث فروة بن عمرو الجذامي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم رسولا باسلامه واهدى له فرسا وبغلة وكان فروة عاملا للروم على من
يليهم من العرب وكان منزله معان ولما بلغ الروم خبر اسلامه اخذوه فحبسوه
حينا ثم ضربوا عنقه ولما قدموه للقتل انشد

ابلغ سراة المسلمين بانني ◦ سلم لربي اعظمي ومقامي

وفيها بعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب الى نجران خلف خالد بن الوليد
روينا في صحيح البخاري عن البراء بن عازب قال بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم مع خالد
بن الوليد الى اليمن قال ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر اصحاب خالد من شاء منهم
ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت ممن عقب معه قال فغنمت اواق
ذوات عدد وروينا فيه ايضا عن بريدة بن الحصيب الاسلمي قال بعث النبي صلى الله
عليه وسلم عليا الى خالد ليقبض الخمس وكنت ابغض عليا وقد اغتسل فقلت لخالد الا ترى
الى هذا فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال يا بريدة

ابتغض

ابتغض عليا فقلت نعم قال لا تبغضه فان له في الخمس اكثر من ذلك ومعنى ذلك انه
راه اخذ جارية من المغنم واغتسل منها فظن انه غل فلما اعلمه النبي صلى الله عليه وسلم
انه اخذ اقل من حقه احبه وكان بريدة بعدها ممن يحب عليا ويتولاه وروي خارج
الصحيح ان الجارية وقعت في الخمس ثم خمس فصارت في سهم ذي القربى ثم صارت في
سهم علي وبهذا يزول الاشكال فعلي كرم الله وجهه اتقى واورع من ان
تستفزه غلبة الشهوة على ارتكاب محارم الله وقد اجتمع فيه من الدين المتين والورع
الحاجز والزهادة في الدنيا وجماع الفضائل ما لم يجتمع لاحد سواه وقد ابغضته فرقة
تسمى الناصبية فهلكوا في دينهم وشقوا بسببه واحبه اخرون فافرطوا حتى ابغضوا
بسببه كثيرا من الصحابة وقد تقدم اليه النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال
يا علي ان فيك مثلا من ابن مريم ابغضه اليهود حتى بهتوا امه واحبه النصارى حتى انزلوه
المنزلة التي ليس بها وتمسكت اهل السنة والجماعة عن الطرفين فاحبوا وتولوا جميعهم
ونشروا محاسنهم وجانبوا معايبهم وكذبوا نقلتها واعتذروا عما صح منها فالمؤمن
يتحرى المعاذير والمنافق يتبع العورات ومن سلم سلم ومن اطلق لسانه بالثلب ندم
ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والله ولي التوفيق وروينا في صحيح
البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بعث علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اليمن بذهيبة في اديم مقروظ لم تحصل من ترابها فقال فقسمها بين اربعة نفر بين
عيينة بن بدر واقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع اما علقمة واما عامر بن الطفيل
فقال رجل من اصحابه كنا نحن احق بهذا من هؤلاء قال فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال الا تامنوني وانا امين من في السماء ياتيني خبر السماء صباحا ومساء قال فقام رجل
غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الراس مشمر الازار
فقال يا رسول الله اتق الله قال ويلك الست احق اهل الارض ان يتقي الله قال ثم ولى
الرجل قال خالد بن الوليد يا رسول الله الا اضرب عنقه قال لا لعله يكون يصلي
فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لم اومر ان انقب على قلوب الناس ولا اشق بطونهم قال ثم نظر اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو مقف فقال انه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله
رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية واظنه قال
لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل ثمود ووافى علي مقدمه من اليمن النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة في حجة الوداع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بم اهللت قال اهللت بما اهل به
النبي صلى الله عليه وسلم قال فامسك فان معنا هديا رواه البخاري وفي اخر هذه السنة
قدم رسولا مسيلمة بكتابه وفيه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم السلام عليك اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك وان لنا نصف

فان معنا هديا

الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لرسوليه فما تقولان انتما قالا نقول كما يقول فقال اما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت
اعناقكما ثم كتب اليه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع
الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وممن ذكر
في هذه السنة من الوفود وفد الرهاويين ووفد عبس ووفد خولان وهم عشرة
ثم حجة الوداع وسميت بذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها
وقال خذوا عني مناسككم فاني لا ادري لعلي لا احج بعد عامي هذا قال ابن عمر كنا نتحدث
بحجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ما ندري ما حجة الوداع رواه
البخاري وكان جملة من حضرها من الصحابة اربعون الفا وقد اختلفت روايات
الصحابة في صفة حجته صلى الله عليه وسلم هل كان قارنا او مفردا ام متمتعا وبحسب
ذلك اختلف من بعدهم قال الامام محيي الدين النووي رحمه الله وطريق الجمع بين
الروايات انه صلى الله عليه وسلم كان اولا مفردا ثم صار قارنا فمن روى الافراد
فهو الاصل ومن روى القران اعتمد اخر الامر ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي
وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران كارتفاق المتمتع وزيادة وهي
الاقتصار على فعل واحد قال وبهذا الجمع تنتظم الاحاديث كلها وقال القاضي عياض
رحمه الله تعالى قد اكثر الناس الكلام على هذه الاحاديث فمن مجيد منصف ومن
مقصر متكلف ومن مطيل مكثر ومن مقتصر مختصر قال واوسعهم في ذلك نفسا
ابو جعفر الطحاوي الحنفي فانه تكلم في ذلك في زيادة على الف ورقة قال القاضي عياض
رحمه الله واولى ما يقال في هذا على ما لخصناه من كلامهم واخترناه من اختياراتهم
مما هو اجمع للروايات واشبه بمساق الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم اباح
للناس فعل هذه الانواع الثلاثة ليدل على جواز جميعها اذ لو امر بواحد منها لكان
غيره يظن انه لا يجزي فاضيف الجميع اليه واخبر كل واحد بما امره به واباحه له
ونسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم اما لامره به واما لتاويل عليه واجمع الاحاديث
في سياق حجة الوداع حديث جابر وهو مما انفرد به مسلم باخراجه فقال رحمه الله
حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة واسحق بن ابرهيم جميعا عن حاتم قال ابو بكر حدثنا
حاتم بن اسمعيل المدني عن جعفر بن محمد عن ابيه قال دخلنا على جابر بن عبد الله فسال
عن القوم حتى انتهى الي فقلت انا محمد بن علي بن حسين فاهوى بيده الى راسي فنزع
زري الاعلى ثم نزع زري الاسفل ثم وضع كفه بين ثديي وانا يومئذ غلام
شاب فقال مرحبا بك يا ابن اخي سل عما شئت فسالته وهو اعمى وحضر وقت الصلوة
فقام في نساجة ملتحفا بها كلما وضعها على منكبيه رجع طرفاها اليه من صغرها ورداؤه
الى جنبه على المشجب فصلى بنا فقلت اخبرني عن حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال بيده تسعا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ثم اذن في
الناس في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم
يلتمس ان ياتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله خرجنا معه حتى اذا اتينا
ذا الحليفة فولدت اسماء بنت عميس محمد بن ابي بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف اصنع قال اغتسلي واستثفري بثوب واحرمي فصلى ركعتين يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصوى حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت
الى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن
خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القران وهو
يعرف تاويله وما عمل به من شيء عملنا به فاهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك
لك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك واهل الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئا منه ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلبيته قال جابر لسنا ننوي الا الحج لسنا نعرف العمرة حتى اذا اتينا البيت معه استلم
الركن ثلثا ومشى اربعا ثم تقدم الى مقام ابرهيم فقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى
فجعل المقام بينه وبين البيت وكان ابي يقول ولا اعلمه ذكره الا عن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرا في الركعتين قل هو الله احد وقل يا ايها الكفرون ثم رجع الى الركن
فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرا ان الصفا والمروة من شعائر
الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا فرقي عليه حتى راى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله
وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك
ثم قال مثل هذا ثلث مرات ثم نزل الى المروة حتى انصبت قدماه في وسط الوادي حتى اذا
صعدنا مشى حتى اتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى اذا كان اخر طوافه
على المروة قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي ولجعلتها عمرة
فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة بن مالك بن جعشم
فقال يا رسول الله العامنا هذا ام للابد فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه
واحدة في الاخرى وقال دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لابد ابد وقدم علي من اليمن
ببدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت
فانكر ذلك عليها فقالت ابي امرني بهذا قال فكان علي يقول بالعراق فذهبت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم محرشا على فاطمة الذي صنعت مستفتيا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكرت عنه واخبرته اني انكرت عليها فقال صدقت
صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسولك قال فان
معي الهدي فلا تحل فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي اتى به النبي صلى

الناس

الله عليه وسلم ما ئة قال الناس فحل كلهم وقصروا الا النبي صلى الله عليه وسلم ومن
كان معه هدي فلما كان يوم التروية توجهوا الى منى فاهلوا بالحج فركب النبي صلى الله عليه
وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس
وامر بقبة من شعر ضربت له بنمرة فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يشك
قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فاجاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها
حتى اذا زاغت الشمس امر بالقصوى فرحلت فاتى بطن الوادي فخطب الناس وقال
ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا
الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول
دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل
وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فانه
موضوع كله واتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن
ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لم
تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسالون عني فما انتم قائلون قالوا نشهد
انك قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس
اللهم اشهد اللهم اشهد ثلث مرات ثم اذن ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر
ولم يصل بينهما شيئا ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى الموقف فجعل
بطن ناقته القصوى الى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة فلم
يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص واردف اسامة
خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصوى الزمام حتى ان راسها
ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى ايها الناس السكينة السكينة كلما اتى حبلا
من الحبال ارخى لها قليلا حتى تصعد حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان
واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى
المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى
اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس واردف الفضل بن العباس وكان رجلا حسن
الشعر ابيض وسيما فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجرين
فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل
وجهه الى الشق الاخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الاخر
على وجه الفضل فصرف وجهه من الاخر ينظر حتى اتى بطن محسر فحرك قليلا ثم سلك

الطريق

الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها
بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها كل حصاة مثل حصا الخذف رمى من بطن
الوادي ثم انصرف الى المنحر فنحر ثلثا وستين بدنة بيده ثم اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه
في هديه ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فاكلا من لحمها وشربا
من مرقها ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فافاض الى البيت فصلى بمكة الظهر
فاتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا ان تغلبكم
الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه انتهى حديث جابر وهو عظيم
الفوائد وقد اشتمل على جمل من مهمات القواعد قال القاضي عياض وقد تكلم الناس
على ما فيه من الفقه والسر فاكثروا وصنف فيه ابو بكر بن المنذر جزءا كبيرا وخرج
فيه من الفقه مائة ونيفا وخمسين نوعا قال ولو تقصي لزاد على هذا العدد قريب منه
والله اعلم فصل ومن الواردات في حجة الوداع نزول قوله تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وكان نزولها بعد العصر
يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت تبرك لها
كاد عضد الناقة ان يندق من ثقلها فبركت روينا في صحيح البخاري عن طارق بن شهاب
قال قالت اليهود لعمر انكم تقرؤن اية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا فقال عمر
رضي الله عنه اني لاعلم حيث انزلت واين انزلت واين رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين انزلت انزلت يوم عرفة وانا والله بعرفة قال ابن عباس كان ذلك اليوم خمسة
اعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع اعياد اهل الملل في
يوم قبله ولا بعده وروى هرون بن عنترة عن ابيه قال لما نزلت هذه الاية
بكى عمر رضي الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر
قال بكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص
قال صدقت فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ولا شيء من الفرايض والاحكام
وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها احدا وثمانين يوما فكانها كانت
في معنى النعي له صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ما روينا في الصحيحين واللفظ للبخاري
عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال عادني النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
في وجع اشفيت منه على الموت فقلت يا رسول الله بلغ بي من الوجع ما ترى وانا
ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي واحدة افاتصدق بثلثي مالي قال لا قال فاتصدق
بشطره قال لا قلت فالثلث قال والثلث كثير وان تذر ورثتك اغنياء خير
من ان تذرهم عالة يتكففون الناس ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله
الا اجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امراتك قلت يا رسول الله اخلف بعد
اصحابي قال انك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله الا ازددت به درجة ورفعة

ش

الثلث

ولعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويضر بك اخرون اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا
تردهم على اعقابهم لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
توفي بمكة ومنها ما رويناه في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجرير استنصت
الناس وقال لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقال ايضا الا ان
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا
منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب شهر مضر
الذي بين جمادى وشعبان اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه
بغير اسمه فقال اليس ذو الحجة قلنا نعم بلى يا رسول الله قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله
اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلدة قلنا بلى قال فاي يوم هذا
قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس هذا يوم النحر
قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم قال محمد واحسبه قال واعراضكم عليكم حرام
كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم
الا لا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل
بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه الا هل بلغت الا هل بلغت ومعنى
استدارة الزمان انهم كانوا في الجاهلية ينسئون الشهر الحرام اي يؤخرونه اذا
احتاجوا الى القتال فيه فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا اخر فربما يجعلون المحرم صفرا
فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع هكذا شهرا بعد شهر حتى استدار
التحريم الى السنة كلها وتحولت الشهور عن اماكنها فوافق حجة الوداع شهر الحج
المشروع وهو ذو الحجة فاعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم ان اشهر الحج قد تناسخت
باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق الله السموات
والارض وامرهم بالمحافظة عليه لئلا يتبدل في مستانف الايام ومن ذلك ما روى
ابن اسحق وغيره ومعناه في الصحيحين عن عمرو بن خارجة قال بعثني عتاب بن اسيد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة
فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لعابها ليقع على راسي
فسمعته يقول ايها الناس ان الله قد ادى الى كل ذي حق حقه وانه لا يجوز وصية
لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه
فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وصدر
صلى الله عليه وسلم من حجته وقد ارى الناس مناسكهم وعلمهم معالم دينهم
وحدد وانذر وكانت حجة البلاغ وحجة الوداع والله اعلم السنة المحرمة
بوفاة النفس الزكية المكرمة وهي سنة احدى عشرة من الهجرة وثلث وعشرين
من النبوة وثلث وستين من المولد وكان اخر الدنيا قال ابن اسحق ثم قفل

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من حجة الوداع فاقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم
وصفر وضرب على الناس بعثا الى الشام وامر عليهم اسامة بن زيد بن حارثة مولاه
وامره ان يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من ارض فلسطين وروى كثيرون ان النبي
صلى الله عليه وسلم امره ان يغير على ابنى صباحا وان يحرق وابنى هي القرية التي عند
مؤتة حيث قتل ابوه زيد وانما امره ليدرك ثاره وطعن ناس في امارته لكونه مولى
ولحداثة سنه وكان اذ ذاك ابن ثماني عشرة سنة فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان تطعنوا في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة ابيه من قبل وايم الله
انه لخليقا للامارة وان كان لمن احب الناس الي وان هذا لمن احب الناس الي بعده
رواه البخاري وروى ابن اسحق عن رجاله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ
الناس في بعث اسامة بن زيد وهو في وجعه فخرج عاصبا راسه حتى جلس على المنبر
وقد كان الناس قالوا امر غلاما على جلة المهاجرين والانصار فحمد الله واثنى عليه
بما هو اهله ثم قال ايها الناس انفذوا بعث اسامة فلعمري لئن قلتم في امارته لقد قلتم
في امارة ابيه من قبله وانه لخليق للامارة وان كان ابوه لخليقا لها ثم نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكمش الناس في جهازهم واستعز برسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعه فخرج اسامة بجيشه حتى نزل الجرف من المدينة على فرسخ
فضرب به عسكره وتتام اليه الناس واقاموا ينتظرون ما الله قاض في رسوله قال اسامة
لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي الى المدينة فدخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده الى السماء ثم
يضعها علي اعرف انه يدعو لي ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشتغل ابو بكر
بعد انتظام امر الخلافة الا بتجهيز جيش اسامة وكلم في استبقاء الجيش حتى يتسق
امر الناس او ان يولي عليهم غير اسامة فقال والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء
المدينة ما رددت جيشا انفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عزلت واليا ولاه

فصل في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته وما ورد في ذلك
من الروايات مما اكثره في الصحاح قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وقال تعالى كل نفس ذائقة الموت
وقال تعالى ولا تدع مع الله الها اخر كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون
وقال تعالى انك ميت وانهم ميتون واخرج الدارمي في مسنده ان العباس رضي الله عنه
قال لاعلمن ما بقاء النبي صلى الله عليه وسلم فينا فقال يا رسول الله اني اراك واذ اك غبارهم
فلو اتخذت عريشا تكلمهم منه فقال لا ازال بين اظهرهم يطئون عقبي وينازعوني
ردائي حتى يكون الله هو الذي يخرجني منهم قال فعلمت ان بقاءه فينا قليل قال
اهل التواريخ ابتدأ بالنبي صلى الله عليه وسلم مرضه في اول شهر ربيع الاول

واول ذلك انه خرج من جوف الليل الى البقيع فدعا لهم واستغفر لهم وتضرع كالمودع للاموات
واصبح مريضا من يومه قالت عايشة رضي الله عنها لما رجع من البقيع وجدني وانا اقول
وا راساه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وانا حي فاستغفر لك
وادعو لك فقلت واثكلياه والله اني لاظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت اخر
يومك معرسا ببعض ازواجك فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا وا راساه لقد هممت
او اردت ان ارسل الى ابي بكر وابنه واعهد ان يقول القايل او يتمنى المتمنون ثم قلت
يابى الله ويدفع المؤمنون او يدفع الله ويابى المؤمنون رواه البخاري وروى مسلم ايضا عن
عايشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ادعي لي ابا بكر
اباك واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمني ويقول قايل انا اولى ويابى الله والمؤمنون
الا ابا بكر وهذان الحديثان من ادل الدلايل على خلافة ابي بكر وقد ثبت اصلهما
من الصحيحين كما ترى والحمد لله وكان وجعه صلى الله عليه وسلم الخاصرة وهو عرق
في الكلية اذا تحرك اوجع صاحبه وقيل الصداع وروى البخاري عن عايشة قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عايشة ما ازال اجد الم الطعام
الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم وغير مدافع انه
قد كان صلى الله عليه وسلم مع ذلك حما فيحتمل ان يكون مع وجودها تداعت اسباب
هذه الاوجاع كلها وكان وجعه صلى الله عليه وسلم شديدا روينا في الصحيحين عن
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك
فمسسته فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك
بان لك اجرين قال اجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه اذى شوكة فما فوقها الا كفر
الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها وفي معناه قوله صلى الله عليه وسلم اشد
الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وكان صلى الله عليه وسلم في مرضه يدور
على ازواجه وهن يومئذ تسع حتى اشتد به المرض في يوم ميمونة فدعاهن فاستاذنهن
ان يمرض في بيت عايشة فاذن له فخرج صلى الله عليه وسلم ويد له على علي والاخرى
على الفضل بن عباس روينا في الصحيحين عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعدما دخل بيتها واشتد وجعه اهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن
لعلي اعهد الى الناس فاجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم
طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن قالت ثم خرج
الى الناس فصلى بهم وخطبهم وروى اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج
يوم الخميس وقد شد راسه بعصابة دسما في المنبر فجلس عليه مصفر الوجه وامر
بلالا ان ينادي في الناس ان اجتمعوا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا
صغيرهم وكبيرهم وتركوا ابواب بيوتهم مفتحة وغص المسجد بمن فيه ثم قام فخطبهم

خطبة

خطبة بليغة فكان اول ما تكلم به انه صلى على قتلى احد واستغفر لهم روينا في صحيح البخاري
عن عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثماني سنين كالمودع
للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا شهيد عليكم وان
موعدكم الحوض واني لانظر اليه من مقامي هذا واني لست اخشى عليكم ان تشركوا
ولكن اخشى عليكم ان تنافسوا قال فكانت اخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال ايضا ما رويناه في صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما
عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر وبكى فقال فديناك باباينا وامهاتنا قال فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان امن الناس علي في ماله وصحبته ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا يبقين في المسجد خوخة الا خوخة ابي بكر
واوصى ابا بكر يومئذ بانفاذ جيش اسامة واوصى بالانصار فقال يا معشر المهاجرين
استوصوا بالانصار خيرا فان الناس يزيدون وان الانصار على هيئتها وانهم كانوا
عيبتي التي اويت اليها فاحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتتام به وجعه ولم يخطب خطبة بعدها **فصل** واول
عجزه عن الخروج الى الصلوة اجتمع الناس في المسجد واذنوه بها فهم بالخروج فعجز
فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عايشة لحفصة قولي له ان ابا بكر اذا قام
في مقامك لم يسمع الناس من البكا فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انكن لانتن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس
فقالت حفصة لعايشة ما كنت لاصيب منك خيرا رواه الشيخان وفي رواية
فيهما ان عايشة قالت لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما حملني
على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه
ابدا واني كنت ارى انه لن يقوم مقامه احد الا تشام الناس به فاردت ان يعدل ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابي بكر وروينا ايضا باسناد واحد عن عبيد الله
بن عبد الله قال دخلت على عايشة فقلت الا تحدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت بلى ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك
يا رسول الله قال ضعوا لي ماء في المخضب قالت ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فاغمي
عليه ثم افاق فقال اصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك يا رسول الله قال ضعوا لي
ماء في المخضب قالت ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فاغمي عليه ثم افاق فقال اصلى الناس
قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قالت والناس عكوف في المسجد ينتظرون
رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلوة العشا الاخرة قالت فارسل رسول الله

صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر ان يصلي بالناس فاتاه الرسول فقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامرك ان تصلي بالناس فقال ابو بكر وكان رجلا رقيقا يا عمر صل بالناس فقال
عمر انت احق بذلك قال فصلى بهم ابو بكر تلك الايام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين احدهما العباس لصلوة الظهر وابو بكر يصلي بالناس
فلما راه ابو بكر ذهب ليتاخر فاومى اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يتاخر قال لهما اجلساني
الى جنبه فاجلساه الى جنب ابي بكر فكان ابو بكر يصلي وهو قايم بصلاة النبي صلى الله عليه
وسلم والناس يصلون بصلاة ابي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد وقالت ام الفضل
بنت الحرث سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا بالمغرب بالمرسلات عرفا ثم ما صلى لنا
بعدها حتى قبضه الله تعالى رواه البخاري واخرجوا له في الصلوة ما روينا في الصحيحين
واللفظ لمسلم عن انس بن مالك ان ابا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلوة كشف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قايم كان وجهه ورقة مصحف ثم
تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا قال فبهتنا ونحن في الصلوة من فرح
بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكص ابو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج للصلوة فاشار اليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده ان اتموا صلاتكم قال ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فارخى الستر
قال فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك وفي رواية اخرى قال انس
فكانت اخر نظرة نظرتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم روي خارج الصحيحين
ان اخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بان قال الصلوة وما ملكت ايمانكم
حركها لسانه وما يكاد يبين قيل اراد بما ملكت ايمانكم الرفق بالمملوك وقيل اراد
الزكوة **فصل** في ذكر امور عرضت في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذلك ما رواه الشيخان عن عروة عن عايشة قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم
فاطمة في شكواه التي قبض فيها فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت
فسالتها عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي
توفي فيه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني اول اهله يتبعه فضحكت وروينا ايضا من حديث
مسروق بن الاجدع عن عايشة قالت كن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده لم تغادر
منهن واحدة فاقبلت فاطمة تمشي ما تخطي مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيا فلما راها رحب بها وقال مرحبا بابنتي ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله
ثم سارها فبكت بكاء شديدا فلما راى جزعها سارها الثانية فضحكت فقلت لها
خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيننا بالسر ثم انت تبكين بها فلما قام رسول
الله صلى الله عليه وسلم سالتها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما كنت لافشي

على

على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت عزمت
عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اما
الان فنعم اما حين سارني في المرة الاولى فاخبرني ان جبريل عليه السلام كان يعارضه
القران في كل سنة مرة وانه عارضه الان مرتين واني لا ارى الاجل الا قد اقترب
فاتقي الله واصبري فانه نعم السلف انا لك قالت فبكيت بكايي الذي رايت فلما راى
جزعي سارني الثانية فقال يا فاطمة اما ترضين ان تكوني سيدة نساء المومنين او سيدة
نساء هذه الامة قالت فضحكت ضحكي الذي رايت هذا لفظ مسلم وليس لفاطمة في
الصحيحين غير هذا الحديث وهو داخل في مسند عايشة والله اعلم ومنه ما روينا واللفظ
لمسلم عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمعه
الحصى فقلت يا ابن عباس وما يوم الخميس قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه
فقال ايتوني اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع وقالوا
وما شانه اهجر استفهموه قال دعوني فالذي انا فيه خير اوصيكم بثلث اخرجوا
المشركين من جزيرة العرب واجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم قال وسكت عن الثالثة
او قال فنسيتها زاد في رواية اخرى عن عبيد الله بن عبد الله قال فكان ابن عباس يقول
ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم
ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم ومنه ما رواه البخاري تعليقا عن عايشة قالت
لددناه في مرضه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يشير الينا ان لا تلدوني فقلنا كراهية
المريض للدوا فقال لا يبقى احد في البيت الا لد وانا انظر الا العباس فانه لم يشهدكم
وانما لدوه لانهم ظنوا به ذات الجنب فلدوه بالقسط لقوله صلى الله عليه وسلم
فيه سبعة اشفية يلد به من ذات الجنب ويسعط فيه من العذرة واللدود جعل الدواء
في جانب الفم ويحرك بالاصبع قليلا ومنه ما رواه الشيخان عن عايشة وابن عباس
رضي الله عنهما قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه
فاذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى
اتخذوا قبور انبيايهم مساجد يحذر مثل ما صنعوا ومنه ما روينا عن عايشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات فلما ثقل
كنت انفث عليه بهن وامسح بيد نفسه لبركتها ومنه ما رواه البخاري عن عبد الله بن كعب
بن مالك ان ابن عباس اخبره ان علي بن ابي طالب خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس يا ابا حسن كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اصبح بحمد الله بارئا فاخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له انت والله بعد ثلث
عبد العصا واني والله لارى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه
هذا اني لاعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما لدم

اصدام

فلنسأله فيمن هذا الامر ان كان فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا علمناه فاوصى بنا فقال علي
انا والله لان سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده
واني والله لا اسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وكان العباس قبل ذلك بليس
راى القمر رفع من الارض الى السماء فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم قال له هو ابن اخيك
ومنه ما رويناه واللفظ للبخاري ان عايشة كانت تقول ان من نعم الله علي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وان الله جمع بين ريقي وريقه
عند الموت دخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وانا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت اخذه لك فاشار براسه ان نعم
فتناولته فاشتد عليه وقلت الينه لك فاشار براسه ان نعم فلينته له فامره وبين
يديه ركوة او علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه الماء فيمسح بها وجهه يقول لا اله الا الله
ان للموت سكرات ثم نصب يديه فجعل يقول في الرفيق الاعلى حتى قبض ومالت يده
وفي رواية عنها قالت لا اكره شدة الموت لاحد ابدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم
وروى البخاري عن عايشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
وهو صحيح انه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما نزل به وراسه على
فخذي غشي عليه ثم افاق فاشخص بصره الى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى
فقلت اذا لا يختارنا وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح قالت فكانت
اخر كلمة تكلم بها اللهم الرفيق الاعلى وروى البخاري ايضا عن انس قال لما ثقل النبي
صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه يعني الكرب قالت فاطمة واكرب اباه فقال
لها ليس على ابيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه
من جنة الفردوس ماواه يا ابتاه الى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة يا انس اطابت
انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب فصل ولما قبض
صلى الله عليه وسلم وارتفعت الرنة عليه دهش اصحابه دهشة عظيمة وركت عقولهم
وطاشت احلامهم وافحموا واختلطوا وصاروا فرقا فكان ممن اختلط عمر فجعل
يصيح ويحلف ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتهدد من قاله وكانه لم
يتقرر قبل عنده موته واقعد علي فلم يستطع حراكا واخرس عثمان فكان يذهب به
ويجاء به لا يستطيع كلاما واضنى عبد الله بن انيس حتى مات كمدا واضطرب
الامل وجل الخطب وفدحهم هول مصيبته وحق لهم ولم يكن فيهم اثبت من العباس
وابي بكر رضي الله عنهم اجمعين روينا في صحيح البخاري عن عايشة رضي الله عنها قالت
مات النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر بالسنح فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت وقال عمر ما كان يقع في نفسي الا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن
ايدي رجال وارجلهم فجاء ابو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبله

وقال

وقال بابي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها
الحالف على رسلك فلما تكلم ابو بكر جلس عمر فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال الا من كان يعبد
محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت وانهم
ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على
اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين فنشج
الناس يبكون وروينا فيه من رواية عايشة وابن عباس وعمر رضي الله عنهم
ان ابا بكر اقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى
دخل على عايشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى بثوب حبرة فكشف
وجهه ثم اكب عليه فقبله وبكى ثم قال بابي وامي انت والله لا يجمع الله عليك موتتين
اما الموتة الاولى التي كتبت عليك فقد متها ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال اجلس
يا عمر فابى عمر ان يجلس فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال ابو بكر اما بعد من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية
الى الشاكرين قال ابن عباس والله لكان الناس لم يعلموا ان الله انزل هذه الاية
حتى تلاها ابو بكر فتلقاها الناس كلهم فما اسمع بشرا من الناس الا يتلوها قال عمر والله
ما هو الا ان سمعت ابا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى اهويت الى الارض
حين سمعته تلاها علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد مات كل هذا من ابي بكر
وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره وغصصه تتصاعد وروي ان ابا بكر
لما فرغ يومئذ من خطبته التفت الى عمر وقال له اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يوم كذا وكذا كذا وكذا فقال عمر اشهد ان الكتاب كما انزل وان
الحديث كما حدث وان الله تبارك وتعالى حي لا يموت انا لله وانا اليه راجعون
وقال فيما كان منه لعمري لقد ايقنت انك ميت • ولكنما ابدا الذي قلته الجزع •
وقلت تغيب الوحي عنا لفقده • كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع •
وكان هواي ان تطول حياته • وليس لحي في بقا ميت مطمع •

فصل في تغير الحال بعد موته صلى الله عليه وسلم قال انس رضي الله عنه لما
كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شيء
فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء وما نفضنا ايدينا عن التراب
وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا رواه الترمذي في الشمايل وابن ماجة في السنن
وروى ابن ماجة ايضا عن ابن عمر قال كنا نتقي الكلام والانبساط الى نسائنا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة ان ينزل فينا القران فلما مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم تكلمنا واسند ايضا عن ام سلمة ما معناه قالت كان الناس على عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا قام المصلون لم يعد بصر احدهم موضع قدميه فلما كان ابو بكر لم
يعد احدهم موضع جبهته فلما كان عمر لم يعد بصر احدهم موضع القبلة فلما كان عثمن
وكانت الفتنة التفت الناس يمينا وشمالا ورويناً في صحيح مسلم عن انس قال ابو بكر
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر انطلق بنا الى ام ايمن نزورها كما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها فلما انتهينا اليها بكت فقالا لها ما يبكيك
اما عند الله خير لرسوله فقالت ما ابكي ان لا اكون اعلم ما عند الله خير لرسوله ولكني ابكي
ان الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها وروي عنه
صلى الله عليه وسلم من اصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من اعظم المصايب
ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم البشارة لمن تقدم بين يديه فرط من الاولاد
قالت له عايشة فمن لم يكن له فرط قال انا فرطه باموفقه قال السهيلي وكان موته
صلى الله عليه وسلم خطبا كالحا ورزا لاهل الاسلام فادحا كادت تهد له الجبال
وترجف الارض وتكسف النيران لانقطاع خبر السماء وفقد من لا عوض منه مع ما
اذن به موته من اقبال الفتن السحم والحوادث الدهم والكرب المدلهمة والهلاهل
المعطلة فلولا ما انزل الله تعالى من السكينة على المؤمنين واسرج في قلوبهم من نور
اليقين وشرح صدورهم في فهم كتابه المبين لانقصفت لها الظهور وضاقت عن
الكرب الصدور ولعاقهم الجزع عن تدبير الامور فقد كان الشيطان اطلع اليهم راسه
ومد الى اغوايهم مطامعه فاوقد نار الشنان ونصب راية الخلاف فابى الله الا ان
يتم نوره ويعلي كلمته وينجز موعده حيث قال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فاطفا نار الردة وحسم مادة الخلاف
والفتنة على يد الصديق رضي الله عنه ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بابي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ارتدت
العرب واشرأبت النفاق وقال ابو هريرة لولا ابو بكر لهلكت امة محمد صلى الله عليه
وسلم بعد نبيها ولقد كان من قدم على المدينة عقب موت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسمع لاهلها ضجيجا وللبكا في ارجايها عجيجا حتى صحلت الحلوق ونزفت الدموع
وحق لهم ذلك ولمن ياتي بعدهم الى يوم الدين كما روي عن ابي ذويب الهذلي قال
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت باطول ليلة
لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها وظللت اقاسي طولها حتى اذا كان قرب السحر
اغفيت فهتف بي هاتف وهو يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام • بين النخيل ومعقد الاطام •
قبض النبي محمد فعيوننا • تذري الدموع عليه بالتسجام •

وذكر خبرا طويلا قال فيه قدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا اهلوا

بالاحرام فقلت مه فقالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت بابه مرتجا وقيل
هو مسجى قد خلا به اهله فقلت اين الناس فقيل في سقيفة بني ساعدة فجيتهم فتكلمت
الانصار فاطالوا الخطاب واكثروا الصواب وتكلم ابو بكر رضي الله عنه فلله دره من رجل لا يطيل
الكلام ويعلم مواقع فصل الخطاب والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا انقاد له
ومال اليه ثم تكلم عمر دون كلامه ومد يده فبايعه وبايعه الناس ورجع ابو بكر
ورجعت معه قال ابو ذويب فشهدت الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشهدت دفنه ثم انشد ابو ذويب يبكي النبي صلى الله عليه وسلم •

لما رايت الناس في عسلانهم • ما بين ملحود له ومضرح •
متبادرين لشرجع باكفهم • نص الرقاب لفقد ابيض ابلج •
فهناك صرت الى الهموم ومن يبت • جار الهموم يبيت غير مروح •
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها • وتزعزعت اطام بطن الابطح •
وتزعزعت اطام يثرب كلها • ونخيلها لحلول خطب مفدح •
ولقد زجرت الطير قبل وفاته • بمصابه وزجرت سعد الاذبح •

وقالت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكي اباها وقد اجتمع اليها النسا تعد

اغبر افاق السماء وكورت • شمس النهار واظلم العصران •
والارض من بعد النبي كئيبة • اسفا عليه كثيرة الرجفان •
فليبكه شرق البلاد وغربها • وليبكه مضر وكل يماني •
وليبكه الطود المعظم جوه • والبيت ذو الاستار والاركان •
يا خاتم الرسل المبارك ضوءه • صلى عليك منزل القران •

وقالت صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم • ترثيه

الا يا رسول الله كنت رجاءنا • وكنت بنا برا ولم تك جافيا •
وكنت رحيما هاديا ومعلما • ليبك عليك اليوم من كان باكيا •
لعمرك ما ابكي النبي لفقده • ولكن لما اخشى من الهرج اتيا •
افاطم صلى الله رب محمد • على جدث امسى بيثرب ثاويا •
فدا لرسول الله امي وخالتي • وعمي واباي ونفسي وماليا •
صدقت وبلغت الرسالة صادقا • ومت صليب العود ابلج صافيا •
فلو ان رب الناس ابقى نبينا • سعدنا ولكن امره كان ماضيا •
عليك من الله السلام تحية • وادخلت جنات من العدن راضيا •

وقال ابو سفين بن الحرث بن عبد المطلب بن عم نبينا النبي صلى الله عليه وسلم يرثيه

ارقت فبات ليلي لا يزول • وليل اخي المصيبة فيه طول •
واسعدني البكاء وذاك فيما • اصيب المسلمون به قليل •

لقد عظمت مصيبتنا وجلت • عشية قيل قد قبض الرسول •
فقدنا الوحي والتنزيل فينا • يروح به ويغدو جبرئيل •
وذاك أحق ما سالت عليه • نفوس الناس أو كربت تسيل •
نبي كان يجلو الشك عنا • بما يوحى إليه وما يقول •
ويهدينا فما نخشى ضلالا • علينا والرسول لنا دليل •
أفاطم إن جزعت فذاك عذر • وإن لم تجزعي ذاك السبيل •
فقبر أبيك سيد كل قبر • وفيه سيد الناس الرسول •

وقال بعضهم الجزع عند المصاب مذموم وتركه أحمد إلا على أحمد صلى الله عليه وسلم وانشدوا في هذا المعنى •

فالصبر يحمد في المواطن كلها • إلا عليك فإنه مذموم • ولاحز
وقد كان يدعى لابس الصبر حازما • فأصبح يدعى حازما حين يجزع •

وقال حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم يرثيه

ما بال عينك لا تنام كأنما • كحلت مآقيها بكحل الأرمد •
جزعا على المهدي أصبح ثاويا • يا خير من وطئ الحصى لا تبعد •
وجهي يقيك الترب لهفي ليتني • غيبت قبلك في بقيع الغرقد •
بأبي وأمي من شهدت وفاته • في يوم الاثنين النبي المهتدي •
فظللت بعد وفاته متبلدا • متلددا يا ليتني لم أولد •
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم • يا ليتني صبحت سم الأسود •
أو حل أمر الله فينا عاجلا • في روحة من يومنا أو في غد •
فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا • محضا ضرائبه كريم المحتد •
يا بكر آمنة المبارك بكرها • ولدته محصنة بسعد الأسعد •
نورا أضاء على البرية كلها • من يهد للنور المبارك يهتدي •
يا رب فاجمعنا معا ونبينا • في جنة تثني عيون الحسد •
في جنة الفردوس فاكتبها لنا • يا ذا الجلال وذا العلا والسودد •
والله أسمع ما حييت بهالك • إلا بكيت على النبي محمد •
يا ويح أنصار النبي ورهطه • بعد المغيب في سواء الملحد •
ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحت • سودا وجوههم كلون الإثمد •
ولقد ولدناه وفينا قبره • وفضول نعمته بنا لم يجحد •
والله أكرمنا به وهدى به • أنصاره في كل ساعة مشهد •
صلى الإله ومن يحف بعرشه • والطيبون على المبارك أحمد •

فصل وأتفقوا أنه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين في ربيع الأول قبل

المصائب

كأنها

لليلتين خلتا منه ورجحه كثيرون وقيل لثنتي عشرة ورجحه الأكثرون وذلك حين اشتد الضحى قبل في الساعة التي دخل فيها المدينة قال ابن عباس رضي الله عنهما ولد نبيكم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وكان مدة مرضه اثني عشر يوما وتوفي صلى الله عليه وسلم وقد بلغ من السن ثلاثا وستين سنة وقيل خمسا وستين سنة وقيل ستين والأول أصح قيل وإنه من عجائب الاتفاق في التاريخ أنه صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة وأبو بكر وعمر وعلي مثله ونحر بيده صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة وعتق في عمره ثلاثا وستين رقبة وحين أرادوا غسله سمعوا قائلا يقول اغسلوه في ثيابه فغسلوه في قميصه وكانوا يرون أن القائل لهم الخضر وعزاهم حينئذ فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أهل البيت إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب وكان الذي تولى غسله صلى الله عليه وسلم علي والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأسامة بن زيد وشقران مولياه وحضرهم أوس بن خولي الأنصاري ونفضه علي حين الغسل فلم يخرج منه شيء ولا تغيرت له رائحة على طول المكث وكان غسله من بئر لسعد بن خيثمة يقال لها بئر الغرس وثبت في الصحيح أنه كفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة وكان في حنوطه المسك وخبأ منه علي شيئا لنفسه وخرج ابن ماجة بإسناد جيد عن ابن عباس أنهم لما فرغوا من جهاز النبي صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس أرسالا يصلون عليه حتى إذا فرغوا أدخلوا النساء حتى إذا فرغن أدخلوا الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وفي سبب ذلك أقوال لا تحقيق فيها إلا أن مثل هذا لا يكون إلا عن توقيف والله أعلم واختلف أصحابه في موضع قبره فقال قوم ندفنه في البقيع وقال آخرون في المسجد وقال قوم عس حتى يحمل إلى ابنه إبراهيم فقال أبو بكر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما دفن نبي إلا حيث يموت خرجه ابن ماجة ومالك في الموطأ واختلفوا أهل يلحد له أم لا وكان بالمدينة حافران أحدهما يلحد وهو أبو طلحة والآخر لا يلحد وهو أبو عبيدة فأرسلوا إليهما وقالوا اللهم اختر لنبيك واتفقوا على أن من جاء منهما أولا عمل عمله فجاء أبو طلحة ثم روي عنه صلى الله عليه وسلم قال اللحد لنا والشق لغيرنا فحفر له صلى الله عليه وسلم حول فراشه في منزل عائشة ودخل قبره العباس وابناه الفضل وقثم وشقران قيل وادخلوا معهم عبد الرحمن بن عوف وقيل إن أوس بن خولي الأنصاري ناشد عليا بالله كما ناشده حين الغسل فأدخله معهم وفرش شقران في القبر الكريم قطيفة قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فدفنها معه وقال والله لا يلبسها أحد بعدك وكان المغيرة بن شعبة يزعم أنه أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه أسقط خاتما من يده

على قبره

في القبر فنزل بلبسه فأنكر علي رضي الله عنه ذلك وقال احدث الناس به عهدا قثم بن عباس واطبق عليه صلى الله عليه وسلم تسع لبنات ودفن صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا وقيل ليلة الاربعا وذلك في شهر ايلول روى ابن اسحق وغيره مسندا عن عائشة قالت ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من اخر الليل فان قيل لم اخر دفنه صلى الله عليه وسلم وقد كان ينهى عن ذلك قيل لعدم اتفاقهم على موته فقد قال فريق منهم انما اخذه ما كان ياخذه حال الوحي وسيفيق وقيل لاختلافهم في موضع قبره كما سبق وقيل لانهم اشتغلوا بما وقع بين المهاجرين والانصار من الخلاف وخشوا تفاقم الامر فنظروا فيها حتى اتسق الامر وانتظم الشمل واستقرت الخلافة في نصابها فبايع ابا بكر بعضهم ثم بايعوا من الغد على ملا منهم ورضا فكشف الله الكربة واطفت نار الخلاف والحمد لله رب العالمين وهذا ما استحضرته من الاخبار المتلقاة بالقبول في الابانة عن موت الرسول صلى الله عليه وسلم ومعظمها من الصحاح وقد لفق لبعض جهلة القصاص في ذلك اخبار ركيكة قدر كراسة وجاء فيها بما يعلم ببديهة العقل وضعه والله اعلم فصل خرج الدارمي ان كعبا دخل على عائشة فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من يوم يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربون باجنحتهم ويصلون عليه حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الف يزفونه وفيه ايضا ان اهل المدينة قحطوا قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا فيه كوا الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطرا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق فصل في ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امواله من ثلثة اوجه الصفي والهدية تهدى اليه في غير غزو وخمس خيبر وما افاء الله عليه بالمدينة وفدك روينا في صحيح البخاري عن عمرو بن الحرث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا امة ولا شيئا الا بغلته البيضا وسلاحه وارضا جعلها صدقة ونحوه في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا اوصى بشي وفي المتفق عليه عنها ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اردن ان يبعثن عثمن الى ابي بكر يسالنه ميراثهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة وروينا من كتاب الشمايل لابي عيسى الترمذي وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاءت فاطمة الى ابي بكر رضي الله عنهما فقالت

من يرثك

من يرثك فقال اهلي وولدي فقالت ما لي لا ارث ابي فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث ولكني اعول من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله وانفق على من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق عليه وروينا في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتسم ورثتي دينارا ما تركت بعد نفقة نسائي ومونة عاملي فهو صدقة وروينا فيه ايضا عن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيا ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فاكلت منه حتى طال علي فكلته ففني وروينا في الصحيحين عن عائشة قالت كانت فاطمة تسأل ابا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة فابى ابو بكر عليها ذلك وقال لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به فاني اخشى اذا تركت شيئا من امره ان ازيغ فاما صدقته بالمدينة فدفعها عمر الى علي وعباس واما خيبر وفدك فامسكها عمر وقال هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لحقوقه التي تعروه ونوائبه وامرهما الى من ولي الامر قال فهما على ذلك الى اليوم وروينا فيهما ايضا من رواية مالك بن اوس بن الحدثان ان عليا والعباس استاذنا على عمر وعنده عثمن وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص فقال عباس يا امير المؤمنين اقض بيني وبين هذا وهما يختصمان فيما افاء الله على رسوله من مال بني النضير فقال الرهط عثمن واصحابه يا امير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الاخر قال عمر تيدكم انشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قال الرهط قد قال ذلك قال عمر فاني احدثكم عن هذا الامر ان الله قد خص رسوله في هذا الفي بشي لم يعطه احدا غيره ثم قرا ما افاء الله على رسوله منهم الى قوله قدير وكانت هذه خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما احتازها دونكم ولا استاثر بها عليكم قد اعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على اهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ياخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حيوته انشدكم بالله هل تعلمون ذلك قالوا نعم ثم قال لعلي والعباس انشدكما الله هل تعلمان ذلك قال عمر ثم توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها ابو بكر يعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يعلم انه فيها لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله ابا بكر فكنت انا ولي ابي بكر فقبضتها سنتين من امارتي اعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما عمل فيها ابو بكر والله يعلم اني فيها صادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة جئتني يا عباس تسألني نصيبك من ابن اخيك وجاءني هذا يريد علي نصيب

يريد نصيبه امرأته من ابيها فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث
ما تركنا صدقة فلما بدا لي ان ادفعه اليكما قلت ان شئتما دفعتها اليكما على ان عليكما
عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما عمل فيها
ابو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها فقلتما ادفعها الينا فبذلك دفعتها اليكما
فانشدكم بالله هل دفعتها اليهما بذلك فقال الرهط نعم ثم اقبل على علي وعباس فقال نعم
انشدكما بالله هل دفعتها اليكما بذلك قالا نعم قال فتلتمسان مني قضاء غير ذلك
قال فالذي باذنه تقوم السماء والارض لا اقضي فيها قضاء غير ذلك فان عجزتما عنها
فادفعاها الي فاني اكفيكماها فائدة قال ابو داود ما معناه انما سال العباس وعلي
من عمر ان يصيره بينهما نصفين وينفرد كل بنصيبه لانهما جهلا الحكم فكره عمر
ان يجري عليهما اسم القسم فيتوهم الملك قال الخطابي وما احسن ما قاله ابو داود في
هذا وما تاوله وقد زاد البرقاني من طريق معمر قال فغلب علي عليها فكانت بيده
ثم بيد ابنه الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم الحسن بن الحسين ثم زيد بن الحسين قال
معمر ثم بيد عبد الله بن الحسن ثم وليها بنو العباس والله اعلم **فصل** في رؤية
النبي صلى الله عليه وسلم في النوم روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رآني في المنام فسيراني
في اليقظة او كانما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي وفي صحيح البخاري عن انس
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتخيل بي
ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وفيه ايضا عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رآني فقد رأى الحق
فان الشيطان لا يتكونني وروينا في صحيح مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من رآني في المنام فقد رآني فانه لا ينبغي للشيطان ان يتمثل في صورتي وقال اذا حلم
احدكم فلا يخبر احدا بتلعب الشيطان به في المنام قال ابن الباقلاني معنى هذه
الاحاديث ان رؤياه صلى الله عليه وسلم صحيحة ليست باضغاث احلام ولا من تشبيهات
الشيطان وقيل المراد ان من رآه فقد ادركه حقيقة فلا مانع يمنع من ذلك والعقل
والعقل لا يحيله فيضطر الى صرفه عن ظاهره قالوا وقد يرى صلى الله عليه وسلم على خلاف
صفته او في مكانين معا وذلك غلط في صفاته وتخيل لها على خلاف ما هي عليه فتكون ذاته
صلى الله عليه وسلم مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية والادراك لا يشترط فيه
تحديق الابصار ولا قرب المسافة ولا كون المرئي مدفونا في الارض ولا ظاهرا عليها وانما
يشترط كونه موجودا ولم يقم دليل على فناء جسمه صلى الله عليه وسلم بل جاء في الاحاديث
الصحيحة ما يقتضي بقاءه وجميع الانبياء وورد انهم يصلون في قبورهم ويجري لهم
اعمال البر كحياتهم وورد ايضا ان سعيد بن المسيب في ايام الحرة حين هجر المسجد النبوي

كان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة كان يسمعها من داخل الحجرة المقدسة ولا يبعد
ان يكون ذلك خاصا بالصالحين ولمن شاء الله من خواص عباده والله اعلم **فائدة** قال العلماء ولو رأى
صلى الله عليه وسلم يامر او ينهى بخلاف ما تقرر في شرعه ورواه عنه الاثبات الثقات
يقظة لم يعمل به وليس ذلك لشك في الرؤيا وانما هو لانحطاط درجة النائم عن درجة الضبط حالهم
والتيقظ المشترط في رواية الحديث والله اعلم **الباب الخامس** في ذكر بنيه
وبناته وازواجه واعمامه وعماته ومرضعاته واخوته من الرضاعة واخواته وذكر مواليه
وخدمه من الاحرار ومن كان يحرسه ورسله الى الملوك وكتابه ورفقائه
العشرة النجباء واصحابه النقباء واهل الفتوى في حجوته وفيه فصول حسبما تضمن من
التراجم **الفصل الاول** في ذكر اولاده صلى الله عليه وسلم وكان له من الولد القاسم
وبه كان يكنى وعبد الله وهو الطيب والطاهر وقيل اسمه الطيب فقط والطاهر آخر
وابرهيم والبنات زينب ورقية وام كلثوم وهلك البنون قبل النبوة وهم
يرضعون الا ابرهيم وقيل بلغ القاسم ان يركب على الدابة ويسير على النجيبة واما البنات
فادركن الاسلام وهاجرن وتوفين بالمدينة واكبر بنيه صلى الله عليه وسلم القاسم
ثم الطيب ثم الطاهر ثم ابرهيم واكبر بناته زينب ثم ام كلثوم ثم فاطمة وفيه
خلاف واسع والله اعلم وكل اولاده من خديجة الا ابرهيم فانه من مستولدته مارية
القبطية وكلهم مات قبله الا فاطمة فانها عاشت بعده ستة اشهر لم تفتر فيها
ضاحكة وكانت زينب تحت ابي العاص بن الربيع العبشمي وهو ابن خالتها وفرق الاسلام
بينهما فلما اسلم ابو العاص ردها عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول ومعناه
على مثله والله اعلم وهذا موضع تنازع بين العلماء في كيفية رده صلى الله عليه وسلم
لزينب على ابي العاص لان تلاحقهما كان بعد انقضاء العدة وبزمن طويل قدر ست ابن الربيع
سنين والصحيح انه ردها عليه بنكاح جديد وتاولوا الحديث في ردها عليه بالنكاح
الاول ان معناه على مثله والله اعلم وولدت زينب من ابي العاص امامة وعليا وكان
علي بن ابي طالب تزوج امامة بعد خالتها فاطمة وكانت رقية وام كلثوم تحت عتبة موته
وعتيبة ابني ابي لهب فطلقاهما في خبر يطول ذكره وتزوجهما عثمان واحدة بعد واحدة
وماتتا عنده وتزوج البتول فاطمة علي بن ابي طالب رضي الله عنهما فنشر الله عنهما
الخير الكثير ولا يعلم للنبي صلى الله عليه وسلم ذرية الا من جهتهما وقد ذكرت
اولادهم ومن تنزل بطونهم في كتابي الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين
من الصحابة رضي الله عنهم **فصل** في ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وقد
تقدم ذكر كثير منهن متفرقا في حوادث السنين ونذكرهن جملة وبالله التوفيق
اولهن واولاهن بالذكر خديجة بنت خويلد الاسدية وامها فاطمة بنت زائدة
العامرية تزوجها قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهي بكر عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له

جارية ثم هلك عنها فتزوجها بعده ابو هالة النباش بن زرارة التميمي فولدت له ابنا وبنتا ثم هلك عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتت عنده في التاريخ المتقدم ولم يتزوج عليها حتى ماتت رحمة الله عليها ومذهب المحققين انها افضل من عائشة وان فاطمة افضل من الجميع ثم تزوج بعدها سودة بنت زمعة العامرية وكانت قبله تحت السكران بن عمرو العامري اخي سهيل بن عمرو وانفردت بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موت خديجة ثلثة اعوام ولما احست ان النبي صلى الله عليه وسلم رغب عنها واراد طلاقها وهبت نوبتها من القسم لعائشة تبتغي بذلك مرضات رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقا في عصمة نكاحه فكانت احدى التسع اللاتي مات عنهن صلى الله عليه وسلم ماتت في اخر خلافة عمر وقيل ماتت سنة خمس وخمسين وهو الصحيح وتزوج صلى الله عليه وسلم ام عبد الله عائشة بنت ابي بكر الصديق التيمية وكان عقد بها قبل الهجرة وهي بنت ست سنين وقيل سبع ودخل بها في المدينة وهي ابنة تسع ودفع ابو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صداقها ثنتي عشرة اوقية ونشا وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة وكانت احظى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده ولم يتزوج بكرا غيرها وعنها قالت تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم فاتتني امي فادخلتني الدار فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فلم يرعني الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى رواه البخاري توفيت بالمدينة سنة ثمان وخمسين عن خمس وستين سنة ودفنت بالبقيع ليلا وصلى عليها ابو هريرة قيل انها اسقطت من النبي صلى الله عليه وسلم سقطا ولا يصح ذلك وانما كناها النبي صلى الله عليه وسلم بابن اختها عبد الله بن الزبير كما رواه ابو داود وكانت قد تبنته ودعاها اما والله اعلم وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي البدري توفي عنها بالمدينة وقد سبق ان النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فامره جبريل بمراجعتها توفيت سنة خمس واربعين وقيل توفيت حين بويع لمعوية وذلك سنة احدى واربعين وصلى مروان عليها ونزل في قبرها اخواها عبد الله وعاصم وابن اخيها سالم وتزوج صلى الله عليه وسلم ام حبيبة رملة بنت ابي سفين الاموية وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الاسدي وهاجرت معه الى الحبشة فتنصر هنالك واتم الله لها هجرتها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بارض الحبشة واصدقها عنه النجاشي قيل كان الولي في نكاحها عثمن بن عفان وقيل خالد بن سعيد بن العاص وكانا من عشيرتها وكان للنبي صلى الله عليه وسلم خصائص في النكاح لا تصح لغيره ثم جدد النبي صلى الله عليه وسلم نكاحها ثانيا من ابيها ابي سفين تطييبا لقلبه والله اعلم توفيت ام حبيبة بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج صلى الله عليه وسلم هند ابنة ابي امية بن المغيرة المخزومية وكانت قبله تحت ابي سلمة ام سلمة

عبدالله

عبد الله بن عبد الاسد الاسدي المخزومي وولدت له عمر وسلمة وزينب ودرة وتوفي عنها بالمدينة وثبت في صحيح مسلم عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما امره الله سبحانه انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اخلف الله له خيرا منها قالت فلما مات ابو سلمة قلت اي المسلمين خير من ابي سلمة اول من هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اني قلتها فاخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن ابي بلتعة يخطبني له فقلت ان لي بنتا وانا غيور فقال اما بنتها فندعو الله ان يغنيها عنها وادعو الله ان يذهب بالغيرة توفيت ام سلمة بالمدينة سنة اثنين وستين وقيل سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع وتزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية وهي ابنة عمته اميمة بنت عبد المطلب وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة وكان لزواجها الشان العظيم والخطب الجسيم قد سبق ذكر ذلك توفيت بالمدينة سنة عشرين وتزوج صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحرث بن ابي ضرار الخزاعية المصطلقية وكان اسمها برة فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها وسماها جويرية وكانت قبله عند مسافع بن صفوان الخزاعي وكانت حين سبيت وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها فادا عنها وتزوجها وذلك سنة ست من الهجرة توفيت في المدينة في ربيع الاول سنة خمسين او ست وخمسين وتزوج صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن اخطب النضرية وامها برة بنت شموال اخت رفاعة بن شموال وهي من سبط لاوي بن يعقوب ثم من ولد هرون بن عمران اخي موسى صلى الله عليه وسلم وكانت قبل النبي صلى الله عليه وسلم تحت كنانة بن ابي الحقيق فقتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فاصطفاها لنفسه واعتقها وتزوجها وقد تنوزع في كيفية زواجها توفيت سنة ست وثلثين وقيل سنة خمسين وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحرث الهلالية وكانت قبله تحت ابي رهم العامري وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد وقد سبق ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها في عمرة القضا بسرف ودخل بها فيه وماتت ودفنت فيه سنة احدى وخمسين فهولاء غير خديجة جملة من مات عنهن النبي صلى الله عليه وسلم وتزوج صلى الله عليه وسلم ام المساكين زينب بنت خزيمة الهلالية واقامت عنده شهرين او ثلاثة وماتت معه وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش وقيل الطفيل بن الحرث وتزوج صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت الضحاك ولما نزلت اية التخيير فارقها وكانت ممن اختارت الدنيا ثم ندمت فلم يحل له الرجوع اليها قيل وتزوج اساف او شراف بنت خليفة اخت دحية بن خليفة ولم تقم عنده الا يسيرا حتى توفيت وقيل هلكت قبل ان يدخل بها وذكر في ازواجه صلى الله عليه وسلم عالية بنت ظبيان وطلقها حين ادخلت وذكر في ازواجه خولة وقيل خويلة بنت حكيم يقال هي التي وهبت نفسها للنبي

صلى الله عليه وسلم وقيل الواهبة ام شريك ويجوز ان يكونا معًا وذكر فيهن بنت الصلت
وماتت قبل ان يدخل بها وتزوج امراة من بني غفار فلما نزعت ثيابها راى بها برصا فقال الحقي
باهلك واتفقوا على نكاح الجونية ثبت في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
دخل عليها قال هبي نفسك لي قالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فاهوى بيده يضع يده
عليها لتسكن فقالت اعوذ بالله منك فقال قد عذت بمعاذ ثم قال صلى الله عليه وسلم يا ابا اسيد
اكسها رازقيين والحقها باهلها قيل وكان قولها ذلك عن تعليم من ازواجه قلن لها انه
يحب ذلك وخطب صلى الله عليه وسلم امراة فقال ابوها ان بها لم يغرض يصفها
بذلك فتركها وخطب امراة الى ابيها فقال ابوها ان بها برصا ولم يكن بها ورجع فاذا هي برصا
وذكر ابن هشام وغيره تبعا لابن اسحق ان جملة ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة
ست قرشيات وسبع عربيات واسرائيلية وذكر ابن سعد في شرف النبوة ان
جملتهن احدى وعشرون واتفقوا على انه صلى الله عليه وسلم دخل باحدى عشرة ومات
اثنان قبله وتوفي عن تسع وكان يقسم لثمان واكثر صداق عقد به صلى الله عليه وسلم
لنفسه وبناته خمسمائة درهم فهي سنة فينبغي تحريكها تحريا بها والوقوف عليها والارتسام
بها والله اعلم فصل في ذكر الاعمام والعمات ولم يذكر احد له صلى الله
عليه وسلم خالا ولا خالات ولا اخوة وكان عمومته صلى الله عليه وسلم احد عشر ذكرا
وست نسوة اولاهم بالذكر واولا اسد الله واسد رسوله واخوه من الرضاعة
ابو يعلى وقيل ابو عمارة حمزة بن عبد المطلب اسلم قديما وعز الاسلام باسلامه وشهد
بدرا وابلى فيها واستشهد باحد ولم يخلف الا ابنة واحدة ذكر ذلك المحب الطبري
ولا يصح ذلك فقد ذكر مصعب الزبيري ان ابنه يعلى الذي كني به اعقب خمسة من
البنين ثم انقرضوا وذكر غيره ان له ابنة اسمها عمارة كني بها ايضا وجرى ذكرها في
العتق في سنن الدارقطني ولها قصة وابنة امامة وهي التي جرى ذكرها في عمرة
القضا وتنازع فيها علي وجعفر وزيد وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم الا تتزوج بنت حمزة
والله اعلم ثانيهم ابو الفضل العباس كان اسن من النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث
سنين اسلم يوم بدر وقيل لم يتعين وقت اسلامه الا انه كان من اول امره مسددا
مقاربا شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم العقبة وشهد له العقد مع الانصار ولما اسلم
استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مقامك بمكة
خير لك فكان عونا للمستضعفين من المسلمين وكان يكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
باخبار المشركين ثم لقي النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا في سفر الفتح فرجع معه فشهد الفتح
وحنينا وابلى فيها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعظمه ويجله وكذلك الخلفاء
بعده مات العباس سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بعد ان كف بصره وكان له
من الولد عشرة بنين وثلاث بنات وعد من الصحابة منهم الفضل وعبد الله وعبيد
الله

الله وقثم ولا يعلم بنو ام تباعدت قبورهم كبني العباس فقبر الفضل باليرموك من ارض الشام
وعبد الله بالطائف وعبيد الله بالمدينة وقثم بسمرقند ومعبد بافريقية رضي الله عنهم اجمعين
ورحمهم ثالثهم ابو طالب واسمه عبد مناف وهو اخو عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم
لامه امهم وام عاتكة فاطمة بنت عمرو المخزومي وله من الولد طالب وعقيل وجعفر
وعلي كلهم صحابيون الا طالبا اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه قيل ومن العجائب
ان بين كل واحد منهم وبين اخيه في السن عشر سنين وكان له من البنات ام هانئ
واسمها فاختة وقيل هند وذكر من بناته ايضا جمانة والله اعلم رابعهم الحرث وهو اكبرهم
في السن وانما قدمت حمزة والعباس عليه لشرف الاسلام وقدمت ابا طالب لشرف كفالة
النبي صلى الله عليه وسلم ولا مزية لبقيتهم ومن ولد الحرث ابو سفين اسلم في سفر الفتح وحسن
اسلامه وعاد يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما كان يهجوه ولم يكن له عقب ونوفل
بن الحرث اسلم ايام الخندق وهاجر وله عقب وعبد شمس بن الحرث سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله
عقبه مات بالشام خامسهم قثم بن عبد المطلب مات صغيرا وهو اخو الحرث لامه
سادسهم الزبير وكان من اشراف قريش وهو الذي سعى في حلف الفضول وابنه عبد الله
بن الزبير شهد حنينا وثبت يومئذ واستشهد باجنادين وحده الى جنب سبعة قد قتلهم ثم
قتل ومن ولده ضباعة بنت الزبير الصحابية وام الحكم لها صحبة ورواية سابعهم
عبد الكعبة ثامنهم الغيداق سمي بذلك لسخائه وجوده تاسعهم حجل واسمه المغيرة
عاشرهم ضرار اخو العباس لامه الحادي عشر ابو لهب واسمه عبد العزى كني بابي لهب
لحسن وجهه وكان من اسوا اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حالا فيه وكفاه من
الذم ما ورد في حقه في التنزيل وفي صحيح البخاري انه اريه بعض اهله بشر حيبة اي حال
فقال لم الق بعدكم خيرا لكني سقيت في هذه يعني نقرة الابهام بعتقي ثويبة وقد سبق ذكر
ذلك مبينا عند ذكر مولده صلى الله عليه وسلم ومن اولاد ابي لهب عتبة ومعتب ثبتا مع النبي
صلى الله عليه وسلم يوم حنين ودرة صحابية ايضا واما عتيبة فقتله الاسد بالزرقاء من
ارض الشام على كفره بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ○ واما العمات فستا اولهن صفية
ام الزبير وهي اخت حمزة لامه اسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة في خلافة عمر ثانيتهن
عاتكة اختلف في اسلامها وهي صاحبة الرؤيا في يوم بدر وكانت عند ابي امية المخزومي
فولدت له ام المؤمنين ام سلمة وعبد الله وله صحبة وزهيرا وقريبة الكبرى ثالثتهن اروى
وكانت عند عمير بن وهب العبدري فولدت له طليب بن عمير وكان من المهاجرين
الاولين شهد بدرا واستشهد باجنادين ولا عقب له رابعتهن اميمة كانت تحت جحش
بن رئاب فولدت له زينب ام المؤمنين وعبد الله واستشهد باحد ودفن مع خاله حمزة
وابا احمد الاعمى الشاعر وام حبيبة وحمنة وكلهم لهم صحبة وعبيد الله اسلم ثم تنصر
بالحبشة ومات بها خامستهن برة وكانت عند الاسد بن هلال المخزومي فولدت له ابو سلمة
ابا

زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم سادستهن ام حكيم واسمها البيضا وهي توامة
عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت عند كريز بن ربيعة العبشمي فولدت له اروى
بنت كريز ام عثمن بن عفان رضي الله عنه **فصل** في مرضعاته واخواته من الرضاعة
صلى الله عليه وسلم ارضعته اولا ثويبة مولاة ابي لهب وكان اخوته منها عمه حمزة
وابا سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وعبد الله بن جحش وابنها مسروح وهو صاحب
اللبن وكان صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لثويبة ويصلها من المدينة ولما افتتح مكة
سال عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وسال عن قرابتهما فلم يجد احدا منهم حيا
وسبق قريبا ما حصل لابي لهب بعتقه ثويبة ثم ارضعته صلى الله عليه وسلم حليمة
بنت ابي ذويب السعدية فكان بنوها اخوته وهم عبد الله والشيما وانيسة بنو الحرث
بن عبد العزى اسلموا كلهم وبسبب هذا الرضاع اعتق صلى الله عليه وسلم سبي هوازن
وكانوا ستة الاف وذكر اهل السير ان حليمة ردته الى امه وهو ابن خمس سنين
ولم تره بعدها الا مرتين احدهما بعد تزويجه لخديجة جاءته تشكو اليه جدب بلادهم
فاستوهب لها من خديجة عشرين راسا من الغنم وبكرات والثانية يوم حنين
وذكر بعضهم في اخوته من حليمة ابن عمه سفين بن الحرث والله اعلم **فصل**
في ذكر مواليه من الرجال والنساء اما الذكور فاحد وثلثون اولهم زيد بن حارثة
بن شراحيل الكلبي وكان من سبي العرب فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة ثم
وهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فكان يقال له زيد بن محمد وفيه
نزل قوله تعالى ادعوهم لابايهم وثبت له منقبة لم تثبت لغيره من الصحابة وهي انه
ذكر باسمه العلم فقال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وقد سبقت في القران
الاشارة الى ذلك مع انه ما ثبت له في الاسلام من المشاهد الجميلة الجليلة وختم الله
له بالشهادة فاستشهد بموتة سنة ثمان ثم ابنه اسامة بن زيد حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابن حبه وابن امه وامنه الخليق للامارة بن الخليق لها ثم توفي
اسامة بوادي القرى وحمل الى المدينة سنة اربع وخمسين وتوفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وله عشرون سنة ثم ثوبان بن بجدد قيل انه من حمير اصابه سبيا
في الجاهلية فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقه ولازمه حتى توفي وبعده
انتقل الى الشام وتوفي سنة خمس واربعين وقيل اربع وخمسين ثم ابو كبشة
وكان من مولدي مكة وقيل من ارض دوس اشتراه صلى الله عليه وسلم واعتقه
وشهد بدرا وتوفي في اول يوم استخلف عمر ثم انيسة من مولدي السراة اشتراه
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقه ثم شقران واسمه صالح قيل ورثه من ابيه
وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف واعتقه ثم رباح اسود نوبي اشتراه من وفد
عبد القيس واعتقه ثم يسار نوبي ايضا اصابه في بعض الغزوات وهو الذي قتله

العرنيون ومثلوا به وحمل الى المدينة ميتا ثم ابو رافع القبطي واسمه اسلم وقيل ابرهيم
وهبه العباس للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه حين بشره باسلام العباس وزوجه مولاته
سلمى فولدت له عبيد الله كاتب علي توفي ابو رافع بعد عثمن وجد بنه مع ابي لهب في خبر يوم
بدر وانتصار ام الفضل له مشهور والله اعلم ثم ابو مويهبة من مولدي مزينة اشتراه
صلى الله عليه وسلم واعتقه ثم فضالة نزل الشام ومات بها ثم رافع كان لسعيد
بن العاص فورثه ولده فاعتقه بعضهم وتمسك بعضهم فوهب له النبي صلى الله عليه وسلم
ما ادى قيمته فكان يقول انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مدعم وهبه له
رفاعة بن زيد الجذامي فقتل بوادي القرى وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم
ان الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارا ثم كركرة وكان على ثقل النبي صلى الله عليه وسلم
وكان نوبيا اهداه له هوذة بن علي الحنفي فاعتقه ثم زيد جد هلال بن يسار بن زيد
ثم عبيد وطهمان ثم مابور القبطي من هدايا المقوقس وكان خصيا وهو ابن عم
مارية ام ابرهيم ثم واقد ثم ابو واقد ثم هشام ثم ابو ضميرة كان من النبي
فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ثم عسيب واسمه احمر ثم ابو عبد
سفينة واسمه مهران وكنيته ابو احمد لقب سفينة لانه حمل متاع النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه في بعض الاسفار وقيل وعبر بها بعض الانهار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انما انت سفينة قال فلو حمل علي بعدها وقر سبعة ابعرة ما ثقل علي الا ان يجففوا وجرى
له مع الاسد معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه ركب سفينة فانكسرت
قال فركبت لوحا منها فطرحني الى الساحل فلقيني الاسد فقلت يا ابا الحارث انا سفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فطاطا راسه وجعل يرفعني بجنبه حتى اوقفني
على الطريق وهمهم فظننت انه يودعني وكان سفينة من مولدي العرب وقيل من
ابناء فارس اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وقيل اعتقته ام سلمة وشرطت عليه
خدمة النبي صلى الله عليه وسلم مات سفينة مع جابر بعد سبعين من الهجرة وذكر
البخاري في التاريخ المذكور انه بقي الى زمن الحجاج وفيه نظر ثم ابو هند ابتاعه النبي
صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية واعتقه وهو الذي قال في حقه زوجوا ابا هند
وتزوجوا اليه ثم انجشة حادي القوارير ثم انسة وكان حبشيا فصيحا شهد بدرا
وما بعدها واعتقه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومات في خلافة ابي بكر ثم ابو لبابة
كان لبعض عماته فوهبته له فاعتقه ثم رويفع سباه من هوازن فاعتقه هولاء
من ذكر المحب الطبري وفي بعضهم نحوه وقد زدنا في تراجم بعضهم ونقصنا من بعضهم
والله اعلم واما الاما فسبع احداهن سلمى ام رافع بركة ثم ام ايمن وهي ام اسامة بن زيد
ورثها من ابيه فحضنته بعد وفاة امه فلما كبر صلى الله عليه وسلم اعتقها وزوجها مولاه
زيد بن حارثة وكانت قبله عند عبيد الحبشي فولدت له ايمن الذي كنيت به

وله في الاسلام مشاهد جميلة وهو الذي قال فيه حسان يوم خيبر معتذرا عنه حين تغيب عن خيبر وعيرته امه قال

علي حين ان قالت لايمن امه . جبنت ولم تشهد فوارس خيبر

وايمن لم يجبن ولكن مهره . اضر به شرب المديد المخمر

ولام ايمن مناقب جليلة منها انها حضنت النبي صلى الله عليه وسلم ونشا في حجرها وكان يقول امي بعد امي وهاجرت على قدميها من مكة الى المدينة منفردة في حر شديد وعطشت فسمعت خفيفا فوق راسها فالتفتت فاذا دلو قد دلي لها من السماء فشربت منها فلم تظما ابدا وكان لها على النبي صلى الله عليه وسلم بسطة وادلال كثير وكان يزورها الى بيتها وكذلك اصحابه بعده وكان ناول اهله لحوقا بعد فاطمة ولم يحصل لاسامة وابيه الحضوة من النبي صلى الله عليه وسلم الا بسببها ومناقبها كثيرة شهيرة قيل وكان اصلها من سبي الحبشة اصحاب الفيل والله اعلم ثم مارية القبطية من هدايا المقوقس وهي ام ابرهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ماتت سنة عشر في خلافة عمر ثم ريحانة بنت عمرو القرظية اصطفاها النبي صلى الله عليه وسلم من سبي بني قريظة ثم ميمونة بنت سعد ثم خضرة رضوى **فصل** في ذكر خدمه من الاحرار صلى الله عليه وسلم وهم احد عشر ولهم ولاء هم بالذكر اولا انس بن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي اهدته امه ام سليم للنبي صلى الله عليه وسلم فقبله وخدمه من حين قدم المدينة الى ان توفي روى عنه قال خدمته تسع سنين فما قال لشيء فعلته يا انس لم فعلت وقالت ام سليم يا رسول الله خادمك انس فادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته قال فاني لمن اكثر الانصار مالا وحدثتني ابنتي امينة انه دفن لصلبي الى مقدم الحجاج خمس وعشرون ومائة سوى ولد ولدي وان نخلي ليثمر في العام العام مرتين وعمر كثيرا وكان له وجه عند الخلفاء وغيرهم بخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جرى له مع الحجاج واقعة تضمنت منقبة لعبد الملك بن مروان روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثر وتوفي بالبصرة سنة تسعين وقيل سنة احد وتسعين وقيل ثلثة وتسعين وقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وهند واسما ابنا حارثة الاسلميان ربيعة بن كعب الاسلمي كان من اصحاب الصفة توفي سنة ثلث وستين عبد الله بن مسعود الهذلي وكان صاحب نعلي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام البسه اياهما واذا جلس جعلها في ذراعه حتى يقوم وكذلك كان يحمل له سواكه حتى يحتاجه وفي الصحيحين عن ابي موسى الاشعري قال قدمت انا واخي من اليمن فمكثنا حينا ما نرى ابن مسعود وامه الا من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من كثرة دخوله ودخول امه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزومه له مات عبد الله بالكوفة وقيل بالمدينة سنة ثلثين عن بضع

وستين

عقبة م

ساده

له ابصام

وستين سنة عبد الله بن عامر الجهني كان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يراعيه ويقود به في الاسفار وتنبل بذلك فيما بعد فصار من سادات الصحابة اميرا شريفا ولي مصر لمعاوية ومات بها سنة ثلاث وخمسين بلال بن رباح ويقال له ابن حمامة وهي امه اشتراه ابو بكر حين كان يعذب في الله واعتقه فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمه حضرا وسفرا وتولى الاذان وهو اول من اذن في الاسلام وكان المؤذنون سواه ابن ام مكتوم وابا محذورة قال عمر رضي الله عنه ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب الى الشام للجهاد وقدم مرة المدينة زائرا فطلبوا منه ان يؤذن لهم فاذن ولم يتم اذانه فلم ير باك اكثر من ذلك اليوم مات بدمشق سنة عشرين على اربع وستين سنة سعد مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ذو مخمر ويقال ذو مخبر ابن اخي النجاشي وقيل ابن اخته بكير بن شداخ الليثي ابو ذر الغفاري اسلم رضي الله عنه قديما وقصة اسلامه مشهورة في الصحيح ثم رجع الى بلده فاقام بها حتى مضت الخندق وما قبلها ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزمه حتى توفي وسيره عثمان الى الربذة فمات بها سنة اثنين وثلاثين وصلى عليه ابن مسعود رضي الله عنهم اجمعين **فصل** فيمن كان يحرسه صلى الله عليه وسلم في غزواته وهم ثمانية سعد بن معاذ سيد الانصار وابركهم اسلاما حرسه يوم بدر حين نام في العريش ذكوان بن عبد قيس محمد بن مسلمة الانصاري حرسه باحد الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق عباد بن بشر سعد بن ابي وقاص ابو ايوب الانصاري حرسه بخيبر حين دخل بصفية بلال حرسه بوادي القرى قال عبد الله بن شقيق عن عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فلما نزلت هذه الاية اخرج النبي صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال يا ايها الذين امنوا انصرفوا فقد عصمني الله ..

الله بن م

فصل في رسله صلى الله عليه وسلم الى الملوك وهم احد عشر وقد سبق بعضهم في تاريخ السنة السادسة وذكرنا هنا ما ثبت من ذلك في الصحيح وتذكرهم هنا جملة لتتم الفائدة وذكر ابن اسحق في خبر متداخل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية فقال ايها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فادوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم قالوا يا رسول الله وكيف كان اختلافهم قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فاما من قرب به فاحب وسلم واما من بعد به فكره وابى فشكا ذلك عيسى منهم الى الله عز وجل فاصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذي وجه اليهم فارسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري الى النجاشي وقد سبق انه لما ورد عليه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم نزل عن سريره وانصف كل الانصاف وان النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه يوم مات وروي انه لا يزال يرى على قبره النور وارسل دحية

بن خليفة الى قيصر وقد قدمنا ما ثبت من ذلك في الصحيح وانه قارب الاسلام فلما رأى
نفرة الروم غلب عليه حب الرياسة فقعد دونها وروي انه وضع كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قصبة من ذهب فهم يتوارثونه ويستفتحون به وروي ايضا
انه ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم مع دحية اني مسلم ولكني مغلوب فكذبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبعث صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة الى كسرى فمزق
كتابه فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق واسم كسرى الذي
مزق الكتاب ابرويز بن هرمز بن انوشروان ومعنى ابرويز بالعربية المظفر وروى
بن هشام عن الزهري ما معناه ان كسرى كتب الى باذان عامله على صنعا وهو الرابع من
ملوكها بعد وهرز يامره ان يسير الى النبي صلى الله عليه وسلم ويستتيبه فان تاب
والا بعث اليه براسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم فكتب النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدني ان يقتل كسرى في يوم كذا فلما ورد على باذان
توقف مترقبا صدق ذلك فقتله ابنه شيرويه في ذلك اليوم فحينئذ بعث باذان الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم باسلامه واسلام من معه والله اعلم وبعث حاطب بن ابي بلتعة
اللخمي الى المقوقس واسمه جريج بن مينا وهو والي مصر والاسكندرية كان متحكما لهرقل
ولما ورد عليه حاطب قال له انه قد كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك وان لك
دينا لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي به الله فقد ما سواه ان هذا النبي
دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود واقربهم منه النصارى
ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
وما دعاؤنا اياك الى القران الا كدعائك اهل التورية الى الانجيل وكل نبي ادرك
قوما فهم من امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين
المسيح ولكنا نامرك به فلما قال ذلك قارب وسدد واهدى انواعا من الهدايا وارسل
صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى الجلندي واخيه ملكي عمان وهما من الازد فقال
قال الجلندي يعدان وعظه عمرو وابلغ انه والله لقد دلني على هذا النبي الامي صلى الله
عليه وسلم انه كان لا يامر بخير الا كان اول من اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول
تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ثم اسلما وخليا بين عمرو وبين الصدقة
والحكم فيما بينهم فلم يزل عندهم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم وارسل صلى الله عليه وسلم
سليط بن عمرو العامري الى هوذة بن علي الحنفي فلما ورد عليه اكرمه وكتب الى النبي
صلى الله عليه وسلم ما احسن ما تدعو اليه واجمله وانا خطيب قومي وشاعرهم فاجعل لي
بعض الامر فابى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم ومات زمان الفتح وبعث صلى الله
عليه وسلم شجاع بن وهب الاسدي الى الحرث بن ابي شمر الغساني ملك البلقا قال شجاع

بن وهب

بن وهب انتهيت اليه وهو بغوطة دمشق فقرا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم رمى به
وقال انه سائر اليه وعزم على ذلك فمنعه قيصر ثم بعث ايضا شجاع بن وهب الى جبلة بن الايهم
الغساني فقال جبلة والله لوددت ان الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على خلق السموات
والارض ولقد سرني اجتماع قومي له واعجبني قتله اهل الاوثان واليهود واستبقاء النصارى
ولقد دعاني قيصر الى قتال اصحابه يوم موته فابيت عليه فانتدب مالك بن دافلة من سعد
العشيرة فقتله الله ولكني لست ارى حقا ينفعه ولا باطلا يضره والذي يمدني اليه اقوى
من الذي قال يخلجني عنه وسانظر واسلم جبلة بعد ثم تنصر من اجل لطمة حاكم فيها الى
ابي عبيدة فحكم عليه بالقصاص فانف واستكبر ومات على نصرانيته وله في ذلك خبر يطول
وكان طول جبلة اثني عشر ذراعا يمسح برجليه الارض وهو راكب وبعث صلى الله عليه وسلم
المهاجر بن امية المخزومي الى الحرث بن عبد كلال الحميري احد مقاول اليمن فقال له المهاجر
يا حرث انك كنت اول من عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم فخطئت عنه وانت اعظم الملوك
قدرا فاذا نظرت في غلبة الملوك فانظر في غالب الملوك واذا سرك يومك فخف غدك وقد
كان قبلك ملوك ذهبت اثارها وبقيت اخبارها عاشوا طويلا واملوا بعيدا وتزودوا قليلا
منهم من ادركه الموت ومنهم من اكلته النقم فتردد الحارث ولم يسلم وبعث صلى الله
عليه وسلم العلا بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين فدفع اليه كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا منذر ان هذه المجوسية شر دين ينكحون ما يستحيى من نكاحه
وياكلون ما يتكرم عن اكله ويعبدون في الدنيا نارا تاكلهم في الاخرة فقال المنذر
قد نظرت هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الاخرة ونظرت في دينكم فوجدته للاخرة
والدنيا فما يمنعني من دين فيه امنية الحيوة وراحة الموت ولقد عجبت امس ممن يقبله وعجبت
اليوم ممن يرده ثم اسلم وبعث صلى الله عليه وسلم ابا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل الى اهل
اليمن داعيين الى الاسلام فاسلم عامة اهل اليمن ملوكهم وسوقتهم طوعا من غير قتال

فصل في كتابه صلى الله عليه وسلم وهم خمسة وعشرون ابو بكر وعمر
وعثمن وعلي وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الارقم وابي بن كعب وثابت بن قيس بن شماس وخالد
بن سعيد بن العاص واخوه ابان وحنظلة بن ابي بن سلول والزبير بن العوام ومعيقيب
بن ابي فاطمة الدوسي والمغيرة بن شعبة وخالد بن الوليد والعلا بن الحضرمي وعمرو بن العاص
وجهم بن الصلت وعبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سعيد بن ابي سرح

فصل في رفقايه صلى الله عليه وسلم العشرة النجبا الذين اخبر انهم في الجنة
وهم ابو بكر الصديق عبد الله بن عثمن التيمي ابو حفص عمر بن الخطاب العدوي ابو عمرو
عثمان بن عفان الاموي ابو الحسن علي بن ابي طالب الهاشمي ابو محمد طلحة بن عبيد الله التيمي
ابو عبد الله الزبير بن العوام الاسدي ابو اسحق سعد بن ابي العاص مالك بن اهيب الزهري
ابو محمد عبد الرحمن بن عوف الزهري ابو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي

ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري وقد جمعهم بعض الفضلاء في بيتين فقال

علي والثلاثة وابن عوف • وسعد منهم وكذا سعيد •
كذاك ابو عبيدة فهو منهم • وطلحة والزبير ولا مزيد •

وقال ايضا فيهم الفاضل الاصيل الناسك النبيل ابو بكر بن محمد الصوفي

عتيق والفتى عمر وعثمان ومولانا علي •
وطلحة وابن عوف وابن زيد • وسعد من بهم فخرت لؤي •
كذاك ابو عبيدة فهو منهم • وليثهم الحواري الكمي •
اولاك السابقون الى المعالي • فدع قول الروافض فهو غي •

فصل في انصاره الاثني عشر النقباء وقد سبق ذكرهم وما قيل فيهم من التعدد وقد جمعهم ايضا الشيخ الامام سيد الحفاظ وقدوة النبهاء الايقاظ علي بن ابي بكر الداودي الحسيني فقال ابيات شعر في اسامي النقباء انصار هذا الدين الماضيا

عينهم جبريل للرسول • كذا عن الزهري في المنقول •
فاسعد نقيبهم لا يجهل • فتى زرارة وذاك الاول •
وابن الربيع وفتى رواحة • ورافع بن مالك جناحه •
ثم ابن معرور وذاك البرا • ثم ابو جابر فيهم ذكرا •
ثم عبادة سليل الصامت • الخزرجي زاكي المنابت •
وابن عبادة وذاك سعد • والمنذر بن عمرو هم من بعد •
وابن حضير ثم سعد خيثمة • ثم رفاعة انت منتظمة •
فالتسعة الاولى صميم الخزرجي • تليهم الاوس كرام المنهج •

الباب السادس في ذكر دوابه من الخيل والبغال والحمير ونعمه وغنمه وسلاحه وبيوته وملبوساته وغير ذلك من انواع الالة وفيه عدد سراياه وغزواته صلى الله عليه وسلم **فصل** في دوابه من الخيل والبغال والحمير كان له صلى الله عليه وسلم عشرة افراس السكب كان ادهم اول فرس ملكه اشتراه من اعرابي من بني فزارة بعشرة اواق كان تحته يوم احد وكان اسمه عند الاعرابي الضرس بفتح الصاد وكسر الراء المهملة كالشرس وزنا ومعنا فسماه صلى الله عليه وسلم السكب رسول الله
وكالشرس وزنا ومعنا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم السكب وكان اغر محجلا طلق اليمين سبحه وهو الذي سابق عليه فسبق ففرح به المرتجز اشتراه من سواد بن الحرث المحاربي وانطلق لينقده ثمنه فاعطي اكثر من ذلك فجحد بيع النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يشهد لي فقال خزيمة بن ثابت انا فقال كيف تشهد ولم تحضر فقال نصدقك في خبر السماء ولا نصدقك في خبر الارض فقال صلى الله عليه وسلم من شهد له خزيمة او شهد عليه فحسبه فسمي ذا الشهادتين وثبت لخزيمة رضي الله عنه

منقبة

منقبة اخرى وهي انه راى انه يسجد على جبهته رواه الامام احمد بسند جيد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد الفرس على الاعرابي وقال لا بارك الله لك فيها فاصبحت شائلة برجلها لزاز من هدايا المقوقس وكان يعجبه ويركبه في اكثر غزواته اللحيف اهداه له ربيعة بن ابي البراء فاثابه فرايض من نعم بني كلاب الضرب اهداه له فروة بن عمرو الجذامي الورد اهداه له تميم الداري فاعطاه عمر فحمل عليه عمر في سبيل الله ثم اضاعه الذي حمله عليه واخرجه للبيع فاراد عمر ان يشتريه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تشتره وان اعطاكه بدرهم فان العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه والورد من الوان الخيل الذي لونه بين الكميت والاشقر الصرم بفتح اوله وكسر ثانيه ملاوح وكان لابي بردة بن نيار البحر اشتراه من تجار قدموا من البحرين فسبق عليه ثلاث مرات فمسح صلى الله عليه وسلم وجهه وقال ما انت الا بحر وثبت في الصحاح انه وقع فزع بالمدينة ليلا فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة عريا يقال له مندوب وكان بطيئا فاستبرا الخبر ثم رجع فتلقى الناس وقال ما وجدنا من فزع وان وجدناه لبحرا فكان بعد ذلك لا يجارى والله اعلم وكان له صلى الله عليه وسلم بغلة شهبا يقال لها دلدل من هدايا المقوقس وهي اول بغلة ركبت في الاسلام وعاشت بعده حتى كبرت وزالت اضراسها فكان الصحابة يصفونها ويجششون لها الشعير وبقيت الى زمن معوية وماتت بينبع ونقل بعضهم الاجماع على ان الدلدل كان ذكرا والله اعلم وكان له بغلة اخرى يقال لها فضة وهبها من ابي بكر وبغلة اخرى يقال لها الايلية اهداها له ملك ايلة وبغلة اخرى اهداها له فروة بن نعامة الجذامي وكانت بيضا وهي التي ركبها يوم حنين ولما اخذ القبضة التي رمى بها وجوه الكفار فطاطات حتى بلغ بطنها الارض وكان له حمار يقال له يعفور اهداه له فروة بن عمرو الجذامي مات في حجة الوداع وقيل بقي بعده والقى نفسه في بئر يوم موته صلى الله عليه وسلم وعفير اهداه له المقوقس واما الحمار الذي ذكر انه اصابه بخيبر وكلمه بكلام طويل وانه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم تردى في بئر فقال الحفاظ هو حديث منكر متنا واسنادا

فصل في ذكر نعمه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر انه اقتنى من البقر شيئا كان له صلى الله عليه وسلم لقحة عشرون لقحة بالغابة يراح له منها كل ليلة بقربتين عظيمتين لبنا منهن الحنا والسمرا والعديس والسعدية والبغوم واليسيرة والريا وبردة ومهرية وكانت ناقته التي يركبها القصوى وهي الجدعا والعضبا وكل هذه الالقاب لنقص يكون في الاذن ولم يكن بناقة النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء وانما هي القاب لها منها وكان لا يحمل النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي غيرها وثبت في سبب ملكها ما روينا في صحيح مسلم ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اسروا رجلا من بني عقيل واصابوا معه العضبا فاتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الوثاق فقال يا محمد بما اخذتني وبما اخذت سابقة الحاج

فقال لحذنك بجريرة حلفايك من ثقيف وذكر الحديث وفيه قصة وقال اخرون
دل تعدد الاسماء على تعدد المسميات وان القصوى ابتاعها من ابي بكر يوم الهجرة والله
اعلم وكان له صلى الله عليه وسلم مائة من الغنم لا يريد ان تزيد فاذا راح الراعي
بسخلة ذبح مكانها اخرى وكان له شاة يختص بشرب لبنها تدعى غيثة وكان له ديك
ابيض **فصل** في ذكر سلاحه صلى الله عليه وسلم كان له اربعة ارماح ثلثة
اصابها من سلاح بني قينقاع وواحد يقال له المنثني وكان له عنزة وهي حربة دون
الرمح كان يمشي بها في يده وتحمل بين يديه في العيدين حتى تركز امامه فتكون سترة
وكان له محجن قدر الذراع يمشي ويركب به ويعلق به الشيء وكان له مخصرة تسمى العرجون وقضيب
يسمى الممشوق وكان له اربع قسي اثنان من شوحط يسميان الروحا والبيضا واخرى
من نبع تسمى الصفرا واخرى تسمى الكتوم كسرت يوم بدر وكان له صلى الله عليه وسلم
جعبة تسمى الكافور وكان له ترس عليه تمثال عقاب اهدي له فوضع يده عليه فاذهبه
الله وكان له صلى الله عليه وسلم تسعة اسياف ذو الفقار تنفله يوم بدر وهو الذي
راى فيه الرؤيا وكان قبله لمنبه بن الحجاج السهمي وثلثة اسياف من سلاح بني قينقاع
احدهما يدعى البتار واخر يدعى الحتف وكان له سيف يدعى المخذم وسيف يسمى الرسوب
واخر ورثه من ابيه وكان له سيف يقال له العضب اعطاه اياه سعد بن عبادة
وسيف يدعى القضيب وهو اول سيف تقلده رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس
كان نعل سيف النبي صلى الله عليه وسلم من فضة وقبيعته فضة وما بين ذلك حلق الفضة
وكان له صلى الله عليه وسلم تسعة ادراع احدها تسمى الخرنق سميت للينها واخرى
تسمى البتراء لقصرها وذات الفضول لطولها وهي التي مات وهي مرهونة وذات الوشاح
وذات الحواشي وفضة والسعدية قيل وهي درع داود التي كانت عليه حين قتل
جالوت ودرعان اصابهما من بني قينقاع ذكر ذلك الكمال الدميري قلت ودرعه
الحطمية التي سلحها لعلي وامره ان يجعلها صداقا لفاطمة وروي انه امره ان يبيعها
فجهزها بها فباعها باربعمائة وثمانين درهما وظاهر صلى الله عليه وسلم يوم احد ويوم
حنين بين درعين وكان له صلى الله عليه وسلم مغفر يقال له السبوح ومنطقة من
اديم فيها ثلث حلق فضة وكانت له راية سودا مخملة يقال لها العقاب وكان لواؤه
ابيض وربما جعلت الالوية من خمر نسائه صلى الله عليه وسلم **فصل** وكان له
يوم مات صلى الله عليه وسلم تسعة ابيات فكان بعضها من جريد مطين بالطين
وبعضها من حجارة مرضومة بعضها فوق بعض وسقفها الجميع جريد النخل وكان سماوها
قامة وبسطة وكان لكل بيت حجرة من اكسية الشعر في خشب عرعر وبعد
وفاة امهات المؤمنين خلط الوليد بن عبد الملك البيوت والحجر في المسجد ولما ورد
كتابه بذلك ضج اهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته صلى الله عليه وسلم وكان ذلك

على يد

على يد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه **فصل** في ملبوساته صلى الله عليه وسلم
وغيرها من انواع الالات ترك صلى الله عليه وسلم يوم مات ثوبي حبرة وازارا عمانيا
ورداء اخضر حضرميا يشهد فيه العيدين طوله اربعة اذرع وشبر وعرضه ذراعان
وثوبين صحاريين وقميصا صحاريا وقميصا سحوليا وجبة يمانية وخميصة وكساء
ابيض ملبدا وقلانس صغارا لاطية ثلثا او اربعا وازارا طوله خمسة اشبار
وملحفة مورسة وكانت له عمامة سودا واخرى يقال لها السحاب كساها عليا وكان
يلبس ما وجد مرة شملة ومرة حبرة يمانية ومرة جبة ومرة قباء ويتوشح مرة بثوب
قطري ومرة ببرد نجراني غليظ الحاشية وكان احب الثياب اليه القميص والحبرة
وقال البسوا البياض فانه اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم واهدى له النجاشي
خفين ساذجين فلبسهما واهدى له ايضا دحية خفين فلبسهما حتى تخرقا وكان
له نعلان جرداوان لهما قبالان مثني شراكهما واتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما
من ورق فضة حبشي وكان له خاتم من ورق نقشه محمد رسول الله وهو الذي
كان يختم به كتبه وكان بيد ابي بكر بعده ثم بيد عمر ثم بيد عثمان حتى سقط في بير اريس
فنزحوها فلم يوجد ومن بعد ذلك اختلفت الناس عليه وراى صلى الله عليه وسلم على رجل
خاتما من شبه فقال ما لي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه احد منك ريح الاصنام
فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال ما لي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه
فقال يا رسول الله من اي شيء اتخذه قال اتخذه من ورق ولا تتمه مثقالا وكان له
ربعة فيها مراة تسمى المدلة ومشط عاج ومكحلة ومقراض وسواك وكان له وسادة
من ادم حشوها ليف وكان له سرير مرمل بالشريط وكان له قبة يضرب بها في اسفاره
تسع اربعين رجلا وكان لها سفرة ياكل عليها وكان له قصعة يقال لها الغرا يحملها
اربعة رجال لها اربع حلق وكان له قدح من خشب مضبب بثلاث ضبات من فضة
وقيل من حديد وفيه حلقة يعلق بها وكان بعده عند انس ثم عند بنيه من بعده
وكان له قدح من زجاج وقدح اخر يدعى الريان وتور من حجارة ومخضب من شبه
يكون فيه الحنا والكتم يوضع على راسه اذا وجد حرا وكان له مغتسل من صفر وصاع يخرج
به فطرته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم **فصل** في عدد الغزوات
والسرايا وبين علماء التواريخ في عددها تنازع واختلاف واقل ما قيل في ذلك ما روي
في الصحاح عن زيد بن ارقم انهن تسع عشر وعن بريدة انهن ستة عشر واكثر ما قيل سبع
وعشرون وفيما بين العددين خلاف واسع ليس في ذكره كثير نفع والله اعلم وكان القتال
في تسع منها هي بدر واحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف
وعد بعضهم وادي القرى والغابة والسرايا والبعوث ست وخمسون وقيل خمسون
وقيل ثمان وثلاثون وقد تم قسم السير الغرا وعيون الواردات على سني عمر المصطفى

على احسن وجوه الاختصار متضمنا لصحيح الاخبار مما اغفله قدماء المؤرخين ونقلة ايمة
الحديث بعدهم مع ذكر جمل من اصول الاحكام وبيان الحلال والحرام والفوائد
التوام وقد تركت كثيرا مما علمت وروده قطعا وجعلت محله زمانا لا اخلاله بشرطي وهو
وهو اني لا اخرج الا ما علمت محله من السنين ولو مع الخلاف والله اعلم **القسم الثاني**
في اسمائه الكريمة وخلقته الوسيمة وخصائصه ومعجزاته وباهر اياته وفيه اربعة
ابواب **الباب الاول** في اسمائه وما تضمنت من المناسبات اعلم رحمك الله واياي
ان هذا الباب واسع جدا وقد افرده غير واحد بالتصنيف فمن اوعب اول التصانيف
في ذلك كتاب الشيخ الفاضل ابي الحسن الحراني المغربي فانه جاء بتسعة وتسعين اسما
مبنية عن اوصاف جميلة وشرحها شرحا شافيا وانا انقل منه ومن غيره مستعينا بالله
وبه التوفيق فمن اجل الاسماء واعظمها مطابقة للمسمى واحقها بالتقديم ما ثبت في
القران العظيم وهو اسمه احمد ومحمد صلى الله عليه وسلم وكلاهما متضمنان للمدحة
وعظيم المنحة اما احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة
الحمد وتكرره مرة بعد مرة مثل ممدح ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد وذلك
انه حمد ربه فنباه وشرفه ولذلك تقدم فذكر في الكتب السالفة باحمد فكان
حمده لربه قبل حمد الناس فيه فكان صلى الله عليه وسلم اجل من حمد ربه واتم
من القي عليه الحمد في نفسه فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين وهذا من عظيم العناية
ان تضمنت اسماؤه الثناء عليه فمن مناسبات هذين الاسمين ان انزلت عليه سورة الحمد
وجعل بيده لواء الحمد وخص بالمقام المحمود الذي يحمده فيه الاولون والاخرون
ويفتح عليه فيه من المحامد ما لم يعط غيره وشرع له ولامته الحمد عند افتتاح الامور
وختامها وعند تجدد النعم وتطاول النقم ولذلك ورد وصفهم في كتب الله
القديمة بالحامدين لله على كل حال ولم يزل مولاه يرقيه في محامد الاخلاق ومكارم
الشيم حتى بلغ اعلى مرتبة وتكاملت له المحبة من الخالق والخليقة وظهر معنى اسمه فيه
على الحقيقة فهو اللبنة التي استتم بها البنا وقد اتى على هذا المعنى عباس بن مرداس
حيث يقول • ان الاله بنى عليك محبة • من خلقه ومحمدا سماكا •
وقال ابن جعفر • سمي محمدا ان الحمد مجتمع • فيه وفي الاخلاق نا وبل •
ثم انه قد ظهر من هذين الاسمين اشتقاق من اسم مولاه فمن اسمائه جل وعلا الحميد
ومعناه المحمود ومحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في الزبور واحمد بمعنى اكثر من حمد
واجل من حمد وقد اشار الى هذا المعنى حسان حيث يقول
• وشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •
ثم ان تسمية اهله له بهذا الاسم على جاهليتهم وجهلهم لم يكن الا عن عناية ربانية
وحكمة الاهية قيل ان امه رات فايلا يقول لها انك قد حملت بسيد هذه الامة

فسميه

فسميه محمدا ومن عجائب خصائصه ان منع الله هذين الاسمين على شهرتهما في كتبه القديمة
فلم يسم بهما احد قبل زمانه لئلا يدخل لبس او شك على ضعفاء القلوب الى ان شاع قبيل
وجوده على السنة الاحبار والرهبان والكهان ان نبيا قد اظل زمانه واسمه محمد
فسمى قوم من العرب ابناءهم بذلك ولم يدع احد ممن تسمى بها النبوة ولا ادعاها له احد
وصار بعضهم من اتباعه وصحابته **فصل** ومن اسمائه وصفاته في القران العظيم
الرؤوف الرحيم ورحمة للعالمين ومزكيهم ومعلمهم الكتاب والحكمة وهاديهم الى
صراط مستقيم والمزمل والمدثر والرسول الكريم والنور والمنذر والشاهد والمبشر
والنذير والداعي الى الله باذنه والسراج المنير وعبد الله ورسوله وخاتم النبيين والرسول
النبي الامي وطه ويس والنجم الثاقب والشهيد والرسول المبين وقدم الصدق
ونعمة الله والعروة الوثقى والرسول الامين قال شيخنا الامام الحافظ برهان الدين
ابرهيم بن حسن البقاعي رحمه الله اخبرني شيخي الامام الحافظ علي بن احمد الذنبيني فيما قرات
عليه ان شاء الله تعالى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى في السماء احمد وفي الارض
محمد وقيل في القران محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية اقرب القسم والله اعلم **فصل**
ومن اسمائه في الكتب القديمة المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وقثم وهو الجامع
الكامل وصاحب القضيب وهو السيف ويحتمل ان يكون القضيب الممشوق الذي
كان يمسكه بيده وصاحب الهراوة وهي العصا وصاحب التاج وهو العمامة وروح الحق
وهو معنى البارقليط في الانجيل وقيل هو الذي يفرق بين الحق والباطل وماذماذ ومعناه
طيب طيب وحمطايا والخاتم والخاتم الاول بكسر التاء والثاني بفتحها ومعناه
بالفتح احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه في التورية
احيد وفي اول سفر منها في وصف اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة وفيها ايضا يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وفي حديث اخر ولا صخب في الاسواق ولا متزين
بالفحش ولا قائل للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته
واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به
بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به
بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس
فصل ومن اسمائه التي سمى بها نفسه ما روى مسلم وغيره عن محمد بن جبير بن مطعم

عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس
بعده احد وروي في حديث اخر لي عشرة اسماء وذكر هذه الخمسة وزاد وانا
رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قثم
وروينا في صحيح مسلم ايضا عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا احمد وانا محمد والمقفي والحاشر
ونبي التوبة ونبي الرحمة ومن ذلك القاسم وابو القسم كما ورد في الصحاح النهي عنها
لغيره وقال انما بعثت قاسما اقسم بينكم وفي رواية فانا ابو القسم اقسم بينكم
وللعلماء في جواز التسمي بالقاسم والكنى بابي القاسم مذاهب كثيرة اقربها الى الصواب
ان النهي مختص بمدة حيوته صلى الله عليه وسلم لئلا يشتبه اسمه باسم غيره فينادي بذلك
عند الندا وذلك مصرح به في الحديث ومن ذلك الامين والمامون والولي وسيد ولد ادم
وسيد الناس يوم القيمة ودعوة ابرهيم واول من تنشق عنه الارض كما ورد في
احاديث متفرقة انه يسمى بها **فصل** ومما اشتهر على السنة الامة ورويته الخلف
عن السلف المصطفى والمجتبى والشفيع والمشفع والمتقي والمصلح والطاهر والصادق
المصدوق وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب رب العالمين وصاحب الحوض المورود
واللوا المعقود والمقام المحمود والحوض المشهود وصاحب الازواج الطاهرات والعلو
والدرجات العربي الهاشمي التهامي المكي المدني الابطحي سيد المرسلين شفيع المذنبين
وقائد الوافدين على رب العالمين هذا وجميل صفاته وجميل اسمايه باب واسع لا يوقف
على نهايته وتتواطا الافكار دون بلوغ غايته نقل ابو بكر بن العربي في كتاب
الاحوذي في شرح الترمذي عن بعضهم ان لله تعالى الف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم
الف اسم ايضا وذكر القاضي عياض رحمه الله فيما منح الله سبحانه نبيه صلى الله
عليه وسلم من اسمايه الحسنى وخصه به من صفاته العلى فصلا مستقلا جاء فيه
بنحو من ثلثين اسما وذكر انه لم يسبق الى مثل ذلك ثم ذيله بفصل اخر ربما
اثبت جملة لما فيه من عظيم الفايدة قال رحمه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها
هذا الفصل واختم به هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم
سقيم الفهم يخلصه من مهاوي التشبيه ويزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد
ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسن اسمائه وعلي صفاته لا يشبهه
شي من مخلوقاته ولا يشبه به وانما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوقين فكما
ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم
لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه

وكفى في

وكفى في هذا قوله ليس كمثله شي ولله در من قال من العلماء المحققين التوحيد اثبات
ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه
الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا
كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة
كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة
والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم القشيري رحمه الله تعالى قوله هذا ليزيده
بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسايل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات
وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وكيف بغير جلب انس او دفع نقص
حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه
الوجوه قال وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام
ابو المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفي
المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما
احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان يعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء
بلا علاج وصنعه لها بلا امتزاج وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخير تفسير لقوله ليس كمثله
شي والثاني تفسير لقوله لا يسال عما يفعل وهم يسالون والثالث تفسير لقوله تعالى
انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا واياك طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الثاني

في صفة خلقه الوسيم وتناسب اعضائه واستوا اجزائه وما جمع
الله فيه من الكمالات اعلم رحمك الله واياي انه ورد في كثير من الاحاديث عن جمع
من الصحابة دخل حديث بعضهم في بعض انه صلى الله عليه وسلم كان ربعة من القوم
ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وليس بالابيض الامهق ولا بالادم ازهر اللون
وفي رواية ابيض مشرب بحمرة وسيما قسيما في عينيه دعج وفي بياضهما عروق رقاق حمر
اكحل اهدب الاشفار ابلج ازج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب
اقنى افلج اشنب سهل الخدين مدور الوجه واسع الجبين ظاهر الوضاة معتدل الاجزاء
ليس بمطهم ولا مكلثم كث اللحية عظيم الهامة رجل الشعر كانه مشط فتكسر
قليلا يبلغ مرة الى منكبيه ومرة الى اصول اذنيه ومرة الى فروعهما ليس في راسه
ولحيته عشرون شعرة بيضا يواريهن الدهن في صوته صحل وفي عنقه سطع كانه جيد دمية
في صفا الفضة بادنا متماسكا ويفتر عن مثل سنا البرق او عن مثل حب الغمام يخرج
نور من بين ثناياه اذا تكلم تلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر ان صمت فعليه الوقار
وان تكلم سما وعلاه البها اجمل الناس وابهاهم من بعيد واحلاه واحسنه من قريب حلو المنطق

حه فصل لان د ولاهذر كان منطقه خرزات يظمن دقيق المسربة من لبته الى سرته كالخيط او كالقضيب اشعر الذراعين والمنكبين طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين واسعهما مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب وقال ابو هريرة انا لنجهد انفسنا وانه غير مكترث نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة وان التفت التفت جميعا اذا عرق تحدر منه مثل الجمان في رايحة المسك من راه بديهة هابه وفرق لرؤيته ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله قال البراء ما رايت شيئا من ذي لمة سوداء في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا وجهه في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقال انس ما مسست ديباجا ولا حريرا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رايحة قط كانت اطيب من رايحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر رضي الله عنه ينشد عند رؤيته

امين مصطفى بالخير يدعو • كضوء البدر زايله الظلام •

وقد اسلم غير واحد لبديهة رؤيته وقال بعضهم في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار انه مثل ضربه الله لنبيه يقول كاد سنا منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا لقول ابن رواحة

لو لم يكن فيه ايات مبينة • لكان منظره ينبيك بالخبر •

وكان عمر ينشد بين جلسائه قول زهير بن ابي سلمى في هرم بن سنان

لو كنت من شيء سوى بشر • كنت المضي لليلة البدر •

ثم يقول عمر وجلساؤه كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن كذلك غيره ان امراة استاذنته بالمدح فاذن لها فقالت

وافطن منك لم ترقط عيني • واحسن منك لم تلد النساء •
خلقت مبرا من كل عيب • كانك قد خلقت كما تشاء •

فقالت له عايشة رضي الله عنها بابي لو راك الشاعر لعلم انك احق بقوله

ومبرا من كل غبر حيضة • وفساد مرضعة وداء مغيل •
واذا نظرت الى اسرة وجهه • برقت كبرق العارض المتهلل •

وقال شرف الدين الابوصيري رضي الله عنه

اكرم بخلق نبي زانه خلق • بالحسن مشتمل بالبشر متسم •
كالزهر في ترف والبدر في شرف • والبحر في كرم والدهر في همم •

كانما

والقل العدد سواء البطن والصدر ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والاسافل رحب ...

كانما اللولو المكنون في صدف • من معدني منطق منه ومبتسم •
منزه عن شريك في محاسنه • فجوهر الحسن فيه غير منقسم •
اقسمت بالقمر المنشق ان له • من قلبه نسبة مبرورة القسم •

وقال ايضا

وقال ايضا

والامجاد والاشعار في نعوت خلقته الجليلة كثيرة منتشرة ولو ذهبت في تتبعها لخرجت عن المقصود فسبحان من جمع له المحاسن التامة وجعله رحمة للناس عامة وقرن محبته بمحبته وطاعته بطاعته وجعل صلاح الدارين منوطا باتباعه ولقد احسن من قال

هذا هو المجد الذي قد غدا • لا يصل الكل الى بعضه •
سماؤه في ارضه وهي لم • تكن لتعلو بسوى ارضه •
فكل من قام به حقه • قام بفرض الله في فرضه •
عين رضى الله رضاه فمن • اراد يرضى الله فليرضه •

فصل في صفة خاتم النبوة فهو من جملة اخواته الخلقية صلى الله عليه وسلم واوله ان الملكين لما شقا قلبه ولاماه وضعا الخاتم حينئذ والحكمة فيه انه لما ملئ حكمة وايمانا ختم عليه كالوعاء المملو مسكا او درا ثم يختم عليه ومحله اسفل من غضروف كتفه اليسرى وهو الموضع الذي يوسوس منه الشيطان من غيره وهو بضعة ناشزة لونها كلون جسده عليها خيلان والخلاف في صفته منتشر نحو عشرين قولا منها كزر الحجلة وكبيضة الحمامة وكالسلعة وكالجمع وكاثر المحجمة القابضة على اللحم وكالتفاحة وقد سبق انه لم يكن لنبي قبله وان فيه اشارة الى انه خاتم النبيين

الباب الثالث

في خصايصه صلى الله عليه وسلم وهي نوعان حسب ما تقدم الاول فيما اختص به صلى الله عليه وسلم هو وامته من الفضايل والكرامات والانواع وهذا باب واسع يستدعي الكلام فيه الى مجلدات ومحله التتبع والنقل ونحن نذكر من ذلك طرفا صالحا من عيونه ان شاء الله تعالى فمن ذلك شفاعته العظمى في اراحة الناس من موقف القيمة فيموج الناس بعضهم في بعض ويذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجم بعضهم الجاما فتفزع اليه الاولون والاخرون بعد فزعهم الى الانبياء قبله واعتذار كل واحد منهم وقوله نفسي نفسي اذهبوا الى غيري حتى يقول اخرهم عيسى صلوات الله عليه لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها ويخر ساجدا شافعا فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعط واشفع تشفع فيوضع الصراط ويحاسب الناس ويراحون وهذا هو المحمود المقام المحمود الذي وعده يحمده فيه الاولون والاخرون وروينا في صحيح البخاري عن ادم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا تتبع كل امة نبيها فيقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس

يوم القيمة وتددون لمر ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة
ودل متفرقات الاحاديث على ان له صلى الله عليه وسلم غير هذه الشفاعة شفاعات اربع
احداهن في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة وهم سبعون الفا مع كل الف
سبعون الفا الثانية فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم الثالثة فيمن قال
لا اله الا الله الرابعة في رفع درجات ناس في الجنة وورد في حديث لا ازال اشفع
حتى يقول خازن النار يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن خصايصه
يوم القيمة ما رواه الترمذي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا
وانا مبشرهم اذا ييسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر
ويطوف علي الف خادم كانهم لولو مكنون وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واكسا حلة من حلل الجنة ثم اقوم على يمين العرش ليس احد من
الخلايق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه
الا تحت لوايي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وفي حديث وانا اول شافع
واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها فيدخلها معي فقرا
المهاجرين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفي حديث اخر اما ترضون
ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني
من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه
نبي وانا اولى الناس به ومن خصايصه في الجنة اختصاصه بالوسيلة وهي اعلى درجة في الجنة
وقال صلى الله عليه وسلم من سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ومن ذلك
اختصاصه بالحوض والكوثر وهو نهر يسيل في حوضه حافتاه قباب اللولو ومجراه على
الدر والياقوت وماوه احلى من العسل وابيض من الثلج ومن خصايصه ما روى ابو ذر
وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها
ستا لم يعطهن نبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية اخرى
وقيل لي سل تعطه وفي اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي
حديث نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نايم اذ جي بمفاتيح خزاين
الارض فوضعت في يدي وفي رواية يا محمد وختم بي النبيون وفي حديث عن وهب
انه قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمن ملكا لا ينبغي لاحد من بعده قال الله
ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء
وجعلت الارض مسجدا وتربها طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر

فانت

فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها
وخبات لك شفاعتك ولم اخباها لنبي غيرك وفي حديث اعطاني ربي ان لا يجوع امتي ولا
تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا واحل لنا كثيرا مما شدد
على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج ومن خصايصه ان جعل الله امته خير امة
من الامم ونسخ بشريعته جميع الشرايع فلا يستطيع احد بعدها التمسك بغيرها وجعل الله
من معجزاته انه القران وحفظه من التحريف والتبديل وجعل معجزته باقية ببقاء الدنيا
وساير معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف
عليها قرن بعد قرن عيانا الى يوم القيمة وعصم الله امته من الاجتماع على الضلال
وجعلت صفوفهم كصفوف الملئكة ومن خصايصه انه كان لا ينام قلبه اذا نامت
عيناه ولا ينتقض وضوءه بالنوم ويرى من وراء ظهره كما يرى من امامه وتطوعه
بالصلوة قاعدا كتطوعه قايما في الثواب ويتعين على المصلي اجابته ولا تبطل الصلوة بخطابه
وكان يتبرك ويستشفى ببوله ودمه ويقرر ذلك ولا ينكره وبهذا استدل
على طهارتهما منه ويكفر شانيه ومن يوذيه ويقتل ولا يستتاب بخلاف غيره
والله اعلم النوع الثاني فيما اختص به دون امته من الواجبات والمباحات والمحرمات
وجرى عادة كثير من اصحابنا بذكرها في اول كتاب النكاح لان اكثر الخصايص فيه
واول سابق الى ذلك المزني رحمه الله في كتابه المختصر ومنع ابو علي بن خيران
رحمه الله تعالى الكلام في الخصايص قال لانه امر انقضى فلا معنى للكلام فيه وخالفه
ساير الاصحاب واستحسنوا الكلام فيها لما فيه من زيادة العلم قال النووي
رحمه الله الصواب الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا
لانه ربما راى جاهل بعض الخصايص ثابتة في الحديث فعمل به اخذا باصل التاسي فوجب
بيانها لتعرف فلا يعمل بها قال واي فايدة اهم من هذه فاول ذلك ما اختص به صلى
الله عليه وسلم من الواجبات والحكمة فيه زيادة الزلفى والدرجات قال صلى الله
عليه وسلم حاكيا عن ربه لن يتقرب الى عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه وفي
حديث ان ثواب الفرض يزيد على النفل بسبعين درجة فمن ذلك ركعتا الضحى
والاضحية والوتر والسواك والمشاورة والتهجد وهو ان يصلي بالليل وان قل
والاصح انه غير الوتر وانه نسخ عنه صلى الله عليه وسلم كما نسخ عن غيره ومنه
قضاء دين الميت المعسر في وجه كان يجب عليه اذا راى شيا يعجبه ان يقول لبيك
ان العيش عيش الاخرة واما النكاح فقد اوجب الله سبحانه تخيير نسايه كما حكته
الاية الكريمة والمعنى فيه انه صلى الله عليه وسلم اثر الفقر وصبر عليه فامر بتخييرهن
لئلا يكن مكرهات على ما صبر عليه ولما اخترنه كافاهن الله على حسن صنيعهن فحرم
عليه التزوج عليهن والتبدل بهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن

من ازواج ولو اعجبك حسنهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وصحح كثيرون
انه صلى الله عليه وسلم لم يحرم عليه طلاقهن بعد ما اخترنه ومما يجب على الغير لاجله انه
يجب على زوج من رغب النبي صلى الله عليه وسلم في نكاحها ان يطلقها له قال الغزالي
ولعل السر فيه امتحان الزوج من جهة ايمانه ومن جهة النبي صلى الله عليه وسلم ابتلاؤه
ببلية البشرية ومنعه من الاضمار الذي يخالف الاظهار وقد سبق فيه كلام عند
ذكر تزويج زينب احسن من هذا والليق بحال النبي صلى الله عليه وسلم ويجب على من
خطبها وهي خلية اجابته ويحرم على غيره خطبتها ويجب على الخلق اجتناب ما يؤذيه
مطلقا وان كان في مباح كما في قصة علي رضي الله عنه وخطبته على فاطمة رضوان الله
عليهما اما المحرمات فقد كان صلى الله عليه وسلم محرما عليه الزكوة وكذا الصدقة
على اظهر القولين ويحرم على اقربائه وموالیهم الزكوة فقط ويكره له الاكل متكئا
واكل الثوم وما في معناه وقيل يحرم ومنع من الخط والشعر فكان لا يحسنهما وكان يكره
اذا لبس لامة الحرب ان ينزعها حتى يقاتل فقيل هي كراهة تحريم وقيل تنزيه وهذا
على قاعدة قولهم انه لا يبتدي تطوعا الا لزمه اتمامه وذلك معارض بدخوله في الصوم
تطوعا ثم افطاره اثناء نهاره وكان يحرم عليه مد عينيه بالاستحسان الى متاع الدنيا
الفانية وكان يحرم عليه الايماء بالعقوبة خلاف ما يظهر وهي خائنة الاعين لمشابهته
الخيانة ولا يحرم ذلك على غيره الا في محرم وكان صلى الله عليه وسلم يخدع في الحرب
ويوري عن وجه مقصده ومنع صلى الله عليه وسلم من المن ليستكثر ومعناه انه يعطي ومعنى
شيئا لياخذ اكثر منه ومن المحرمات في النكاح ان يمسك من كرهته وان ينكح
كتابية او امة مسلمة اما المباحات والتخفيفات فقد كان صلى الله عليه وسلم
يواصل في الصوم ويختار الصفي من الغنيمة ومنهن صفية بنت حيي وكان له
خمس الخمس من الغنيمة واربعة اخماس من الفيء وكان له دخول مكة بغير احرام
ولم يورث صلى الله عليه وسلم فقيل كان ما خلفه باقيا على ملكه وقيل صدقة وهو
ظاهر الخبر واقر نساءه بعده على مساكنهن واجرى عليهن من النفقة لانهن
امهات المؤمنين ومحرمات على التابيد ولانهن كالمعتدات وكان له صلى الله عليه
وسلم ان يشهد لنفسه ويقبل شهادة من يشهد له ويحكم لنفسه وولده لثبوت عصمته
وكان له صلى الله عليه وسلم ان ياخذ الطعام والشراب عند الضرورة ممن هو
محتاج اليهما ويفدي بنفسه نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه اولى بالمؤمنين
من انفسهم وكان يحل له في النكاح الزيادة على الاربع ولا ينحصر في تسع على
الاصح والاصح ان طلاقه ينحصر في ثلاث كغيره وان نكاحه ينعقد بلفظ الهبة
وكان يجوز له عقد النكاح وهو محرم على المختار قال الرافعي والخلاف مبني على ان

النكاح في حقه صلى الله عليه وسلم هل هو كالتسري في حقنا ان قلنا نعم وهو الذي قطع به
صاحب البحر لم ينحصر عدد المنكوحات والطلاق والعقد بلفظ الهبة ومعناها وبلا ولي
وشهود ومهر ولم يجب القسم وان قلنا لا انعكس الحكم والاصح ان القسم كان واجبا عليه

الباب الرابع

فيما ايده الله به من المعجزات وخرق العادات اعلم رحمك الله ان
واياي ان هذا الباب بحر واسع لا يعلم قدره ولا يبلغ قعره وكل سابح فيه حري ان ينسب
نفسه الى التقصير لتعلقه باجل المقادير واطول من علمت فيه باعا واقوى انساعا القاضي عياض
رحمه الله فانه جاء بجمل متكاثرات من امهات ضروب المعجزات مع مقدمة قدمها
وقواعد مهدها ابان فيها عن قوة علمه وبراعة فهمه جدير لمصنفي هذا الفن ان يجعلوها في
فاتحة كتبهم كالعنوان او كالتاج على ذي سلطان وها انا اذكر ان شاء الله تعالى
محاسنها مع ان كلها حسن وازيد ما تيسر من ذكر عيون المعجزات بعدها وبالله التوفيق
قال رحمه الله تعالى اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم
بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي
عن سننه في بعض الانبياء وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة وتكون تلك الواسطة
اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع
لهذا من حجة العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم
من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي صلى
الله عليه وسلم قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فيما يقوله قال وهذا كاف واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل
هما سواء وقيل مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب
والاعلام بخواص النبوة وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة وهو الامر بالانذار
والاعلام وذهب بعضهم ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير
رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي
وليس كل نبي رسول واول الرسل ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
اجمعين وفي حديث ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم ان الانبياء مائة الف واربعة
وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر هذا ملخص ما ذكره القاضي
قلت ورايت نظما لبعض الفضلاء في اصحاب الشرائع منهم فقال الناظم

الا ان اصحاب الشرائع خمسة ... من الانبيا المرسلين الى الورى
فاولهم نوح وبعد محمد ... وموسى وعيسى والخليل بن آزرا
وخمستهم في اية جمعتهم ... في سورة الشورى تبين لمن قرا
وذو الملك منهم خمسة قد جمعتهم ... فاوضح وكن ندبا اديبا متمهرا
سليمن داود ويوسف يا فتى ... وموسى وهرون وقف ناقة السرى

واصحاب الشرايع منهم هم اولوا العزم وقد جمعهم بعضهم في بيت واحد فقال
• اولوا العزم نوح والخليل كلاهما • وموسى وعيسى والنبي محمد •
فصل وسميت المعجزة معجزة لعجز الخلق عن الاتيان بمثلها وهي نوعان نوع
في مقدور البشر فعجزوا عنه وتعجيز الله لهم عنه دال على صدق نبيه كصرفهم عن تمني
الموت وعن الاتيان بمثل القران على راي انه كان في مقدورهم وان الله صرفهم عنه
والنوع الثاني خارج عن قدرتهم كاحياء الموتى وقلب العصى حية واخراج ناقة من صخرة
وغيرهما مما لا يكون يمكن ان يفعله احد الا الله تعالى فتحدى النبي صلى الله عليه وسلم
من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيزا له وقد كانت معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
من النوعين معا وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران لا يحصى
عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى اهم
بسورة منه فعجزوا واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه
بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم منها
قسم قطعي كالقران فلا مرية فيه ولا خلاف بمجي النبي صلى الله عليه وسلم وظهوره
من قبله وانكار معاند به كانكار وجود محمد في الدنيا ثم انه قد علم على الجملة ضرورة
انه صلى الله عليه وسلم جرى على يديه جمل من الايات وخوارق العادات كما يعلم ضرورة
جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف وان كان تفاصيل احادهم لا يبلغ هذا المبلغ
وقسم اخر لا يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع منتشر مشتهر وهو ما
جرى ووقع في المحافل والجموع المتكاثرة من الصحابة ونقله الينا عنهم الجم الغفير
والعدد الكثير ونوع اخر اختص به الاحاد ولم يشتهر اشتهار ما قبله لكنه
اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واتفقا على الاتيان بالمعجز ولحق بالمشتهر المنتشر من هذا
الوجه والله اعلم قال القاضي رحمه الله فصل في اعجاز القران اعلم وفقنا الله واياك
ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصلها من جهة ضبط انواعها
اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه
وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام
قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا ذرابة اللسان ما
لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم
غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون
بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون
ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر الحلال
ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللال فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب
ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان

ويبصرون

ويبصرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول
الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة
والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة
الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة
الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم
قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها
فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا
في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول
وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت
في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن
نظمه وانطبق على كثرة فوايده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا
واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا
بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا
لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملا اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران الاية قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ولم يزل صلى الله عليه وسلم
يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت
نظامهم ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا
ناكصون عن معارضته ومحتجون في انفسهم بالتكذيب والاغترا بالافترا وقولهم ان هذا الا سحر يوثر وسحر مستمر
وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه
لعلكم تغلبون والادعا مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن
تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطا ذلك من سخفايهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم
وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من
نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون
هذا وقد اسلم كثير منهم عند بديهة سماعه وسجدا خرون دهشة لقوته وبكا
ناس منهم فرقا واعترتهم روعة لمفاجاته وكلهم ممن لم يفهم معناه ولا تفاسيره
روي ان نصرانيا سمع قاريا فوقف يبكي وقال بكيت للشجا والنظم وان اعرابيا سمع
قاريا يتلو فاصدع بما تومر فخر ساجدا وقال سجدت لفصاحته وفي الصحيح عن جبير بن مطعم

يتصامون عن مثلها كما ادعوا الصمم
بالتعصب والتكلف والاعتزال الاغتشاش

قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ أم خلقوا من غير شيء أم هم
الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وكلم عتبة بن ربيعة النبي صلى الله عليه
وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه حم كتاب فصلت اياته الى قوله صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم
ان يكف قال القاضي رحمه الله وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حيوة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي
احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها
من الاي بل اكثر القران حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة
عباراتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلامها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة
وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرة المقالات
في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السالفة التي تضعف
عن عادة الفصحاء عندها الكلام فذهب البيان ابين لمتامله من ربط الكلام بعضه
ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصة
اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتتضاعف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفس من ترديدها ولا معاداة لمعادها
الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام
العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع ايه وانتهت فواصل كلماته
اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت
فيه عقولهم وذهلت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر
او نظم او سجع او رجز او شعر ولهذا ما روي عن الوليد بن المغيرة وقد سئل عنه فقال
والله ما فيكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وقال
عتبة بن ربيعة يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد
سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ونحو ما روي
في اسلام ابي ذر وقول اخيه انيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم
لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة ومع ذلك فقد كانوا احرص شيء على معارضته
واحفظ شيء لاطفاء نوره لقيام التحدي فما جاءوا في ذلك بحبة من بنات شفاههم
ولا اتوا بنقطة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد
وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا هذا وقد كانوا اعظم قرون الدنيا
في الفصاحة والبلاغة وتوابعهما وكان ذلك همتهم وقصاراهم فكانوا يجتمعون

في

في مواسمهم ومجامعهم للتفاخر بالخطابة والشعر وهذا كما قالوا ان الله سبحانه لم يبعث
رسولا الا جعل معجزته بحسب الفن الذي يعظمه اهل زمانه وبعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة الخطب والشعر والخبر والكهانة فانزل الله
عليه في القران الخارق لهذه الاربعة فلم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب
الاوزان منهجه واخبر عن الكوائن والحوادث ومخبآت الضمائر بما ظهر فيه واعترف
المخبر عنه بصحة ذلك وان كان من اعدى الاعادي وابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب اخرى
عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة
وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على ما سيأتي
في الوجهين الاخيرين ان شاء الله تعالى الوجه الثالث من اعجازه ما انطوى عليه من الاخبار
بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كاخباره عن الفتح
وعن غلبة الروم واستخلاف الله المومنين في الارض وقوله سيهزم الجمع ويولون الدبر
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وغير ذلك من كشف اسرار المنافقين واليهود وهتك
استارهم الى غير ذلك مما اخبر به من الكوائن والاحداث في العصور الاتية ومن اية
ذلك انه لا يمر عصر الا ومن لم يظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد
طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل واحد عندها حقا وساير معجزات الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين انقرضت بانقراضهم وانعدمت وعدمت بعدم ذواتها
ومعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل
والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه
البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا
يوم القيمة الوجه الرابع من اعجازه ما انبا به من اخبار القرون السالفة والامم
البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار
اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك وقد علم انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا
ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة وقد كان علماء الكتاب يقترحون عليه
السؤالات فينزل الوحي بانبائهم كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر
ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمن وابنه واشباه ذلك مما صدقه
فيه علماء الكتاب واذعنوا له ولم يحك عن احد منهم مع شدة عداوتهم وحسدهم
انه كذبه في شيء من ذلك ولا اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا سقيما من صحفه
قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب ويعفو عن كثير الايتين وهذا تلخيص ما ذكره القاضي من الوجوه الاربعة
مع تقديم وتاخير وزيادة في بعض الالفاظ ونقص من بعضها وذكر هو وغيره

ونكشته

وراء ذلك من براهينه وءاياته وبركاته وجوها اخر منها ان الله تعالى سبحانه وتعالى حفظه من التحريف والتبديل والتغيير والزيادة والنقص على تطاول الدهور وانقضاء العصور وكثرة الحاسد والمعاند قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ومنها الروعة التي تعتري سامعيه من الابرار والفجار فاما الفاجر فيستثقله ويزيده نفورا واما المؤمن فيقشعر جلده ويزيده ذلك هشاشة ونشاشة وقد مات كثيرون من الصلحاء عند سماعه واعترت جماعة من رام معارضته روعة وهيبة حملتهم على التوبة ومنها اي وردت بتعجيز قوم في قضايا خاصة بما هو مقدورهم فلم يقدروا كقصة تمني الموت والمباهلة ومنها انه لا يزال غضا طريا لا تمجه الاسماع ولا تستثقله الطباع وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن اي مبلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يحط بها احد من علماء الامم ولا احاطت بها كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طريق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد كقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى قل يحييها الذي انشاها اول مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ونبأ من كان بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع هو عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا تخلق على كثرة الرد ومنها تيسير حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال الرحمن علم القرآن وكتب الله القديمة كان لا يحفظها الا الواحد الفذ من اهلها والقرآن يتيسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقديس وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده

وعوارفه

وعوارفه ولطائفه التي لا تحصى ولا تعد ولا تستقصى قال بعضهم جميع كلمات القرآن نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف واقل ما وقع به التحدي سورة انا اعطيناك الكوثر وكلماتها عشر ونسبتها من القرآن ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كل جزء بوجهين بطريق النظم وطريق البلاغة فيضاعف العدد من هذا الوجه الى غير ذلك من وجوه التضعيف التي يفهم من حاول احصاها انه صفة من صفات الله تعالى لا تشبه الصفات كما ان ذاته لا تشبه الذوات ولقد احسن صاحب البردة في تحقيق معنى ما قدمنا

ءايات حق من الرحمن محدثة • قديمة صفة الموصوف بالقدم •
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا • عن المعاد وعن عاد وعن ارم •
دامت لدينا ففاقت كل معجزة • من النبيين اذ جاءت ولم تدم •
محكمات فما يبقين من شبه • لذي شقاق وما يبغين من حكم •
ما حوربت قط الا عاد من حرب • اعدى الاعادي اليها ملقي السلم •
ردت بلاغتها دعوى معارضها • رد الغيور يد الجاني عن الحرم •
لها معان كموج البحر في مدد • وفوق جوهره في الحسن والقيم •
فما تعد ولا تحصى عجائبها • ولا تسام على الاكثار بالسأم •
قرت بها عين قاريها فقلت له • لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم •
ان تتلها خيفة من حر نار لظى • اطفأت حر لظى من وردها الشبم •
كأنها الحوض تبيض الوجوه بها • من العصاة وقد جاؤه كالحمم •
وكالصراط وكالميزان معدلة • فالقسط من غيرها في الناس لم يقم •
لا تعجبن لحسود راح ينكرها • تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم •
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد • وينكر الفم طعم الماء من سقم •

فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم سوى الآيات السماوية والقرآن العظيم ورواه العدد الكثير من الصحابة قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وروينا في صحيح البخاري عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وعن انس قال سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين حتى رأوا حراء بينهما قال بعضهم في انشقاق القمر له مناسبة لشق قلبه حين شق الملكان ولذلك قال صاحب البردة

اقسمت بالقمر المنشق ان له • من قلبه نسبة مبرورة القسم •

ومن ذلك احتباس القمر الشمس وذلك انه صلى الله عليه وسلم اخبر قريشا بقدوم عيرهم من الشام يوم الاربعاء فولى النهار ولم تجئ فدعا فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه

من ذلك اسلام الطفيل وهو مما ابتغيهم

الشمس ومن ذلك ما روت اسماء بنت عميس انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه ورأسه في حجر علي وفوت على صلاة العصر لما تمانه فلما افاق صلى الله عليه وسلم قال انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر **فصل** ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير القليل من الطعام ونبع الماء من بين اصابعه وتفجيره وتكثيره ببركته من ذلك حديث ابي طلحة المشهور في الصحاح واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص شعير حملها انس تحت ابطه ومنه حديث جابر انه ذبح عناقا وطحنت زوجته صاعا من شعير ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فقام النبي صلى الله عليه وسلم بجميع اهل الخندق وهم الف فبصق صلى الله عليه وسلم في عجينهم وبرمتهم وبارك قال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز قلت هذا ما صح من حديث جابر واما ما اولع به المداح من احيا سبطيه وشاته فهو حديث مختلق لا اصل له والله اعلم ومن ذلك حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اشتد به الجوع في طريق المسجد يتعرض لمن مر به ويستقريهم الايات فلم يقفوا على حاجته فلما مر به النبي صلى الله عليه وسلم ضحك في وجهه ثم استتبعه فوجد في بيته قدح لبن قد اهدي له فقال له ادع اهل الصفة قال ابو هريرة فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها ولم يكن من طاعة الله ورسوله بد قال فدعوتهم فشربوا منه حتى رووا جميعا اجمعون ثم قال له صلى الله عليه وسلم اشرب فشربت وما زال يقولها حتى قال لا والذي بعثك بالحق نبيا ما اجد له مسلكا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة ومنه حديث سمرة بن جندب قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون ومنه حديث عبد الرحمن بن عوف ابي بكر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل من القصعتين فحملته على البعير ومنه حديث سلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكروا ان الناس اصابتهم مخمصة شديدة في بعض الغزوات فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم من جاء بالصاع من التمر فجمع على نطع قال سلمة فحزرته كربضة البعير فما بقي في الجيش وعا الا ملوه وبقي منه ومنه حديث ابي ايوب الانصاري في اول الهجرة انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زها ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان

مثل

مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج منهم احد الا اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن ابي هريرة قال امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وامر صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من احمس من قليل تمر قدر الفصيل الرابض فزودهم منه وبقي بحاله ومن ذلك حديث جابر وشكى الى النبي صلى الله عليه وسلم اشتداد غرما ابيه عليه في ديونهم وكان بذل اصل ما له فلم يقبلوه وكان ثمره لا يفي سنين فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يجد تمره وان يبيدر كل نوع على حدته ففعل فجلس النبي صلى الله عليه وسلم حول اعظمها بيدرا وامره ان يوفيهم منه فاوفاهم الذي لهم وبقي كانه لم ينقص منه تمرة وسلمت البيادر كلها ومنه حديث ابي هريرة قال اصاب الناس مخمصة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا له بالبركة ثم قال ادعو عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جيت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جيت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمن فانتهب مني فذهب وفي رواية فقال قد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وهذا الباب واسع واكثره من الصحاح وكذلك معجزاته في الماء ومنها حديث الاستسقاء وايته عظيمة وقد سبق ذكره في تواريخ السنين ومنها حديث انس قال حانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء فيه ما يغمر اصابعه او لا يكاد يغمرها فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الماء يده وامر الناس ان يتوضوا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا من عند اخرهم قال له قتادة كم كنتم قال زها ثلثمائة ومثله عن ابن مسعود وعن جابر قال عطش الناس يوم الحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة فيها ماء فتوضا منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون قال سالم بن ابي الجعد لجابر كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة ونحوه عن جابر ايضا في غزوة بواط وذكر حديثها الطويل وفيه قال قال لي رسول الله

صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء فاتي بقطرة في عزلاء شجب فغمره النبي صلى الله عليه
وسلم بكفه وتكلم بشي لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها
بين يديه وبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الجفنة واستدارت حتى امتلأت
وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين
واما تفجير الماء فروى معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك انهم وردوا العين وهي
تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شي ثم غسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده فيها فانخرق من الماء ما له
حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حيوة ان ترى ما هاهنا قد ملأ
جنانا ونحوه في غزوة الحديبية من رواية سلمة بن الاكوع والبراء بن عازب وفي
الحديث انهم وجدوا في بيرها ماء قليلا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها
واتي بدلو فبصق ودعا فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي رواية
انه اخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا
بعطن ومن المشهور في الصحاح حديث ميضاة ابي قتادة وحديث صاحبة المزادتين

فصل في نطق الجمادات له صلى الله عليه وسلم من ذلك قصة حنين الجذع وهو
حديث مشهور ومنتشر ومتواتر رواه من الصحابة فرواه عنهم اضعافهم من التابعين
وقد قدمنا ذكره عند ذكر المنبر وفي الخبر عنه انه كان صلى الله عليه وسلم يخطب
عليه فلما اتخذ المنبر وعدل عنه سمعوا له كصوت العشار وارتج المسجد لخواره وكثر
بكاء الناس لما راوا به فوضع النبي صلى الله عليه وسلم عليه يده فسكت وقال ان هذا
بكا لما فقد من الذكر والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت
المنبر وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ان شئت اردك الى الحائط الذي
كنت فيه ينبت لك عروقك ويكمل خلقك وان شئت اغرسك في الجنة فياكل
اولياء الله من ثمرك ثم اصغى اليه النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل
تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فتسمع من يليه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقا على دار الفنا وكان الحسن
البصري اذا حدث بهذا بكا وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه وعن عبد الله
بن مسعود قال كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصا فسبحن في يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا

فما سبحن ومثله تكليم الذراع له والحجارة بان فيه السم وقال علي رضي الله عنه كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له
السلام عليك يا رسول الله وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي
قبل ان ابعث اني لاعرفه الان وحديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب
وحوائط البيت امين امين ويقرب من هذا رجفان احد وحراء به وباصحابه وسقوط
الاصنام التي كانت حول البيت لاشارته وقد كانت مشدودة بالرصاص وروى
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار
نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عليه واما المعجزات
في الشجر وشهادتها له وانقيادها لامره ففي الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال
ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان
بشاطي الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها
فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده
وفعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالنصف قال التئما علي باذن الله فالتامتا واما
رواية انه امر جابرا ان يامر احداهما ان تلحق بصاحبتها فلما قضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حاجته رجعت كل واحدة الى منبتها وامر صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد
ان ياتي الى نخلات واحجار فيامرهن ان يتقاربن لقضا حاجته فامرهن قال اسامة فوالذي
بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن
ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن
والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن ومثله عن يعلى بن مرة وغيلان بن سلمة
الثقفي وفي خبر الجن انهم قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت
تجر عروقها لها قعاقع ونحوه في اعرابي قال له من يشهد لك قال هذه الشجرة فاقبلت
تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت
الى مكانها وساله اعرابي اية فامره ان يدعو له شجرة هناك فتمايلت من كل
جانب فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه
فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي اتاذن لي ان اسجد لك قال لو امرت احدا
ان يسجد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له
وذكر انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطايف ليلا وسن فاعترضته سدرة
فانفرجت له نصفين حتى جاوز بينهما وبقيت على ساقين واصلها واحد وقال صلى الله عليه
وسلم لاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم

ثم دعاه فجعل يبقر حتى اتاه فقال ارجع الى مكانك فعاد **فصل** فيما جاء به من المعجزات
في ضروب الحيوانات من ذلك ما روت عائشة قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب فاذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا
نبي الله قال واللات والعزى لا امنت بك او يومن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين لبيك
وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض
سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن انا قال رسول
الله رب العالمين وخاتم النبيين قد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم
الاعرابي ومنه قصة كلام الذئب المشهور عن ابي سعيد الخدري وغيره وفيها طول
واختلاف بين الرواة قال ابن عبد البر كلم الذئب من الصحابة رافع بن عميرة وسلمة
بن الاكوع واهبان بن اوس السلمي قلت وكلم ايضا ابو سفين بن حرب وصفوان
بن امية حين كانا مشركين وصله لابي جهل بن هشام وتضمن كلام كلهم معجزة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتنبيها لكل منهم على نبوته وحثا على اتباعه ومنه حديث الجمل
وهو حديث مشهور خرجه الحاكم وصححه ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثعلبة
بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد
الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره
في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله
الا عاصي الجن والانس وفي رواية انه جاء وعيناه تذرفان وفي اخرى انه سجد
واخرى قال تدرون ما يقول زعم انه خدم مواليه اربعين وفي اخرى عشرين حتى
كبر فنقصوا من علفه وزادوا في عمله حتى اذا كان لهم عرس ارادوا ان ينحروه
غدا فامرهم ان يحسنوا اليه حتى ياتي اجله ومثله انقياد النخلين له وقد تغلبا على صاحبهما
فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بركا بين يديه فخطمهما ودفعهما اليه خرجه
ابو نعيم الحافظ ومنه ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد ان ينحر البدن ازدلفن اليه
بايتهن يبدا وروى ان حمام مكة اظلت عليه يوم الفتح فدعا لها بالبركة وان حمامتين
وقفا على فم الغار حين طلبه المشركون ونسجت على فمه العنكبوت ومنه حديث الظبية
وقد خرجه الدارقطني والطبراني والبيهقي بالفاظ مختلفة وحاصلها ان النبي صلى
الله عليه وسلم وجدها موثقة قد صادها اعرابي فسالته ان يطلقها حتى ترضع اولادها
وترجع فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي فشفع اليه في اطلاقها
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم ومنه قصة الاسد مع سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي قصة مشهورة ومنه قصة العضباء نادى الوحوش لها انك لمحمد وروي انها لم
تاكل بعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى ماتت وكلام الحمار الذي اصابه بخيبر
وقوله اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وكان يوجهه
الى دور اصحابه فيستدعيهم له وروي انه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم تردى في بئر
جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت لصاحبها عند النبي صلى الله عليه وسلم
انه ما سرقها وانها ملكه والشاة التي حلبها لعسكر وهم زها ثلثمائة فاروتهم ثم قال
لنافع اربطها وما اراك تربطها فوجدها قد ذهبت فقال ان الذي جاء بها هو الذي ذهب
بها ونزل عن فرس له ليصلي وقال له لا تذهب بارك الله فيك فما حرك عضوا واخذ صلى الله
عليه وسلم باذن شاة فبقي اثر يده كالميسم وكان في ذريتها **فصل** في كلام الموتى
والصبيان روى انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عميا قال فسجيناه
وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى
نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف
الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا واستشهد ثابت بن قيس بن شماس باليمامة فلما ادخل
القبر سمعوه يقول محمد رسول الله وابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمن البر الرحيم
وحسر زيد بن خارجة الثوب عن وجهه بعد الموت وقال محمد رسول الله النبي الامي
وخاتم النبيين ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعثمن وعمر
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا واما كلام
الاطفال فمنه حديث مبارك اليمامة وفيه انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم يوم ولد ثم
لم يتكلم بعدها حتى شب وكان يسمى مبارك اليمامة ومنه حديث الصبية التي
طرحها ابوها بواد واصلها فانطلق معه النبي صلى الله عليه وسلم الى الوادي وناداها
يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد
اسلما فان احببت ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لي بهما وجدت الله خيرا لي منهما
فصل في ابرا المرضى وذوي العاهات من ذلك ما روى اهل الصحاح انه صلى الله
عليه وسلم تفل في عين علي كرم الله وجهه يوم خيبر وبه رمد شديد فبرا من حينه
ولم يرمد بعدها ورد صلى الله عليه وسلم عين قتادة بن النعمان يوم احد وقد نزلت
على خده فكانت احسن عينيه ففي ذلك يقول احد بنيه مفتخرا

• انا ابن الذي سالت على الخد عينه • فردت بكف المصطفى احسن الرد •

وروى الدارقطني ان عينيه سقطتا معا ومنه حديث الاعمى الذي امره ان يتوضا ويصلي
ركعتين ويتوجه الى الله به صلى الله عليه وسلم ففعل فرد الله عليه بصره واصاب
ابن ملاعب الاسنة الاستسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ صلى الله عليه وسلم

بيده حثوة من الارض وتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاتاه بها وهو على شفا فشن بها فشفاه
الله وانكسرت رجل عبد الله بن عتيك حين قتل ابا رافع فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه
وسلم مسح عليها قال فكانما لم اشكها قط ونفث صلى الله عليه وسلم على ضربة بساق
سلمة بن الاكوع اصيبها يوم خيبر فبرئت واتي خالد بن الوليد بالجراحة يوم
حنين فجاء صلى الله عليه وسلم يعوده يقول من يدلني على رحل خالد فجاء وقد اسند
الى مؤخرة رحله فنفث على جرحه فبرا وجاءته امراة بابن لها به جنون فمسح صدره
فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وكانت في كف شرحبيل الجعفي
سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فعركها صلى الله عليه وسلم بكفه حتى ارتفعت
ولم يبق لها اثر وسالته صلى الله عليه وسلم جارية طعاما وهو ياكل فناولها من
بين يديه وكانت قليلة الحيا فقالت انما اريد الذي في فيك فناولها الذي في فيه
ولم يكن يسئل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم يكن بالمدينة
امراة اشد حيا منها **فصل** في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم قال حذيفة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده
فمن ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم لانس بن مالك وقد سبق ذلك ومنه دعاؤه
لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فاشتهر من يساره ما اشتهر حتى صولحت احدى
نسائه الاربع وهي التي طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا
هذا بعد صدقاته الفاشية ونفقاته في سبيل الله الوافية اعتق يوما واحدا ثلثين
عبدا وتصدق مرة بسبعمائة بعير بما تحمل من الخيرات وباقتابها واحلاسها
ودعا لسعد بن ابي وقاص ان يكون مستجاب الدعوة فما دعا سعد لاحد او عليه الا
استجيب له ودعا بعز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر وقال للنابغة
لا يفضض الله فاك فعاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن وقال لابن عباس
اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد ذلك البحر وترجمان القران ودعا لعبد الله
بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا بمثل ذلك
للمقداد وبمثله لعروة بن الجعد البارقي قال البخاري فكان لو اشترى التراب ربح فيه
ودعا لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس ثياب الشتا في الصيف وعكسه ولا يبالي
ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها الله قالت فما جعت بعد ودعا على مضر بسبع كسبع
يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شيء حتى استعطفوه فعطف عليهم ودعا على كسرى
ان يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة وقال لرجل راه
ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه ودعا على
عتيبة بن ابي لهب ان يسلط الله عليه كلبا من كلابه فافترسه الاسد ودعا على قريش
حين وضعوا السلا على رقبته وسمى سبعة منهم قال ابن مسعود فلقد رايتهم صرعى

يوم بدر

يوم بدر ثم القوا في القليب وكان الحكم بن ابي العاص يختلج بوجهه ويغمز النبي صلى الله عليه وسلم
بعينيه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج حتى مات ودعا على محلم بن جثامة فلم تقبله الارض
يوم مات **فصل** في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره
صلى الله عليه وسلم من ذلك الاية الباهرة والعبرة الظاهرة وهو ما ثبت في الصحاح
من خبر فرس ابي طلحة وجمل جابر وخفق صلى الله عليه وسلم فرسا لجعيل الاشجعي بمخفقة
كانت معه فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا
قطوفا لسعد بن عبادة فكان بعد لا يساير وكانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد
بن الوليد فكان يستفتح بها في حروبه فيفتح عليه واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه
وكانا يبكيان عطاشا فسكتا وكان يتفل في افواه الصبيان بالمراضع فيكفيهم
ريقه الى الليل وكاتب سلمان الفارسي على ثلثمائة ودية يغرسها ويعمل عليها حتى تطعم
وعلى اربعين اوقية من ذهب فغرسها صلى الله عليه وسلم بيده فاطعمت من عامها الا واحدة
غرسها غيره فقلعها صلى الله عليه وسلم ثم غرسها فاجدت واعطاه مثل بيض الدجاجة
من الذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها اربعين اوقية وبقي عنده مثل الذي
اعطاهم وقال حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق
شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت
وبردها اذا ظمئت وانكسر سيف عكاشة يوم بدر فاعطاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم جذل حطب فصار في يده سيفا صارما يشهد به الحروب الى ان
استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفع صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن جحش يوم احد عرجونا فرجع في يده سيفا صارما ومن بركته صلى الله
عليه وسلم درة الحوائل كشاة ام معبد وغنم حليمة وشارفها وشاة المقداد
ومسح صلى الله عليه وسلم على راس قيس بن زيد الجذامي فدعا له فمات وهو ابن مائة
سنة وراسه ابيض وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسود وكان
يسمى الاغر ومسح صلى الله عليه وسلم على بطن عتبة بن فرقد وظهره وكان له طيب
يغلب طيب نسائه وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين
فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق يترائى فيه كالمراة
ونضح الماء في وجه ربيبته زينب بنت ام سلمة فاكسبها ذلك جمالا عظيما وامر
ادرا ان ينضحها من عين مج فيها ففعل فبرا ومج في دلو وصبت في بئر فكان يشم منها
رائحة المسك واحاديث هذا الفصل واسعة وبركته صلى الله عليه وسلم عظيمة
عميمة وروينا في سنن ابي داود والترمذي باسناد جيد عن ابي جري جابر بن سليم
الهجيمي رضي الله عنه قال رايت رجلا يصدر الناس عن رايه لا يقول شيئا الا صدروا عنه
فقلت من هذا قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت عليك السلام يا رسول الله مرتين

قال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الموتى قل السلام عليك قلت انت رسول الله
قال انا رسول الله الذي اذا اصابك ضر فدعوته كشفه عنك واذا اصابك عام سنة
فدعوته انبتها لك واذا كنت بارض قفر او فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك
قال قلت اعهد الي قال لا تسبن احدا قال فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة
قال ولا تحقرن من المعروف شيئا وان تكلم اخاك وانت منبسط اليه بوجهك
ان ذلك من المعروف وارفع ازارك الى نصف ساقك فان ابيت فالى الكعبين واياك الساق
واياك واسبال الازار فانها من المخيلة وان الله لا يحب المخيلة وان امرء شتمك وعيرك
بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فان وبال ذلك عليه وفي معنى حديث ابي جري قول
العفيف بن جعفر حيث يقول

• لذ بالنبي اذا نابتك نائبة • فعقدها برسول الله محلول •

فصل واما ما اخبر به من الغيوب فامر مشتهر والخبر به متواتر والاثار بجميعه
متعددة روينا في سنن ابي داود عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه
حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه
فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة
ما ادري انسي اصحابي ام تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد
فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا وقد سماه لنا باسمه
واسم ابيه وقبيلته وقد خرج اصحاب الصحاح في ذلك اخبار اصحابه واسعة من
ذلك اخباره اصحابه بالظهور على اعدائهم وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام
والعراق وبفتح خيبر على علي في غد يومه واختلاف امته وافتراقهم على ثلث وسبعين
فرقة الناجية منها واحدة واخباره ان امته اذا مشوا المطيطا وخدمتهم بنات
فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم فقوله صلى الله
عليه وسلم زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها فامتد ملكهم في المشرق والمغرب اعظم من امتداده في الشام واليمن
واخباره بملك بني امية واتخاذهم مال الله دولا وعباده خولا وخروج ولد العباس
بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم
وتشريدهم وقوله لعلي رضي الله عنه ان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته
من راسه بالدم وان فيه مثلا من ابن مريم ابغضته اليهود حتى بهتوا امه واحبته
النصارى حتى انزلوه المنزلة التي ليس بها واخبر بقتال الزبير له وهو ظالم له وبان
عمارا تقتله الفئة الباغية وقال لعبد الله بن الزبير وويل لك من الناس وويل للناس منك
وقال في قزمان وكان قد ابلى مع المسلمين واعجب المسلمين بنفعه انه من اهل النار

فقتل

فقتل نفسه وقال لجماعة من اصحابه اخركم موتا في النار فكان اخر اولئك موتا سمرة
بن جندب احترق في نار ومات فيها واخبر ان في ثقيف كذابا ومبيرا وان مسيلمة يعقره
الله تعالى وان فاطمة اول اهله لحوقا به وبان الخلافة بعده ثلثون سنة ثم يكون ملكا
فكانت كذلك بمدة الحسن والحسين وقال للحسن بن علي ان ابني هذا سيد ولعل الله ان
يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة
وقال فيها مضجعه واخبر بشان اويس القرني وبان الانصار يستاثر عليهم بالدنيا
وانهم يقلون حتى يكونوا كالملح في الطعام واخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة ينذرهم
واخبر عمه العباس حين اسر ببدر بماله الذي تركه عند زوجته ام الفضل ولم يعلم به
احد واخبر انه يقتل ابي بن خلف فقتله بيده واعلم بمصارع كفار بدر فما ماط احد عن
موضع يده وقال لسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويضر بك اخرون واخبر بقتل
اهل مؤته يوم قتلوا وبموت النجاشي وان اسرع ازواجه لحوقا به اطولهن يدا فكانت زينب يوم
لطول يدها بالصدقة وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة
فقطعت يده في الجهاد واخبر بما مان الفتنة واشراطها فمنها ان تلد الامة ربتها وان
ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان وتقارب الزمان وقبض العلم
وظهور الفتن والهرج وذهاب الامثل فالامثل من الناس وخروج ثلثين دجالا كذابا
اخرهم الدجال الاعظم وقال ويل للعرب من شر قد اقترب الى ما اخبر به من اسرار المنافقين
وهتك استارهم حتى قال بعضهم لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره
لاخبرته حجارة البطحا الى ما اخبر به من احوال القيمة ونظوره واحداثه والله اعلم
قال القاضي رحمه الله تعالى فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمع الله له من المعارف والعلوم جمعه
وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين
دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي
سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة
بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة
من اهل الكتابين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبات علومها واخبارهم بما
كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة
بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص فصاحاتها
بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض
والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال
شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد
ولا ذو عقل سليم شيئا منه الا من جهة الخذلان بل كل جاحد وكافر من الجاهلية اذا سمع

ما يدعوا اليه صوبه واستحسنه دون اقامة برهان عليه ثم ما اعدلهم من الطيبات وحرم
عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار آجلا الى الاحتوا على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض
والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم
فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر وهي على رجل
طائر واذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المومن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وخير
ما تداويتم به السعوط واللدود والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة — والحجامة
واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وفي الحبة السوداء شفاء من كل داء
الا السام وقوله من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر وقوله
وقوله في النساء انه حاد بار وسئل عن سبا ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل ولد له
عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشام اربعة الحديث بطوله وقال حمير راس
العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها
وذروتها وتعليمه لكاتبه تصوير الحروف باسمائها مع كونه اميا لا يكتب واما جوابه
لوفود العرب على اختلافهم وخطاب كل منهم بلغته وتكلمه بالرطانة في بعض الاحيان
فامر شايع هذا كله وهو امي لا يحسب ولا يكتب ولا علم ولا نقل انه اشتغل عند دارسة
كتب ولا مجالسة احد ممن علمها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك وقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وهذا ملخص ما ذكره
القاضي رحمه الله تعالى مع زيادات تزينها والحق بالمعجزات ايضا كفاية الله له وعصمته
من الناس في حال اجتماعه وانفراده وكثرة الحاسد والمعاند قال الله تعالى والله يعصمك
من الناس وقال فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده وقال انا كفيناك
المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين والاخبار في اذا الكفار له صلى الله عليه وسلم وعزمهم
على الفتك به وتظاهرهم على ذلك واسعة شايعة فلا نطول بسردها والله اعلم

القسم الثالث في شمايله وفضايله واقواله وافعاله في جميع احواله قال المؤلف
كان الله له لا يخفا على من مارس شيئا من علوم النقل وزينه الله بادنى مسكة من عقل انه
صلى الله عليه وسلم قد كان مجبولا على اكرم الخصال واحمدها في المال وانه قد كان يأتي — نادرة
منها على البديهة بما يشق على غيره وذلك من غير ولا تعليم بل فطرة من العزيز العليم وكفى في
ذلك قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وتخلص الكلام من هذه الجملة في ثلث ابواب
حسب ما تقدم الباب الاول في عادته وسجيته في المباحات والعادات — والعادات
الضروريات صلى الله عليه وسلم وهي لاحقة في حقه بالطاعات وفي حق من قاربها بالنيات
الصالحات فمن ذلك عادته في الغذا والنوم ولم تزل الحكماء والعلماء اهل الفطن السليمة

يتمادحون

يتمادحون بالتقليل منها ويذمون بضده لما يتولد منه من الاذى عاجلا وايضا فان الدواعي — ايام
الباعثة على التوسع فيهما تدنيه وقد كان صلى الله عليه وسلم آخذا في ذلك بالطريقة المثلى
وما هو اولى اما الطعام فكان يتناول منه على حد الضرورة وقوام الجسد من غير تنطع
ولا تشبع قالت عائشة لم يمتل جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وكان في اهله
لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وكان
احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايادي وروى المقدام بن معدي كرب — الأيدي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وفي
المتفق عليه عنه صلى الله عليه وسلم طعام الاثنين كافي الثلثة وطعام الثلثة كافي الاربعة
وفي رواية لمسلم وطعام الاربعة كافي الثمانية وروى ابو داود عن وحشي بن حرب ان اصحاب — تكفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انا ناكل ولا نشبع قال فلعلكم تتفرقون
قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه وكان صلى الله
عليه وسلم يجلس على الطعام مستوفزا مقعيا وربما جثا على ركبتيه ويقول انما انا عبد آكل
كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وقال له اعرابي ما هذه الجلسة قال ان الله جعلني
عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا وقال اما انا فلا آكل متكئا وكان صلى الله عليه وسلم
يامر مواكليه بحسن الادب في الاكل كما قال لربيبه عمر بن ابي سلمة وكانت يده
تطيش في الصحفة سم الله يا غلام وكل بيمينك وكل مما يليك وقال البركة تنزل وسط
الطعام فكلوا من حافته ولا تاكلوا من وسطه واكل عنده رجل بشماله فقال كل
بيمينك قال لا استطيع قال لا استطعت ما منعه الا الكبر فما رفعها الى فيه رواه مسلم
ونهى المتواكلين عن القران في التمر الا ان يستاذن الرجل اخاه وكان من ادب اصحابه
معه اذا وضع الطعام لا يضعون ايديهم حتى يضع يده وحضروا معه مرة على طعام
فجاءت جارية كانها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدها ثم جاء اعرابي كانما يدفع فاخذ بيده فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان يستحل الطعام ان لا يذكر اسم الله عليه وانه جاء بهذه الجارية
ليستحل بها فاخذت بيدها وجاء بهذا الاعرابي ليستحل به فاخذت بيده والذي نفسي
بيده ان يده في يدي مع يديهما ثم ذكر اسم الله تعالى واكل رواه مسلم وروى ابو داود — وروى مسلم
والنسائي عن امية بن مخشي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا
ورجل ياكل فلم يسم الله حتى لم يبق من طعامه الا لقمة فلما رفعها الى فيه قال
بسم الله اوله وآخره فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ما زال الشيطان ياكل
معه فلما ذكر اسم الله استقا ما في بطنه وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ياكل طعاما في ستة من اصحابه فجاء اعرابي فاكله بلقمتين

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه لو سمى لكفاكم رواه الترمذي وصححه وكان
صلى الله عليه وسلم ياكل بثلث اصابع قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اكل طعاما لعق اصابعه الثلث وقال اذا سقطت لقمة احدكم فليمط عنها الاذى
وليأكلها ولا يدعها للشيطان وامرنا ان نسلت القصعة وقال انكم لا تدرون في اي طعامكم
البركة رواه مسلم وكان يحب الدبا ويتتبعه من حوالي القصعة ويحب الحلوا والعسل
ويثني على الثريد والخل وقالت ام هاني دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعندك
شي فقلت لا الا خبز يابس وخل فقال هاتي ما اقفر بيت من ادم فيه خل وكان يحب
من الشاة ذراعها ولذلك سم فيه وقال اطيب اللحم لحم الظهر وكان يسمي اول الطعام
ويحمد اخره فيقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع ولا
مستغنى عنه ربنا وقال من اكل طعاما فقال الحمد لله الذي اطعمني هذا الطعام
ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحث على غسل
اليد قبل الطعام وبعده وربما مسح يده بالمنديل من غير غسل وكان يحب الثفل
من الطعام يعني البقايا واخذ كسرة من خبز الشعير فوضع عليها تمرة وقال هذه
ادام هذه واكل صلى الله عليه وسلم البطيخ بالرطب يكلتى يديه وقال هما الاطيبان
وقال برد هذا يعدل حر هذا وحر هذا يعدل برد هذا واكل القثا بالملح وكان يشتد
عليه ان يوجد منه رائحة كريهة فلم ياكل ثوما ولا بصلا ولا كراثا قط الا
مطبوخا وكان يعاف اكل ما لم يتعوده ومع ذلك فلم يكن يذم ذوافا ولا يمدحه
وربما مدحه رافعا عنه علة التحقير كما ورد انه كان يعظم النعمة وان دقت وكان
صلى الله عليه وسلم ربما ياتي عايشة فيقول اعندك غدا فتقول لا فيقول اني صائم
قالت فاتى يوما فقلت يا رسول الله اهدي لنا هدية قال وما هي قلت حيس قال اما اني
اصبحت صائما ثم اكل وكان يحب الهدية ولا يحقرها ويكافي عليها ويجيب من دعاه
الى الطعام ولو كان صائما فربما اكل وربما لم ياكل وكان اذا دعي الى طعام في عدد
معين فتبعهم غيرهم استاذن له وكان ربما يغشى بعض حوائط الانصار عند الحاجة
ويستضيفهم يوثر بذلك من يتاهل له قال جابر بن عبد الله اتانا النبي صلى الله عليه وسلم
في منزلنا فذبحنا له شاة فقال كانهم علموا انا نحب اللحم وكان في صفة اكله اللحم
انما رفع العضو الى فيه فانتهش منه اللحم وربما احتز بالسكين واكل الدجاج
والحبارى وجاء الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر الى سلمى مولاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا لها اصنعي لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحسن اكله فقالت يا بني لا تشتهيه اليوم قالوا بلى اصنعيه لنا فقامت فطحنت
شعيرا وجعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت ودقت الفلفل والتوابل وقربته
اليهم وقالت هذا مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله

فصل

فصل واما الشراب ففي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يتنفس فيه ثلثا
فانه نهى ان يتنفس في الاناء وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم لا تشربوا واحدا
كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا اذا انتم شربتم واحمدوا اذا انتم رفعتم
وكان صلى الله عليه وسلم اذا شرب اعطى من على يمينه وان كان مفضولا وربما
استاذنه لكون الحق له فان اذن والا اعطاه ونهى عن الشرب من في السقا وربما شرب
منه نادرا لبيان الجواز ونهى عن النفخ في الشراب فقال له رجل القذاة اراها
في الاناء قال اهرقها قال فاني لا اروى بنفس واحد قال فابن القدح اذا عن فيك رواه
الترمذي وصححه وروى مسلم عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يشرب قائما
قيل لانس فالاكل فقال ذلك اشر واخبث وفي رواية فيه ايضا عن ابي هريرة لا
يشربن احدكم قائما فان نسي فليستقي ثم ان النهي هنا للتنزيه وتعليم الافضل والاكمل
وقد شرب صلى الله عليه وسلم في بعض الاحوال قائما فكان صلى الله عليه وسلم اذا سقى
اصحابه بدا بهم قبل نفسه فربما قالوا له يا رسول الله لو شربت فقال ساقي القوم اخرهم
شربا ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل من الانصار فقال له ان كان عندك ما بات
في شنة والا كرعنا رواه البخاري وكان احب الشراب اليه الحلو البارد وكان رجل
من الانصار يبرد له الماء في اشجاب له على حمارة من جريد وربما استعذب له الماء من
السقيا وهي عين بينها وبين المدينة يومان وكان احب الشراب اليه اللبن وقال من
اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا
فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وقال ليس شي يجزي مكان الطعام والشراب
غير اللبن وشرب مرة لبنا ثم دعا بماء فتمضمض وقال ان له دسما وكان صلى الله
عليه وسلم ينبذ له غدوة فيشربه عشاء وينبذ له عشيا فيشربه غدوة وربما شرب
منه ثلثة ايام ثم يسقي الخدم او يهراق والظاهر ان تغيره بعد يوم وليلة يختلف
باختلاف الزمان والمكان والظروف وجنس المنبوذ قال انس سقيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهذا القدح الشراب كله الماء والنبيذ والعسل واللبن ولولا
اني رايت اصابعه في هذه الحلقة لجعلت عليها الذهب والفضة ونهى صلى الله عليه
وسلم عن الاكل والشرب في انية الذهب وقال الذي ياكل ويشرب في انية
الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم فصل واما النوم فدلت
الاحاديث الصحيحة الصريحة انه كان صلى الله عليه وسلم فيه على حد الاعتدال
والاقلال ومن تامل حاله في الغدا علم ذلك ضرورة وكان ينام على الجانب الايمن
استظهارا على قلة النوم لان القلب والاعضا الباطنة منوطة بالجانب الايسر فاذا
نام على الايمن تعلقت ومنع ذلك الاستغراق ومع ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان فراشه من ادم حشوه ليف وسئلت حفصة

ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك قالت مِسح نثنيه ثنيتين فينام
عليه فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته باربع ثنيات كان اوطأ له فثنيناه
باربع فلما اصبح قال ما فرشتم لي الليلة قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع قال ردوه
لحالته فان وطأته منعتني صلاتي الليلة وكان احيانا ينام على فراش من ادم حشوه ليف وربما نام على الحصير بغير فراش وكان صلى الله عليه وسلم اذا نام نفخ ولا يغط غطيطا واذا راى الرؤيا
في منامه ما يروعه قال هو الله ربي لا شريك له وقال اذا راى احدكم الرؤيا يكرهها
فليبصق عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلثا وليتحول عن جنبه الذي
كان عليه وكان اذا اخذ مضجعه استقبل بوجهه القبلة ووضع كفه تحت خده
وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك اللهم باسمك اموت واحيى واذا استيقظ
قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور **فصل** فيما ذكر عنه
صلى الله عليه وسلم في النكاح والتعطر قال صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم
ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة فاما النكاح فلم يزل التمادح
به عند الفضلاء والعقلاء عادة جارية وسنة ماثورة وحسبك في ذلك ما خص
به صلى الله عليه وسلم من القوة والعدد بما سبق ذكره في قسم الخصائص وقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما خير هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه
وسلم حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبّبن الى سيد
المرسلين فكيف يزهد فيهن وقد كان زهاد الصحابة رضي الله عنهم كثيري الزوجات
والسراري وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا قال انس كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة
بغسل واحد وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلثين وفي حديث عنه صلى الله عليه وسلم
فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش قالت عائشة
ما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من نسائه الا متقنعا يرخي الثوب على راسه
وما رايته منه ولا راه مني وامر من بنى بامراة ان ياخذ بناصيتها ثم ليقل اللهم
اني اسئلك خيرها وخير ما جبلتها عليه واعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه
وقال لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان
وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره الشيطان ابدا وكان سيرته
صلى الله عليه وسلم مع ازواجه يلطف لهن ويلاطفهن ويحتمل منهن على وجه الغيرة
ما يعظم خطره في حق غيرهن فربما تشاجرن وتشاتمن بحضره ومنظره وربما
اغتابت احداهن الاخرى فينهاها واهدت اليه ام سلمة قصعة من ثريد وهو عند
عائشة فضربت عائشة يد الخادم فسقطت القصعة وتكسرت وتبدد الخبز
فجعل صلى الله عليه وسلم يجمع الخبز ويقول غارت امكم ثم جلس الرسول واعطاه

قصعة

الاوام

قصعة غيرها وسمر ليلة معهن فقالت احداهن كان الحديث حديث خرافة فقال
صلى الله عليه وسلم اتدرون ما خرافة كان رجلا من بني عذرة اسرته الجن في الجاهلية
فمكث فيهم دهرا ثم ردوه الى الانس فكان يحدث الناس بما راى فيهم من العجائب
فقال الناس حديث خرافة وقال لعائشة كنت لك كابي زرع لام زرع واما الطيب
فقد كان صلى الله عليه وسلم طيب الجملة وطابت منه الفضلات التي تستقذر من غيره
ومع ذلك فقد كان يتطيب ليقتدى به وللقاء الملئكة ولانه من اقوى الاسباب
المعينة على الجماع قال انس كنا نعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل بطيب
ريحه وما عرض عليه طيب فرده وكان يطلب الطيب في جميع رباع نسائه وعن عائشة
قالت كان احب الطيب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العود وكان يتبخر به مع
الكافور وكان يتطيب باطيب ما يجد عنده اذا اراد ان يحرم وقال طيب الرجال ما
ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه وقال اذا اعطي احدكم
الريحان فلا يرده فانه خرج من الجنة وكان يتطيب بالغالية والمسك حتى يرى وبيصه
في مفارقه وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل بالاثمد عند النوم في كل عين ثلثا
وربما اكتحل ثلثا في اليمين واثنين في اليسار وربما اكتحل وهو صائم وقال عليكم بالاثمد
وكان يكثر دهن راسه ولحيته ويسرحها ويكثر القناع حتى كان ثوبه ثوب دهان
ونهى عن الترجل الا غبا قال ابن عمر رضي الله عنهما رايت النبي صلى الله عليه وسلم ادهن
بزيت غير مقتت وكان صلى الله عليه وسلم يحب التيمن في ترجله وتنعله وطهوره
وفي شانه كله وكانت يمينه لطهوره وطعامه وكانت اليسرى لخلائه وما كان
من اذى وكان صلى الله عليه وسلم ينظر في المراة وربما نظر وجهه في الماء وسواه ويقول
اللهم كما احسنت خلقي فحسن خلقي وحرم وجهي على النار الحمد لله الذي سوى
خلقي فعدله واحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري وكان صلى الله عليه وسلم
لا يفارقه في اسفاره قارورة الدهن والمكحلة والمراة والمشط والمقراض والسواك
والخيوط والابرة وكان صلى الله عليه وسلم يغسل راسه بالسدر ويخضبه بالحنا
والكتم **فصل** وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين وبين الكتفين
واحتجم على ظهر قدمه وهو محرم وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم لسبع عشرة وتسع
عشرة واحدى وعشرين وقال ان افضل ما تداويتم به الحجامة ونهى عن كسب الحجام
غير محرمه وكان اذا احتجم واخذ من شعره او ظفره بعث به الى البقيع فدفنه فيه
وروي ان عبد الله بن الزبير شرب دم حجامته فلم ينكر ذلك عليه وامر صلى الله عليه
وسلم بالتداوي وقال ان لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برا
باذن الله ونهى عن التداوي بالخمر وقال انه ليس بدواء ولكنه داء وقال ان كان في شيء
من دوائكم خير ففي شرطة محجم او شربة من عسل او لذعة بنار وما احب ان اكتوي

الاماحب

وبعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه وقال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء
وقال التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب بعض الحزن وقد سبق قوله في القسط والحبة
السوداء وأكل معه علي تمرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مه مه يا علي فانك ناقة فكف
عنه علي ثم جيء اليهم بمطبوخ سلق وشعير فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي من هذا
فاصب فانه اوفق لك ودنا اليه ليأكل معه مرة رطبا وهو رمد فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم تاكل الحلو وانت ارمد فتنحى على ناحية فرمى اليه النبي صلى الله عليه وسلم
برطبة ثم أخرى حتى بلغ سبعا ثم قال حسبك فانه لا يضر من التمر ما اكل وترا فصل
في صفة جلسته صلى الله عليه وسلم منفردا او مع اصحابه قال ابو سعيد الخدري كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر
جلوسه محتبيا فربما احتبى بثوبه وفي حديث قيلة بنت مخرمة رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قاعد القرفصا فلما رايته ارعدت من الفرق لهيبته وذكر الحديث
وفي حديث جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم تربع قال اهل الغريب الحبوة بضم الحاء
وكسرها وقد تبدل الياء من الحاء الواو وهي ان يعقد ثوبا على مجموع ظهره وركبتيه
وربما احتبى صلى الله عليه وسلم بيديه وربما عقدهما على الركبتين فقط والقرفصاء بضم
القاف والفاء يجلس على وركيه متوطئا وكان صلى الله عليه وسلم ربما استند الى
جدار او وسادة وربما اتكى على احد جانبيه وربما استلقى على قفاه ووضع احدى رجليه
على الاخرى وفي حديث جبريل حين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اسند ركبتيه
الى ركبتيه كالمتشهد قال المؤلف غفر الله له ولمن قرأ له وعثرته دل مجموع هذه
الاحاديث على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس كيف ما تيسر وعلى حسب ما
اتفق وان اكثر جلوسه الاحتباء كما سبق ولكن ثم فدل على ان الاحتباء من امثل الجلسات المختارة
في الوحدة والجماعات ولهذا اختارها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عند حديثهم
عنه كما ورد في صحيح البخاري ان ابن عباس امر ابنه عليا ومولاه عكرمة ان يقصدا
ابا سعيد الخدري ليسمعا منه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءا وهو يعمل
في حائط له فلما كلماه في ذلك ترك العمل واحتبى وجعل يحدثهم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا وقد كره قوم الاحتباء في مجالس الحديث والعلم وحال الاذان ومنهم
الصوفية في حال السماع ولا اعلم له دليلا بالنقل ولا مقتضيا من العقل نعم روى ابو داود
والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحبوة يوم الجمعة والامام يخطب
ثم روى ابو داود بعده عن شداد بن اوس قال شهدت مع معوية بيت المقدس فجمع بنا
فنظرت فاذا جل من في المسجد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايتهم محتبين
والامام يخطب قال ابو داود وكان ابن عمر يحتبي والامام يخطب وانس بن مالك
وشريح وصعصعة بن صوحان وسعيد بن المسيب وابرهيم النخعي ومكحول واسمعيل

بن محمد

بن محمد بن سعيد ونعيم بن سلامة قال ولا باس بها ولم يبلغني ان احدا كرهها الا عبادة
بن نسي قلت وعلى تقدير النهي قال الامام الخطابي رحمه الله في شرح السنن انما نهى عنه في ذلك الوقت
لانه يجلب النوم ويعرض الطهارة للانتقاض فنهى عن ذلك وامر بالاستيفاز وقد تبعه
النووي رحمه الله على ذلك فقال انه يجلب النوم ويفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض
الوضوء ففسر النهي بذلك وقد تتبعت الكلام عليه فلم اجد للنهي فائدة سوى ذلك وهو
اللائق الموافق فلم يكن صلى الله عليه وسلم يلازم ما يكره او يقبح او ما هو خلاف الاولى
او الادب وكان مدار من كرهها على الاستحسان العرفي الذي يختلف الامر فيه باختلاف
البلدان والازمان ولا معول عليه فانه ربما استقبح اهل زمن او بلد شيئا وهو مستحسن
عند غيرهم وقد يكون ما استحسنه الشارع صلى الله عليه وسلم ويكره منه كما ورد
انه صلى الله عليه وسلم كان يردف خلفه على الحمار رجلا في المدينة من غير سفر ولا مشقة
ويركب الفرس عريا ولو فعل هذا في قطرنا احاد الناس فضلا عن الاعيان لاستنكر منهم
والمستقبح حقيقة هو ما استقبحه الشارع صلى الله عليه وسلم وليس بدعا ان يستنكر الناس
ما خالف عاداتهم فقد صح في صحيح مسلم عن طاوس قال قلنا لابن عباس انا لنراه جفاء بالرجل
يعني الاقعاء في الجلوس بين السجدتين فقال بل هي سنة نبيك صلى الله عليه وسلم وقد فهمت
بما تقدم كيف كان الحال وان لا دليل على الكراهة واما الحديث المذكور في الاحتباء يوم
الجمعة فقد سبق تاويل العلماء له وان النهي ليس لنفس الحبوة ولذلك لم يقولوا لانها
جلسة تكبر وتجبر بل قالوا لانها جلسة وطية قد تجلب النوم فيفوت استماع الخطبة
التي يحتم استماعها على الحاضرين مع ان الحديث في نفسه ليس مما يقطع بصحته ويغلب
على صحاح الاحاديث وقد جعله الترمذي في حيز الحسان قال بعض من قبح الحبوة وان
كان قد ورد في الاحتباء اثر فانما هو دليل الجواز واذا تاملت ما تقدم صدد هذا الفصل
وقولهم كان اكثر جلوسه محتبيا فهمت خلل هذا الكلام وقد كان صلى الله عليه وسلم
يفعل الواجب والمندوب والمباح ولا يفعل المحرم والمكروه فان فعل شيئا مما كره تنزيها
فانما يفعله مرة لبيان الجواز وطريقة الانصاف ان يقال بجواز استعمال الجلسات
الواردة عنه صلى الله عليه وسلم ولا يوصف منها شيء بكراهة الا ما دل عليه دليل ويغلب
منها ما كان غالب احواله صلى الله عليه وسلم واقرب الجلسات الى التواضع جلسة الجاثي
على ركبتيه كهيئة المتشهد والله اعلم بالصواب واما الادب المذكور في مجالس الحديث
واكثرها عن مالك واصحابه فما احسن استعمالها لكن في بعضها افراط في التغليظ
وقد كانت مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم معمورة بالوحي والتنزيل اهله بحضوره
جبريل وميكائيل ثم ان بها جميع الفوائد والمراشد مبنية على اكمل الادب واتم
الفوائد ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم ربما قام من مجلسه لورود من يتاهل
للقيام وربما عرض بعض الجفاة في مجلسه بكلام ينافي اداب مجالسته فلم يعنفه وربما

وقف صدر اعظم الحاج محمد باشا سنة ١١٦٠

كان في كلامه متنبئ فعرض غيره فقطع كلامه حتى ورد ان قتله ابن ابي الحقيق اليهودي
انتهوا اليه وهو في خطبة الجمعة فاقبل عليهم يسألهم ثم عاد الى خطبته وان الحسن
والحسين جاءا وهو يخطب الناس وعليهما قميصان وهما يعثران ويقومان فنزل صلى الله
عليه وسلم وضمهما اليه ثم قال معتذرا عن ذلك ايها الناس صدق الله تعالى انما اموالكم
واولادكم فتنة لم املك نفسي حين رايت هذين الولدين يعثران ويقومان حتى فعلت
بهما الذي رايتم وقد كانت اموره كلها مبنية على القصد والاعتدال لا افراط ولا تفريط
فقال خير الامور اوسطها وبعثت بالحنيفية السمحة وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين
من حرج والمعول على الاداب القلبية وصلاح النية وكل شيء بعدها مغتفر والله ولي
التوفيق **فصل** في صفة نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم وفصاحته وسكوته
قالت عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث
كسردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه وعن انس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلثا لتعقل عنه واذا اتى قوما سلم
عليهم ثلثا وعن ابي الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث بحديث تبسم
في حديثه وفي حديث هند بن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الاحزان دائم الفكر ليست له راحة طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة يفتتح الكلام
ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي
ولا المهين اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب
براحته اليمنى بطن ابهامه اليسرى وفيه ايضا كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع
على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى واما فصاحته صلى الله عليه وسلم فمن تأمل
حديثه وسيره وجوامع كلمه وبدائعه وبديهات خطبه ومخاطباته مع وفود العرب
على اختلاف لغاتها وجواب كل منهم على نحو لغته ومنزع بلاغته علم ذلك ضرورة
وحققه معرفة وكذلك كمل الله له ولجميع الانبياء الجوارح البدنية كما
اتم لهم المحاسن المعنوية من ذلك ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه
كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وروي انه
صلى الله عليه وسلم كان يستوي في نظره الضوء والظلمة وانه كان يرى من الثريا
احدى عشر نجما وكان موسى صلى الله عليه وسلم بعد تجلي الله له يبصر النملة على الصفا
في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ وصارع صلى الله عليه وسلم ركانة اشد اهل
وقته فصرعه وصارع ابا ركانة ثلث مرات كل ذلك يصرعه صلى الله عليه وسلم
فصل في صفة ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكائه وعلامة
رضاه وسخطه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضحك وجل ضحكه التبسم

وغايته

الشكل

وغايته ان تبدو نواجذه قالت عائشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا
ضاحكا حتى ارى لهواته انما كان يتبسم وسبق من حديث ابي هالة انه كان يفتر عن مثل
سنا البرق او عن مثل حب الغمام وهو البرد وكان يرى كالنور يخرج من بين ثناياه
واما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فثبت عن عبد الله بن الشخير قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكاء وعن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي فقلت يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل
قال اني احب ان اسمعه من غيري فقرات سورة النساء حتى بلغت وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا قال حسبك الان فالتفت فرايت عيناه تهملان صلى الله عليه وسلم وفي حديث
الاستسقا انه صلى الله عليه وسلم تهجد فجعل ينفخ ويبكي ويقول رب الم تعدني ان لا تعذبهم
وانا فيهم الم تعدني ان لا تعذبهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك وثبت انه صلى
الله عليه وسلم بكى عند ما رفع اليه ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه وعند موت ابن ابنته
وعند تقبيله لعثمن بن مظعون وهو ميت وعند نعيه الى اصحابه اهل غزوة مؤتة وكله
من غير صوت وروي انه لما اصيب زيد بن حارثة انطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى منزله فلما راته ابنته اجهشت في وجهه فانتحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له بعض اصحابه ما هذا يا رسول الله قال هذا شوق الحبيب الى حبيبه واما
علامة رضاه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر استنار وجهه حتى كانه قطعة قمر
وتبرق اسارير وجهه سرورا واما علامة سخطه ففي حديث وصف ابن ابي هالة انه
صلى الله عليه وسلم كان بين حاجبيه عرق يدره الغضب وانه كان اذا غضب اعرض
واشاح واذا فرح غض طرفه وانه كان يتغافل عما لا يشتهي ولا يوئس منه وفي غيره انه
كان صلى الله عليه وسلم اذا غضب احمر وجهه حتى كانه الصرف وربما خسف
لونه واسود ويكثر عند غضبه من مس لحيته وعن علي كرم الله وجهه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راى ما يكره قال الحمد لله على كل حال واذا
راى ما يسره قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات **فصل** في صفة لباسه صلى
الله عليه وسلم الازار والقميص والرداء والعمامة والخاتم والنعل وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة ثم يسميه باسمه
عمامة او قميصا او ازارا او رداء ثم يقول اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسألك
خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له وكان اذا يضع طنفسة ازاره
على فخذه اليسرى وكان ازاره الى نصف ساقيه قال حذيفة بن اليمان اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعضلة ساقي او ساقه وقال هذا موضع الازار فان
ابيت فاسفل فان ابيت فلا حق للازار في الكعبين وكان قميصه فوق الكعبين مطلق
الازرار وكمه الى الرسغ وكان يتقنع بردائه وربما خالف بين طرفيه على عاتقه الايسر

عليهم

مرد لكم

وكان اذا اعتم يدير كور العمامة على راسه و يغرزها من ورائه و يرخي لها ذؤابة
بين كتفيه وكان يتختم في يمينه ويقول اليمين احق بالزينة من الشمال وكان يجعل
فص الخاتم في بطن كفه وربما تختم بشماله وكان يبدا في لبس نعليه وخفيه باليمين
وفي الخلع باليسار ونهى عن المشي في نعل واحد او خف واحد وان ينتعل الرجل قايما
فصل وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحفاء الشوارب واعفا اللحا فكان يحف
شاربه ويقلم ظفره ويحلق عانته ويتحرى لذلك يوم الجمعة ووقت لهم في ذلك ان لا يتركوا
اكثر من اربعين يوما وكان اذا احتجم او اخذ من شعره او من ظفره بعث به الى البقيع فدفنه
فصل ولم يحلق صلى الله عليه وسلم راسه الا لحج او عمرة ووفر في ساير احواله
فالحلق وان كان مباحا على الجملة فالتوفير افضل منه ولم يكن عادتهم في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم الحلق الا للاطفال وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج
انه قال سيماهم التحليق وقد صار الغالب على القضاة والفقهاء والاعيان في هذه الاعصار
في كثير من الامصار الحلق وهو خارج عن نمط السنن واما ما اعتاد الناس اخذه
من جانب الوجه وهو الذي يسمى التحذيف ومنهم من يديره على الراس كله فهو عادة
سيئة وبدعة قبيحة ان لم يكن حراما كان مكروها فقد صحح العلماء ان موضع
التحذيف من الراس وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القزع وانه راى صبيا
قد حلق بعض شعره وترك بعضه فقال احلقوه كله او اتركوه كله وقد قال
النووي رحمه الله في رياض الصالحين باب النهي عن القزع وهو حلق بعض الراس
دون بعض ففسره بذلك واما ما افتى به الشيخ برهان الدين العلوي رحمه الله بانه
لا باس به للمزوج وكانه ادخله في باب تحسن الرجل لزوجته وجوزه لهذا المعنى فلا
يتابع على ذلك ولا دليل له فان النساء اللاتي هن محل التحسين وابيح لهن في ذلك ما لا
يباح للرجال قد نهين عن الزيادة في شعورهن او اخذ شيء منها لاجل التحسن فصح في
الصحاح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله الواصلة والمستوصلة وانه لعن
الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى
فاذا تقرر عندك ذلك فهمت ان الاجزاء الخلقية لا يقدم على تغيير شيء منها بمثل هذا
الخيال الفاسد مع انه قد قام الدليل على المنع من حلق البعض وترك البعض وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ونهى صلى الله عليه وسلم
عن نتف الشيب وتغييره بالسواد نظرية للحسن وابهاما للشباب وامر بتغييره
بالصفرة والحمرة لانهما وان غيرا لونه فقد افهما انه ثم شيبا فصل وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس وضع يده او ثوبه على فيه وخفض او غض
بها صوته وحمد وقال اذا تثاءب احدكم فليمسك بيده على فيه فان الشيطان
يدخل وقال ان الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب فاذا عطس احدكم وحمد

الله

الله تعالى كان حقا على كل مسلم سمعه ان يقول له يرحمك الله واما التثاؤب فانما هو
من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليرده ما استطاع فان احدكم اذا تثاءب
ضحك منه الشيطان رواه البخاري وفي رواية فيه فليقل العاطس لمن يشمته يهديكم الله
ويصلح بالكم وكان صلى الله عليه وسلم يتوكأ على العصا وقال التوكأ عليها من
اخلاق الانبياء وربما اتكأ على غيره لضرورة ولا ينفك من عصا يحملها معه وربما حمل
عسيبا او عرجونا او غيره او محجنا وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة
وقال ما منا الا من يجد في نفسه ولكن الله يذهبه بالتوكل وكان اذا جاءه ما يحب
قال الحمد لله رب العالمين واذا جاءه ما يكرهه قال الحمد لله على كل حال وكان
صلى الله عليه وسلم يتمثل بالشعر ويستنشده من غيره ويستزيده وكان اذا اهمه
امر رفع راسه الى السماء فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد في الدعاء قال يا حي
يا قيوم واذا استصعب عليه امر قال اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا وانت تجعل الحزن
اذا شئت سهلا وقال ما يمنع احدكم اذا عسر عليه امر معيشته ان يقول اذا خرج
من بيته بسم الله على نفسي ومالي وديني اللهم رضني بقضائك وبارك لي فيما قدرت
لي حتى لا احب تعجيل ما اخرت ولا تاخير ما عجلت وكان يعوذ الحسن والحسين
اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول
لهما ان اباكما يعني ابرهيم كان يعوذ بهما اسمعيل واسحق صلوات الله عليهم اجمعين
وسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا خاف ان يصيب شيا بعينه قال اللهم بارك فيه
ولا تضره وقال ما انعم الله على عبد نعمة في اهل ومال وولد فقال ما شاء الله لا قوة
الا بالله فيرى فيها افة دون الموت وقال اذا راى احدكم ما يعجبه في نفسه
او ماله فليبرك عليه فان العين حق وكان صلى الله عليه وسلم يؤتى بالصبيان حين
يولدون فيحنكهم بريقه مع التمر ويدعو لهم ويسميهم وامر بتسمية المولود يوم
سابعه ووضع الاذى عنه والعق قال العلماء السنة لمن اراد العق ان يؤخر التسمية
ولغيره تقديمها جمعا بين الاحاديث وذكر انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه
بعد النبوة فصل في مزاحه صلى الله عليه وسلم قال العلماء المزاح فيه مباح
ومذموم والمذموم ما دووم عليه وكان فيه افراط في الضحك فان كثرته تقسي
القلب وتورث بالغفلة وتسقط المهابة والوقار واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه
وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه اما المباح فهو ما كان
على الندور لطيب نفس وايناس ويلحق بالطاعة ومكارم الاخلاق وبحسب المقاصد
وكذلك كان مزاحه صلى الله عليه وسلم روينا في كتاب الترمذي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني لا اقول الا حقا فمن ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم لاخي انس وكان له نغر يلعب به فمات فحزن عليه

والطرة

نتف الشيب

يتوكأ على العصا

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابا عمير ما فعل النغير وكان يقول لانس يا ذا الاذنين واتاه رجل يستحمله فقال اني حاملك على ولد الناقة فقال يا رسول الله وما اصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الابل الا النوق وجاءته امراة فقالت يا رسول الله ان زوجي مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذي في عينيه بياض وجاءته اخرى فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان لا تدخل الجنة عجوز فولت المراة وهي تبكي فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبروها انها لا تدخل الجنة وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين قالت عايشة سابقته او لا فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك وكان رجل من اهل البادية اسمه زاهر بن حرام وكان قصيرا احدا وكان يهدي النبي صلى الله عليه وسلم من طرف البادية فيجهزه بمثلها من الحاضرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه ويداعبه فجاء يوما وهو يبيع متاعا له في السوق فاحتضنه من خلفه ووضع يده على عينيه فلما عرف انه النبي صلى الله عليه وسلم جعل لا يالو ما الصق ظهره بصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري مني العبد فقال الرجل يا رسول الله اذا تجدني كاسدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكنك عند ربك لست بكاسد ووجد الحسين بن علي مع الصبيان فطلبه فجعل الحسين يفر هاهنا وهاهنا وهو يضاحكه حتى اخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى فوق راسه وكان ربما دخل على عايشة والجواري عندها فينقمعن منه فيسربهن اليها وقال لها يوما وهي تلعب بلعبها ما هذا يا عايشة قالت خيل سليمن بن داود فضحك وطلب الباب فابتدرته واعتنقته وكان ربما ادلع لسانه للحسين بن علي فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش اليه واكل صلى الله عليه وسلم هو واصحابه تمرا فجاء صهيب وقد عصب على عينه وهو ارمد فسلم واهوى في التمر ياكل فقال صلى الله عليه وسلم تاكل الحلو وانت ارمد فقال يا رسول الله اني اكل بشق عيني الصحيحة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتمازحون بالقول والفعل فربما تراموا بالبطيخ ويتمالوا الحجر لاختبار قوتهم **فصل** وامر صلى الله عليه وسلم بملاعبة الزوجة والولد وتاديب الفرس وتعلم الرمي والسباحة وحث على ذلك ورخص باللعب بالدف للعرس والعيد وفي دخول الجواري على اللعب بلا رجوحة والعد واللعب بالبنات لعلة التدريب وقرر الحبشة ايضا على لعبهم بالحراب والدرق في المسجد وقام طويلا يستر عايشة وهي تنظر اليهم فلما ملت قالت حسبي قال فاذهبي اذا **الباب الثاني** في الاخلاق المعنويات التي حمدت شرعا وعقلا وشرف المتخلق بها او بالواحد منها عرفا وعادة كالعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود

والشجاعة

والشجاعة والحيا والمروة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق الذي عظمه الله من نبيه واصلها العقل الذي يحمل صاحبه على اقتنا الفضايل ويجنب الرذايل وبه ظهر شرف الحيوان الانساني على ساير الحيوانات وبتفاوته تفاوتت درجات الرجال وقد نال النبي صلى الله عليه وسلم منه منزلة لا يقدر قدرها ولا يرام سبرها قال وهب بن منبه قرات في احدى وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدا الدنيا الى انقضايها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل بين رمال الدنيا **فصل** اعلم ان الاخلاق الحميدة تكون غريزية ومكتسبة ومع الاكتساب لا بد ان تكون في اصل الجبلة شعبة من اصولها وتكون غالبة لبعضها ثم انها قد تكون دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله ولكنها تعد محاسن على كل حال باتفاق العقلا وقد كان صلى الله عليه وسلم محتويا على كمالها مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته وكذلك ساير الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم يحصلوها بممارسة ولا رياضة بل بجود الهي وخصوصية ربانية قال القاضي عياض رحمه الله تعالى وقد نجد بعضهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليه فيسهل عليه اكتساب تمامها كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت والشهامة وصدق اللسان والسماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وكل ميسر لما خلق له وهذا حين اذكرها مفصلة من نبينا صلى الله عليه وسلم **فصل** في علمه وحلمه واحتماله وعفوه وصبره صلى الله عليه وسلم اما العلم فقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى وقل رب زدني علما كلت الالسن عن وصف ما منحه من العلم وامر بسؤال الزيادة عليها وقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى قال القاضي رضي الله عنه ولما كان ما كاشفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجايب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل بحمل ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال المولف كان الله له واذا اردت ان تعلم مكانته صلى الله عليه وسلم من العلم فانظر الى ما تضمنته شريعته من الاصول والفروع ودقايق الاحكام واسرار المعاني التي وجد الحكمة في اكثرها ولزم الخلق الانقياد لها والتسليم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما الى علمه صلى الله عليه وسلم بكتب الله القديمة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وفنون العلم الثابتة كالعبارة والطب والحساب والفرايض والنسب وغير ذلك مما قدمنا الاشارة اليه في باب المعجزات واما الحلم والاحتمال

والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره ومعا نيها متقاربة وهي مما تلقاها صلى الله
عليه وسلم عن امر ربه بالقبول والاقبال وبلغ فيها اعلى درجات الكمال لقوله تعالى
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه سأل جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب واتاه فقال يا محمد
ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال تعالى
واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل فغير خاف على من تامل احواله واقواله وحققها معرفة انه صلى الله عليه وسلم
قد نزل من هذه الاخلاق منزلة لا ترتقى وامتطى منها مطية لا تمتطى وانه كان
لا يستخفه كثرة الاذى ولا طيش الجهلاء وفي بعض كلام عمر رضي الله عنه الذي
بكى به النبي بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ
ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فصل واما جوده وكرمه وسخاؤه وسماحته
صلى الله عليه وسلم وبين هذه الالفاظ فروق لطيفة يجمعها بذل المال على وجه التكرم
وغير مدافع ان النبي صلى الله عليه وسلم قد خص من هذه الاخلاق باتمها واعمها وانه
ما سئل شيئا قط فقال لا واشتهرت الاخبار بجود موعطاياه في يوم حنين المائتين من
الابل ورده يومئذ على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف راس واعطى العباس
عمه من الذهب ما لم يطق حمله واعطى رجلا سأله غنما بين جبلين فرجع الى قومه
فقال اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا يخشى الفاقة وحمل اليه تسعون الف درهم
فوضعت على حصير فما قام وثم منها درهم والاخبار بذلك واسعة وقد قال صلى
الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فصل في شجاعته ونجدته
صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه صلى الله عليه وسلم قد كان اشجع الناس واشدهم
شكيمة وانه قد شهد جملة من الحروب وابلى فيها وحفظت لكل من كماة اصحابه
جولة سواه قال علي كرم الله وجهه كنا اذا اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتنا يوم
بدر ونحن نلوذ به وهو اقربنا الى العدو قال انس كان النبي صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس
قبل الصوت فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر
على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقصة قتله لابي
بن خلف منبئة عن ثبات قلبه وقوة جاشه وقد سبق ذكرها في قسم السيرة
فصل واما حياؤه واغضاؤه صلى الله عليه وسلم فقد كان اشد الناس حياء

واكثرهم

واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله
لا يستحيي من الحق وعن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد
حياء من العذراء في خدرها فكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه
وسلم لا يواجه احدا بما يكره ولا يثبت بصره في وجه احد خافض الطرف نظره
الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة وكان يكني عما اضطره
الكلام اليه مما يستحيى من ذكره كقوله تتبعي به اثر الدم في نظائر لها كثيرة قالت
عائشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل في حسن
عشرته صلى الله عليه وسلم لاصحابه وحسن ادبهم معه كان صلى الله عليه وسلم
اشد الناس كرامة لاصحابه يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي على احد منهم بشره ولا خلقه
ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه
من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا
وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ وبذلك وصفه ربه فقال تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وكان صلى الله عليه وسلم يمازحهم
ويخالطهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويعود مرضاهم ويشهد موتاهم
ويقبل عذر المعتذر منهم ويكنيهم ويدعوهم باحب اسمائهم اليهم ويقبل
هداياهم ويكافي عليها ويجيب من دعاه الى طعام او وليمة ويذهب اليها وكان
يشيع مسافرهم ويودعهم ويوصيهم ويتلقى قادمهم واذا قدم من سفر تلقي
بصبيان اهل بيته فيحملهم بين يديه وخلفه وكان يتجمل لاصحابه فضلا عن
تجمله لاهله فاذا اراد ان يخرج اليهم نظر في الماء فجهه او المراة وسوى شعره
وعدل عمامته ويقول ان الله يحب من عبده اذا خرج الى اخوانه ان يتهيا لهم ويتجمل
وكان يتفقد اصحابه فمن خاف ان يكون وجد في نفسه شيئا قال لعل فلانا
وجد علينا في شيء او راى منا تقصيرا اذهبوا بنا اليه فينطلق الى اهله وكان ينزل
الناس منازلهم فيكرم اهل الشرف من غير تقصير في حق غيرهم وكان لا يدع
احدا يمشي ولا يجلس خلفه ويقول خلوا ظهري للملائكة ولا يمد رجليه بينهم
ويوسع عليهم اذا ضاق المكان ولا يقدم ركبتيه امام ركبهم ولا يدع احدا
منهم يمشي معه وهو راكب حتى يحمله فان ابى قال تقدمني الى المكان الذي
تريده وركب صلى الله عليه وسلم حمارا اعريا الى قبا واراد ان يردف خلفه

سهل الخلق

منزلهم

ابا هريرة فامسكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم اراد ان يركب ثانية فامسكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم عرض عليه الثالثة فقال لا والذي بعثك بالحق لا اصرعنك ثالثا وكان صلى الله عليه وسلم يكرم الداخل اليه وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته وسأله عن حاجته وكان له صلى الله عليه وسلم خدم وعبيد واماء فكان لا يترفع عليهم في ماكل ولا ملبس ويخدم من خدمه قال انس خدمته نحوا من عشر سنين فكانت خدمته لي اكثر من خدمتي له وامر صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باصلاح شاة فقال رجل علي ذبحها وقال آخر علي سلخها فقال صلى الله عليه وسلم وعلي جمع الحطب فقالوا نحن نكفيك فقال قد علمت انكم تكفوني ولكني اكره ان اتميز عليكم ثم قام وجمع الحطب وذهب مرة ليعقل ناقته فقالوا نحن نكفيك فقال لا يستغني احدكم من الناس ولو في قضمة من سواك واما ادب اصحابه معه صلى الله عليه وسلم فسبق في حديث الحديبية قول عروة بن مسعود لقريش اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له

فصل

واما شفقته ورافته ورحمته لجميع الخلق فقد قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن شفقته صلى الله عليه وسلم تالفه لجفاة الاعراب ورؤساء القبائل بالعطاء حتى كان سبب اسلامهم وفلاحهم قال صفوان بن امية والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي واعطى اعرابيا عطاء ثم قال له احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا فزاده شيئا ثم قال له احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فامره ان يخبرهم بذلك فاخبرهم ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه اليها بين يديها واخذ لها من قمام الارض فردها حتى استناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث ما قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليهم وانا سليم الصدر ومن شفقته صلى الله عليه وسلم سؤاله ربه التخفيف عن امته

وتركه

وتركه اشياء خشية ان تفرض عليهم فيعجزوا عنها فيقعوا في الحرج وكان صلى الله عليه وسلم يدخل في الصلوة يريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي فيخفف خشية ان يشق على امه وربما اصغى الاناء للهرة فما يرفعه حتى تروى وروي انه صلى الله عليه وسلم لما تناهى اذا قريش وحرج صدره لذلك ناداه ملك الجبال وسأله ان يطبق عليهم الاخشبين فابى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا

فصل

واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا وحسن العهد وصلة الرحم فقد حاز السبق فيها والبر نحا فيها حتى ورد في الصحاح انه كان يكرم صدايق خديجة ويصلهم ويرتاح لهم فسئل عن ذلك فقال ان حسن العهد من الايمان ومن ذلك فعله بامه واخوته من الرضاعة كما سبق في غزوة حنين واعتق بسببهم ستة آلاف راس ومنه ما روي عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلث انتظرك ولقد صدقت فراسة خديجة فيه حيث قالت في ابتداء الوحي ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق

فصل

واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه فامر منتشر والخبر به مشتهر وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه واول شافع فكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه وان كان دنيا يلبيك ويعود المساكين ويسلم على الصبيان اذا مر عليهم ويجالس الفقراء ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس ويعجب مما يعجبون ويضحك مما يضحكون وقالت عائشة كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلفه ومر بغلام وهو يسلخ شاة فما يحسن فقال له تنح فادخل صلى الله عليه وسلم يده بين اللحم والجلد فدحس حتى دخلت الى الابط وكان يتبع اضحيته وبدنه ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ودخل عليه صلى الله عليه وسلم رجل فارتعد من هيبته فقال هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح مطاطا راسه حتى كاد يمس قادمته وذلك حين عجب النفوس وحج حجة الوداع على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم وقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة واهدى فيها مائة بدنة وعن انس ان امراة كان في عقلها شيء جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في طرق

المدينة حيث شئت اجلس اليك لك قال وكانت الامة تاخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت
وقال ابو هريرة اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم سراويل من السوق فذهبت
لاحملها عنه فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله ولما جاء ابو بكر بابيه يوم الفتح
قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو غيبت الشيخ الا تركته حتى اكون انا اتيه في منزله
وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وقال لا تفضلوا بين الانبياء ولا تفضلوني على يونس بن متى ولا
تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم
جاءني الداعي لاجبته **فصل** واما عدله وامانته صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته
وصدق لهجته وكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس واعدل الناس واعف الناس
واصدقهم لهجة منذ كان اعترف بذلك محادوه واعداؤه وكانوا يسمونه الامين ولذلك وعداه
رضوا محكما بينهم في وضع الحجر الاسود وفي سؤال هرقل لابي سفيان هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون وفي وصف علي اصدق الناس لهجة والينهم عريكة وكان صلى الله
عليه وسلم اعف الناس لم تمس يده يد امراة قط الا يملك رقها او نكاحها او تكون ذات
رحم محرم وفي وصف عائشة له ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما
فان كان اثما كان ابعد الناس عنه وقال المبرد قسم كسرى اياما فقال يصلح يوم شه
الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال
ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة اجزاء
جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس وكان
يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة **فصل**
واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه فكان
صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه مجلسه
مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم واذا مشى
مشى مجتمعا يعرف في مشيه انه غير عرض ولا وكل ان صمت فعليه الوقار وان تكلم
سما وعلاه البهاء وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد وفي وصف
ابن ابي هالة انه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهيه
معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد
لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده
واعمهم

اعمهم نفعة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة وسنن في سيرته مع
اصحابه كثيرا ما يدخل في هذا الفصل **فصل** وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ازهد الناس ويكفيك في تعريف ذلك ان فقره صلى الله عليه وسلم فقر اختيار لا فقر
اضطرار انه صلى الله عليه وسلم فتحت عليه الفتوح وجلبت اليه الاموال ومات ودرعه
مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
وقالت عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله
ولو شاء لاعطاه الله ما لم يخطر ببال وعنها قالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا
شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ربي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب
اجوع يوما واشبع اخرى فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم
الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وعنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا
ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعنها قالت لم يمتل جوف النبي صلى الله عليه
وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنا وان كان
ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه من صيام يومه ولو شاء سال ربه جميع
كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح
بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك
فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني اولوا العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من
هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم واجدني
استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من
اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم
فصل واما خوفه صلى الله عليه وسلم لربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى
قدر علمه بربه ولذلك قال فيما رواه ابو هريرة عنه لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا زاد في رواية ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم
بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى ومن خوفه صلى الله
عليه وسلم بكاؤه عند تلاوة القرآن وفي تهجده وعند سماعه من غيره كما
ورد في جملة من الاحاديث وفي حديث ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال اني لاستغفر الله
في اليوم مائة مرة وجماع خلقه صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي كرم الله وجهه
قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل

ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي
والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والفقر
والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث
آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي ۝ فصل
قال القاضي رحمه الله تعالى اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرنا ووجدنا
الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنين ان اتفقتا له في كل عصر حتى يعظم قدره
ويضرب باسمه الامثال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا
ياخذه عدد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال عز
من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا والاسرا والرؤية والقرب
والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام
المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء والشهادة
بينهم وبين اممهم وسيادة ولد ادم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة
عند ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطا الرضى
والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وما تاخر
وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد
بالملئكة وايتا الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة
والدعا الى الله وصلوة الله وملئكته عليه والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصر
والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء
الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد
الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا
وابرا الالام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك
ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات
القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون
ادانيها الوهم ۝ الباب الثالث في شمايله صلى الله عليه وسلم في العبادات
المكررات اعلم علمنا الله واياك ان مما يذم في التقليد التعصب للمذاهب والجمود
عليها واستنفار كل خلاف ما وطن نفسه عليه من تبعية امامه ولا يقبل غيره
وان قام الدليل على خلافه حتى كان الحق منحصر فيه او كان امامه نبيه وكل ذلك
لعدم الانصاف وقد انصف الشافعي رحمه الله حيث قدم الى اصحابه ما معناه
اذا صح الحديث فاعملوا به ودعوا قولي اشفاقا منه عليهم ان توقعهم العصبية في
المخالفة وقد كان له تطلع في علم الحديث فلم يقم الدليل على خلاف مذهبه الا نادرا
مما لا يعصم البشر عن وقوع مثله وربما اعتل بعض المقلدين عند قيام الحجة عليه

قال

فقال لعل امامي علم في ذلك ما لم اعلمه او يرى من شبهة على ذلك لا يتاهل للترجيح والاجتهاد
وكل ذلك قصور وتقصير وقد نص جهابذة العلماء على ان الاجتهاد يتجزى وانه
يجوز ان يكون الانسان مجتهدا مرجحا في مسئلة او باب دون غيره ومظنة الترجيح
غلبة الظن بعد البحث في وجوه الادلة وسياتي في طي هذا الباب ما يفهمك فائدة
تقديم هذه القاعدة جعلنا الله واياك ممن يقبل الهدى اينما كان وعلى لسان من
ظهر واصفين منصفين آمين ثم اعلم رحمك الله واياي ان هذا الباب واسع جدا موضع
بسطه كتب الحديث ومبسوطات كتب الفقه وانما اذكر هنا نكتا وعيونا من اسرار
عوائده التي واظب عليها صلى الله عليه وسلم وكادت لكثرة التسهيل والاهمال ان يذهب
اكثرها فانبه على ذلك على وجه الاختصار والايجاز مستعينا بالله وسائلا منه
التوفيق فمن ذلك عادته صلى الله عليه وسلم في الوضوء كان في غالب الاحوال
يتوضا لكل فريضة وقال من توضا على طهر كتب له عشر حسنات قال العلماء وانما
يحصل هذا الثواب لمن استعمل الوضوء الاول وربما صلى بعض الاوقات بوضوء واحد
عددا من الصلوة وكان صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضا بالمد ونهى عن
كثرة استعمال الماء وقال لسعد بن ابي وقاص لا تسرف وان كنت على نهر جار وقال ان
للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء وقال انه سيكون في هذه الامة
قوم يعتدون في الطهور والدعاء وفي هذه الاخبار ذم الاسراف في صب الماء فانه
من الشيطان وقد صحت الاخبار عن محمد المختار انه توضا صلى الله عليه وسلم
مرة مرة ومرتين مرتين وغالب احواله ثلثا ثلثا وكره الزيادة عليها والنقصان
منها فكانها حد بين الاكثار والاقلال وقد كانت اموره صلى الله عليه وسلم
على حد الاعتدال ويصلح لمن كان على بعض اعضائه اذى ان يغسله قبل الوضوء ثم
يتوضا ليتم له الاقتصار على التثليث مع انه قد صحح الاكثرون ان غسلة واحدة
تجزئ عنها وربما ثلث صلى الله عليه وسلم في بعض الاعضاء ونقص في بعضها وربما ثلث
في الكل وغسل الرجلين بغير عدد واما الراس فاكثر الروايات واصحها على التوحد
في مسحه وروي التثليث في حديث حسن فينبغي التثليث من اجله وكان صلى الله عليه
وسلم يعم جميعه بالمسح ويقبل بيديه ويدبر وحيثما اقتصر على بعضه لعمامة ونحوه
كمل بالمسح عليها ولم يقتصر على مسح بعض الراس من غير تتميم على العمامة ابدا
واما المضمضة والاستنشاق فاصح الروايات على انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما
بثلث غرفات يتمضمض ويستنشق من كل واحدة بيمينه ويستنثر بشماله منهما
قال ابن الصلاح ولم يثبت في الفصل شيء قلت بل رواه ابو داود بسند لم يضعفه فهو
حجة عنده والله اعلم وكان صلى الله عليه وسلم يمسح الاذنين ظاهرهما وباطنهما
قال شيخ شيوخنا القاضي مجد الدين الشيرازي ولم يثبت في مسح الرقبة حديث ۝

تنبيه في سنن ابي داود من رواية ابن عباس عن علي حين اراه كيفية وضوء رسول الله
صلى الله عليه وسلم ففيه انه ادخل يديه في الاناء جميعا فغسل بهما وجهه ثلثا وهو فعل
حسن يعرف حسنه بالمشاهدة وفيه انه بعد غسل الوجه اخذ بكفه اليمنى قبضة
من ماء فصبها على ناصيته فتركها تستن على وجهه وكانه والله اعلم انه فعل ذلك استظهارا
على غسل مقدم الوجه فهاتان سنتان قل من يعمل بهما ويثابر عليهما وفيه انه غسل رجليه
في النعلين وقلبهما ليصل الماء الى تحتها لتستوعب قال ابن عباس قلت وفي النعلين قال
وفي النعلين قال ذلك ثلاثا ففيه تاييد لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية
السمحة وقد كان صلى الله عليه وسلم ربما صلى في نعليه وقال تفقدوا نعالكم عند
ابواب مساجدكم ولقد صح جماعة من اصحابنا جواز الصلوة في الخف المتنجس اسفله
اذا دلكه بالارض حتى تذهب العين وكان صلى الله عليه وسلم يرفع في غسل اعضائه
الوضوء وقال ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع
منكم ان يطيل غرته وتحجيله فليفعل اخرجه الشيخان والغرة غسل مقدمات الراس مع
الوجه والتحجيل غسل بعض العضدين مع الذراعين وبعض الساقين مع الرجلين وغايته
استيعاب العضد والساق اما اذكاره فكان صلى الله عليه وسلم يسمي الله اوله
وورد احاديث تدل على التحتم في التسمية وكلها مؤولة او ضعيفة وكان يقول
في اثنائه ما رواه النسائي وابن السني باسناد صحيح عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضا فسمعته يقول اللهم اغفر لي
ذنبي ووسع في داري وبارك لي في رزقي فقلت يا نبي الله سمعتك تقول
تدعو بكذا وكذا قال وهل تركن من شيء وكان يقول بعد فراغه ما رواه عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضا فقال اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية
يدخل من ايها شاء رواه مسلم زاد الترمذي فيه اللهم اجعلني من التوابين واجعلني
من المتطهرين زاد النسائي سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك واما الدعاء المفرق على الاعضاء فقد ادعى الامام النووي رحمه الله انه
لا اصل له واستدرك عليه في هذه العبارة فقد روى فيه ابن حبان حديثا من جهة
عباد بن صهيب وقد قال ابو داود فيه انه صدوق والله اعلم

فصل في تيممه صلى الله عليه وسلم اصح الاحاديث في كيفيته ما اتفق الشيخان على تخريجه عن عمار بن ياسر
قال بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد الماء فتمرغت في الصعيد كما
تمرغ الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك ان
تضرب بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين
وظاهر كفيه ووجهه وفي رواية لهما وضرب بيديه الارض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه

ففي

ففي الحديث ادل دليل على انه لا يشترط فوق ذلك ولا يجزي دونه لانه يخرج مخرج التعليم
والارشاد الى القدر الكافي في التيمم وبه اخذ عامة المحدثين قيل ولا يعلم في حديث يقطع
بصحته اشتراط ضربتين ولا مجاوزة الكفين في المسح وبلوغ المرفقين ولا التحتم في
التيمم لكل فريضة ولا انه لا يجزي غير التراب الذي له غبار بل قال صلى الله عليه وسلم
جعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل وفي حديث
فحيث ما ادركت رجلا من امتي الصلوة فليصل وفي حديث فعنده مسجده وطهوره والله اعلم

فصل في عاداته صلى الله عليه وسلم في الصلوات وما اشتملت عليه صلوته من الكيفيات
المختلفات والاسرار الخفيات اعلم ان الصلوة اعظم شعار في الاسلام ولم يتعبد بها احد
غير الله ولم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم اسلاما احد دونها ولهذا لما ورد ان اهل
الطايف سالوه ان يقبل اسلامهم ويحط عنهم الصلوة فابى عليهم وقال لا خير في دين ليس
فيه ركوع وقال اول ما يحاسب به العبد الصلوة فهي في هذا الدين كالعنوان او كاساس
البنيان لذلك ما ذكر في اصل مشروعيتها من عظيم الشان وترديد النبي صلى الله عليه وسلم
بين موسى وربه في التخطيط منها حتى رجعت من خمسين الى خمس وقال تعالى هي خمس
وهي خمسون يعني في الثواب كما هو في ام الكتاب ما يبدل القول لدي وما انا بظلام
للعبيد وقد نطق القرآن بفضلها وعظم موقعها وجلالة قدرها وجاءت السنة باضعاف
ذلك فمن مجموع ذلك انها معينة على قضاء الحاجات المهمات لقوله تعالى واستعينوا
بالصبر والصلوة ومنه قوله تعالى فنادته الملئكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله
يبشرك بيحيى وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتضاعف الحسنات وتغسل ادران الذنوب
وترفع الدرجات وجاء فيها انها نور مطلق وشافعة للمصلي عند ربه ومسهلة عليه المر على
الصراط وكاشفة لكربه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى
الصلوات ثم انها جالبة للرزق كما في قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها
لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وجاء انها شفاء من وجع البطن لقوله
صلى الله عليه وسلم لابي هريرة وقد شكا اليه وجع البطن قم فصل فان في الصلوة شفاء
وفضلها اجل من ان يحصر واشهر من ان يذكر ولاجل ما استجمعت من الخيرات ودفع
المكروهات قال النبي صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وفي رواية
الجايع يشبع والظمان يروى وانا لا اشبع من حب الصلوة وقال اقم الصلوة يا بلال وارحنا
بها وقد قدمنا ما يلحق مفوتها من الوبال والخزي والنكال في صلوة الخوف في طي غزوة
ذات الرقاع ونشرع الان في مهمات من وجوه تحسينها والامور المودية الى قبولها
وركنها الاعظم بعد النية واعمالها الظاهرة التي لا تصح الا بها الخشوع والتدبر
والخضوع قال الله تعالى والذين هم في صلوتهم خاشعون قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قال بعضهم وان كانت الاية في سكر الخمر

ففي قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تنبيه على سكر الدنيا فكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا
يعلم ما يقول ولا يدري كم صلى من استغراق وهمه بالوسواس الدنيوية وربما كانت
في معصية فيكون الوبال فيها اعظم ومثل من انطوت صلوته على هذه القاذورات
مثل من اتخذ صناديق المصاحف وعاء للخمر والنجاسات وروي عنه صلى الله عليه وسلم
لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وروي عن الحسن البصري كل
صلوة لا يحضر الرجل فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وقد اتى على هذا المعنى الفقيه الفاضل
شرف الدين اسمعيل بن ابي بكر المقري رحمه الله في قصيدته الواعظة المشهورة فقال

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة • اذا عددت تكفيك عن كل لذة •
تصلي صلوة تعلم الله انها • بفعلك هذا طاعة كالخطيئة •

قد مثلت الصلوة في صورة حيوانية روحها النية والاخلاص وحضور القلب وبدنها
الاعمال كالقيام والقعود ورأسها الركوع والسجود والاركان التي لا بد منها وجوارحها
ووجوه تحسينها يجري مجرى الابعاض والاداب والسنن ومثلوا المصلي في توجهه بها الى ربه
كمثل من يهدي جارية الى ملك عظيم فان اداها بلا نية فهو كمن اهدى الجارية
ميتة وان اداها فاقدة الاركان فهو كمن اهداها الجارية ميتة وان اداها فاقدة
الابعاض والاداب فهو كمن اهداها مشوهة فيكون المهدي في جميع ذلك مستحقا للعقوبة
لا للمثوبة لان هديته لمن يعظم قدره من هو بهذه الصفات المذمومة فيه نوع
استهزاء وتهاون بقدر المهدى اليه وروى البيهقي وغيره عن عبادة بن الصامت
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فابلغ الوضوء ثم قام الى الصلوة
فاتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم يصعد
بها الى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها ابواب السماء حتى تنتهي الى الله تعالى فتشفع
لصاحبها واذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت ضيعك الله
كما ضيعتني ثم يصعد بها الى السماء وعليها ظلمة فتغلق دونها ابواب السماء ثم
تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وخرج ايضا عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال ذكرت السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي السرقة
تعدون اقبح قالوا الرجل يسرق من اخيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقبح
السرقة الذي يسرق صلوته قالوا وكيف يسرق احدنا صلوته قال لا يتم ركوعها
ولا سجودها ولا خشوعها ومن تخريجه ايضا مرفوعا من احسن الصلوة حيث تراه الناس
واساءها اذا خلا فتلك استهانة بها ربه ومن تخريجه ايضا مرفوعا ان الرجل ليصلي
الصلوة ما له فيها الا عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها
يعني بقدر ما استحضر منها وروي ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصلوة ميزان فمن اوفى استوفى ونحوه عن سلمان موقوفا الصلوة

مكيال فمن اوفى له ومن نقص فقد علمتم ما قيل للمطففين وقال عبادة بن الصامت
رضي الله عنه اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس صلوات افترضهن
الله تعالى من احسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن واتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن
كان له على الله عهد ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ان شاء غفر له وان شاء
عذبه رواه ابو داود وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر ان الرجل ليشيب
عارضاه في الاسلام وما اكمل لله صلوة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها
وتواضعها واقباله على الله تعالى فيها وكان الحسن البصري رحمه الله يقول يا ابن ادم
اي شيء يعز عليك من دينك اذا هانت عليك صلاتك وقال ايضا تفقدوا الحلاوة في
ثلاثة اشياء في الصلوة والذكر وقراءة القران فان وجدتم والا فاعلموا ان
الباب مغلق والاحاديث والاثار في هذا المعنى كثيرة معلومة فانظر يا اخي عظم
موقع الصلوة من الدين وما ورد في اصل تفويتها من الوعيد الشديد المفضي الى شقاوة
الدارين والعياذ بالله ثم ما ورد في حق التساهل في افعالها والتهاون بها من
الخسران والحرمان والله المستعان فينبغي للعاقل المتصف بالسنة ان يحيط بعلومها
وان يفرغ وسعه في تفقهها ويعرف بالايات الواردة في فضلها والحث عليها ويراجع
تفسيرها ويتامل المأثور من صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك يستوي ظاهره
بباطنه ويتزين بالشرع ظاهره ويتروح بالعبادات ويخف على قلبه كلف المجاهدات
كما قال بعض السادة جاهدت للصلوة عشرين سنة وتنعمت بها بقية العمر
وهذا المقام الذي اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله جعلت قرة عيني في الصلوة
ويا بلال اقم الصلوة وارحنا بها واعلم ان التفريط والتساهل في افعال الصلوة ان
جرى من العلماء المقتدى بهم الذين يلاحظ العامة افعالهم عظم خطره وعم ضرره
لانهم سبب الهداية والضلالة وطباع الناس الى المتابعة في الافعال اميل منها الى المتابعة
في الاقوال ومثل هذا من يامر بالاستقامة ويحرف عنها كمن يكذب بعضه بعضا
ويتبع ابرامه نقضا ويحل عليه مقت الله قال تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا
تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون قال ابن السماك وعظت الناس يوما
فاعجبني وعظي فسمعت هاتفا يقول

يا ايها الرجل المعلم غيره • هلا لنفسك كان ذا التعليم •
ابدا بنفسك فانهها عن غيها • فاذا انتهت عنه فانت حكيم •
لا تنه عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم •

وقال صاحب البردة •

امرتك الخير لكن ما ائتمرت به • وما استقمت فما قولي لك استقم •

واعظم ما في زلة العالم من الخطر ان تبقى سنة ماثورة بعده ويدخل في قوله صلى الله عليه وسلم

من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وطوبى لمن مات
وماتت معه ذنوبه ولذلك قيل ان الصغاير من العلماء كالكباير من العامة وقال
صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وان كان
التساهل في الصلوة والاخلال يجري من العامة والجهال فينبغي للعلماء تعريفهم لما اخذ
الله على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقد رد النبي صلى
الله عليه وسلم المسيء صلاته ثلث مرات في كل ذلك يقول له ارجع فصل فانك لم تصل
وانما لم يعلمه اول مرة لتكون ابلغ في التبكيت واوقع في النفس وقال صلى الله عليه وسلم
لرجل ممن صلى خلفه يا فلان الا تحسن صلوتك الا ينظر المصلي اذا صلى كيف يصلي فانما
يصلي لنفسه اني والله لابصر من ورائي كما ابصر من بين يدي وراى حذيفة رجلا
يصلي لا يتم ركوعه ولا سجوده فقال له حذيفة مذ كم صليت قال منذ اربعين سنة
قال له حذيفة ما صليت ولو قدمت مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمدا
صلى الله عليه وسلم كل ذلك مروي في الصحيحين وقال ميمون بن مهران مثل الذي
يرى الرجل يسيء صلاته فلا ينهاه مثل الذي يرى النايم تنهشه حية فلا يوقظه
واعلم ان العالم الذي تنجع موعظته في القلوب وتؤثر كلماته هو الذي صلحت
منه النية وحاز الوراثة النبوية وصدقت عليه الاوصاف الرسولية وصدق عليه
المثل الاول من امثال الغيوب السماوية وكان مقامه في الخلق مقام الانبياء عليهم
افضل الصلوة والسلام ولذلك صار موته ثلمة في الاسلام قال بعضهم اذا صدرت
الموعظة من القلب وقعت في وسط القلب واذا صدرت من ظاهر اللسان لم تجاوز
الاذان وقيل لبعضهم ما بال علماء السلف كانت موعظتهم توثر وليس كذلك
علماء الوقت فقال سبب ذلك ان علماء السلف كانوا ايقاظا والناس نيام والمستيقظ
يوقظ النايم وعلماء الوقت نيام والناس موتى والنايم لا يوقظ الميت اللهم انا
نسلك التوفيق ونعوذ بك من الخذلان والتعويق **فصل** فيما ذكر
من صلوة السلف الصالحين رحمهم الله من ذلك ما روي ان زين العابدين علي
بن الحسين رضي الله عنه كان يتغير عند كل وضوء ويصفر لونه فاذا قام الى الصلوة
اخذته رعدة فقيل له في ذلك فقال اما تدرون بين يدي من اقوم ووقعت النار في بيت
وهو ساجد فيه فجعلوا يصيحون به فلم يرفع راسه حتى وقعت النار في جانب البيت
ولم تبعده فلما رفع راسه كلموه في ذلك فقال الهتني عنها النار الاخرة وقال
عبد الرزاق ما رايت احسن صلاة من ابن جريج يركد كانه اسطوانة ولا يلتفت
يمينا ولا شمالا وكان عبد الله بن الزبير اذا سجد تنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه
الا جذم حائط من طول السجود وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه ثلث انا فيهن رجل
وفيما سوى ذلك فانا واحد من الناس ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شيئا

قط الا علمت انه الحق من عند الله لا شك فيه ولا صليت صلوة قط فحدثتني نفسي بغيرها حتى
افرغ منها ولا شهدت جنازة قط فحدثتني نفسي بغير ما هي قايلة او مقول لها قال الزهري
رحمه الله رحم الله سعدا ان كان لمؤتمنا على ما قال ولقد بلغني انها من خصال لا يعطاهن
الا نبي او من كان شبيها بنبي وقال ابو بكر الوراق ربما اصلي ركعتين فانصرف منهما وانا
استحيي من الله حيا رجل انصرف من الزنا وحكي عن محمد بن يوسف الفرغاني انه راى حاتما
الاصم واقفا يعظ الناس فقال يا حاتم اراك تعظ الناس فتحسن ان تصلي قال نعم قال
كيف تصلي قال اقوم بالامر وامشي بالسكينة وادخل بالهيبة واكبر بالعظمة واقرا
بالترتيل واجلس للتشهد بالتمام واسلم على السنة واسلمها الى ربي واحفظها ايام حيوتي
وارجع باللوم على نفسي واخاف ان لا تقبل مني وارجو ان تقبل مني وانا بين الخوف
والرجا واشكر من علمني واعلمها من سالني واحمد ربي اذ هداني فقال له محمد بن يوسف
مثلك يصلح ان يكون واعظا فرحم الله حاتما ما احسن ما وصف من حال صلوته ولقد
صدق عليه وعلى امثاله قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى
ربهم راجعون وقال الشيخ الصالح القانت عبد الله بن خليل المقدسي قال سمعت
بعض العلماء المحدثين يثني على والدي بانه يحسن الصلوة قال فتغيظ باطني لما علمت من جلالة
قدر والدي وغزارة علمه ومعرفته بالله تعالى ثم بعد ذلك ظهر لي انه قد بالغ بالثناء
قلت وتصديق ذلك ما روي عن بعض المحققين انه قال للصلوة ستماية ادب فلا يحيط
بذلك الا من دين باطنه بالمراقبة والخشوع وظاهره باتباع السنة والان نرجع الى ما الله
نحن بصدده من تيسير صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحر المعارف ومعدن
اللطايف فنذكرها على الولاء من التحرم الى السلام ثم ما يتبعها من الاذكار عنه
عليه افضل الصلوة والسلام وبالله التوفيق وقبل ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
فرغ المؤذن من الاقامة وقام الى الصلوة لا بد ان يتخذ سترة بين يديه شاخصا
او غيره وكان المقصود ذلك تهيئة حريم لصلوته حتى يمنع من يمر دونها ويسكن في حركاتها والله اعلم
ويكف بصره عليها ثم يامرهم بتسوية الصفوف وتعديلها والتراص فيها ووصلها وسد
الفرج وتقاربها ويحض على ذلك ويبالغ فيه بالقول والفعل والترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والتهديد على من خالف ذلك حتى ورد انه صلى الله عليه وسلم كان
يتخلل الصف من ناحية الى ناحية ويمسح بيده الشريفة مناكبهم وصدورهم
ويقول لا تختلفوا في الصلوة فتختلف قلوبكم وانه عدلهم مرة فلما اراد ان يكبر
راى رجلا باديا صدره من الصف فقال عباد الله لتسون صفوفكم او ليخالفن الله بين
وجوهكم حتى انه كان احدهم يلزق منكبه بمنكب صاحبه وركبته بركبته وكعبه
بكعبه والاحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة منتشرة فهي من السنن المؤكدة
التي حض النبي صلى الله عليه وسلم على فعلها ولم يرخص في تركها وواظب عليها الخلفاء الراشدون

بعده ولما اتسعت دائرة الاسلام في خلافة عمر اتخذ معدلين للصفوف ولا يكبر حتى
يخبروه باستوائهم وكذلك فعل عثمن رضي الله عنهما وكان علي كرم الله وجهه
يقول تقدم يا فلان وتاخر يا فلان فينبغي للايمة الاهتمام بذلك والحرص عليه اقتداء بفعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وامتثالا لامره وفرارا من نهيه وان لا يكبر واحد حتى يستكمل
تعديل الصف كما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا راى انهم قد استووا كبر ولم ينقل عنه
صلى الله عليه وسلم منطوقا ولا مفهوما انه تلفظ بالنية ولا بالمنوي وجعل ولا دخل
في الصلوة بغير التكبير واما ما اعتاده الناس امام التكبير من التشغل بالالفاظ التي
تشرط بنيتها كقصد فعل الصلوة وتعيينها وفرضيتها فلا باس به وقد قال العلماء
يستحب ان يساعد لسانه قلبه ولا كلام انه اذا تكلم بلسانه من غير نية لم يجزه
وان نوى بقلبه وتكلم بالتكبير فقط كما هو المنقول عنه صلى الله عليه وسلم اجزاه
وبعض الناس يزيد في التحرم الفاظا فيذكروا استقبال القبلة وعدد الركعات في تطويل النية ص
وتهويل احدثوه مما لم يرد به كتاب ولا سنة ولا اثر عمن يتم به القدوة ومما
احدث ايضا وعم العمل به حتى توهم كثير من الناس انه سنة او واجب ما اعتاده
المامومون بجمعهم من التكبير لتكبير احرام امامهم ثم يعودون ينطقون الالفاظ
ويكررونها لاحرام انفسهم حتى يطول الفصل وتفوتهم فضيلة ادراك تكبيرة
احرام الامام وما احسن تلك التكبيرة الزائدة لو كانت تكبيرة عقد احرامهم
وادركوا بها الفضيلة فقد قال الامام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى وادراك
تكبيرة الاحرام فضيلة وانما تحصل بالاشتغال بالتحرم عقب تحرم امامه ثم ان طايفة
الموسوسين استحكم عليهم تلبيس ابليس وعدلوا عن المعلوم الى الموهوم وجانبوا المنقول
عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتحققت منهم طاعة اللعين وصيرهم الى شبه المجانين
فترى احدهم يلعب بيديه عند التكبير في الهوى وتارة يعركهما ويتلحى ويتلوى نفسه
في ترديد عبارات الاحرام ويتلوى كانه يحاول امرا فادحا او يتسوغ اجاجا مالحا حتى احرامه
تفوته فضيلة تكبيرة الاحرام وربما فاتته الفاتحة فلم يطلقه شيطانه الا على راس
الركوع وربما فاتته الركعة والصلوة جملة فيقع في الخيبة والحرمان ويحقق عليه
استيلاء الشيطان حتى تتاتى منه التكبيرة بمشقة وصوت فاحش يتاذى به من حوله
وربما اذاهم وشوش عليهم بالجهر بالالفاظ المسرية فلا يرى انه يسمع نفسه الا بذلك
فيتضاعف وزره مع مخالفته للسنة ومنهم من انكر العيان وسموع الاذان
حتى انكر شيئا صدر منه وسمعه غيره وشاهده فضلا عنه حتى اشتهر بذلك مذهب
السوء فسطائية الذين انكروا حقائق الموجودات والامور المحسوسات الضروريات
وربما عظم الضرر باحد الموسوسين حتى عجزوا عن النطق ضرورة كما قال الشيخ ابو محمد
عبد الله بن قدامة المقدسي رحمه الله في كتابه الذي سماه ذم الوسواس واهله

قال لي

قال لي انسان منهم قد عجزت عن قول السلام عليكم فقلت له قل مثل ما قلت الآن فذم
وقد استرحت ونحو هذا او امثاله واشباهه فهم كثير قال وقد بلغ الشيطان منهم ان
عذبهم في الدنيا واخرجهم عن اتباع نبيهم المصطفى وادخلهم في جملة المتنطعين الغالين
في الدين الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واعلم ان
مبادي الوسواس ومحتده ومنشاه سببه اما ضعف في العقل او جهل بالسنة واقتدا
الجاهلين بالمهملين وروينا عن السيد الجليل احمد بن عطاء الروذباري رحمه الله ونفع به
قال كان في استقصاء في امر الطهارة وضاق صدري ليلة لكثرة ما صببت من الماء
ولم يسكن قلبي فقلت يا رب عفوك عفوك فسمعت هاتفا يقول العفو في العلم فزال
عني ذلك ونعم لقد صدق رحمه الله فلو تامل طايفة الموسوسين احوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم او تعرفوها اذ لم يتعلموها من غيرهم وعرفوا يسره وتيسيره وانه
كان يوكل الضيفان ويأكل طعام عامة المسلمين واهل الكتاب الذميين
ويتوضا في انيتهم من غير بحث ويغتسل هو والمراة من نسائه من الجنابة في اناء واحد
دفعة واحدة تختلف ايديهم فيه وانه صلى مرة وهو حامل امامة بنت ابي العاص
بن الربيع على ظهره اذا قام حملها واذا سجد وضعها وانه كان يتوضا باسوار الدواب
فيصغي وضوءه للهرة حتى تشرب منه ويتوضا هو واصحابه من مزادة مشركة وانه لم ينقل
عنه تردد في التكبير ولا تلفظ بقول اصلي وما بعده اوجب الله علينا اتباعه بالافعال
والاقوال على كل حال فقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم والله غفور رحيم وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ثم قرا الاية وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله واخبرنا تعالى ان الشيطان يقعد لنا في
طرق الطاعات كما يرصد لنا في المخالفات فقال تعالى مخبرا عنه لاقعدن لهم صراطك
المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد
اكثرهم شاكرين وقد عصمت عنه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم
في اتباعنا بسننه وحملهم انفسهم على هديه وطريقته وربما عرض لاحدهم عارض من باب
التغليظ في الطهارة والتشديد في الدين ثم تركه لكون النبي صلى الله عليه وسلم لم
يفعله وروينا عن عمر رضي الله عنه انه كان يهم بالامر ويعزم عليه واذا قيل له لم
يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى حتى قال لقد هممت ان انهى عن لبس الثياب
المصبوغة فانه بلغني انها تصبغ ببول العجائز فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد لبسها ولبست في زمانه فصدق ذلك وترك وقال مرة لابنه او لغلامه اعطني ثوبا
للخلاء غير ثوب صلاتي فاني رايت الذباب ربما يقع على الخلاء ثم يقع على الثوب ثم انتبه
فقال ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوب واحد وترك ما هم وروي مثل ذلك

لزين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه وهذا ما تاملوه وفهموه من احوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قربهم منه مع اعتياد قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة
وقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة
الله تعالى فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وقوله صلى الله عليه وسلم من احدث
حدثا ليس عليه امرنا فهو رد وقوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة وقوله من
رغب عن سنتي فليس مني وقد امرنا الله سبحانه عند النزاع بالرجوع الى الكتاب والسنة
فقال تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر ذلك خير واحسن تاويلا وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فانظر كيف حتم الله على الخلق اتباعه في احكام
شريعته وحمل الانفس وان لم يقتضه هواها على هديه وسنته كما قال صلى الله
عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال السيد الجليل الكبير
الشان الجنيد بن محمد البغدادي الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى اثر الرسول
صلى الله عليه وسلم وقال الزهري كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة
وقال حسان بن عطية ما ابتدع قوم بدعة في دينهم الا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا
يعيدها اليهم الى يوم القيمة فاذا فهمت ايها الموسوس ما قررناه وحررناه وتقرر
عندك ان صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاة اصحابه وصلوة الطبقة الاولى
من التابعين قد كانت خالية من مثل ما استحدثته بجهلك وسوء راي من اقتديت
به وعلمت بالنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مبادي ذلك من الشيطان كما
اخبر صلى الله عليه وسلم ان شيطان الوضوء اسمه الولهان وشيطان الصلوة اسمه خنزب
علمت ركاكة الحال وماذا بعد الحق الا الضلال واي خير في صلوة اشتملت على بدعة
او خلاف سنة قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة روينا في مسند الدارمي
عن هشام بن حجير قال كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس اتركهما
قال انما نهي عنها ان تتخذ سلما قال ابن عباس فانه قد نهى عن الصلوة بعد العصر فلا ادري
اتعذب عليها ام تؤجر لان الله عز وجل يقول وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى
الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم وقال رجل لسعيد بن المسيب
وقد نهاه عن ذلك يا ابا محمد ايعذبني الله على الصلوة قال لا ولكن يعذبك الله بخلاف
السنة وكم مريد للخير لم يصبه ومتقرب الى الله تعالى بما يباعده عنه ومتحبب اليه
بما يبغضه عليه قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اعاذنا الله من
ذلك وبصرنا بعيوبنا وجعلنا ممن يامر ويأتمر وينهى وينتهي ويفعل متبعين غير
مبتدعين بجاه سيد المرسلين وخاتم النبيين وفيما ذكرنا وسطرنا كفاية

لمن وفق

لمن وفق وشرح الله صدره واما من اشرب هواه واتبع اولاه اخراه وحرج صدره فلم يسع غير
مهواه فترى نفسه وشيطانه قد تظاهرا عليه وحسنا له ما يدعوانه اليه فيعنف واعظه
ويبذو عليه ويرى انه قد اسدى اليه سيئة فيكافيه بمثلها ويقول لمثلي يقال هذا فيشتبه
حينئذ بوصف من قال الله فيه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم
ولبئس المهاد وكان طريقة السلف رحمهم الله تعالى اذا وعظ احدهم فوضح له وجه
الصواب شكر واعظه ورجع على نفسه باللوم والعتاب وكان عمر رضي الله عنه
يقول رحم الله من يهدي الي عيوبي واعترضته امراة في كلام تكلم به في ملا من الناس
فصاح على نفسه بالخطا وقال شيخ جهل وامراة علمت فانظر يا اخي كيف كان حالهم في
اقتدائهم بسنة نبيهم ورجوعهم الى الحق بعد معرفته وذلك لقوة ايمانهم وضعف
قوى انفسهم عند ظهور الحق وانخناس شيطانهم فدن الله بما دانوا ومت على ما ماتوا تنج
وتسلم وتغنم وبالله التوفيق اما الوسواس في النية التي نحن بصددها فقد قال الشيخ
الامام عبد الله بن قدامة المقدسي رحمه الله اعلم ان النية هي القصد والعزم على فعل
الشيء ومحلها القلب لا تعلق لها باللسان اصلا ولذلك لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا اصحابه في النية لفظ بحال ولا سمعنا عنهم ذكر ذلك وهذه العبارات التي احدثت
عند افتتاح الطهارة والصلوة وجعلها الشيطان معتركا لاهل الوسواس يحبسهم
عندها ويعذبهم فيها ويوقعهم في طلب تصحيحها فترى احدهم يكررها ويجهد نفسه
في التلفظ بها حتى كانه يحمل ثقلا يدفعه وليست من الصلوة اصلا وانما النية قصد
فعل الشيء وكل عازم على فعل الشيء فهو ناو له فمن قصد الوضوء فقد نواه ومن قصد
الصلوة فقد نواها ولا يكاد عاقل يقصد شيئا من عباداته ولا غيرها بغير النية فالنية
امر لازم لافعال الانسان المقصودة لا يحتاج الى تعب ولو اراد اخلاء افعاله عنها لعجز عن
ذلك ولو كلفه الله تعالى الصلوة والوضوء بغير نية لكلفه ما لا يطيقه ولا يدخل
منهم تحت وسعه وما كان هكذا فما وجه التعب في تحصيله وان شك في حصولها فهذا
نوع جنون فان علمه بحال نفسه امر يقيني فكيف يشك فيه عاقل هذا معنى كلامه
فصل في رقية الوسواس روينا في صحيح مسلم عن عثمن بن ابي العاص رضي الله
عنه قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراتي يلبسها علي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته
فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وقال الامام
القطب محيي الدين النووي رحمه الله قال بعض العلماء يستحب قول لا اله الا الله لمن
ابتلي بالوسوسة في الوضوء والصلوة وشبههما فان الشيطان اذا سمع الذكر خنس
والله اعلم فصل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتدائه في تكبيرة الاحرام
يرفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ويحاذي باطراف فهما اذنيه ويستقبل ببطونهما القبلة

فرع الاستفتاح

فاذا فرغ من التكبير ارسلهما باناة وقبض بيمينه على ظهر يساره وجعلهما تحت صدره
ثم ان كانت الصلوة جهرية سكت سكتة طويلة يأتي فيها بدعاء الافتتاح وثبت في مجموعه
احاديث كثيرة يستحب الاتيان بجميعها ومن آثر الاختصار لغرض فيحسن اقتصاره على
قوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين
ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا من
المسلمين وهذه احدى سكتاته الاربع صلى الله عليه وسلم ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم قال النووي المختار ان يتعوذ في كل ركعة يسر به في حال الجهر والاسرار
ثم يقول بسم الله الرحمن الرحيم وكان صلى الله عليه وسلم ربما جهر بها وربما اخفاها
وبين العلماء تنازع في وجوبها والجهر بها والاسرار ثم يقرأ الفاتحة ويرتلها ويقف
عند آخر كل آية منها وعند اواخر الكلمة قال اصحابنا وفيها اربع عشرة تشديدة
يتعين الاتيان بجميعها ويقول بعد الفراغ منها يجهر بها في موضع الجهر ويسر في موضع

آمين

الاسرار واعلم ان التأمين مستحب للامام والمنفرد داخل الصلوة وخارجها ووردت
احاديث كثيرة في فضله وعظيم اجره والسنة ان يؤمن المأمومون باسرهم
لقراءة امامهم ويقترن تأمينهم بتأمين امامهم لا قبله ولا بعده لانه صح ان
الملائكة تؤمن لقراءة الامام فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه
وليس في الصلوة موضع يستحب ان يقترن فيه قول المأموم بقول الامام الا التأمين
واما باقي الاقوال فيتأخر قول المأموم عن قول الامام والسنة ان يسكت بين الفاتحة
والتأمين سكتة لطيفة ليعلم ان آمين ليست من الفاتحة **فصل** وثبت انه
صلى الله عليه وسلم كان يسكت بعد التأمين سكتة طويلة بحيث يقرأ المأموم الفاتحة
فهي سنة قل من الائمة من يستعملها فهي من السنن المهجورة **فصل** وثبت انه
صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلوة الصبح والاوليين من باقي الفرائض سورة
الفاتحة فيجعلها في الصبح والاوليين والظهر من طوال المفصل وفي العصر والعشاء من
اوساطه وفي المغرب من قصاره وهذا عادته في الصلوات وربما غيرها بحسب
الحاجات والضرورات فثبت انه صلى الله عليه وسلم ربما دخل في الصلوة يريد

المعصوم

اطالتها فيسمع بكاء الصبي وامه من المقتدين به فيخفف مخافة ان يشق على امه
وغضب على معاذ غضبا شديدا حين طول بهم العشاء وعين له سورة والشمس وضحاها
وسبح اسم ربك الاعلى والليل اذا يغشى وقال اذا ام احدكم الناس فليخفف فان
فيهم الصغير والكبير والمريض وذا الحاجة واذا صلى وحده فليصل كيف شاء
وثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يطول في الاولى ما لا يطول في الثانية ويبالغ في
الاسرار في موضعه حتى لا يعلمون قراءته الا باضطراب لحيته وربما اسمعهم الآية
احيانا وكره صلى الله عليه وسلم للمأمومين الجهر بالقراءة خلف امامهم فثبت

في الصحيح

رحل

في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر او العصر فلما سلم قال ايكم قرأ خلفي بسبح
اسم ربك الاعلى فقال بعضهم انا ولم ارد بها الا الخير قال قد علمت ان بعضكم خالجنيها اي
نازعنيها لهذا الحديث قال العلماء تستحب السورة التي بعد الفاتحة للمأموم كما تستحب
للامام والمنفرد لان النبي صلى الله عليه وسلم انكر عليه في رفع صوته لا في اصل
القراءة وهذا كله فيما يسر به الامام اما ما يجهر به فلا يزيد المأموم فيه على الفاتحة
فان لم يسمع قراءة الامام او سمع همهمة استحب له السورة بحيث لا يشوش فلان لم
يشوش على غيره واعتاد كثير من الناس من الموسوسين وغيرهم الجهر بالقراءة وغيرها
خلف الامام والتشويش على من يقرب بهم من المصلين وهي عادة سيئة وربما علم بعضهم
النهي عن ذلك فلم ينته فيصير علمه حجة عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم علم لا يعمل به
ككنز لا ينفق منه اتعب صاحبه نفسه في جمعه ثم لم يصل الى نفعه **فصل** وثبت
انه صلى الله عليه وسلم كان يسكت بعد الفراغ من القراءة سكتة لطيفة
يفصل بها بين القراءة وتكبيرة الهوي الى الركوع ثم يكبر رافعا يديه كاحرامه ثم
يركع فيضع كفيه على ركبتيه ويفرق بين اصابعه ويجافي مرفقيه عن جنبيه
ويسوي ظهره ورأسه من غير ترفيع ولا تنكيس ولا ينصب ساقيه ولا يثني ركبتيه
ثم يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا فقد جاء في كتب السيرة انه صلى الله عليه وسلم
قال اذا قال احدكم سبحان ربي العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه وسجوده سبوح قدوس
رب الملائكة والروح وثبت في غيره باسانيد صحيحة عن عوف بن مالك رضي الله عنه
قال قمت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة
الا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول
في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة واذكار الركوع
واسعة وذهب الامام احمد بن حنبل وجماعة الى ان الذكر في الركوع واجب فينبغي
المحافظة عليه للخروج من الخلاف وللحديث اما الركوع فعظموا فيه الرب
واعلم ان الركوع تمام الصلوة وبادراكه تدرك الركعة وبفواته تفوت ولهذا
قال العلماء يستحب للامام اذا احس بداخل وهو راكع ان ينتظره ويمكث حتى يعلم منه
الاحرام والركوع والطمأنينة ولا ينتظره فيما بعده من الاركان الا في التشهد
الاخير فانه يستفاد بادراكه صلوة الجماعة **فصل** كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حال رفعه من الركوع يقول سمع الله لمن حمده ويرفع يديه كما يرفعهما
للاحرام فاذا استوى قائما قال ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا فيه ملء السموات
وملء الارض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد وورد عنه صلى الله عليه وسلم
في الاعتدال عن الركوع اذكار كثيرة وهذا اقل ما يقتصر عليه قال النووي رحمه
الله تعالى فان بالغ في الاقتصار اقتصر على سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فلا اقل من ذلك

واعلم انه قد صحح كثيرون من اصحابنا ان الاعتدال ركن قصير وهو خلاف المنقول
فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال
سمع الله لمن حمده قام حتى يقول القايل قد اوهم وصحح النووي في التحقيق انه ركن
طويل واعلم ان رفع اليدين عند الركوع والرفع منه سنة ثابتة رواها العدد
الكثير من الصحابة منهم العشرة المبشرة ورواها عنهم الجم الغفير من التابعين
ومع ذلك فقل من يستعملها ويواظب عليها والله المستعان واختلفت عبارات العلماء
في الحكمة في رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وما بعدها واحسنها ما روي عن
الشافعي رحمه الله انه قال فعلته اعظاما لله تعالى واتباعا لسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم **فصل** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من اذكار الاعتدال
هوى ساجدا مكبرا فيضع ركبتيه اولا ثم يديه وربما وضع يديه اولا رواه البخاري
معلقا موقوفا على ابن عمر ورواه ابن خزيمة والبيهقي موصولا مرفوعا وهو اليسر
استعمالا والبر حالا ثم يضع جبهته وانفه وكان يضع يديه حذو منكبيه مضموم
الاصابع بخلاف الركوع وصح انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سجد خوى وفي رواية
جخى وفي رواية فرج بين يديه حتى يرى بياض ابطه وفي رواية حتى لو شاءت بهيمة
ان تمر لمرت ولهذا قال العلماء يسن للمصلي ان يفرق بين ركبتيه ويجافي مرفقيه عن جنبيه
وبطنه عن فخذيه قالوا والحكمة فيه انه اشبه بالتواضع وابعد من هيئات الكسالى
وابلغ في تمكين الجبهة والانف وينبغي للمتصف بالسنة ان يحرص على سنة المجافاة ويحمل
نفسه على فعلها حتى يعتادها فانها بغير مشقة فليس في سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم مشقة الا استعمالها والله الموفق **فصل** ثبت في الصحيحين عن عبد الله
بن يزيد الخطمي قال حدثنا البراء وهو غير كذوب قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده لم يحن احد منا ظهره حتى يقع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ساجدا ثم نقع سجودا بعده ففيه دليل طول الطمانينة وتاخر افعالهم عن
فعله صلى الله عليه وسلم واذا ركع كان كذلك دليل على ذلك والله اعلم **فصل** اعلم
انه ورد في فضل السجود احاديث كثيرة واختلف العلماء فيه وفي القيام في الصلوة ايهما
افضل وقال احمد بن حنبل رحمه الله ورد فيه حديثان ولم يقض فيه بشيء اما اذكاره
فوردت فيه احاديث كثيرة وادنى الكمال من ذلك سبحان ربي الاعلى ثلاثا وثبت
في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
فتحسست فاذا هو راكع او ساجد يقول سبحانك وبحمدك لا اله الا انت وفي رواية
فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ
برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك قال الخطابي وفيه معنى لطيف وذلك انه استعاذ بالله

والله اعلم

ونسأله

ونسأله ان يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضا والسخط ضدان متقابلان
وكذلك المعافاة والمعاقبة فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه استعاذ به
منه لا غير وله شرح طويل واعلم ان ركن السجود للاغلب الدعاء كما ان ركن الركوع لتعظيم
الرب والله سبحانه اعلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال امر النبي صلى الله عليه
وسلم ان يسجد على سبعة ونهي ان يكف شعره او ثيابه وفيه ايضا عنه انه راى عبد الله بن الحرث
يصلي وراسه معقوص من ورائه فقام فجعل يحله فلما انصرف اقبل الى ابن عباس فقال ما لك
وراسي فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما مثل هذا مثل الذي يصلي
وهو مكتوف فانظر الى قوة ايمان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغيرهم وانكارهم
لما راوه مخالفا لهديه ومنا لعنهم مرة بالقول ومرة بالفعل بحسب الحال والمقدرة رضي
الله عنهم ونفعنا بهم **فصل** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من
السجود رفع مكبرا حتى يستوي جالسا ويفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى وربما
جلس مقعيا فجعل اليتيه على عقبيه وكل سنة وكان يجعل يديه بقرب ركبتيه
منشورتين ثم يقول رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني وعافني
واعلم ان الجلوس بين السجدتين ركن طويل مقصود ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
تطويله نحو الركوع والسجود وفي حديث انه كان يطوله حتى يظن انه نسي ولهذا
اختار المحدثون من الفقهاء تطويله والله اعلم **فصل** ولم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقوم بعد السجدة الثانية حتى يستوي جالسا والفقهاء يسمونها
جلسة الاستراحة وجعلها بعضهم مسنونة وحملها بعضهم على الحاجة ومعناه انها لا تسن
في حق من لم يحتج اليها والصواب الاول فقد ثبت في صحيح البخاري عن مالك بن الحويرث
انه راى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا كان في وتر من صلوته لم ينهض حتى يستوي
قاعدا وقد قال صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتموني اصلي قال في التتمة ويكون جلوسه
فيها بقدر الجلوس بين السجدتين والصواب دون ذلك فقد قالوا الصحيح انه يمد التكبير
في الرفع من السجود الى ان يستوي قايما ولا يتصور ذلك مع التطويل قالوا ويسن فيها
الافتراش لانها جلسة استيفاز والله اعلم **فصل** وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا قام من السجدة الثانية ومن كل جلوس في الصلوة اعتمد على يديه
قال العلماء وكيفيته ان يجعل بطونهما على الارض فاذا استوى قايما شرع في القراءة
وكان يصلي الثانية كالاولى الا ان الاولى تختص بتكبيرة الاحرام ودعاء الاستفتاح
وزيادة في تطويل القراءة والله اعلم **فصل** وثبت انه صلى الله عليه وسلم
كان يفترش في التشهد الاول ويخففه حتى ورد في حديث انه كان اذا جلس فيه كانما
يجلس على الرضف فاذا قام منه قام مكبرا رافعا يديه ويمد التكبير الى ان يستوي
قايما ورفع اليدين هنا وان لم يقل به اكثر الفقهاء فقد ثبت انه سنة وصح في صحيح

البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله وهو الموضع الرابع من مواضع الرفع في هذه المواضع ورد فيه على منكريه وذكر انه رواه سبعة عشر صحابيا وانه لم يثبت عن احد من الصحابة عدم الرفع وقد سبق نحو ذلك قريبا والله اعلم **فصل** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتصر على الفاتحة في الثالثة والرابعة وقد يقرا فيهما سورة مختصرة على سبيل الندور وثبت فيه حديث في صحيح مسلم والله اعلم **فصل** ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يكبر في كل خفض ورفع في الصلوة الا الرفع من الركوع وجملة التكبيرات في صلوة الصبح احدى عشرة وفي المغرب سبع عشرة وفي الرباعيات اثنان وعشرون والسنة ان يجهر الامام بجميع التكبيرات بحيث يسمعه المامومون ويسر الماموم بحيث يسمع نفسه والسنة في جميعها المد ومحله بعد اللام من الله ويبالغ في المد الى ان يصل الى الركن الذي بعده لئلا تخلو جزء من صلاته عن الذكر واما تكبيرة الاحرام فلا يمدها ولا يمطط بل يقولها مدرجة مسرعا والله اعلم **فصل** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتورك في التشهد الاخير بخلاف ساير الجلسات قبله وسببه انه جلوس لا يعقبه حركة ولا قيام بل يسن بعده المكث للتسبيحات والدعاء الحاضرين والانصراف للنسوة ونحو ذلك واتفق الائمة الاربعة في صفة جلوسه صلى الله عليه وسلم في التشهدين على اربعة اقوال المختار منها ما قررناه انه صلى الله عليه وسلم كان يفترش في الاول ويتورك في الثاني وهو الموافق للاحاديث الصحيحة والمذهب الشافعي رحمه الله تعالى وثبت انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلثة وخمسين واشار بالسبابة رواه مسلم وصفة هذا العقد عند الحساب ان يقبض اصابع يمناه ما عدا المسبحة ويجعل الابهام تحت المسبحة وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم عقد في جلوسه للتشهد الخنصر والبنصر وحلق الوسطى بالابهام واشار بالسبابة ورواه ابن حبان نحوه **فصل** وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في لفظ التشهد احاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما وافضلها عند الشافعي رحمه الله تعالى حديث ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه التحيات المباركات الصلوات الطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال الرافعي والمنقول عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في تشهده واني رسول الله ذكره في كتاب الاذان واختلف العلماء في وجوب التشهدين فقال جمهور المحدثين هما واجبان لان النبي صلى الله عليه وسلم حافظ عليهما وقد قال صلوا كما رايتموني اصلي وقال ابو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء هما سنتان ومذهب الشافعي ان الاول سنة والثاني واجب وهو اقواها دليلا لان النبي صلى الله عليه وسلم قام عنه في بعض صلواته ولم يعد اليه وجبره لسهو بسجود السهو

واما الصلوة

واما الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير فاوجبها الشافعي واحمد واسحق وبعض اصحاب مالك وخالفهم الجمهور فجعلوها سنة وقد تتبعت دليل الوجوب فلم يظهر لي كل الظهور وجميع روايات التشهد خالية عن ذكرها والله اعلم ولا يجب في الاول بلا خلاف اما الدعاء بعد التشهد فثبت كونه سنة بالاحاديث الصحيحة الصريحة وهو السابع من المواطن التي يسن فيها الدعاء في الصلوة ويكون الدعاء فيه بامور الاخرة والدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم حين علمهم التشهد ثم ليتخير من الدعاء اعجبه اليه وفي رواية ما شاء ومن الماثور اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما اسرفت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت رواه مسلم ومنه اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم اني اعوذ بك من الماثم والمغرم رواه الشيخان وفي سنن ابي داود باسناد صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف تقول في الصلوة قال اتشهد واقول اللهم اني اسالك الجنة واعوذ بك من النار اما اني لا احسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال النبي صلى الله عليه وسلم حولها ندندن قال العلماء وهذا كله في التشهد الاخير اما الاول فيكره فيه الدعاء لانه مبني على التخفيف قالوا ويسن ان لا يزيد الدعاء على قدر التشهد والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم **فصل** ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد السلام عليكم ورحمة الله مرتين يلتفت في الاولى على جانبه الايمن حتى يرى خده الايمن وكذا في الجانب الايسر وبه يخرج من الصلوة وعلى هذا الامر واستمر عمله حتى توفاه الله ورواه عنه العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم وعليه واطبقوا ثم ان مذهب الشافعي انه لا يجب الا تسليمة واحدة والثانية سنة وعنده ايضا ان الالتفات الى الجانبين مسنون غير واجب وقال مالك واخرون يسن تسليمة واحدة وقال ابو حنيفة لا يجب السلام وعنده يحصل التحلل من الصلوة بكل شيء ينافيها وينبغي الاحتياط واستعمال السلام مرتين والالتفات فيهما الى الجانبين فهو المنقول عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم دواما فقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال صلوا كما رايتموني اصلي وقال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقال صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها السلام والله اعلم **فصل** المسلم
جميع الادعية المروية عنه صلى الله عليه وسلم في نفس الصلوة رويت بلفظ التوحيد قال شيخ شيوخنا القاضي مجد الدين الشيرازي رحمه الله فان قيل ورد انه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل ذلك فقد خانهم ثم نقل عن ابن خزيمة انه قال هذا الحديث موضوع قال بعض العلماء ان ثبت هذا الحديث فيكون المراد به دعاء ورد بلفظ الجمع قلت وظهر لي ان كل دعاء يدعو به الامام

ويدعو المأموم بمثله يكون بلفظ الإفراد فإن انفرد وكل دعاء يؤمن فيه المأموم لدعاء
امامه يكون بلفظ الجمع فإن افرد وقع في النهي وهذا أولى مما ذكره القاضي لأن
الحديث الذي نقل عن ابن خزيمة وضعفه خرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن
فصل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يسهو في صلاته بزيادة أو نقص
ولا يمنعه من البناء ما فعله على وجه السهو فثبت في حديث ذي اليدين أنه صلى الله
عليه وسلم سلم في الرباعية من اثنتين ومشى إلى الجذع فخرج السرعان ودخل منزله
وخرج فلما ذكر رجع وبنى على صلاته وأتمها قال النووي عند الكلام على هذا
الحديث والمشهور في المذهب يعني مذهب الشافعي أن الصلوة تبطل بذلك وقال هذا
مشكل وتأويل الحديث صعب على من أبطلها والله أعلم **فصل** كان صلى الله عليه
وسلم إذا سلم يستغفر ثلثا ويقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت
يا ذا الجلال والإكرام وكان يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد
منك الجد وقال من سبح الله دبر كل صلوة ثلاثا وثلثين وحمد الله ثلثا وثلثين
وكبر الله ثلثا وثلثين وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد
إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وكان يتعوذ دبر الصلوات بهؤلاء
الكلمات اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ
بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر كل هذه الأحاديث مروية في
الصحيحين أو في أحدهما فينبغي الاعتماد عليها وأجلها حديث التسبيح ثلثا وثلثين
لكونه ورد في الصحيحين من طرق عديدة بوعود مختلفة وأحاديث هذا الباب
واسعة ليس هذا موضع بسطها والله أعلم ويستحب الدعاء عقيب الصلوة لما روي
عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الدعاء أسمع
قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات قال الترمذي حديث حسن
وروى معاذ بن جبل قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وقال يا معاذ
والله إني لأحبك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلوة اللهم أعني على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك رواه الترمذي بإسناد صحيح قال المؤلف كان الله له وهذا ما
يسر الله ذكره من شرح صلوة الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الاختصار
وإلا فهي تحتمل مجلدا ضخما بل مجلدات والذي قصدناه التعريف بالعادات
النبوية في الصلوات وما أهمل الناس فيها من السنن المأثورات **فصل**
أذكر فيه أنواعا من الصلوات وأقدم عليه ذكر شيء من رواتب المكتوبات
فمنه ما اتفق عليه الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد المغرب
حفيفتين قبل الفجر وركعتين قبل الظهر وكذا بعدها وركعتين بعد المغرب

والعشاء

والعشاء والجمعة وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان
لا يدع أربعا قبل الظهر وروي عنها أنه كان يصليهن في بيته وروى الترمذي
أنه صلى الله عليه وسلم كان يصليهن وقال إنها ساعة تفتح فيها أبواب السموات وإنا
أحب أن يصعد لي فيها عمل صالح وروى غيره أنهن يعدلن بصلاة السحر وأنهن ليس
بينهن تسليم وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها
حرمه الله على النار رواه الترمذي والحاكم وصححه وروى الترمذي وحسنه
أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعا قبل الظهر يفصل بينهما بالتسليم وروى هو
وأبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا حسنه
الترمذي وصححه ابن حبان وسكت عنه أبو داود وحض صلى الله عليه وسلم على ركعتين
قبل المغرب فروى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال صلوا قبل صلوة المغرب قالها ثلثا
وقال في الثالثة لمن شاء كراهة أن يتخذها الناس سنة قال المحدثون المراد
بالسنة هنا الطريقة اللازمة لا المعنى المصطلح عليه رواه أبو داود ولفظه صلوا قبل
المغرب ركعتين وفي الصحيحين أن كبار الصحابة كانوا يبتدرون السواري لهما إذا
أذن المغرب وفي رواية لمسلم حتى أن الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلوة قد
صليت من كثرة من يصليها وفيها أيضا حديث بين كل أذانين صلوة وهو
ثابت في الصحيحين وهو دليل أيضا على استحباب ركعتين قبل العشاء وبين يدي كل
صلوة مكتوبة قال العلماء شرطهما أن لا يصليا بعد شروع المؤذن في الإقامة ولا يفوتا
فضيلة تحرم الإمام قلت تسن المواظبة على ما ذكرنا أولا مما اتفق عليه الصحيحان
فهو الموافق لقوله صلى الله عليه وسلم من صلى ثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بنى له
بهن بيت في الجنة رواه مسلم وفي رواية له أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وبعد
المغرب وبعد العشاء وقبل صلوة الصبح وأخرج ركعتي الجمعة وهو موافق لهذا
العدد أيضا والله أعلم ومنه الوتر وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم عليه فقال
إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا يا أهل القرآن وقال إن الله قد أمركم بصلوة
هي خير لكم من حمر النعم وهي الوتر فجعلها بين العشاء إلى طلوع الفجر رواهما
أبو داود والترمذي واختلف عادات النبي صلى الله عليه وسلم في وقته فروت عائشة
رضي الله عنها قالت من كل الليل قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل
ومن أوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر متفق عليه وعن جابر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله
ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل فإن صلوة آخر الليل مشهودة وذلك
أفضل رواه مسلم واختلف العلماء في عدده بحسب اختلاف الروايات من ركعة إلى ثلث عشرة
وغالب الأحوال ثلث وعليه العمل أكثر واختلفوا هل الوتر التهجد الذي أمر الله

ماسدم

بنيّة به ام هو غيره والصواب انه غيره وانما للثلاث مهما سمي احدهما باسم الاخر توسعا
واطلق على ذلك اكثر الروايات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما فصله
وربما وصله والفصل اكثر ومذهب الشافعي ان افضل الروايات الوتر ثم ركعتا الفجر
وقد قال بعض العلماء بوجوبهما وثبت في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
افضل الصلوة بعد المكتوبة صلوة الليل فايده يشرع القنوت في الفجر والوتر وفي سائر
المكتوبات للنازلة ومحله قبل الركوع عند مالك وبعده عند الشافعي ولكليهما
حجة ثابتة في الصحيحين وقد اختار بعض المحدثين ان يقنت في الفجر بعد الركوع وفي الوتر
قبله عملا بالامرين ثم ان مذهب الشافعي انه لا يندب في الوتر الا في النصف الثاني
من رمضان والمختار استمراره في جميع السنة لاطلاق حديث الحسن بن علي عن جده
صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه الحافظ بالاسناد الصحيح عن الحسن بن علي رضي الله
عنهما قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني
فيمن هديت وذكر الحديث قال الترمذي ولا نعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم
في القنوت شيئا احسن من هذا قال محمد بن الحنفية وهو الذي كان ابي يدعو به
في صلوة الفجر فايدة اخرى روى ابو داود وغيره باسناد صحيح ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يقول بعد الوتر ثلاث مرات سبحان الملك القدوس ويرفع صوته
بالثالثة واذ قد فرغنا من المكتوبات ورواتبها فلنشرع الان في ذكر الصلوات
المتفرقات التي وعدنا بذكرها واولاهن بالذكر اولا الجمعة وقد امر الله بها
وحض النبي صلى الله عليه وسلم على فعلها واوعد العقوبة على تركها واطنب في وصف
يومها عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ
فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينها وبين الجمعة الاخرى
وزيادة ثلثة ايام ومن مس الحصا فقد لغا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن
اذا اجتنب الكباير وعنه وعن ابن عمر انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول على اعواد منبره لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم
ثم ليكونن من الغافلين وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم
طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج
منها وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة
لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسئل الله تعالى شيئا الا اعطاه الله اياه
واشار بيده يقللها روى جميعها مسلم والاحاديث في هذا المعنى كثيرة معلومة
وبالجملة هو يوم عظيم مشتمل على فوايد وخصايص لا توجد في غيره ذكر بعضهم
في خواصه اثنين وثلثين خاصية واختلف العلماء فيه وفي يوم عرفة ايهما افضل

وذلك

بنالو

وذلك فيمن قال لزوجته انت طالق في افضل الايام واختلفوا ايضا في تعيين ساعة الاجابة
فيه على احد عشر قولا ارجحها ما ثبت في صحيح مسلم انها ما بين ان يجلس على المنبر الى ان تقضى
الصلوة ويتلوه في الرجحان ما ثبت في حديث اخر صحيح انها بعد صلوة العصر وانها اخر
ساعة من النهار وعلى هذا اكثر الصحابة والتابعين والله اعلم فايدة حصر الشيخ
الامام الحافظ ابو الخير الجزري رحمه الله في كتابه العدة اوقات الاجابة واحوالها
واماكنها فقال ليلة عرفة ويوم عرفة وليلة القدر وشهر رمضان وليلة الجمعة ويوم
الجمعة وساعة الجمعة وهي ما بين ان يجلس الامام على المنبر الى انقضاء الصلوة وقال
والاقرب انها عند قراءته الفاتحة حتى يؤمن وجوف الليل ونصفه الثاني وثلثه الاول
وثلثه الاخر ووقت السحر وعند النداء بالصلوة وبين الاذان والاقامة وبعد الحيعلتين
للمغوث المكروب وعند الاقامة وعند الصف في سبيل الله وعند التحام القتال ودبر
الصلوات المكتوبات وفي السجود وعقب تلاوة القران لا سيما الختم وعند قول الامام
ولا الضالين وعند شرب ماء زمزم وصياح الديكة واجتماع المسلمين في مجالس
الذكر وعند تغميض الميت وعند نزول الغيث وبين جلالتي سورة الانعام وعند
روية الكعبة وفي المساجد الثلثة وفي الطواف وعند الملتزم وفي داخل البيت وعند
زمزم وخلف المقام وفي عرفات والمزدلفة ومنى وعند الجمرات الثلث وعند قبور الانبياء
ولا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقط بالاجماع وقبر
ابرهيم داخل السور من غير تعيين قال وجرب استجابة الدعاء عند قبور الصالحين بشروط
معروفة فرع وقت الجمعة وقت الظهر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبكر
في الخروج اليها وكان خروجه متصلا بالزوال وذلك بعد انقضاء الساعة السادسة
وحض على التبكير فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل
يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح
في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا
اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة
الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملئكة يستمعون الذكر
خرجه البخاري ومسلم قال مالك رحمه الله وبعض ايمة الشافعية المراد بالساعات
هنا لحظات لطيفة بعد الزوال ومذهب الجمهور انها من اول النهار وانها من طلوع الفجر
لا من طلوع الشمس وفي هذا الحديث تاكيد غسل الجمعة وانه يعم الراس وجميع
البدن كغسل الجنابة وقد اوجبه بعض الصحابة وكثيرون من السلف ومذهب
الجمهور انه سنة موكدة ولكلا المذهبين دليل ظاهر من الحديث والله اعلم ثم
اختلف العلماء في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وابن تقام على اقوال كثيرة منتشرة
غاية الانتشار مع اتفاقهم انها لا تصح الا في جماعة وبلد جامع قال ابن الصلاح وغيره

وعند الصفا والمروة

عليه الصلوة والسلام

من ايمة المحدثين لم يثبت في تقدير عدد الجمعة خبر ثابت وافتى كثيرون من
متاخري اصحاب الشافعي بانها تنعقد بدون الاربعين وهو قول للشافعي واختار جماعة منهم
ان تصلى جمعة ثم تعاد ظهرا وهو النهاية في الاحتياط والله اعلم فايده يستحب قراة
سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها وكثرة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيهما
وان يقول قبل صلوة الغداة في يومها استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب
اليه ثلث مرات وان يجتهد في الدعاء في جميع يومها رجا مصادفة ساعة الاجابة
ويقرا بعد صلوتها الفاتحة وقل هو الله احد والمعوذتين سبعا سبعا وقد جاء في جميع
ذلك احاديث نبوية تركتها اختصارا والله اعلم صلوة الجماعة اعلم ان صلوة
الجماعة سنة موكدة وقيل فرض كفاية للرجال وسنة للنساء وقيل فرض عين
وهذان الاخيران قويان من حيث الدليل وعلى كل حال لا رخصة في تركها الا
بالاعذار التي ترخص في ترك الجمعة دليله ما رويناه في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل اعمى فقال يا رسول الله ليس لي قايد
يقودني الى المسجد فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرخص له فيصلي في بيته
فرخص له فلما ولى دعاه فقال له هل تسمع النداء فقال نعم قال فاجب وروى ابو داود
باسناد حسن ان ابن ام مكتوم الاعمى قال يا رسول الله ان المدينة كثيرة الهوام
والسباع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمع حي على الصلوة حي على الفلاح فحي هلا
وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لقد هممت ان امر بحطب فيحطب ثم امر بالصلوة فيوذن لها ثم امر رجلا
فيوم الناس ثم اخالف الى رجال فاحرق عليهم بيوتهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قال من سره ان يلقى الله تعالى غدا مسلما فليحافظ على هولاء الصلوات حيث ينادى بهن
فان الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى ولو انكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا
المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رايتنا
وما يتخلف عنها وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يوتى به
يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف رواه مسلم وفي رواية عنه ايضا قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى وان من سنن الهدى الصلوة في المسجد
الذي يوذن فيه وعن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما
من ثلثة في قرية ولا بلدة لا تقام فيهم الصلوة الا قد استحوذ عليهم الشيطان
فعليكم بالجماعة فانما ياكل الذيب القاصية من الغنم رواه ابو داود والنسائي
باسناد حسن وكل هذه الاحاديث في الصحيح وما يقاربه وكلها تدل على الحرج
والضيق وعدم الرخصة هذا وقد ورد في فضلها احاديث كثيرة بوعود جليلة وفي
صلوة الصبح والعشاء زيادة تخصيص من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء

في جماعة

في جماعة فكانما صلى الليل كله رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليس صلوة اثقل على المنافقين من صلوة العشاء والفجر والعشاء ولو
يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا متفق عليه صلوة الليل قال الله تعالى ومن الليل
فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون وقال تعالى والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال صلى
الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم
ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم من صلى في ليلة بماية
اية لم يكتب من الغافلين ومن صلى في ليلة بالفي اية فانه يكتب من القانتين المخلصين
رواهما الحاكم وقال الاول على شرط البخاري والثاني على شرط مسلم والايات
والاحاديث في هذا المعنى كثيرة معلومة في الصحيحين وغيرهما ولنشرع الان في
ذكر بيان وقته وعدده والمتلو فيه مع فوايد تتعلق بذلك كثيرة اما الوقت ففي
الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت من كل الليل قد اوتر رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اول الليل ومن اوسطه وفي اخره وانتهى وتره الى السحر وقد سبق ذلك
قريبا وموضع الدلالة منه ان وتره صلى الله عليه وسلم كان متلوا لتهجده وافضل
الاجزاء الليلية لذلك السدس الرابع والخامس باعتبار قسمة الليل ستة اجزاء لقوله
صلى الله عليه وسلم احب الصلوة الى الله صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه رواه الشيخان واما العدد فاختلفت الروايات عنه صلى الله عليه
وسلم واختلافها يدل على تغاير احواله صلى الله عليه وسلم وذلك بحسب اختلاف
الاوقات والاحوال واغلب العادات النبوية في ذلك ما رويناه في الصحيحين عن عايشة
رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا غيره
على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلثا فقلت
يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وورد كثير
من الروايات ثلث عشرة واكثر الروايات عن عايشة خمس عشرة وقد كان للسلف
عادات في التهجد منهم من كان ورده مائة ركعة واخرون الف ركعة ومنهم
من قدره بقوته فلا يزال يتهجد حتى يعجز فياتي فراشه حبوا ذكره ابن خليل في التحفة
قلت وهذا الاخير مذموم شرعا قد ورد في جملة من الاحاديث النهي عنه وتخطية
فاعله فينبغي للانسان ان ياخذ نفسه بالتدريج اولا بركعتين فقد ورد في الحديث
انهما خير من الدنيا وما فيها ثم يدرجها في العمل حتى ينتهي الى احدى عشرة او عدد
يقدر عليه لعارض اصبح مهموما عليه وتدارك قضاه في النهار فقد روينا في صحيح
مسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فاتته الصلوة

من الليل من وجع وغيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه او عن شيء منه فقراه فيما بين
صلوة الفجر وصلاة الظهر كتب له كانما قراه من الليل رواه مسلم فينبغي للانسان ان لا
يهمل حظه من الليل ولو بركعتين فقد سبق قريبا ما ورد فيهما ومن لم يدرك الخير كله
فلا يتركه كله والقليل يجر الكثير والله ولي التوفيق وليحذر كل الحذر ان
يستحكم على راسه عقد الشيطان ويبول في اذنه فيمضي عليه كل الليل بفوايده العظيمة
وخيراته العميمة ويصبح فقيرا منها خبيث النفس كسلان لا ينشط الى خير ولا ينكف
عن شر روينا في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يعقد الشيطان على قافية راس احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب على كل عقدة
مكانها عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان
توضا انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فاصبح نشطا طيب النفس والا اصبح خبيث
النفس كسلان وروينا فيهما ايضا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ذكر عند النبي
صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى اصبح فقال ذلك رجل بال الشيطان في اذنيه

واذنه

وليحذر كل الحذر ايضا من ترك تهجد اعتاده والاعراض عنه بالكلية فيكون اسوا
حالا ممن لم يتهجد راسا وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من الحور بعد الكور
وهو النقص بعد الزيادة والرجوع من حال سني الى حال دني اعوذ بالله من ذلك
وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل
فترك قيام الليل متفق عليه واما ما يقرا في صلوة الليل فقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتهجد بالقران ترتيلا فيقصر ويطيل ويجهر ويخفي ويراعي
في كل وقت ما يناسبه واطول ما ورد في ذلك ما رويناه في صحيح مسلم عن حذيفة
رضي الله عنه قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فافتتح البقرة فقلت يقف عند
المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقراها ثم
افتتح ال عمران فقراها يقرا مترسلا اذا مر باية فيها تسبيح سبح واذا مر بسوال
سال واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم وكان ركوعه
نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ثم قام طويلا قريبا مما ركع
ثم سجد فقال سبحان ربي الاعلى وكان سجوده قريبا من قيامه قال الامام محيي
الدين النووي رحمه الله واما الذين ختموا القران في ركعة فلا يحصون لكثرتهم
فمنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير قلت واستمر فعل كثير من السلف
والخلف على سبع القران في كل ليلة في ركعات التهجد واحسن ما يمكن الدوام عليه
بغير ملل ولا اخلال ويطيقه كل احد في عموم الاحوال اعتياد ختمتين في كل شهر
احداهما في صلوة الليل لكل جزء والاخرى خارج الصلوة والله ولي التوفيق

هذا

هذا في حق من يحفظ القران واما غيره فيقرا من السور القصار بما امكنه واحسن الاوراد
له قراءة قل هو الله احد في كل ركعة ثلثا فقد ورد في الصحاح ان من قراها ثلثا كانما
قرا القران كله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما قرا السورة في ركعة
واقتصر عليها وربما قرا سورتين او اكثر في ركعة كما في حديث حذيفة السابق وحديث
ابي لاعرف النظاير التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين
من المفصل في عشر ركعات وكان ربما غشيه البكاء في تهجده وخنقته العبرة وقام
ليلة حتى اصبح بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
وروي مثل ذلك عن عمر رضي الله عنه انه صلى بالناس صلوة الصبح فلما اتى على قوله
تعالى انما اشكو بثي وحزني الى الله خنقته العبرة وبكا حتى سمع نشيجه المامومون
وقام تميم الداري بقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
امنوا وعملوا الصالحات وقام سعيد بن جبير بقوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون
وقام النووي بقوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون وهذا على ما يظهر لهم بدقائق الافكار
من لطايف المعارف وعجايب الاسرار وقال السيد الجليل ابرهيم الخواص رضي الله عنه
ونفع به دواء القلب خمسة اشياء قراءة القران بالتدبر وخلا البطن وقيام الليل
والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين تنبيه قال العلماء يكره قيام كل الليل خشية
ان يمل وينقطع عنه كله روينا في الصحيحين عن عايشة عبد الله بن عمرو رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الم اخبر انك تصوم النهار وتقوم
الليل فقلت بلى يا رسول الله قال فلا تفعل صم وافطر وقم ونم وذكر الحديث
قالوا ويكره تخصيص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي لما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين
الليالي ولا تخصوا يومها بصيام من بين الايام الا ان يكون في صوم يصومه احدكم
قال الامام القطب محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في شرحه لمسلم عند الكلام
على هذا الحديث احتج به العلماء على كراهة هذه الصلوة المبتدعة التي تسمى الرغايب
قاتل الله واضعها ومخترعها فانها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالة وجهالة وفيها
منكرات ظاهرة وقد صنف جماعة من الايمة مصنفات نفيسة في تقبيحها وتضليل
مصليها ومبتدعها ودلايل قبحها وبطلانها وتضليل فاعلها اكثر من ان تحصر هذا
كلامه بحروفه وله عليها في فتاويه كلام طويل قلت اشتد نزاع العلماء في هذه
الصلوة وصلوة ليلة النصف من شعبان وطريقة الانصاف البعيدة عن الاعتساف
ان يجتنب صلوة الرغايب لمصادمتها هذا الحديث الصحيح الذي لا محيص عنه ولا يعدله
الاحاديث يقاومه في الصحة ولا سبيل اليه فقد نص جهابذة المحدثين اهل النقد والصناعة
في هذا الفن ان الحديث المذكور فيها باطل موضوع لا اصل له وانها لم تحدث

الا في اخر القرن الخامس ببيت المقدس واهل كل فن يسلم لهم في فنهم وان شاركهم
غيرهم فاذا تحققت ذلك فلا تلتفت على من صلاها او ذكرها فان القدوة لا تتم الا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وكل احد يوخذ من قوله ويترك غيره صلى الله عليه
وسلم ومايومن ان يحرص الانسان على طاعة فيقع في خلاف سنة فلا يقاوم احداهما الاخرى
وقد قدمنا عن سعيد بن المسيب انه قيل له يا ابا محمد يعذبني الله على الصلوة قال لا ولكن
يعذبك الله بخلاف السنة فاذا تحققت ذلك فاختر لنفسك ما يترجح لك فيه النجاة
والسلامة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل واما صلوة النصف من شعبان فلا يتعلق
فعلها بما ثم لخلوها عن النهي والاولى لمن رغب فيها ان يصليها منفردا الان مثل هذا الشعار
الظاهر لا يقوم الا بدليل ظاهر والله اعلم بالصواب صلوة التراويح وقيام رمضان
اعلم ان قيام رمضان سنة بالاجماع والعشر الاواخر منه زيادة تخصيص روينا في
الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وروينا فيهما ايضا عن عايشة
رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان
احيى الليل وايقظ اهله وشد الميزر واما اصل استحبابها على هذا الوجه الذي يفعله الناس
اليوم فانه ورد في الصحاح انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم في رمضان ليالي في المسجد
وكانوا في كل ليلة يتزايد جمعهم فلما راى ذلك صلى الله عليه وسلم ابا ان يخرج اليهم
وصلى بقية الشهر في بيته واعتذر اليهم فقال اني خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا
عنها وقال في صحيح البخاري فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك ثم
كان الامر على ذلك في خلافة ابي بكر وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنهما ومعناه
استمر الامر في هذه المدة على ان كل واحد يقوم رمضان في بيته منفردا حتى انقضى
صدر من خلافة عمر ثم جمعهم عمر على ابي بن كعب فاستقر الامر على ذلك والصحابة
متوافرون من غير انكار من احد منهم ثم ان مذهب الشافعي والجمهور استحبابها
جماعة وقال مالك وابو يوسف وبعض اصحاب الشافعي الافضل فرادى في البيت
والصواب الاول لما ذكرناه من فعل عمر واجماع الصحابة وقد قال صلى الله عليه وسلم
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وقال اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم واما عددها وتسميتها بالتراويح فروى البيهقي بالاسناد الصحيح عن فعل
عمر والصحابة وتسمى كل تسليمتين منها ترويحة لانهم كانوا اذا صلوا تسليمتين استراحوا
ساعة قال الحليمي في منهاجه ما حاصله ان الافضل في وقتها بعد مضي ربع الليل فصاعدا
سوا اخر العشاء اليها او صلاها ثم نام قال فاما اقامة العشاء الاول وقتها ووصل القيام
بها فذلك من بدع الكسالى والمترفين وليس من القيام المسنون في شي قال اصحابنا
ولا يصح التراويح بنية مطلقة بل ينوي في كل ركعتين سنة التراويح او قيام رمضان

قال الامام

قال الامام النووي رحمه الله تعالى واما القراءة فيها فالمختار الذي قاله الاكثرون
واطبق الناس على العمل به ان يقرا الختمة بكمالها في التراويح في جميع الشهر فيقرا في كل ليلة
نحو جزء هذا كلامه قلت ومما يتعين الاعتناء به والتنبيه عليه ما اعتاده كثيرون
من ايمة المصلين بالناس التراويح من الادراج في قراءتها والتخفيف في اركانها وحذف
اذكارها وقد قال العلماء صفتها كصفة باقي الصلوات في الشروط والاداب وجميع
الاذكار كدعاء الافتتاح واذكار الاركان والدعا بعد التشهد وغير ذلك ومن ذلك
طلبهم لايات الرحمة حتى لا يركعون الا عليها وربما اداهم طلب ذلك الى تفويت امرين
مهمين من اداب الصلوة والقراءة وهما تطويل الركعة الثانية على الاولى والوقوف
على الكلام المرتبط بعضه ببعض وسبب جميع ذلك اهمال السنن واندراسها لقلة
الاستعمال حتى صار المستعمل لها مجهلا عند كثير من الناس لمخالفته ما عليه السواد
الاعظم وذلك لفساد الزمان وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون
المعروف منكرا والمنكر معروفا فعليك بلزوم السنة طالب بها نفسك وامر بها من
الماعك نتج وتسلم وتغنم قال السيد الجليل الفضيل بن عياض رضي الله عنه ونفع به
لا تستوحش طرق الهدى لقلة اهلها ولا تغتر بكثرة الهالكين صلوة الاستخارة اعلم
انه ورد في الاستخارة احاديث كثيرة واصح ما في هذا الباب ما روينا في صحيح
البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كالسورة من القران يقول اذا هم احدكم بالامر
فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك
واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وانت علام الغيوب اللهم ان كنت
تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة امري او قال عاجل امري واجله
فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به قال ويسمي حاجته
قال العلماء تحصل ركعتاها براتبة وتحية وغير ذلك والاستقلال لسبب الاستخارة
اولى يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وربك يخلق ما يشاء ويختار
الاية وبعد قل هو الله احد وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون الاية الى
ترجعون وهذا الاية به مناسبة حسنة ولو تعذرت عليه الصلوة في الحال
استخار بالدعاء ويستحب افتتاحه وختمه بالحمد لله والصلوة والسلام على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك ادب في جميع الادعية ويستحب ان يقول اللهم خر لي
واختر لي فقد روينا ذلك في حديث مرفوع في جامع الترمذي وضعفه ويقرا بعد
الصلوة والدعاء الم نشرح لك صدرك ثم يمضي بعد ذلك لما ينشرح له صدره فلا شك
ان الخير فيه وان ظهر له منه شر فلا شك ان في طيه خيرا فان الخير ما هو عند الله خير
لا يظهر للناس قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو

شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ويستحب ان يكرر الصلوة والدعاء سبع مرات فقد روينا
في كتاب ابن السني باسناد فيه مجاهيل عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا انس اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذي يسبق الى قلبك فان
الخير فيه وينبغي ان لا يترك الاستخارة في كل الامور وان كانت طاعة كالحج ونحوه
للحديث السابق ولما رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال من سعادة ابن ادم استخارة
الله ورضاه بما قضاه الله عليه ومن شقاوة ابن ادم تركه استخارة الله تعالى وسخطه
بما قضى الله تعالى عليه. صلوة حفظ القرءان روينا في جامع الترمذي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ دخل علي بن ابي طالب رضي الله
عنه فقال بابي وامي انت يا رسول الله تفلت هذا القرءان من صدري فما اجدني اقدر عليه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا الحسن افلا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن
وينفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك قال اجل يا رسول الله فعلمني قال اذا كان
ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم في ثلث الليل الاخر فانها ساعة مشهودة والدعاء
فيها مستجاب وقد قال اخي يعقوب لبنيه سوف استغفر لكم ربي يقول حتى
ياتي ليلة الجمعة فان لم تستطع فقم في وسطها فان لم تستطع ففي اولها وصل اربع ركعات
تقرا في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفي الركعة الثانية بفاتحة
الكتاب وحم الدخان وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة وفي
الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله واحسن
الثناء على الله وصل علي واحسن وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات
ولاخوانك الذين سبقوك بالايمان ثم قل في اخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي ابدا
ما ابقيتني وارحمني ان اتكلف ما لا يعنيني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني
اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التي لا ترام اسالك يا الله
يا رحمن بجلالك ونور وجهك ان تنور بكتابك بصري وان تطلق به لساني وان تفرج به
عن قلبي وان تشرح به صدري وان تغسل به بدني فانه لا يعينني على الحق غيرك ولا
يؤتيه الا انت ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال يا ابا الحسن تفعل ذلك ثلاث
مرات جمع او خمسا او سبعا تجاب باذن الله تعالى والذي بعثني بالحق ما اخطا مؤمنا قط
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما لبث علي الا خمسا او سبعا حتى جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مثل ذلك المجلس فقال يا رسول الله اني كنت فيما خلا لا اخذ الا اربع ايات
ونحوهن فاذا قراتهن على نفسي تفلتن وانا اتعلم اليوم اربعين اية او نحوها فاذا قراتها
على نفسي فكانما كتاب الله بين عيني ولقد كنت اسمع الحديث فاذا رددته تفلت وانا اليوم
اسمع الاحاديث فاذا تحدثت بها لم اخرم منها حرفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مؤمن ورب الكعبة ابو الحسن قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث

الوليد

الوليد بن مسلم قلت وخرجه الحاكم ابو عبد الله في كتابه المستدرك على الصحيحين
وادعا انه على شرطهما ويشهد لصحته ما صح منه بالتجربة والله اعلم صلوة التسبيح التي علمها
النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس وقال له عند ذلك يا عباس يا عماه الا اصلك الا احبوك
الا انفعك قال بلى يا رسول الله قال يا عم صل اربع ركعات وذكر الحديث وقال في
اخره فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج غفرها الله لك وفي رواية قال اذا انت فعلت
ذلك غفر لك ذنبك اوله واخره قديمه وحديثه خطاه وعمده صغيره وكبيره
سره وعلانيته وقال في احدى رواياتها ان استطعت ان تصليها في كل يوم فافعل
وان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي عمرك مرة واعلم ان صلاة التسبيح قد
رواها جماعة من الحفاظ بطرق عديدة ووجوه متداخلة وضعفوا طرقها كلها وممن
ضعفها ابن الجوزي في كتابه الموضوعات وابو بكر بن العربي المالكي في كتابه الاحوذي
في شرح الترمذي وصححها اخرون منهم الحافظ علي بن عمر الدارقطني والحاكم في المستدرك
وابن خزيمة وعلى الجملة فقد تلقاها الناس بالقبول وعمل بها اكابر العلماء لانها وان لم
يقطع بصحتها فهي مرتفعة عن نوع الموضوع وقد قالوا في فضائل الاعمال يعمل فيها بالضعيف
ما لم يتعلق بنهي حديث الحرام اصح منه واختار كثيرون من رواتها رواية عبد الله
بن المبارك وهي ما رواها الترمذي فقال حدثنا احمد بن عبدة قال حدثنا ابو وهب قال
سالت ابن المبارك عن الصلوة التي يسبح فيها قال يكبر ثم يقول سبحانك اللهم ربنا
وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول خمسة عشر مرة سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ثم يتعوذ ويقرا بسم الله الرحمن الرحيم
فاتحة الكتاب وسورة ثم يقول عشر مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ثم يركع فيقولها عشرا ثم يرفع فيقولها عشرا ثم يسجد فيقولها عشرا ثم يرفع
راسه فيقولها عشرا ثم يسجد الثانية فيقولها عشرا يصلي اربع ركعات على هذا فذلك
خمس وسبعون في كل ركعة يبدا بخمس عشرة ثم يقرا ثم يسبح عشرا قال فان صلى ليلا
فاحب الي ان يسلم في كل ركعتين وان صلى نهارا فان شاء سلم وان شاء لم يسلم صلوة الضحى
وبيان فضلها ووقتها واقلها واكثرها روينا في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلثة ايام من كل شهر وركعتي الضحى وان
اوتر قبل ان انام وعن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يصبح على كل
سلامى من احدكم صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة
صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويجزي من ذلك
ركعتان تركعهما من الضحى رواه مسلم وروينا فيه عن عائشة رضي الله عنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء وفي الصحيحين عن
ام هانئ ما معناه قالت ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل

بالصحة

مرتفعة

الضحى

راسه

فلما فرغ من غسله صلى ثماني ركعات وذلك ضحى سماها الجوزي وغيره صلاة الفتح ومعناهم
انها تسن عند الفتوحات والظفر وروى البيهقي وغيره باسناد فيه مقال ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لابي ذر ان صليت الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله لك بها الله له بيتا في الجنة
وهذا بيان اكملها ونقل النووي في شرح المهذب عن الاكثرين ان اكثرها ثمان
وذكر فيه ان ادنى الكمال اربع وافضل منه ست وانه يسلم من كل ركعتين وينوي
ركعتين من الضحى واما وقتها فقال العلماء وقتها من حين ترتفع كرمح الى الزوال وهذا
ما جزم به الرافعي في شرحيه وتبعه على ذلك النووي في شرحه للمهذب وفي كتابه
التحقيق وخالف في الروضة فقال ان الاصحاب قالوا يدخل وقتها بالطلوع وان التأخير
الى الارتفاع مستحب والصواب ان الصلاة عند الطلوع مكروهة وان النهي
عن الصلوة لا يزول بنفس الطلوع بل لا بد من طلوعها حسنا بيضا نقية وقدر العلماء
ذلك برمح وقدره قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن عبسة في حديثه الطويل صل
صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلوة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فدل ذلك على ان النهي لا يزول
بنفس الطلوع وذكر القاضي عياض رحمه الله احاديث النهي وجميع الفاظها ثم قال
وهذا كله يبين ان المراد بالطلوع يعني في الروايات المطلقة ارتفاعها واشرافها
واضاءتها لا مجرد ظهور قرصها قال النووي في شرح مسلم فهذا الذي قاله
القاضي صحيح متعين لا عدول عنه للجمع بين الروايات والله اعلم وذكر النووي
في شرح المهذب والتحقيق ان وقتها المختار حين يمضي ربع النهار وكانه تبع في ذلك الغزالي
رحمه الله فانه ذكر في كتابه الاحياء وقال حتى لا يخلو كل ربع من النهار عن
عبادة قلت والدليل على استحباب ذلك ما رويناه في صحيح مسلم عن زيد بن ارقم
رضي الله انه راى قوما يصلون الضحى فقال اما قد علموا ان الصلوة في غير هذه الساعة
افضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوة الاوابين حين ترمض الفصال
فائدة قال بعض العلماء ينبغي لمن صلى الضحى ركعتين ان يقرا فيهما بعد الفاتحة
بالشمس وضحاها والضحى وان صلاها اربعا قرا في الاخريين بقل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد وهذا لا باس به لكن لم يصح في هذا الباب شيء عن النبي صلى الله عليه
وسلم صلوة الضر والحاجة اعلم ان صلاة الحاجة رواها جماعة من المحدثين
على وجوه كثيرة فمن ذلك ما رواه الترمذي عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له حاجة الى الله تعالى او الى احد
من بني ادم فليتوضا وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثني على الله تعالى وليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش
العظيم الحمد لله رب العالمين اسالك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة
من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لنا ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته

ولحاجة

طلوعها

ذلك

ولا حاجة هي لك رضا الا قضيتها يا ارحم الراحمين وروي ايضا ان رجلا ضرير البصر
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لي ان يعافيني قال ان شئت دعوت وان شئت
صبرت فهو خير لك قال فادعه فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء
اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد
اني توجهت بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في وروى البيهقي انه
صلى الله عليه وسلم قال تصلي اثنتي عشرة ركعة من ليل او نهار تتشهد بين كل ركعتين
فاذا جلست في اخر صلاتك فاثن على الله وصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم كبر
واسجد واقرأ وانت ساجد فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسي سبع مرات
وقل هو الله احد سبع مرات ولا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير عشر مرات ثم قل اللهم اني اسالك بمعاقد العز من عرشك
ومنتهى الرحمة من كتابك واسالك باسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك
التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ثم سل حاجتك ثم ارفع راسك وسلم عن يمينك
وعن شمالك ولا تعلموها السفهاء فانهم يعلموها فيدعون ربهم فيستجاب لهم قال البيهقي انه
قد جرب فوجد سببا لقضاء الحاجة وذكر الواحدي التجربة فيه عن جماعة من
العلماء على ان في سنده من لا يعرف قلت وفي النفس منه شيء من قبل قراءة القرآن في
السجود وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال نهيت ان اقرا القرآن وانا راكع
او ساجد والله اعلم وقد رايت ان نختم هذه الصلوات بصلوة التوبة تفاولا
ان يختم الله لنا بها اعلم انه قد ورد فيها احاديث منها ما رويناه في الصحيحين عن عثمان
رضي الله عنه انه توضا وضوءا مثلهما ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضا نحو وضوئي هذا ثم قال من توضا نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث
فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه ومن ذلك ما رواه ابو داود والنسائي واحمد
بن حنبل عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل
يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرا هذه الآية
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
الآية واعلم انه قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب
التوبة قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ولها
شروط ثلاثة احدها ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم
على ان لا يعود اليها ابدا فان تعلقت بآدمي زيد شرط رابع وهو رد المظالم الى اهلها
ان كانت مالية ردها وان كانت عرضية استحل منها وهل يشترط ان يعلمه بها فيه خلاف
قلت وقد علم من ظواهر الاحاديث الصحيحة انه اذا صح الندم باطنا قبل الله توبة العبد
ورضي عنه ووهب له حقه وارضى عنه خلقه لحديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسا

ثم كمل المائة فالرجلين الذين جثوا بين يدي الله تعالى والله اعلم ثم ان مذهب اهل السنة
ان العبد اذا تاب من بعض الذنوب دون جميعها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه
الباقي وانه اذا تاب ثم عاد لا يهدم عوده توبته السابقة لان السيئات لا تذهب الحسنات
وانما نطق القران بعكس ذلك وخرج الحاكم من حديث عقبة ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله احدنا يذنب قال يكتب عليه قال ثم يستغفر منه
ويتوب قال يغفر له ويتاب عليه ولا يمل الله حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر
من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة رواه الترمذي وفي الصحيحين مرفوعا اذا
اذنب عبد ذنبا فقال رب اني عملت ذنبا فاغفر لي فقال الله تعالى علم عبدي ان له ربا
يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي ثم اذنب ذنبا اخر الى ان قال في الرابعة
فليعمل عبدي ما شاء اما الاستغفار بغير ندم ولا عقد قلب فهو ذكر من الاذكار
لا تعلق له بالتوبة لكنه داع وقد قال صلى الله عليه وسلم واعلموا ان الله لا يقبل
دعاء من قلب غافل لاه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ونفع به استغفار بلا اقلاع
توبة الكذابين وسئل بعضهم عن ذلك فقال احمدوا الله على ان زين جارحة
من جوارحكم بطاعته واكثر الفضلاء الذي يتوقع منه سوء المال ان يستغفر من ذنب
هو مقيم عليه في حال استغفاره فيكون استغفاره استهزاء كما خرجه ابن ابي الدنيا
مرفوعا التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من ذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ
بربه وقالت السيدة الجليلة رابعة العدوية رحمها الله ونفع بها استغفارنا يحتاج
الى استغفار كثير

فصل في ذكر شيء من منهيات الصلوة نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلوات وقال هو اختلاس يختلسه الشيطان
من صلوة العبد وسئل الامام احمد بن حنبل عن حديث انه صلى الله عليه وسلم كان يلحظ
في الصلوة ولا يلتفت فغضب غضبا شديدا وقال هذا حديث ليس له اسناد لكن
قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته كان بعث شخصا الى العدو ثم اشتغل
بالصلوة فجعل يلتفت الى جهته وهذا نادر في نافلة لمصلحة عامة فهو من باب تداخل
العبادات وتقديم اهمها وقد قال عمر رضي الله عنه اني لاجهز جيشي وانا في الصلوة
ونهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد في الصلوة والصفن رفع احدى الرجلين
وفي معناه الاعتماد على احدى الرجلين وتقديم الاخرى وقد قال العلماء كما يكره لك
ان تقدم رجليك على اخيك في الصف كذلك لا تقدم احدى رجليك على الاخرى
واما الصفد فهو اقران القدمين معا متلاصقين بل المندوب ان تفرج بينهما قليلا
وقدر ذلك باربع اصابع وفي السجود بشبر ونهى صلى الله عليه وسلم عن الكفت
والسدل فاما الكفت فهو ضم الثياب والشعر ومنعهما من السجود معه وقد سبق
في فصل السجود حديث امر صلى الله عليه وسلم ان يسجد على سبعة اعظم ونهى ان يكف شعره

اوثيابه وسبق هناك فعل ابن عباس بابن الحارث وحله لراسه وهو يصلي كله من رواية
مسلم وفي سنن ابي داود ان ابا رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم مر بالحسن بن علي رضي الله
عنهما وهو يصلي قائما وقد غرز ظفره في قفاه فحلها ابو رافع فالتفت حسن اليه
مغضبا فقال ابو رافع اقبل على صلاتك ولا تغضب علي فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ذلك كفل الشيطان يعني مقعد الشيطان واما السدل فهو ان
يضع الثوب على راسه او على كتفيه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله بل ينبغي ان يلتفع به
ويخرج يديه من ثيابه كلها ونهى صلى الله عليه وسلم عن الصلب في الصلوة وهو ان
يضع يديه على خاصرتيه ونهى صلى الله عليه وسلم عن التشبه بالحيوانات فقال لا تبركوا
بروك البعير ولا تلتفتوا التفات الثعلب ولا تفترشوا افتراش السبع ولا تقعوا
اقعاء الكلب ولا تنقروا نقر الغراب ولا ترفعوا ايديكم في حال السلام كاذناب الخيل
الشمس وهذا الباب واسع وقد راينا ان نقتصر على هذا القدر وبالله سبحانه التوفيق

فصل في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه
وسلم حض على السحور وكان يؤخره جدا فكان بين سحوره وبين الفجر قدر
خمسين اية وكان يعجل الفطر وحض على ذلك فقال لا تزال امتي بخير ما عجلوا الفطر
قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل ان يصلي على رطبات فان لم
تكن رطبات فتمرات وان لم يكن تمرات حسا حسوات من الماء وقال اذا كان
يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه احد او قاتله فليقل اني صائم وقال
من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه وكان
صلى الله عليه وسلم ربما ادركه الفجر وهو جنب ثم يغتسل ويصوم قالت عائشة
رضي الله عنها لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر اكثر من شعبان
كله وفي رواية كان يصوم شعبان الا قليلا وصام صلى الله عليه وسلم عاشورا
وامر بصومه وقال صيامه يكفر السنة الماضية وقال لئن بقيت الى القابل لاصومن
التاسع وقال من صام رمضان ثم اتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر وسئل
صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وبعثت فيه وانزل
علي فيه وقال تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس فاحب ان يعرض عملي وانا صائم
وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى يوم الاثنين والخميس
وسئل صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة قال يكفر السنة الماضية والباقية
وسئلت عائشة رضي الله عنها اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل
شهر ثلثة ايام قالت نعم قيل لها من اي الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من اي الشهر
كان يصوم وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر اذا صمت من الشهر ثلثا فصم ثلث عشرة
واربع عشرة وخمس عشرة وكان صلى الله عليه وسلم لا يفطرهن في حضر ولا سفر

وسئل انس عن صوم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان يصوم من الشهر حتى يرى انه لا يريد ان يفطر ويفطر حتى يرى انه لا يريد ان يصوم وكنت لا تشا ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نايما الا رايته نايما ونحوه عن عايشة وابن عباس رضي الله عنهم واعلم ان الصوم من افضل العبادات واسرار المجاهدات وقد ورد في فضله احاديث كثيرة اجلها ما اتفق عليه الشيخان عن ابي هريرة بروايات وهذه احدى روايات مسلم كل عمل ابن ادم يضاعف له الحسنة بعشر امثالها الى سبعماية ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع طعامه وشهواته من اجلي للصايم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك اما اذ كان فانه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افطر قال ذهب الظما وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله تعالى وكان يقول ايضا اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت وكان يقول الحمد لله الذي اعانني فصمت ورزقني فافطرت وكان يقول اللهم لك صمنا وعلى رزقك افطرنا فتقبل منا انك انت السميع العليم وكان صلى الله عليه وسلم اذا افطر عند قوم دعا لهم فقال افطر عندكم الصايمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملايكة وينبغي للصايم ان يجتهد في الدعاء عند فطره لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم قال ان للصايم عند فطره دعوة لا ترد قال ابن مليكة سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص اذا افطر يقول اللهم اني اسالك برحمتك التي وسعت كل شيء ان تغفر لي

ايضا

فصل في دعائه صلى الله عليه وسلم في قراءة القران وكيف كان سمته وخشوعه حال قراءته وسماعه واستماعه من غيره

كان له صلى الله عليه وسلم في الدرس كل يوم وظيفة معينة لا يتركها واما رمضان فكان جبريل ينزل عليه في كل ليلة منه فيدارسه القران وكان اذا اراد القراءة قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم كما امر الله وربما زاد من همزه ونفثه ونفخه وكان حسن الصوت وفي صوته صحل قال البراء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا في العشا بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا منه وكان يرتل قراءته ويبينها حرفا حرفا ويقف عند اخر الكلم ويكمل المد في موضعه وكان يقرا في كل حال لا يمنعه من ذلك الا الجنابة وكان يحب سماعه من غيره كما روينا فيما اتفق عليه الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي القران فقلت يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري فقرات عليه سورة النساء حتى بلغت هذه الاية فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا قال حسبك الان فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان وقال صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرا عليك القران قال ابي وسماني لك قال وسماك لي فبكى ابي وقرا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب وامر صلى الله عليه وسلم بتحسين الصوت بالقراءة فقال زينوا القران

باصواتكم

باصواتكم وقال من لم يتغن بالقران فليس منا وقال ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقران يجهر به قال العلماء الناس في التغني والتحسين على ضربين ضرب تسمح طباعهم بذلك بديهة من غير تكلف ولا تمرين وربما ان ازدادوا بالتغني والتحسين حسنا كما قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو رايتني وانا استمع الى قراءتك البارحة فقال لو شعرت انك تسمع لحبرته تحبيرا فهذا الضرب ان يقرؤا على طباعهم فحسن وان تكلفوا زيادة تحسين فقد امروا بذلك والضرب الثاني من لا يحصل له ذلك بسماحة الطبع بل بتكليف وعلاج فينبغي له ان يتكلف ذلك ما استطاع ما لم يخرج الى حد التمطيط والتقعير المنهي عنه والله اعلم

فصل

حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاجتماع لقراءة القران فقال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملايكة وذكرهم الله فيمن عنده وروي عنه صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة في قراءة سور وايات مخصوصة لاوقات معلومة ومطلقة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الايتان من اخر سورة البقرة من قراهما في ليلة كفتاه لا يقرا ان في دار ثلث ليال فيقربها شيطان ومن قرا سورة يس في يوم وليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له وقال اقروها على موتاكم وقال قلب القران يس وقال من قرا سورة الدخان في ليلة وفي ليلة الجمعة اصبح مغفورا له ومن قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة وكان صلى الله عليه وسلم لا ينام في كل ليلة حتى يقرا الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وقال من قرا اية الكرسي واول حم غافر الى قوله اليه المصير عصم ذلك اليوم من كل سوء ومن قرا خاتمة سورة التوبة حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر اخرته ودنياه صادقا كان او كاذبا وامر صلى الله عليه وسلم سرية بعثها ان يقروا اذا اصبحوا واذا امسوا افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون الى اخر السورة فقروها فغنموا وسلموا وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته من يومه وقال صلى الله عليه وسلم تعلموا تبارك الملك فانها المنجية تنجي من عذاب القبر وقال من قراها في ليلة فقد اطنب واكثر وعن ابي هريرة يرفعه من قرا في ليلة اذا زلزلت كانت له كعدل نصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون كانت له كعدل ربع القران ومن قرا قل هو الله احد كانت له كعدل ثلث القران وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن خبيب اقرا قل هو الله احد والمعوذتين حين تصبح وحين تمسي ثلث مرات تكفك من كل شيء والاحاديث بنحو ما ذكرنا كثيرة معلومة وقد التقطت مجموع الايات التي ورد لها ذكر وجمعته في نحو كراسة استوعبت فيها جميع ذلك وانما ذكرنا هنا

هذا الطرف تبركا للكتاب وتتميما للفايدة والله سبحانه ولي التوفيق فصل
في ذكره صلى الله عليه وسلم عند الصباح والمساء كان يقول اذا اصبح اللهم بك اصبحنا
وبك امسينا وبك نحيى وبك نموت واليك النشور واذا امسى قال اللهم بك امسينا وبك
اصبحنا وبك نحيى وبك نموت واليك المصير وساله ابو بكر ان يعلمه ذكرا في الصباح
والمساء فقال له قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء
ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه
قال له قلها اذا اصبحت واذا امسيت واذا اخذت مضجعك وقال له رجل يا رسول الله
ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة قال اما لو قلت حين امسيت اعوذ بكلمات الله التامات
من شر ما خلق ثلثا لم تضرك وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار اللهم انت
ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك
من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت
من قالها في النهار موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل الجنة ومن قالها
من الليل وهو موقن بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم
ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومسا كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه
شيء في الارض ولا في السماء ثلث مرات لم يضره شيء وفي رواية لم تصبه فجاة بلاء
وقال من قال حين يصبح او يمسي اللهم اني اصبحت اشهدك واشهد حملة عرشك وملئكتك
وجميع خلقك انك انت الله لا اله الا انت وان محمدا عبدك ورسولك اعتق الله
ربعه من النار ومن قالها مرتين اعتق نصفه من النار ومن قالها ثلثا اعتق الله ثلثة
ارباعه من النار ومن قالها اربعا اعتقه الله من النار وقال من قال حين يصبح اللهم
ما اصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد ادى شكر
يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد ادى شكر ليلته وقال عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي
اللهم اني اسالك العافية في الدنيا والاخرة اللهم اني اسالك العفو والعافية في ديني
ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بعظمتك ان اغتال من تحتي وشكا
ابو امامة الى النبي صلى الله عليه وسلم الدين فقال له قل اذا اصبحت واذا امسيت اللهم
اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن
والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فاذهب الله همي وقضى
عني ديني وقال صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به
تقولين اذا اصبحت واذا امسيت يا حي يا قيوم بك استغيث فاصلح لي شاني كله ولا تكلني
الى نفسي طرفة عين وقال لها ولعلي وكانت سالته خادما الا ادلكما على ما هو خير لكما

من خادم

من خادم اذا اويتما الى فراشكما واخذتما مضاجعكما فكبرا ثلثا وثلثين وسبحا ثلثا وثلثين
واحمدا ثلثا وثلثين هذا خير لكما من خادم وشكا اليه صلى الله عليه وسلم رجل انه تصيبه
الافات فقال له قل اذا اصبحت بسم الله على نفسي واهلي ومالي فانه لا يذهب لك شيء فقالهن
الرجل فذهبت عنه الافات وقال صلى الله عليه وسلم من قال اذا اصبح اللهم اصبحت منك
في نعمة وعافية وستر فاتم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والاخرة ثلث مرات
اذا اصبح واذا امسى كان حقا على الله ان يتم عليه وقيل لابي الدرداء قد احترق بيتك فقال
ما احترق لم يكن الله عز وجل ليفعل ذلك لكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قالهن اول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالهن اخر نهاره لم
تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش
العظيم ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ بك من شر
نفسي ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فهذه جملة
من الاحاديث المنتخبة من كتب الحفظة الحديث المعتمدة فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما
وليس فيها حديث موضوع والله اعلم فصل في اذكار ودعوات كان يقولها
صلى الله عليه وسلم لامور وعارضات كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم
لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب
العرش الكريم يا حي يا قيوم برحمتك استغيث وكان اذا راعه شيء قال هو الله
ربي لا شريك له وكان اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك
من شرورهم وقال لعلي اذا وقعت في ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم فان الله تعالى يصرف بها ما شاء من انواع البلاء وكان اذا
لقي العدو قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وامر عند توقع البلاء وغلبة
الامور بقول حسبي الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وامر من تعسرت معيشته
ان يقول اذا خرج من بيته بسم الله على نفسي ومالي وديني اللهم رضني بقضايك
وبارك لي فيما قدرت لي حتى لا احب تعجيل ما اخرت ولا تاخير ما عجلت وقال ما انعم
الله عز وجل على عبد نعمة في اهل ومال وولد فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله فيرى
فيها افة دون الموت وقال ليسترجع احدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فانها
من المصائب وامر من وجد الوسواس ان يقول امنت بالله ورسله هو الاول و
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وامر ان يرقى اللديغ والمعتوه
بالفاتحة وكان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين اعيذكما بكلمات الله التامة
من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول ان اباكما كان يعوذ بهما
اسمعيل واسحق صلى الله عليهم اجمعين وكان عادته صلى الله عليه وسلم في عيادة

المريض يضع يده على المريض ويقول لا باس طهور ان شاء الله تعالى ثم يرقيه فيقول
اللهم رب الناس اذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفا لا يغادر سقما
ثم يسئله عن حاله وعن ما يشتهيه فان ذكر شيئا طلبه له وقال لا تكرهوا مرضاكم
على الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم وقال اذا دخلت على مريض فمره فليدع لك فان
دعاءه كدعاء الملئكة وقال عائد المريض في مخرفة الجنة وقال لقنوا موتاكم لا اله
الا الله من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وقال ما من عبد تصيبه مصيبة
فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا
اجره الله تعالى في مصيبته واخلف له خيرا منها وقال يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن
عندي جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة وقال ان الله لا
يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا او يرحم واشار الى لسانه
وبرئ صلى الله عليه وسلم من الصالقة والحالقة والشاقة ولعن النائحة والمستمعة
وقال من عزى مصابا فله مثل اجره ومن عزى ثكلى كسي بردا في الجنة وقال اذكروا
محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وقال من غسل ميتا فكتم عليه غفر الله له
اربعين مرة وقال ايما مسلم شهد له اربعة بخير ادخله الله الجنة قال عمر رضي الله عنه
فقلنا وثلثة قال وثلثة فقلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسئله عن الواحد وكان
صلى الله عليه وسلم يعلمهم عند زيارة القبور ان يقول قائلهم السلام عليكم
يا اهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اسئل الله لنا ولكم
العافية وكان صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اسئلك من خيرها
وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به
اللهم لقحا لا عقيما وكان اذا راى ناشئا في افق السماء ترك العمل وان كان في
صلوة ثم يقول اللهم اني اعوذ بك من شرها فان مطر قال اللهم صيبا نافعا وقال
صلى الله عليه وسلم اذا وقعت كبيرة او هاجت ريح عظيمة فعليكم بالتكبير
فانه يجلي العجاج الاسود وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق
قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اذكاره
صلى الله عليه وسلم في السفر كان يركع قبل الخروج في بيته ركعتين وقال ما خلف
احد عند اهله افضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا ثم اذا قدم من سفر
بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين وكان يقول لمن يودعه استودع الله دينك وامانتك
وخواتيم عملك وكان يقول لمن يخلف استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه
وقال ان الله اذا استودع شيئا حفظه وجاءه رجل فقال يا رسول الله اني اريد
سفرا فزودني قال زودك الله التقوى قال زدني قال ويسر لك الخير حيث ما كنت
وقال له اخر اني اريد ان اسافر فاوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف

فلما

فلما في الرحل قال اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر وقال عمر رضي الله عنه استاذنت
النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فاذن وقال لا تنسنا يا اخي من دعائك فقال كلمة
ما يسرني ان لي بها الدنيا وكان صلى الله عليه وسلم اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر
كبر ثلثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا
لمنقلبون اللهم انا نسئلك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما تحب وترضى اللهم
هون علينا سفرنا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل
والمال واذا رجع قالهن وزاد فيهن ايبون تائبون عابدون لربنا حامدون وكان
هو وجيوشه اذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا سبحوا وقال صلى الله عليه وسلم ثلث
دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على
ولده وقال امان لامتي من الغرق اذا ركبوا يعني السفينة ان يقولوا بسم الله
مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الاية وقال صلى الله
عليه وسلم اذا انفلتت دابة احدكم في فلاة فلينادي يا عباد الله احبسوا يا عباد الله
احبسوا فان لله في الارض حاضرا سيحبسه وكان اذا اشرف على قرية يريد دخولها
يقول اللهم اني اسئلك خير هذه وخير ما جمعت فيها واعوذ بك من شرها وشر ما جمعت فيها
اللهم ارزقنا جناها واعذنا من وباها وحببنا الى اهلها وحبب صالحي اهلها الينا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فاقبل الليل قال يا ارض ربي وربك
الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك اعوذ بك
من اسد واسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد
وقال من نزل منزلا ثم قال اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء
حتى يرتحل من منزله ذلك وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من سفره فدخل على اهله
قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر حوبا وقال صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم
فليقل الحمد لله وليقل له اخوه او صاحبه يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم
وقال اذا عطس احدكم فحمد الله فشمتوه فاذا لم يحمد الله فلا تشمتوه فصل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان
الرجيم فانها رات شيطانا واذا سمعتم صياح الديكة فاسئلوا الله من فضله فانها رات
ملكا وقال اذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير فتعوذوا بالله فانهن يرين ما لا ترون
وقال اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه وقال من جلس في مجلس كثر فيه
لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا
انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك وقلما كان يقوم
من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لاصحابه اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به
بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب

الدنيا اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثارنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا وقال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله عز وجل فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كانت عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وقال صلى الله عليه وسلم من راى مبتلى فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء وقال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له الف الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وقال اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله بخير من ذكرني وقال من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثناء وقال اعاجم السلف الحمد ولا اداء وقال صلى الله عليه وسلم لابي ايوب الانصاري وقد تناول من لحيته اذى مسح الله عنك يا ابا ايوب ما تكره لا يكن بك السوء يا ابا ايوب وكان صلى الله عليه وسلم اذا اوتي بباكورة ثمر قال اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا بركة مع بركة ثم يعطيه اصغر من يحضره من الولدان وفي رواية انه كان يضعه على عينيه ثم على شفتيه وكان اذا خاف ان يصيب شيئا بعينه قال اللهم بارك لنا فيه ولا تضره وقال اذا راى احدكم ما يعجبه في نفسه او ماله فليبرك فان العين حق وقال العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا قالت عايشة كان يومر العاين يتوضا ثم يغتسل منه المعين وقال اذا رايتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بالله وكان صلى الله عليه وسلم اذا اوتي بمولود اذن في اذنه حين ولادته ووضعه في حجره وحنكه بتمرة ودعا له وبرك عليه وقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له رايت رؤيا خيرا رايت وخيرا يكون وفي رواية خيرا تلقاه وشرا توقاه خيرا لنا وشرا على اعدائنا والحمد لله رب العالمين ولمن رآه يضحك اضحك الله سنك ولمن راى عليه ثوبا جديدا ابلي واخلق ثم ابل واخلق ثم ابل واخلق ولمن قال له غفر الله لك قال ولك فهذه اطراف من اذكاره صلى الله عليه وسلم المتفرقة وهي اجل من ان تستوعب او يحيط بها مكتب **فصل** فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من فضل حلق الذكر وما لملازميها من عظيم الثواب والغفران وما لمجانبيها من الوبال والحرمان روينا في صحيح البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما

يذكرون

يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا فيسالهم ربهم وهو اعلم بهم قالوا يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك فيقول هل راوني فيقولون لا والله ما راوك فيقول كيف لو راوني قال يقولون لو راوك كانوا اشد لك عبادة واشد تمجيدا واكثر لك تسبيحا فيقول ما يسالوني قال يقولون يسالونك الجنة قال يقول وهل راوها قال يقولون لا والله يا رب ما راوها فيقول كيف لو راوها قال يقولون انهم لو راوها كانوا اشد عليها حرصا واشد لها طلبا واعظم فيها رغبة قال فمما يتعوذون قالوا يتعوذون من النار قال فيقول وهل راوها قال فيقولون لا والله ما راوها فيقول كيف لو راوها كانوا اشد منها فرارا واشد منها مخافة قال فيقول فاشهدكم اني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم وروينا فيهما ايضا عن ابي واقد الحارث بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه اذ اقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما احدهما فراى فرجة في الحلقة فجلس اليها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن الثلاثة اما احدهم فاوى الى الله فآواه الله واما الاخر فاستحيا فاستحيا الله منه واما الاخر فاعرض فاعرض الله عنه وروينا في صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروينا فيه ايضا عن معوية رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من اصحابه فقال ما اجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا قال آلله ما اجلسكم الا ذلك اما اني لم استحلفكم تهمة لكم ولكن اتاني جبريل فاخبرني ان الله تعالى يباهي بكم الملائكة وروينا في صحيحيهما عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملائه وروي في جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر فهذا ما ورد في الصحيحين من هذا المعنى وقد رايت ان اختم ذلك بخمسة اذكار منتقاة من الصحاح عظيمة الارباح مفتتحا وعودها باليمن والفلاح اولها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثانيها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثالثها سبحان الله وبحمده

سبحان الله العظيم رابعها رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم خامسها
اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم
انك حميد مجيد فهذه الخمسة الاذكار قد جمعت افضل انواع التهليل وافضل انواع
التسبيح وهي افضل وافضل انواع الاستغفار في اختصار واحضر كيفيات الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم في تمام ولكل منها شرح طويل مما يقطع بصحته فهي افضل الاذكار
بعد القران فينبغي لكل مسترشد ان يملا منها كل يوم صحيفته واتخاذها ورد ايطالب بها
نفسه ويتأسف عليها ان فاتته وينبغي له ان ياتي بكل ذكر منها مائة وان ياتي بها
اول نهاره لتكون حرزا له بقية يومه وارجو ان من وفق للعمل بها واثبت كل
يوم في صحيفة اعماله ان يكون ممن لقاه الله اليمن والبركة وجنبه الشوم والهلكة
وغلبت حسناته سيئاته وبالله سبحانه التوفيق

الباب الرابع

في فضل اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن يعظم لاجله وفضل
حديثه ومحدثيه وختامه بفضل الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم وفيه خمسة فصول

الفصل الاول

في فضل اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من
تقوى القلوب وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
وعن يزيد بن حيان قال انطلقت انا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن ارقم
رضي الله عنه فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه
لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يا ابن اخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت اعي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه
ثم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة
والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما
انا بشر يوشك ان ياتي رسول ربي فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب
الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب
فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي فقال له حصين ومن اهل بيته يا زيد
اليس نساؤه من اهل بيته قال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم
الصدقة بعده قال ومن هم قال ال علي وال عقيل وال جعفر وال عباس قال
كل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم رواه مسلم وروى البخاري عن ابن عمر عن ابي بكر
رضي الله عنهم موقوفا انه قال ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال والذي نفسي بيده لقرابة

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم
معرفة ال محمد براءة من النار وحب ال محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان
من العذاب قال بعضهم معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم لسببه وعن عمر بن ابي سلمة قال لما
نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وذلك في بيت
ام سلمة دعا صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي رضي الله عنه
خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وكذلك لما نزلت اية المباهلة دعاهم ايضا وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال صلى الله
عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال
فيه ايضا لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل
قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله وقال من اذى عمي فقد اذاني وانما عم
الرجل صنو ابيه وكان صلى الله عليه وسلم ياخذ اسامة بن زيد والحسن بن علي ويقول
اللهم اني احبهما فاحبهما وقال صلى الله عليه وسلم من احبني واحب هذين واشار
الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال مثل اهل بيتي
مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق وعن عقبة بن الحرث قال رايت
ابا بكر جعل الحسن على عاتقه وهو يقول بابي شبيها بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك
وروي عن عبد الله بن حسن بن الحسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي
اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله عز وجل ان يراك على
بابي وروي ان زيد بن ثابت اراد ان يركب بغلة له فاخذ ابن عباس بركابها وقال
هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل
باهل بيت نبينا وروي ان المنصور اراد ان يقيد مالكا من جعفر بن سليمان وكان
ضربه حتى غشي عليه فقال اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته
في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني
ابو بكر وعمر وعلي في حاجة لبدات بحاجة علي قبلهما وذلك لقرابته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولئن اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما
قال المؤلف كان الله له ففي جملة هذه الاخبار والاثار النبوية تنويه بقدر المختار
ودفع لمن لتهم وتنبيه على عظيم مكانهم فينبغي ان يعرف لهم ذلك وان يقدموا في
الامور ويوسعوا في الصلة ويقابلوا بالتبجيل والتعظيم ويلحقوا بنبيهم في الصلوة
والتسليم ففي ذلك امتثال لامر الله وصلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي لمن
قصده احد من اهل البيت متعرضا لمعروفه متعرفا اليه بالقرابة النبوية ان يصله
ولا يطالبه بالبينة على نسبه فيقع في المحذور فقد روي ان بعض المترين اعتراه

بعض فقراء اهل البيت متعرفا اليه باتصاله برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من
يشهد لك على ذلك فاعرض عنه فرأى ذلك الرجل ان القيمة قامت وغشيه كربها
فلجا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعرفا اليه باني رجل من امتك فقال صلى الله عليه وسلم
من يشهد لك على ذلك وفي كلامه قصه ومما يتعين التحذير منه الغلو في حب اهل
البيت حتى يتناول بسببهم كثيرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او يحب افعالهم
الصادرة منهم حسنها وسيئها لا يقبح منها شيئا وكل من احبهم على هذا الوجه خسر
ولا يقاوم خيره شره وقد روينا بالسند الثابت عن الفضل بن مرزوق قال سمعت الحسن
يعني المثنى يقول لرجل ممن يغلو فيهم ويحكم احبونا لله فان اطعنا الله فاحبونا وان عصينا
الله فابغضونا فقال له رجل انكم ذوو قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واهل بيته فقال ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل
بطاعته لنفع ذلك من هو اقرب اليه منا اباه وامه والله اني اخاف ان يضاعف للعاصي
منا العذاب ضعفين والله اني لارجوا ان يؤتى المحسن منا اجره مرتين ونحو منه ما
روي عن الحسن بن علي وهو الناصر الاطروش رضي الله عنه وما ورد في قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين وقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته لا اغني عنك من الله
شيا مبين عن ذلك والله اعلم

الفصل الثاني

في فضل اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم الى اخر السورة وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه والايات في هذا المعنى كثيرة وتقدم كثير منها
ومن الاحاديث في اثناء الكتاب وسنزيد هنا تكرارا ورويناه عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح لا يصلح الطعام الا به وقال
صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقال الله الله في اصحابي
لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال مالك بن انس وغيره من ابغض
الصحابة وسبهم فليس له في المسلمين حق ونزع باية الحشر وقال من غاظه اصحاب
محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال ايوب
السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب

عمن

عمن فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء
على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص واحدا منهم فهو
مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم
جميعا ويكون قلبه سليما وقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية
ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة
فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافا بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من
معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره
وكاتبه وامينه على وحي الله عز وجل وقال كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيمة وقال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن
بالرسول من لم يوقر اصحابه وقال القاضي عياض ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره
توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال
الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك وفيما كان
بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر
احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم
ويسكت عما سوى ذلك والله اعلم

الفصل الثالث

في تعظيم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما عظمه الله ومحبتهم لما احبه من ذلك ما قدمنا روايته ان ابا بكر
كان يقول لعمر رضي الله عنهما اذهب بنا الى ام ايمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يزورها وذكر الحديث ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه العطية
فرض لابنه عبد الله ثلثة الاف ولاسامة بن زيد ثلثة الاف وخمسمائة فقال
عبد الله لم فضلته علي فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على حبي وروي ان حليمة السعدية وفدت على ابي بكر وعمر
فصنعا بها كما صنع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد بن اسامة وكانه
كره منه شيا فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه
ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه ولما وفدت
بنت اسامة على عمر بن عبد العزيز تلقاها وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها
اما محبة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له وحملهم انفسهم على ما شاهدوه
من جميل سيرته وحسن طريقته والتاسي به في عموم احوالهم فامر لا يحكى وقد اثنى الله
سبحانه عليهم بذلك واشتهرت به الاخبار ولولا خشية الاطالة لذكرت منها
ذكرا واسعا وانما ذكرت هذا الطرف في ذكر محبتهم لمن احب لان فيه تنبيها على قدر

مجتنبهم له وان ذلك من باب اولى ويكفي في تحقق ذلك انهم هجروا في محبته حب البلاد
وصحبة الاهل والاولاد واتخذوهم اعداء الاعادي وصار حبه طبعا وعادة عندهم حتى في
المباحات وشهوات النفس كما قال انس رضي الله عنه رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدبا من نواحي القصعة فلم ازل احب الدبا من يومئذ وقصته في الكراهة
قال ابو ايوب الانصاري وقد سال النبي صلى الله عليه وسلم عن الثوم احرام هو قال لا ولكني
اكرهه من اجل ريحه قال فاني اكره ما كرهته وهذا الحسن بن علي واصحابه
اتوا سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة
اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك **الفصل السابع** في فضل حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومحدثيه وما نقل من السلف من تعظيمهم لذلك من ذلك
ما رواه الدارقطني عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان
شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما هو قريب من ذا وقد سبق من رواية البخاري
ان ابن عباس رضي الله عنهما امر ابنه عليا ومولاه عكرمة ان ياتيا ابا سعيد الخدري
رضي الله عنه فيسمعا منه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتياه وهو يعمل
في حائط له فلما كلماه في ذلك ترك العمل واخذ رداءه واحتبى ثم اقبل يحدثهم ومر
مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتاز
في مجلسه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه وكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا قائم وسئل ابن المسيب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مضطجع فجلس فقال له السائل وددت انك لم تتعن فقال كرهت ان احدثك [الحم]
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وكان ابن سيرين ربما يعرض له بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فيخشع قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا
خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل
فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس
ثيابا جددا وتعمم ووضع على راسه رداء ويلقى له منصة يجلس عليها وعليه الخشوع
ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من الحديث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له
في ذلك فقال اني اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على
طهارة متمكنا وقيل انه لدغته عقرب ست عشرة مرة فلم يقطع حديثه وسال
جرير بن عبد الحميد عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي

احق من ادب وكان اذا رفع احد صوته في مجلسه زبره ويقول قال الله يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي فمن رفع صوته عند حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكانما رفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسال
ابو عمرو اسمعيل بن نجيد احمد بن حمدان وكانا عبدين صالحين باي شيء اكتب الحديث
فقال الستم تروون عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة قال نعم قال فرسول الله صلى الله
عليه وسلم راس الصالحين وروينا بالسند الصحيح الى الشافعي رضي الله عنه انه قال كلما
رايت رجلا من اصحاب الحديث كانما رايت رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ايوب السختياني ان الرجل من اهل السنة ليموت فكانما مات بعض اعضائي
ابشروا يا اهل السنة برحمة الله ورضوانه اليوم على السنة وغدا في الجنة واجمع علماء
الامة الذين يعتد بهم في قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال من امتي امة قائمة بامر الله تعالى
لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله هذا وان علم الحديث من افضل
العلوم الفاضلة وانفع الفنون النافعة يحبه ذكور الرجال وفحولهم ويعنى به محققوا
العلماء وكملتهم ولا يكرهه من الناس الا اراذلهم وسفلتهم وهو اكثر العلوم تولجا
في فنونها لا سيما الفقه الذي هو انسان عيونها ولذلك كثر غلط العاطلين منه
من مصنفي الفقهاء وظهر الخلل في كلام المخلين به من العلماء وقال في موضع اخر علم الحديث
علم شريف يناسب مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم وينافر مساوي الاخلاق ومشاين
الشيم وهو من علوم الاخرة لا من علوم الدنيا ومما قيل من الشعر في هذا المعنى
قول ابن الانباري رحمه الله تعالى

اهلا وسهلا بالذين اودهم ... واحبهم في الله ذي الالاء
اهلا بقوم صالحين ذوي تقى ... خير الرجال وزين كل ملاء
يسعون في طلب الحديث بعفة ... وتوقر وسكينة وحياء
لهم المهابة والجلالة والعلا ... وفضائل جلت عن الاحصاء
ومداد ما تجري به اقلامهم ... ازكى وافضل من دم الشهداء
يا طالبي علم النبي محمد ... ما انتم وسواكم بسواء

ومما قيل فيه ايضا قول ابي زرعة الرازي

دين النبي محمد اثار ... نعم المطية للورى الاخبار
لا تغفلن عن الحديث واهله ... فالراي ليل والحديث نهار
ولربما غلط الفتى سبل الهدى ... والشمس واضحة لها انوار

ومنه قول ابي الحسن المقري

اقرا واطلب لنفسك مستواها ... ودع عصبا قد اتبعت هواها
وسنة احمد المختار فالزم ... وعظمها وعظم من رواها

• وان رغمت انوف من اناس • فقل يا رب لا ترغم سواها •
ومنه قول ابي الحسن علي بن احمد النيسابوري له
• احاديث الرسول شفاء قلبي • وقوة ناظري وجلاء همتي •
• فدت نفسي ثقات قد رووها • وما ملكت يدي وابي وعمي •
• اعاذلني عليه اليك عني • فان اليهم قصدي وامي •
• لمن والاهم حتي ومدحي • لمن عاداهم بعضي وذمي •
ومنه قول بعضهم
• كل العلوم سوى القران زندقة • الا الحديث والا الفقه في الدين •
• والعلم متبع ما قال حدثنا • وما سوى ذلك وسواس الشياطين •
وروى هذه الاشعار كلها جميعا باسانيدها الحافظ ابو الفتح الطاءي في كتابه الاربعين الذي خرجه عن اربعين صحابيا وتعلق بها جمل من الفوايد ومما رواه شيخنا شيخ الاسلام ابو الفتح العثماني المدني عن شيخه جلال الدين عرف بابن الخطيب داريا لنفسه
• لم اسع في طلب الحديث لسمعة • او لاجتماع قديمه وحديثه •
• لكن اذا فات المحب لقاء من • يهوى تعلل باستماع حديثه •
وله ايضا •
• يا عين ان بعد الحبيب وداره • ونات مرابعه وشط مزاره •
• فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل • ان لم تريه فهذه اثاره •
الفصل الخامس في فضل الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم وحكمها ومواطنها
قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما روينا في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وروينا في كتاب الترمذي ومسند البزار عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة قال الترمذي حديث حسن وروى ابو داود والنساءي وابن ماجه باسانيد صحيحة عن اوس بن اوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فاكثروا علي من الصلوة فيه فان صلاتكم معروضة علي فقالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت قال يقول بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض اجساد الانبياء وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام رواهما ابو داود باسناد صحيح وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل

ذكرت

ذكرت عنده فلم يصل علي وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي رواهما الترمذي وقال في الاول حسن وفي الثاني حسن صحيح وعن عامر بن ربيعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت عليه الملائكة من صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر رواه ابن صخر في فوايده وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيات ورفعت له عشر درجات رواه النساءي وفي حديث وكتبت له عشر حسنات وروى مسلم ايضا والنساءي ايضا عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله تعالى وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى الترمذي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل عليه رجل فصلى فقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله وصل علي ثم ادعه ثم صلى رجل اخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ايها المصلي ادع تجب وروى ايضا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شي حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم ونحوه عن علي رضي الله عنه مرفوعا وخرج عبد الرزاق عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطاء رحمه الله للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه عن الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث الدعاء بين الصلوتين علي لا يرد وروى الترمذي وغيره عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قال يا رسول الله فاجعل لك صلوتي كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وخرج البزار في مسنده عن رويفع بن ثابت قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من صلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انزله المقعد المقرب
عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وخرج ايضا عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وكل بقبري ملكا اعطاه اسماع الخلايق
فلا يصلي علي احد الى يوم القيمة الا بلغني باسمه واسم ابيه هذا فلان بن فلان قد صلى عليك
وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة
وفي بعض الاخبار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي اخر
انجاكم يوم القيمة في مواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام
عليه افضل من عتق الرقاب وروى القشيري بسنده عن ابن عباس قال اوحى الله عز وجل
الى موسى عليه صلى الله عليه وسلم اني جعلت فيك عشرة الاف سمع حتى سمعت كلامي
وعشرة الاف لسان حتى اجبتني واحب ما تكون الي واقربه اذا اكثرت من الصلوة على النبي
محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاتكم علي
محوزة لدعايكم ومرضاة لربكم وزكوة لابدانكم وقال عبد الله بن الحكم رايت
الشافعي في النوم فقلت ما فعل الله بك قال رحمني ربي وغفر لي وزفني الى الجنة كما
تزف العروس ونثر علي كما ينثر على العروس فقلت بم بلغت هذا الحال فقال لي
قايل بما في كتاب الرسالة من الصلوة على محمد صلى الله عليه وسلم فقلت فكيف
ذلك قال وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عنه الغافلون
قال فلما اصبحت نظرت الى الرسالة فوجدت الامر كما رايت قال احمد بن عطاء الروذباري
سمعت ابا القاسم بن عبد الله المروزي يقول كنت انا وابي نتقابل بالليل الحديث
فرايت في الموضع الذي كنا نتقابل فيه عمودا من نور يبلغ عنان السماء فقلت ما هذا
النور فقيل صلاتهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قابلا وقال ابن شهاب
الزهري بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من الصلوة في
الليلة الزهرا واليوم الازهر فانهما يوديان عنكم فهذه جملة من احاديث كثيرة
اما كيفيتها فافضلها كما قال محيي الدين النووي رحمه الله تعالى اللهم صل على محمد
عبدك ورسولك النبي الامي وعلى ال محمد وازواجه وذريته كما صليت
على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد وهذا ما ثبت في الصحيحين
وغيرهما من رواية كعب بن عجرة وابي حميد الساعدي وابي مسعود الانصاري وغيرهم
والله اعلم والافضل ان يجمع بين الصلوة والتسليم ولا يقتصر على احدهما وقد قدمنا قبل
ذكر الاذكار الخمسة كيفية موجزة في تمام والله اعلم وما حكمها فهي واجبة

اجماعا للاية الكريمة لكنه غير محدود بوقت ولا عدد وقال الشافعي رحمه الله المفترض
من ذلك الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير وما سوى ذلك سنة وندب وخالفه
الجمهور والله اعلم ثم اجمع من يعتد به على جواز الصلوة واستحبابها على ساير الانبياء
والملئكة استقلالا وتجوز على غيرهم تبعا لهم كالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يترضى عن الصحابة والسلف الصالح ويترحم عليهم والظاهر ان هذا الباب واسع لا يوصف
منه شي بالتحريم والمنع ولا يقوم دليل على ذلك والله اعلم واما مواطن الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم فتقدم كثير منها في ضمن الاحاديث السابقة وقد استوعبها نظما
القاضي الفاضل الاجل العلامة وجيه الدين عبد الغني بن ابي بكر المعلم فقال

الحمد لله العظيم القاهر ... ذي النعم البواطن الظواهر
ثم الصلوة بعد والتسليم ... على نبي دينه قويم
محمد الهادي صفي ربه ... وءاله من بعده وصحبه
وبعد فاسمع ان تكن ذا ذهن ... ما قد نظمت قايلا من لسني
مواضعا فيه الصلوة تستحب ... على النبي العربي المنتخب
خذها باتقان وفهم ثاقب ... تظفر بنيل السول والمطالب
وهي ثلثون ذكرت موضعا ... وواحد في العد يتلوها معا
بعد انتها اجابة الموذن ... وبعدنا لفاظ القنوت المتقن
وبعد اتمامك للتشهد ... وعند باني ذكره في مشهد
واهتف بها بين الصفا والمروة ... منافسا فيها وبعد الخطبة
وقبلما تشرع في الاقامة ... تقربها في موقف القيمة
وليلة الجمعة واليوم معا ... ومن دعا جاء بها قبل الدعا
وءاخرا في ساير الدعاء ... والطرفين الضحى والمساء
ومن يريد السوك والمغازة ... صلى اذا صلى على الجنازة
وصل يا صاح على محمد ... عند الخروج ودخول المسجد
وارفع بها تسمع انم السمع ... عند دخول السوق عند الجمع
وات بها في ختمة القران ... بعد وعند النوم والنسيان
وبعد هذا فعقيب التلبية ... اعني بها فهي الصلوة المغنية
واسع بها في طلب الحاجات ... ذاك لها من افضل الاوقات
وادفع بها ضر البلا والوهن ... وات بها عند طنين الاذن
وات بها في خطبة النكاح ... وان عطست قايلها يا صاح
وهاتها عند الوضوء معلنا ... وفي الذباحات فرادى وثنا
ومن يكن ذا فطنة منتبها ... اذا ابتدى كتابه جاء بها

ومن يقم من مجلس محتفل • صلى على خير جميع الرسل •
وان دخلت البيت صل يا فتى • يكن لك النور هناك مثبتا •
وان تجد هذا النبي الطاهرا • اثر في قلبك من كل الورى •
فاذكره عند الخدر بالمقال • تطلق كالبعير من عقال •

فهذه جملة من مواطن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد زدت على ما ذكر الناظم المذكور البيتين الاخيرين في ذكر خدر الرجل فصارت الجملة اثنين وثلثين موضعا والله اعلم • واما معنى الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وتفسيرها فقال ابن عباس في قوله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما معناه ان الملئكة الله وملئكته يباركون على النبي وقال ابو بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تزكية وقال غيرهم الصلوة من الله الرحمة ومن الملئكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء واما الصلوة المذكورة في حديث ابي بن كعب رضي الله عنه وقوله كم اجعل لك من صلاتي فقيل معناه كم اجعل لك من اوقاتي بعد اداء فرايضي ومهمات ديني ولم يرض صلى الله عليه وسلم ان يوقفه على حد حتى قال اجعل لك صلاتي كلها فاجابه صلى الله عليه وسلم بكفاية المهمات وغفران الزلات كذا تلقيته عن بعض مشايخي ويدل عليه ما ذكره الامام الحافظ احمد بن معد التجيبي في الاربعين التي الفها في فضائل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه قال وان جعلت الصلوة على نبيك معظم عبادتك فقد كفاك الله هم دنياك واخرتك ثم اني بالحديث ظهر لي فيه معنى اخر وهو ان الصلوة هنا معناه الدعاء ومنه قوله وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم اي ادع لهم فالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم دعاء له وفيه معنى التعظيم والتكريم ومعناه والله اعلم كم اجعل لك من دعاءي وهو كل دعاء عرض لي واردت كل دعاء ارجن ان ادعو به لنفسي دعا لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكفى همك ويغفر ذنبك ومعناه اذا جعلت الصلوة علي بدلا عن دعايك لنفسك اعطاك الله كل شيء طلبته مكافاة لك على ان اثرتني على حظ نفسك وتصديق ذلك ما صح وورد عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى انه قال من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين فالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم مشتملة على ذكر الله وذكر رسوله فهي افضل الاذكار وفيها موافقة للعزيز الجبار والملئكة الابرار وامتثال لما امر الله به المؤمنين الاخيار صلى الله عليه وعلى اله وصحبه صلوة دايمة التكرار ما اقبل الليل وادبر النهار وسلم • قال المؤلف كان الله له وهنا انتجز الكلام على الذي شرطناه والامر الذي التزمناه حاويا للسير الموشحة بالاحاديث المصححة والمعجزات الباهرة والشمايل النيرة وغير ذلك من مستحسنات العلوم ومستلذات الفهوم

وانا اسأل

١٠٨

وانا اسأل من بيده الخفض والرفع والضر والنفع والعطا والمنع ان يجعله من جملة الاعمال الزاكية والحسنات النامية وان يجعلنا ممن تولى هذا النبي الكريم وشغف بحبه وحشر يوم القيمة في زمرته وان يهب لنا بجميل عفوك وسبيع كرمك ما تخلل بالبقه من شوايب النيات والنبغضات وان يعظم الاجر لقاريه وسامعيه وكاتبه ومستكتبه انه هو الرب المعبود ولا اله الا الله المقصود لا رب سواه ولا معبود الا اياه وهو حسبي ونعم الوكيل ونعم النصير • قال مؤلفه فرغت من تاليفه الرابع عشر من شهر رمضان المعظم من شهور سنة ٩٥٨ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام •

وكان الفراغ من كتبه يوم الاثنين الحو في ثلثين من شهر شعبان الكريم احد شهور سنة ٩٦١ من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام • وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

وقف صدر اعظم الحاج محمد پاشا سنة ١١٦٠